المقالات التاسعة

بسم الله الرحمن الرحيم

(كشف كيد الفراعنة والكبراء والسادة)

الحمد لله ربنا الذي أنزل الكتاب، والصلاة والسلام على محمد نبينا وعلى آله وليّنا واللعنة على الذين حرّفوا الكتاب وإن الله سريع الحساب.

اللهم اغفر لي مسبقاً عن الذي استأذنتك أن أخوض فيه، وأكشف بنورك الكيد ومكامنه وخوافيه، وإنك لتعلم أني أكره القتال والجدال، ولكن إني لا أعلم وأنت بكل شيء عليم. اللهم إن هؤلاء قد ضلّوا بأن اشتروا الدنيا بإضلال عبادك، وقد خلف من بعدهم من اتبعوا أمرهم وهم يحسبون أنهم على هدى، ولا يعلمون أن أباهم قد ضلّ وغوى. وإنّك أمرتني أن أكتب في الحق والبينات وأمرك الروحي الذي ينتفع به العالمين، ولكن هؤلاء في سجن عظيم ويحسبون أنهم مهتدون. فإني أستعينك أن توصل نورك إلى قلوب السامعين والقارئين، وأستنصرك على باطل الفاسقين الجاهلين، وأسألك أن تجعلنا أئمة بأن نأتم بكتابك، وأن يكون قلبنا خالصاً لنفسك، وعملنا ابتغاء وجهك، وأنت خير الفاتحين.

حرت سنّت الأولين أن يأتي النبي بعلم، فإن ظهر أمره مدة من الزمن جاَء من بين أتباعه من يرغب في سلطان الدنيا له ولآله، وليس له سبيل إلى ذلك إلا بأن يزعم أنه وارث النبي ومفسّر تعاليمه، فيدعوا الناس إليه، ولأنه من نية دنيوية صدر عمله فبذلك يكون قد اصطبغت دعوته، وبما أن أكثر الناس تريد أن ترى الله جهرة، ولا ترى أن الباطن الروحي والملكوت هو النور الحق وأن النفس المتعالية والتأله فيها هو النعيم، فإذا جاَءهم من يدعوا إلى الدنيا وبالظاهر الجسماني مالوا إليه، ولكن لا يزال في فطرة المرء خوف الله والخوف من تغيير تعاليمه أو مفارقتها، وعامة الناس كذلك فإذا رأوا أن هذا الداعي إلى الحيوة الدنيا والظاهر يدّعي أنه مفسّر لدين الله بتعليم النبي الذي يؤمنون به كان ذلك أدعى إلى قبولهم دعوته، لاجتماع أهم سببين في قبول أية دعوى، أن تكون ظاهرية جسمانية وأن تكون أصولها ربانية نبوية، فيصدّقوا به، ثم يُنشّئوا على ذلك أولادهم، ويعلموهم أن هذا هو الحق، وأن الفرقة الروحية التي ما زالت على دين الله الحق كما نزل على نبيه هي فرقة مبطلة كافرة، وبعد مرور قرن أو أكثر يصبح أحفاد الأوائل يدافعون عن عقائد الباطل وكأنها أمور مسلمة لا ريب فيها، فإذا سمعوا من ينادي بغيرها كفروه، ولو بعث لهم النبي نفسه فلا يبالوا بل لعلهم يرجموه. وعلى هذه السنة جرت هذه الأمة.

فإن الله قد أرسل رسوله بالقرآن والمحرمات السبع عشرة المفصّلة، فأمر بتبليغ الرسالة وهي المحرمات لكل العالمين، أما القرآن فقد اختص به المؤمنين به ممن يتعلمون العربية، فالرسالة هي الإسلام دين الله وهو الذي لا يقبل الله عبداً من العالمين إلا إذا جاَء به حافظاً له، وبالإسلام يقوم

نظام الناس وحياتهم بأمان، ولمن أراد الزيادة جعل القرآن فيه كل علم ممكن وكشف فيه عن العوالم الأربعة وأسرار كل شيء، ولم يؤت الله نبيه غير القرآن منه كل شيء وبه كل شيء، والصلوة التي علمه إياها من القرآن ولكن أكثر الناس لا يعلمون.
فهذا هو الدين الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وآله، الكتاب والصلاة، "والذين يمسّكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين".

فلما أراد الناس أن يفسدوا هذا الأمر، وأرادوا أن يبنوا ممالك ويغزو الدول ويخضعوها لحكمهم لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً بهذا الدين، وأكثر الناس قد آمنت به، وفي وقت الرسول محمد صلى الله عليه وآله لم يستطيعوا أن يدعوا الناس ضدّه، ولكن لما جعل النبي عليّ من بعده لمقام الولاية محلّه حتى تستمر الدعوة كما كانت على عهد الرسول عليه السلام هنا انتظر الناس حتى وفاة الرسول حتى يستطيعوا أن يقوموا بما أرادوا. وتخاذل أكثر الناس عن علي عليه السلام، كما تخاذل من قبلهم بني إسرائيل عن هارون، فلما أفسدوا نظام الإمامة الإلهية التي كان يقوم بها الرسول نفسه ولولا لما كان رسول ولا نبي ولا حياة، فإن محمد كان ولياً، وكان رسولاً بما يأتيه من جبريل عليه السلام وهو الكتاب الذي بين أيدينا، فلما فرغ التنزيل، وذهب جبريل، بقيت الولاية للرسول، فلما وصّى بها إلى علي عليه السلام، ودلّ الناس عليه، ولكن لم يجبرهم ولم يكرههم إذ لا إكراه في الدين، وأمر الله إما أن يتبعه الناس وهم راضون به أو فإن الله غني عن العالمين، فلما توفي الرسول ووجد علي تخاذل الناس ورغبتهم عن ولاية الله، وكيف أنهم رضوا بغير ما أمرهم به نبي الله عليه السلام، تركهم في ظلمات لا يبصرون.

فعلى مر الزمن ونشوء الدول كان يجب على الطواغيت أن يصرفوا الناس عن القرآن بالحق، لأنه مشحون بالكفر بهم وعدم الخضوع لهم فيما يريدون من أن يصبحوا فراعنة فوق الناس، وأن يجعلوا الناس المؤمنة بالله وكتابه تفتح لهم البلدان وتعبدهم بالخضوع والتسليم التام، فماذا يفعلون، لو حاربوا القرآن علنا لظهر كفرهم للناس ولما أطاعوهم، ولما استطاعوا أن يستغلّوا حب الناس لدين الله في تحقيق مآربهم، وهذه المحبة هي من أعظم ما يستغله الفراعنة لحكم الناس وتوجيههم حيث يشاؤون، فالحرب على القرآن هكذا علناً ليست في مصلحتهم. فحتى لا أطيل عليك في أمور لعلها ظاهرة لك، أقول لقد توصّلوا إلى إحدى عشرة مقولة حملوا الناس عليها أو أقنعوا الأغبياء بها، وها هم إلى اليوم لا يزال الأحفاد يكررون فعل الآباء، فلنذكر لك هذه المقولات وشيء من بيان فسادها، ونستعمل ما قال الله فيها "فضرب الرقاب" فننظر إلى هذا الجسم الفكري الفاسد ونصوب تجاه الرقبة التي إذا طارت لم يبق في الجسم حيوة.

١-القرآن لا يفهم بنفسه وهو فقير إلى الأحاديث المروية عن الرسول.
٢-إجماع الأمّة حجّة.
٣-للقرآن أسباب نزول.

٤-وفي أحكام القرآن ما هو منسوخ.
٥-لا يفهم القرآن إلا بالشعر (الظاهر اللفظ).
٦-لا يفسر القرآن أحد إلا الرسول أو أصحابه.
٧-الأنبياء معصومون لا يرتكبون أي خطأ.
٨-انقطع الوحي كلّه بعد القرآن.
٩-أركان الإسلام خمسة (الإيمان).
١٠-القرآن كله تأويله في الأئمة والناس عليها الاتباع فقط ولا حظ لهم من شيء.

...-...

المقولات الأحد عشر.

١ (القرآن لا يفهم بنفسه وهو فقير إلى الأحاديث المروية عن الرسول) هذا صنم هذه الأمة.

إن الله يقول "إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون" فإن كان القرآن يحل خلافات بني إسرائيل فكيف يزعم الناس أنه لا يكفي لهداية المؤمنين. فإمّا أن يصدّقوا هذه الآية ويكفروا بغير القرآن من الكذب الذي تنسبه كل فرقة إلى الرسول عليه السلام، وإما أن يكفروا بالدين كله، فليختاروا ما يشاؤون.

والسبب الذي جعل أئمة الجهل ينشرون مثل ذلك بين الناس هو لأنهم لما لم يجدوا في القرآن ما يؤيد مطامعهم، وكانوا لا يستطيعون أن يقنعوا الناس بأمر من أمور الدين إلا بنسبته للرسول عليه السلام، اختلقوا فكرة الأحاديث المروية عن الرسول، فكلما أرادوا شيئاً قالوا، روي عن فلان عن فلان عن الرسول، وهل هناك أسهل من هذا، ثم حتى يدعّموا هذه المقولة المشينة اختلقوا علم سمّوه علم الرجال، ويرد هذا العلم المزعوم ويضرب عنقه كلمة واحدة لا أبسط منها، وهي "مَن أنت حتى تحكم" فقط هذا السؤال، لأن العلم المزعوم مبني على أن ثمة علماء يحكمون على الرواة، فهؤلاء العلماء مَن نصّبهم للحكم على الناس، ثم وإن فرضنا جدلاً أن لم سلطان ما يخوّلهم الحكم على الناس، فكيف يحكمون عليه بالظاهر أم بالباطن، إن قالوا بالظاهر فمعلوم عند العقلاء أن تسعة أعشار الحكم بالظاهر باطل، أترى لو حكمنا بالظاهر على العبد الصالح صاحب موسى، أليس يكون حكمنا أنه مخرّب كافر بالنعمة مجرم سفّاك دماء الأطفال الأبرياء والمجنون الجائع الذي يعمل بغير أجر وهو بحاجة إليه، ولكن عند الله العلي "عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنّا علماً" وعبد يستحق أن موسى كليم الله يسافر إليه ليتعلم منه، فالحكم بالظاهر باطل، أما الحكم بالباطن فهل يزعمون أنهم آلهة عندهم علم السرائر، فأصل وجود أناس يحكمون على عدالة أناس باطل في أغلب الأحيان، والحكم بالظاهر باطل في أكثر أكثر الأحيان، فالعلم المزعوم كلّه قائم على وهم لا محل له في الحق. ثم ولنفرض جدلاً أن هذا العلم صحيح قوي، ما حاجة أمة القرآن العظيم إلى قال وقيل، يقولون لم يفصّل كل شيء،

أقول إنكم تكذبون على الله العلي، لأن الله يقول "وتفصيل كل شيء" فويل لكم إن كان يقول " تفصيل كل شيء" وأنتم تقولون لم يفصّل أكثر الأشياء، وليتهم لما لم يعرفوا قالوا "سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا" ولكن الكبر والعمى يجعل المرء يقول لما لا يجد، ليس هذا موجوداً، يجعل نفسه ميزان العوالم، فما لا يفهم فهو لا يُفهَم، "سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق" هذه النبوة تتحقق في أمثال هؤلاء. صدق الله العلي العظيم.

ولا يأتي بعد هذا من تملّكه الغباء ويقول، أين الحج، وأين الزكاة، فإن الأصل أن القرآن مبين لكل شيء، فمن أتى يدعي أن أمراً ما من دين الله، فهو المطالب بالبرهان، هو المطالب بالبرهان، هو المطالب بالبرهان، ألا فليفهم، فإن لم يستطع أن يبرهن على أمره فهذا الأمر باطل، ونزيد بياناً ونقول، يشبه من يقول بحثت في القرآن فلم أجد فلذلك سأذهب إلى كتب الأحزاب يشبه من يقول دعوت الله فلم يستجب لي ولذلك فإنه لي الحق أن أدعوا الأصنام، وعجب من الذين لا يجدون فيقولون غير موجود، حقاً أمرهم عجيب.

ولنفرض جدلاً مرة أخرى أن كل ما ذكرناه لا يساوي شيئاً، وهو كله حق لا يمكن ردّه، ولكن فلنفرض جدلاً ذلك فقط ليعلم الأحزاب ما مدى وهن ما يتمسكون به وأنه كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً، فأي أحاديث ستأخذون، إن رجلاً واحداً وضع خمسين ألف حديث، وإن علمائكم كانوا يحفظون ألف ألف حديث فيختار أربعين ألفاً، وآخر يحفظ ستمائة ألف حديث فيختار ما يقارب العشرين ألفاً، وحتى ما اختاروه يأتي من بعدهم ليظهر الكذب والجهل الذي فيه، وهذه أحاديث حزب واحد، وإذا نظرت إلى باقي الكتب والأحزاب ستجد أضعاف ذلك بأضعاف مضاعفة، فإن كان من بين كل ألف حديث يسلم واحد، فأي ثقة تبقى فيها، إن كان رجل يدفع لك ألف قطعة ذهب وعند الفحص تبين لك أن قطعة واحدة ذهب حقيقي والباقي مطلي ومغشوش، هل ترجع إلى التعامل مع هذا الرجل، هل تقبل ماله بعد ذلك، فهذا تورّعكم في مال الدنيا السافل، فكيف أنتم مستهترون في العلم الرباني النازل، ويل لهذه الأمة التي هجرت جواهر الله لهذا المعدن المغشوش.

وتعالوا نفرض جدلاً مرة أخرى أن ما ذكرناه مردود، ولا يمكن ردّه بحال، ونقول يوجد طريقة لمعرفة الحديث الصحيح من الكذب وهي سليمة تامة، فأقول وأي حاجة لكم في بذل كل هذا الجهد في الاستنباط والترجيح، ووالله لو أن العلماء كانوا قد بذلوا عُشر جهدهم في عبادة الأحاديث بذلوها في التأمل في القرآن لكان أفسق هذه الأمّة لو قال للسماء أمطري قالت سمعاً وطاعة يا ولي الله، يشبه من يترك البحث في القرآن للبحث في الأحاديث لاستنباط الصحيح من الفاسد يشبه من يبحث عن جوهرة في مستنقع تتجمع فيه فضلات الناس وأوساخهم، ويغوص ليبحث عن الجوهرة، والملك العظيم قد فتح له خزائنه التي فيها ألف ألف ألف جوهرة أغلى من هذه التي يريد أن يستخرجها الغواص، فلما آثر الاتساخ على العز، هذا أدعه لك أيها العزيز.

لا أظن أن هنا من يريدني أن أفرض مرة أخرى وأنقد هذا البيت الواهن، فاختر ما تشاء فقد بينت لك بيان الله، واعلم أنه بناء على ما تقول في هذه المقولة سينبني كل أمرك مع ربك من حيث الشريعة والحقيقة، فأحسن التأمل بالرغم إني لا أرى أمراً لتتأمل فيه ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل.

...-...

(إجماع الأمة حجة) خيال في رؤوس بعض سفهاء الأحلام، وانظر البيان لتعلم حقيقة هذا الكلام.

متى أجمع الناس عامة أو الفقهاء خاصة على أمر ما، الشيء الوحيد الذي أجمع عليه كل الناس هو أن لا يجتمعوا على شيء، فالناس ما زالت غير مجتمعة على كونها من الناس، هل هم هبشر، أم آلهة، أم حيوانات، أو قردة ترقّوا، أم كائنات فضائية، أم نحن لسنا موجودين أصلاً، أم ما هو الإنسان ما زالوا غير مجتمعين، والفقهاء خاصة انظر فقط في مسألة "وامسحوا برؤوسكم" لتعلم مدى حجية الإجماع هذا، فإنهم اختلفوا في كلمة "برؤوسكم" على أكثر من عشرة أقوال، وأول ما تبدأ به أي آية ومسألة هو، اختلفوا فيها على أقوال، فأي إجماع هذا.

وهل هناك مجمع للفقهاء والعلماء يشتركون به ويصوّتون على المسائل المعينة حتى يدّعوا المرر أن العلماء أجمعوا على كذا، ولو كان ثمة مجمع، لأنه قد يقول أحد أنّا نعلم من مؤلفاتهم ومروياتهم، فمن هذا الذي وضع شروط القبول في هذا المجمع، ألست ترى أنهم يقولون، أجمع العلماء على كذا وشذّ مَن لا يؤخذ بقوله أو لا يلتفت إليه، فإن فرضنا جدلاً أنه ثمة مسألة أُجمع عليها، ولا أعلم ماهي إذ اختلفوا في "برؤوسكم" على أحد عشر قولاً، ولكن فلنفرض ذلك في الخيال، فمن الذي يحكم أنهم أجمعوا على حق أو على الأحسن، لماذا لا يكون هذا الذي يقولون عنه أنه شذ هو صاحب المقالة الصادقة، وكم من الشواذ لما راجعنا مقالتهم كانوا هم المخلصين الصادقين ولكن أخفيت مقولاتهم عن العامة وأوجه براهينهم على مسألتهم وردّهم على من خالفهم، ثم أي مذهب هو الذي سيعتبر إجماعه، والحاصل أنه لا إجماع إلا في الخيال، والخيال الضيّق.

فلا اعتبار إلا للحجّة، وإن تساوت الحجج من كتاب الله والعقل الذي يبحث عن الأحسن، ولا أظنها تتساوى إذا نظر في الكتاب حق النظر، لأنه إنما نزل ليرفع الاختلاف المؤدي إلى التحزب، وقتها قد يُستأنس بقول الأكثرية، قد يُستأنس، إلا أن يكون منهم من يأخذ أجراً على تعليمه أو يعمل لحكومة أو صاحب مذهب متعصب له وليس ينظر إلى القرآن إلا بعيون مذهبه القائم على غير القرآن، فلهذا لا يعتبر إلا إن أتى بحجة من القرآن أو من العقل الذي يبحث عن الأحسن في المسائل.

الذي يحكم في مسألة هو أحد ثلاثة، إما حكم بسبب برهان عنده، أو هوى نفسه، أو نابح، فإن كان ينبح فلا ننشغل به، وإن كان عن هوى نفس فلا حاجة لنا فيه، وإن كان من برهان فليظهره لنا، فعندما يقال مثلاً أن الجدّة تأخذ السدس في مسألة الميراث، هذا الحكم لماذا ترجّح عند أول من نطق به، إن كان له برهان من الله، فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، وإلا فنحن على يقين أنه صاحب هوى، لعل جدّة أحدهم كانت تريد حصّة من الميراث فخرقوا لها هذا الحكم، لا ندري، ولكن اليقين أن من لم يكن له حجّة من الله فحجّته من الشيطان، "أفحكم الجاهلية يبغون ومَن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون" فهذا كتاب الله وهذا العقل، من زعم أنه يعلم حكم الله فليأتي بفهم من كتاب الله، وهو صادق ولو كان المخالفين ألفاً وهو واحد، وإلا فحكمه حكم الجاهلية ولو كان ألف ألف من أصحاب العمائم الضخمة الفخمة.

وهل يوجد أسهل من حكم عقول العوام الذين هم كالأنعام من أن يقال لهم، أجمعت الأمة، أجمعت الصحابة، أجمع الفقهاء، متى أجمعت الأمة وهي سبعين فرقة، متى أجمع الصحابة وأول ما توفي الرسول صاروا ثلاثة، متى أجمع الفقهاء وكلٌ يزعم أنه صاحب حكم السماء، ويدعي أنه وارث الأنبياء.

لا إجماع بل برهان آية وإقناع.

...-...

(للقرآن أسباب نزول) الصيغة الأنيقة لقول المشركين أن الرسول افترى القرآن من عنده وأفكاره، وآلة تحريف القرآن الأولى والتشقق والتحزّب، وخذ البيان.

ما معنى أن تكون حكمة ما لها سبب نزول، إني أمرّ في موقف ما، فأستلهم وأفكّر في حل لها، فأعمل عقلي كيف أدفع الضرر وأجلب النفع، فأنتج حكمة أو مقولة معينة، فيكون هذا الموقف هو سبب نزول هذه الكلمة، ولكن إذا رحت إلى محاضرة علمية عند أهل العلماء، وجلست للسماع، فما يقوله لي ويدخل في عقلي هو منه إليّ، وليس لي من الأمر شيء، إنما أسمع ما يعلّمني وأدوّنه، ثم بعد ذلك أتلو ما دوّنت من كلام هذا العالم الجليل الحكيم، وأتدبّر فيه، وأستنبط منه وأعمل بمقتضاه، هذا هو الفرق بين أن يكون للقرآن سبب نزول وبين تلقي الوحي، العجب أن الأمور واضحة وبسيطة ولكن أين ذهبت عقول الناس، "لعمرك إنهم في سكرتهم يعمهون".

ونحن نعلم أن كتاب الله أمثال وأحكام، فقوله "إن في خلق السماء والأرض" مَثَل، وقوله "الزانية والزاني" حكم، فنسأل : هل معرفة أسباب النزول المزعومة شرط لفهم الكتاب أم لا، مع العلم أن الشرط إذا زال زال المشروط، فمن قال أن معرفة سبب النزول شرط لفهم القرآن فقد رمى القرآن بالنقص في البيان بل وأشنع من ذلك، رمى الرسول بتضييع القرآن لأنه لم يدوّن هذه الأسباب

المزعومة، وإن لم تكن شرطاً فنقول إذاً لا حاجة لنا بها أصلاً، ثم أي أعمى هذا انطمست بصيرته يحتاج إلى أسباب نزول ليفهم أحكام القرآن، إن لم يكن لها بيان في القرآن، وهذا محال لأنه تبيان لكل شيء، فلا يعقل أن يبين كل شيء ولا يبين ما في نفسه، فممن تلتمسون البيان إذاً، ستقول من السنة، أقول السنة من أين عرفت ذلك البيان، إن قلت من القرآن فهاتوا برهانكم، وإن قلت من غير القرآن فقد كذبت على العزيز الجبار وعلى رسوله القائل "فاحكم بينهم بما أنزل الله" وإن قلت كان له وحي آر، أقول كذبت على الله ورسوله، لأنه لو كان له وحي آخر لدوّنه، وأي وحي آخر هذا اللهم إلا تفهيم القرآن، فنعم هذا حق، لأن الله يؤيد بروحه المؤمن لفهم القرآن والنبي له الحظ الأعظم، ولكن من القرآن وليس من خارجه أو من شيء آخر لا نعلم ما هو، وحتى هذه الأسباب التي تزعم أنها للقرآن العظيم هي ليست لأكثر من ثلاثمائة آية بل لعلها أقل، فماذا نفعل وكيف نفهم الستة آلاف آية الباقية، ويل الناس أين يذهبون.

وأي مذهب أراد أن يقرر أمراً له ولرجاله فإنه يدخل من هذا الباب، يقول الآية ثم يزعم أنها نزلت في كذا، ولم يحرّف القرآن بشيء مثل هذه المقولة وأخواتها، الناسخ والمنسوخ والشعراء هم الفقهاء، انظر إلى الذين يزعمون أنهم يفسّرون القرآن، ستجد أن أكثر استدلالاتهم هي، هذه نزلت في كذا، فإن كان من حق كل واحد أن يقول نزلت في كذا، إذاً فقد ابتلع الحوت يونس.

ولتعلم لماذا اختلقت هذه المقولة اذهب وابتع كتاباً في أسباب النزول، استغفر الله، إني لا أعلم هل أضيّع لك مالاً إن نصحتك بذلك ولعل الفقراء أولى به، ولكن لا بأس إنه من العلم ولا شيء بسيط منه، اذهب وانظر إلى الآيات التي يزعم أن سبب نزولها كذا، ثم انظر إلى ما يقتضيه سبب النزول هذا من معاني وأحكام في الآية التي يتعرض لها وفي المسألة التي تعلمها الآية، ثم ضع الكتاب جانباً، واقرأ الآية من القرآن واستعن بالله على فهمها، كما هي في القرآن وانسَ سبب النزول، سترى أن أكثر ما ستمرّ به هو تحريف لحكم الله، وكتم للعقائد التي يعلمها، وأمور تثير الفرقة بين الناس عامة وأهل الدين خاصة، والثمرة تعرف من الشجرة، ثم انظر إلى المذهب الذي تقرأ فيه أسباب النزول وسترى أن كل القرآن نزل في تقرير هذا المذهب، هكذا، وسبحان الله كيف أن عند مذهب كل القرآن يكون له، وعند آخر نفس الآيات ولكنها كلها نزلت له، أفهم ما معنى أن العلماء يختلفون بعدما تأتيتهم البينات من الله بغياً بينهم.

أضرب مثالاً واحداً على التحريف العظيم الذي تسببه هذه المقولة الشائنة، وهو مثل بسيط مقارنة بما فعلوا، يقولون أن بعض اليهود أرادوا أن يعرفوا هل الرسول صادق أم لا، وكان عندهم أن الروح لا أحد يعرف ما هي، فإن سألوه وأجاب أنه لا أحد يعلم ما هي فإنه صادق، فلما جاءوا وسألوه نزل "ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا"، فلو لم تقرأ هذه القصة السيئة التي تحوّل فهمك للآيات كما أراد الله، وقرأت الآية المباركة سترى أن الجواب فيها، بل أخبرهم كل شيء عن الروح، وليس هنا محل تفصيل ذلك، هذا أمر، ثم قال لكم

أن اليهود لا يعرفون الروح، هل تعلمتم كتبهم كلها، إني لأعلم أنهم من أعلم الناس بالروح وأعرف من حججهم وأسرارهم، ثم الطامة الكبرى وهي أن هذه الرواية المزعومة تثبت عدم صدق النبي حاشاه، لأنه نعم الناس قد لا تعلم ما هي الروح ولكن إن كان الله جل وعلا خالق الروح هو الذي ينزّل الوحي فكيف تزعمون أنه لا يعلم ذلك وحاشا مقامه العظيم، أم تزعمون أنكم تعرفون الله خالق الروح وأن الله فصّل أسماءه وأسرار هويته القدسية في القرآن فقال "الله لا إله إلا هو الحي القيوم" و قال في الجوهرة الكبرى "هو الأول والآخر والظاهر والباطن" فهل يفصّل هويته القدسية ونفسه العلية ولا يفصّل الروح، ويل لهذه العقول السفيهة، ثم إن كان اليهود حسب هذه الرواية يقصدون بالروح "تنزل الملائكة والروح فيها" هذه الروح، أم يقصدون النفس الإنسانية " الله يتوفى الأنفس حين موتها" لأن الناس قد اصطلحوا على تسمية النفس بالروح حتى اليوم، إن كان قصدهم هو الأول فقد بينا ردّ ذلك، وإن كان قصدهم الثاني فالأمر أسوء، إذ بذلك يكون القرآن ترك أعظم ما في الإنسان، وذهب يفصّل الحيض والحمل، لا أزال أتعجب من هذه الأمة حتى كاد عقلي يطير، وأين أنتم من كل آيات النفس والأمثال التي ضربها الله، وهل نزل القرآن إلا لنجاة الأنفس وكمالها، أليست الأنفس محور كل شيء في الدنيا والآخرة، يكفي هذا البيان فقد أوجعتم قلبي وهو يحاول أن يبين لكم البدهيات ويبرهن لكم أن للشمس نوراً وأن الجزء أصغر من الكل.

القرآن كامل أيها الناس فتوبوا إلى الله واستنصروه على الجهل فإنه وعد أن يؤيد المؤمنين بروح منه.

...-...

(في أحكام القرآن ناسخ ومنسوخ) خير لك أن تحرق المصحف على أن تقول بهذه المقولة، وإني لأحبّ الطواف حول هُبَل على أن آخذ بهذه السفاهة.

إن أحدكم لا يجرؤ أن يقول لطاغية من لحم ودم غداً يأكله الدود بعد أن يحكم، إن حكمه مرفوع لا قيمة له فلنقرأه فقط ولكن لا نعمل به، فتعساً لهذا الجرئ على مالك الملك.

ما معنى الناسخ والمنسوخ بكل وضوح، الله حكم بشيء في القرآن، وحكم في نفس المسألة بحكم آخر، فالنص الجديد يلغي النص القديم، هذا قول أكثر من يأخذون بهذه المقولة، أما الذين يدعون أن أحاديث من السنة تلغي حكماً في القرآن فهؤلاء أكثر من أن نجادلهم أصلاً لأنهم قد زادوا على الحد الذي أستطيع أن أبين لهم الهداية، فعلينا بالفريق الأول وهم لكي تعلم الأغلبية، ومن عجائب هذه الآية التي لا تنقضي أنه يظهر أنهم يجمعوا على هذه المقولات السيئة، فإن كان أمر فيه عبث وتغيير تراهم يجمعون وإن كان لتأمل وتحقيق آيات الله ترى كل واحد منهم يريد أن يظهر كأنه لقمان الحكيم.

يا أيها العلماء الأعلام أرجوكم أخبروني ما معنى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً"، ألستم تقولون بحق أن التناقض من أظهر الاختلاف، ألستم يا من تدعون اليهود والنصارى تناظروهم في أن كتبهم محرفة بأن تظهروا لهم التناقض فيها، فإن كانت آية تقول حكماً وأخرى تقول آخر، بحسب زعمكم، أليس هذا تناقض، إذا يأتي الغريب ويقول هذا بنص الكتاب من عند غير الله، ستقول هي منسوخة، سيقول، هذا مخرج من المأزق، مخرج جدلي لا أكثر، أترى لو جآء النصراني وقال رداً على قولكم أن كتابهم متناقض، إن هذه منسوخة، ما كان ردّكم عليه.

يا أيها العلماء الأعزاء، إن كتب لكم ملك دستوراً فيه قوانين، وقال في المادة الثالثة "البسوا الخضار يوم العيد" وقال في المادة السبعين "البسوا السواد يوم العيد" ما قولكم عندها، وقال في المادة الأولى "من خالف هذا الدستور سيقتل، من خالف مادة واحدة سيقتل، من غير شيء منه سيقتل" ما قولكم، إن لستم الخضار فتلكم بموجب مخالفة المادة السبعين، وإن لستم السواد قتلكم بموجب المادة الثالثة، وإن نسختم ألغيتم المادة الثالثة قتلكم بموجد المادة الأولى، فما أنتم فاعلون، يا الله كم أضرب لهم الأمثال ولكن لا يفقهون.

تعالوا أخبركم ماذا يجب أن تفعلوا، من شاء أن يلبس الخضار فليلبس ومن شاء أن يلبس السواد فليلبس، وإن قبض عليه فليحتج بالمادة التي عمل بها. هذا لأن المثل الذي ضربته لكم ناقص، أتعلمون ما يجب أن يقول الدستور لو كان كاملاً من العلي العظيم، هكذا "من كان من أعيان الدولة والعاملين في أجهزة الحكومة فليلبس الخضار" و "باقي الشعب يلبس السواد"، الآن ارتفع الاختلاف، فلكل حكم حالة، ويجب الأخذ بالدستور كله لأنه كامل من العلي العظيم. ومن ذلك فالمثل ناقص، لأن البشر تتغيّر أحوالهم فتتغيّر الأحكام تبعاً لذلك، والبشر الذي يضع دستوراً قد يتغيّر بعد فترة، هذا لأن الدستور من وضع بشر ولأجل فترة زمنية محددة، ولكن إذا كان من العلي الكبير وكان لكل الناس هدى ورحمة للعالمين المنزل على خاتم أنبياء التعليم فلا يصح عليه ذلك، بل يكون بحيث فيه ما يحتاج إليه الكل، ولا يعين حكماً إلا لأنه لا يختلف باختلاف الزمان والمكان.

وهذه المقولة هي الآلة التي يستخدمها أصحاب المذاهب كثيراً أو بتوسّع وجرأة لا أقوى منها، وهي أنهم كلما أرادوا أن ينفوا أمراً من آية قالوا أنها منسوخة، وأقبح ما أثمرته هذه الشجرة الخبيثة ثلاث أمور، وكما ذكرنا أن الشجرة تعرف من الثمرة، وإذا نظرت إلى الثمرة ستعرف من زارع الشجرة، فتأمل هذه الثمار الثلاث. تبرير الاعتداءات والغزوات، البخل وكنز الأموال، إحياء التعصب الجاهلي، وهذه الثلاثة باقية إلى اليوم بسبب هذه المقولة السيئة.

”تبرير الاعتداءات والغزوات“ المسماة زوراً وبهتاناً وكذباً على الله ورسوله بالفتوحات الإسلامية، إذا نظرت في القرآن ستجد عشرات الآيات التي تعلمك أن تصفح وتعفو وتكل أمر الكفار إلى الله، كل هذه الآيات ألغاا الطواغيت الذين يريدون أن يفتحوا البلدان ويخضعوها لحكمهم بكلمة واحدة في آية واحدة وهي التي تسمى آية السيف، بالرغم أن كلمة السيف لم تذكر في القرآن كله ”فإذا انقضى الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث ثقفتموهم“ قالوا ”هذه نسخت كل آيات السلام والعفو“ ما معنى نسخت، أي ألغت ورفعت، ولكنهم يستعملون تعبيراً لطيفاً حتى لا يقول العامة ”لا بارك الله فيكم أتزعمون أن الله يلغي حكمه الذي أنزله في كتابه“، هذه الكلمة في هذه الآية ألغت بزعمهم أكثر من مائة آية، وبذلك ارتفع القرآن وبقي السيف فإما الخضوع للحكومة المتسلطة وإما تعالوا نقاتل والفائز سيبيت في فراش المهزوم مع زوجته وابنه سيصبح مولى يأتيهم بالطعام والشراب بعد أن يفرغ من الفجور بها، لا ليس فجوراً، عفواً أيها العلماء لعلي أخطأت، بل غنائم الرب، تعساً لهذه الأمة الخائنة لله ورسوله.

إن الله يقول ”وقاتلوا الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنه لا يحب المعتدين“ وبعد هذه الاية المباركة وهذا الحكم البين القاطع يقول ”اقتلوا المشركين حيث ثقفتموهم“ (تأمل من البقرة)، فالمؤمنين حصراً إن قاتلوا فهم يقاتلون الذين يقاتلونهم، أن يبدأوهم بالقتال، لا أوضح من ذلك، وهل تظن أني فسّرت لكم طلاسم سحرية، بل هي بينة حتى للصبيان، فلماذا تركوا هذه الآية وغيرها، لأنهم يريدون أن يحكموا العالم ويخضعوا البلدان كما يفعل وفعل غيرهم من الملوك والسلاطين الطواغيت منهم، خاصة بعد أن نسوا وعمّيت عليهم حقائق القرآن والدعوة إلى الله لم يجدوا ما يستطيعون به فتح البلدان إلا بالسيف، وهي أسرع من الكلام والإقناع فمن أراد الدنيا فليقطع بالسيف فإنه أسرع في الإقناع.

أما تبرير البخل وكنز الأموال، فإن الكل يعلم أن القرآن يأمر بإنفاق ما لا يحتاج المرء إليه مهما بلغ هذا المال، وإن المال في أصله خلق للإنفاق، وليس معنى الإنفاق مجرد إعطاء المساكين ولكن بناء المشاريع وكل ما له علاقة بتحريك الناس في العمل المنتج، وإن سحب الأموال وكنزها يشبه سحب الدم من الجسم، لذلك تجد البلدان التي ينتشر فيها البخلاء ميتة أو شبه ميتة، ولما أصبح الطواغيت، أو الخلفاء، سلاطين على الناس وأرادوا كنز الأموال لأن في إنفاقها تكون راحة الناس، وإذا ارتاح الناس من ناحية المعيشة تفرغوا للتفكير المؤدي إلى العظمة، والعظيم لا يستطعون أن يحكموه، أما الأنعام فيسهل ذلك عليهم، ولذلك قالوا أن كل ما أمر الله تعالى به في كتابه العزيز من الإنفاق والصدقة والزكاة والقرض وكل ذلك نسخ، بماذا، بحديث أو إفك يقول ما تعرفون، وحتى الزكاة التي زعموها الناسخة والملغية لحكم الله جل وعلا يستطيع المرء أن يلتف عليها كما تعرفون، ومن أمثال هذه الأحكام الواهية ظهر ما يُسمى بالحيل، تصوروا أن ثمة حِيَل في شريعة الله للتخليص من أحكامه، مهما حاول الجهلة أن يبرزوا فإنهم خاسرون، والناس قد أحبت هذه المقولة لأنها توفّر عليهم الكثير من المال، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أما تبرير العصبية الجاهلية، فإن الله بعث النبي عليه السلام بالقرآن حتى يحتوي كل الناس ويدلّهم على دين الفطرة وليس دين الطقوس والخرافات، فقال أعظم ما قيل في أي دين "إن الذين ءامنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من ءامن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" وقال فيمن يدخل الجنة "ليس بأمانيكم ولا أمانيّ أهل الكتاب مَن يعمل سوءاً يُجزَ به" ولا توجد آية في كتاب اله تقول "ادخلوا الجنة بما كنتم تعتقدون" ولكن دائماً "بما كنتم تعملون"، أما مقولات الشفاعة للنجاة من النار، وأن ثمة من سيحرس من يتبعه وما شابه مما يستهوي الهامة وضعاف اليقين وسفيه العقول ممن يرغبون أن يلجأوا إلى غير ركن الله تعالى فيحبون مثل هذه المقولات لأنها تجلب الطمأنينة الزائفة لعقولهم، وأيضاً حب التكبّر على الناس ورؤية أن ديني خير من دينك لا لشيء إلا لأني أخرّف أحسن منك، وليس بناء على عمل وكمال، فلما رأوا هذه الايات وغيرها التي تعلّم الصبر والصفح والعفو، وأرادوا العصبية وإخضاع الأمم قالوا أن كل هذا منسوخ ملغي مرفوع بسبب أحاديث وإفك خرقوه، فتمّ لهم ما يريدون، وثم انقلب السحر على الساحر، فصار حتى بين أبناء هذا الدين الواحد أصبح كل مذهب يرى أنه الناجي والباقي في النار، ثم تطور الأمر، فصار بين كل مذهب فرق كل منها يزعم أنه في الجنة والباقي في النار، وهكذا، حتى آل الأمر إلى ما ترون، وكل هذا أساسه أن آيات العمل الصالح المجرّد، كالمحرمات العشر والصفح، نسخت بزعمهم، وكل آيات توحيد المذاهب بدين الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح وجعل هذا أساس الحيوة، وجعل مظهر الإيمان بالله واليوم الآخر هو العمل الصالح، وليس كتب الهذيان ولا مقولات اللسان، أصبح كل يتخيّل ثم يحكم بالنار على من لا يحسن أن يتخيل ما تخيله هو، بل حتى هو لا يعرف حقيقة ما تخيّل، فانتشرت العصبية التي حذّر الله منها، فهنيئاً لكم أيها العلماء والفقهاء وحفظة الدين على جهودكم المباركة. مباركة الشيطان طبعاً.

فهذه أشر وأسوأ ثلث آثار خلقتها مقولة الناسخ والمنسوخ المشئومة، وما هي آثارها أمامك ولعلها في نفس بعض القراء، فليس بعد العيان برهان.

...-...

(لا يفهم القرآن إلا بالشعر والشعراء) هنا حُرِّف الكتاب العزيز.

في الشعر ثلاثة مساوئ بالنسبة للنبوات وأهل العقل الرباني، الغرض منه العواطف حتى لو بالكذب والمبالغة الغير حقيقية، والترادف فيه ضروري في أغلب الأحيان، للّفظ الأولوية ولو على حساب المعنى، الذي يقول بالثلاثة هو الشاعر، وإن الله نفى أن يكون القرآن قول كاهن أو ساحر أو مجنون أو شاعر، ولكنه لم يسمّ سورة بالكهّان، أو المجانين، أو السحرة، ولكن الشعراء، وهي من أطول سور القرآن المفصّلة، فهل اتعظ الناس والعلماء وفهموا لماذا قام القرآن (إضافة وقت

النسخ: أي هـي كذلك فـي المصاحف وأسماء السور) بذلك، أم خرّوا صُمّاً وعمياناً على آيات ربهم.

انظر إلى أي تفسير مزعوم شئت، وسترى العجب، أضرب مثلاً واحداً لكل من هذه الثلاثة، أما الزعم بالمبالغة الغير حقيقية كقوله "خير من ألف شهر"، وأما الترادف فمن أغبى ما مرّ عليّ هو في قوله "وخرّ راكعاً وأناب" يقولون "راكعاً" أي ساجداً، وكأن مانعاً منع القرآن من أن يقول ساجداً بدلاً من راكعاً، أو أنه يستعرض قوته البلاغية وسعة علمه ومفرداته فيستخدم ما لا فائدة منه فقط هكذا، وهذا الترادف وأمثاله هو أغبى ما تراه عند المفسّرين المزعومين، وأولوية اللفظة على المعنى فهذا مثل أن يقدّم الله كلمة ويؤخر، فيقولون- تقدير كذا هو كذا ثم يقدمون ما أخر الله ويؤخرون ما قدّم، ويقولون، هذا ليستقيم السياق، ومن كثرة وجود هذه الثلاث مقولات أصبح عقلي لا يستحضر أمثلة، بل أكثر ما قالوه هو من هذا القبيل، واذهب واظنر بنفسك إن شئت. واحذر الاتساخ.

فالقرآن علم، دقيق في وصفه، حقيقة معانية، كل حرف منه علم فما بالك بالآية، والشعراء يظنون أنهم يستطيعون كتابة تفسير للقرآن، ما أجهلكم أيها الغاوون، إني إلى الآن لم أجد واحداً أحسن تبيان شيء من معاني سورة الكوثر والحقائق التي فيها، يقولون الآية الأولى "نهر في الجنة" والثانية "أمر بالصلاة ونحو البهائم أو رفع اليدين إلى النحر" والثالثة "الذي آذى النبي بأنه قال يموت ولا عقب له فنتخلص منه" ثم تنتهي السورة، فهل هذا علم، إن القرآن كله في سورة الكوثر، ولكن الشعراء كعادتهم لكل بيت شعري معنى واحد، وليس لكل حرف فيه علم رباني، فأين هذا من القرآن العظيم.

ومن ذلك الغباء المركّب القائل، إن تفسير القرآن قد فُرغ منه ودوّن كله، ولا يستطيع أحد أن يأتي بجديد، أو بغير ما قاله القدماء، لا بارك الله في مثل هؤلاء، كل ما قالوه أو أكثره إما خرافات، أو أوهام لا علم فيها اللهم إلا أنت نتعلّم أن في إمكان الإنسان أن يصبح أغبى من البهيمة، أو أحمر من الحمار، اذهب ولا تظنني أبالغ كالشعراء، اذهب وانظر إلى ما يقولون، وسترى أنك أنت لاحظ لك من القرآن إلا شيء زهيد كالدراهم التي اشتُري بها يوسف، فبين أسباب النزول، وعصمة الأنبياء، وختم الوحي كلّه، والعبودية التي تشبه علاقة بني إسرائيل مع فرعون، بين كل ذلك تصبح كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران، وليست النجاة إلا بنبذ كل هذا الطاغوت وخذ القرآن بالله والقرآن.

مثلاً انظر إلى هذه الآية "والصبح إذا تنفّس"، يقول الشعراء، انظر إلى هذا البيان البديع، ويصفون ما لا أستطيع أن أقوم به لخلو العقل من مثل هذه الأساليب التي يركن إليها الجهّال، ولكن لا ينظرون إلى حقيقة الصبح، وما معنى أنه تنفّس، وعن ماذا نفّس، وما علاقة ذلك

بالإصباح في قوله "فالق الإصباح" والمصباح في قوله "كمشكاة فيها مصباح"، وما علاقة فاق الإصباح بقوله "قل أعوذ برب الفلق" وعلاقة ذلك بقوله عن البحر "فانفلق"، وما سرّ ذلك في الاعتبار الإلهي، واعتباره في الملكوت، واعتباره في الأنفس، وماذا يبنى على ذلك كله من عمل وعلم، وما تأويل ذلك في القرآن، وكثير كثير من التساؤلات الربانية العلمية الروحية، فهل هذا في نفس الشعراء، كلا بل هو حظ الأنبياء والأولياء.

وأهم ثلاثة أسباب جعلت هذه المقولة أساس نظر الناس للقرآن هي جهلهم بحقيقة الوحي ونفصّل في ذلك إن شاء الله في مقولة قادمة، وبعدهم عن السيّر إلى الملكوت بنفسهم بل كل واحد حظّه أنه لو حرّك بزعمه خمس مرات وقال كلمات وزعم أنه يؤمن بأشياء فإنه سينجو، يظنون أن الله خلقهم ليخشوا دخول النار، ويلكم، تركتم عبادة الله وأصبحتم تعبدون النار، أيخلق العزيز الحكيم كل هذا الخلق، وينزل الكتب ويرسل الرسل ويدبر الأمر، ويعد ويؤمل، ويأمر بالتفكر والتدبر، كل هذا وأكثر من هذا من أجل أن تخشى أن تدخل داخل ما يتوهمه الناس أنه شواية كبيرة أو بركان عظيم، لا أيها الأعزاء الأمر أكبر وأجمل، والله لم يخلق لأنه غضب وحنق وإنما خلق لأنه عشق، فافهموا وأحيوا بفرحة الأولياء "قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا" فالفرح بالله فرض عين إن شئتم.

وللنظر في معنى كلمة قرآنية، بحسب الظاهر، يجوز البحث في معاجم اللغة ولكن يوجد شرطان لا يمكن التخلي من أحدهما بحاول من الأحوال حتى تصل إلى يقين، الأول أن تأخذ المعنى من رجل لا يقول بالترادف، لأن الذي يقول أن راكعاً يعني ساجداً هو بحق حمار، والثاني أن تنظر بعد أن نعرف المعنى عن المعجم اللغوي وما شابه إلى القرآن نفسه هل يؤيد هذا المعنى أم يؤيده ويزيد عليه أم يرفض، والسبب الرئيسي الذي يجعل العاقل المتدبر لا يركن كل الركون إلى المعاني التي يأتي بها الشعراء هو كرنهم يصنعون (يضعون) الكلمة في كثير من الأحيان لخدمة صورة الشعر إذ ليس همّه التحقيق العلمي بقدر ما أن همه الجمال اللفظي، كالذي يساوي بين ابن وولد في المعنى وهذا لا يصح في القرآن ولا عند العقلاء من أهل اللسان العربي المبين، الذي كل كلمة تبين معنى آخر أو زائد على معنى الكلمة الأخرى التي يظنّ بعض العوام أنها تساوي الأخرى، فالقرآن إذا قال "ووالد وما ولد" هذا لا يساوي "وأب وما ولد"، فمثلاً الوالد من التولّد أي انبثاق الشيء عن الشيء، أما الأب من التربية وهي الرعاية والعناية، فقد يقذف خالد نطفة في رحم امرأة فيولد عمرو، فيكون خالد والد عمرو، وثم إذا اختفى خالد ولم يتربّى عمرو في بيته، بل تربّى في بيت عليّ، فعليّ أبو عمرو، لذلك قال الله في محرمات النكاح "وحلائل أبناءكم الذين من أصلابكم" فإذاً يوجد أبناء ليسوا من الأصلاب، وهم الذين تربّوا في بيوتكم كاليتامى مثلاً.

فإذن ليس القرآن كتاب شعر وإنما علم.

...-...

(لا يفسّر القرآن أحد إلا الرسول وأصحابه والتابعين) هنا الجاهلية وعبادة الآباء والأوهام.

كلمة صحابة وتابعين هي مجرّد كلمات اختلقها جهلة أصحاب كيد حتى يغروا العوام الرعاع بما يقولون، وحتى يسهل عليهم إغوائهم أو إقناعهم بمقولاتهم التي هي أوهى من بيت العنكبوت، ألا ترى أنك إذا نسبت رأياً لصحابي يكون هذا دليلاً كافياً لإدخال الهيبة في قلوب العوام بل حتى الكثير ممن يسمّون بالعلماء، وليس بعد العيان برهان، وطبعاً السادة العلماء لم يحسنوا شيئاً كإحسانهم في ثلاث، بتر الآيات للاستشهاد، فمثلاً يريدون أن ينكحوا النساء كالبهائم فيقولون " فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع" ولكن إن أنت سألت تسعة أعشار الناس ما هو صدر هذه الآية لا يعلمون، وكأن هذه الفاء التي هي جواب شرط لا معنى لها، ومثلاً يريدون أن يثبتوا مقولة الكفر الأكبر، الناسخ والمنسوخ، ويريدون أن يضربوا مثلاً من القرآن للاستشهاد، فيأتوا على آيات الخمر ويقولون أنه حُرِّم بالتدرّج لأنه كان من عادات الجاهلية، ويكفي لقطع رقبة هذه المقولة السخيفة أنه كان من عادات الجاهلية الأنكحة المشهورة السيئة فهل أبطلها هذه أيضاً بالتدرّج، الحاصل أنهم نظروا في قوله "ولا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون" وقالوا كان يجوز السكر قبل الصلاة، وبتروا ما بعدها الذي يظهر أن الصلاة هنا ليست فقط الركوع والسجود لقوله "ولا جنباً إلا عابري سبيل" وليأت أفضل العلماء ويبين علاقة هذه الكلمة بما ذهبوا إليه، فهذا بتر الآيات ومنه كثير الكثير، والأمر الثاني هو إلغاء أحكام الله في القرآن لأحاديث ومقولات ما أنزل الله بها من سلطان، والثالث اختلاق المقولات التي تجعل المؤمن كالحمار يحمل أسفاراً وكالسفيه المحجور عليه، منها هذه التي النحن بصددها.

إذا نظرنا إلى هؤلاء الصحابة الذين يأخذون منهم نرى عمدتهم اثنان، عبدالله بن مسعود، وابن عباس، أما الثاني فكان عمره ثلاثة عشر سنة عندما توفي محمد الرسول عليه السلام، أي لا تقبل شهادته إذا شهد لخصم في أكثر المسائل والقضايا. فكيف يزعم أن هذا الصبي أخذ تفسير القرآن كله من الرسول محمد عليه السلام، والعلماء المحققين يعلمون أنه كان تنسب إليه التفاسير والأحاديث تقرباً إلى الطواغيت العباسيين لأنه جدّهم، ونظرة خاطفة إلى أكثر ما ورد عنه من تفاسير تظهر أن تسعة أعشار ما يروى ويحدث لا فائدة حقيقية منه، ولو كان ثمة فائدة لوجدنا أثرها في الذين يتبعونه ولكن لا قوة إلا بالله، أما ابن مسعود فإنهم ينسبون له أنه كان يقول أنه أعلم أهل الأرض بالقرآن، وهذا إن صح نسبته إليه فيثبت أنه لا يقول الصدق، لأن الإمام علي عليه السلام هو أعلم الصحابة بالقرآن، فإن ثبت كذبه فلماذا يقول هذا، لم يبق إلا أنه يقوله تكبّراً بغير حق، وقال الله "سأصرف عن آياتي الذين يتكبّرون في الأرض بغير الحق"، وإن كان القول المنسوب إليه زوراً فلا حجة له إذاً في قدسية أقواله، اللهم إلا ما إذا عرض على القرآن

وافقه القرآن، لأنه بادعاء الذين يروون عنه كان يقول "علم الأولين والآخرين في القرآن" وأنه كان لا يؤثر على القرآن شيء، فإن صح عنه شيء فهو من القرآن وهذا مقتضى قوله، ولا اعتراض على ما وافقه وشهد له القرآن الكريم.

أياً كان الحال نقول، التابعون والصحابة لا تخلو مقالاتهم من أحد أمرين، إما أنها استنباط من القرآن، أو أنهم سمعوها من النبي محمد عليه الصلاة والسلام، فإن استنبطوا من القرآن فلا تخالف أقوالهم القرآن، وإن سمعوا من النبي فلا تخالف أقوالهم القرآن ويجب أن تكون أحاديثهم أحاديث النبي، فلماذا تنسب الأقوال لهم، ولماذا لم يقولوا، سمعنا النبي، فهل ينسبون الأقوال لأنفسهم وهي ليست منهم، وإن كانوا سمعوا من النبي فيجب أن لا تتعارض أحاديثهم ولا تختلف اختلافاً يسبب فرقة، ولا يقولن أحد اختلاف أمّتي رحمة، لأن هذه مقولة معاند لله، أليس الله قد جعل الوعيد على الاختلاف وحذّر منه، إنما يزعمون أنها رحمة بألسنتهم، فإذا نظرت إلى الواقع رأيت التناحر والتباغض، حتى بين أبناء الفرقة الواحدة، وترى همّ الواحد فيهم الرد على المذهب الآخر، وكأن كتبهم ساحة معركة، بدل أن تكون كما يزعمون رحمة، فالحاصل أن المقولة إذا لم تكن من القرآن فهي باطلة ولو نسبت إلى مَن نسبت له.

ومن أعجب ما ترى أنهم لما عرفوا أن أكثر العقلاء لن يقبلوا أن يكونوا بهائم مثلهم أو حمير، اختلقوا أمراً آخر ليمنعوا الناس من أن يحييوا مع الله ويتعلموا منه كتابه، فقالوا، نعم يجوز الاجتهاد للاستنباط ولكن بشروط. يجب أن يتعلم خمسة عشر علماً ويحيط بهم إحاطة تامة حتى يستطيع أن يفسّر القرآن، ومنهم من يقول لا يحيط إحاطة تامة ولكن يتعمق ويفهم المسائل والاختلافات وما شابه، ولا يفرغ أحد من هذه العلوم حتى يصبح في الخمسين من عمره، بل أكثر، وحتى ذلك الوقت اتل القرآن حتى تكسب الحسنات، واقرأوه على الموتى في الجنائز، وإن ركب أحدكم عفريت أو دخل بيته مارد فليرقي نفسه ويحصّن بيته بآيات الذكر الحكيم، ومن أراد أن يلبس طلاسم عليها آيات وكلمات فله ذلك أيضاً، كل ذلك جائز ولو لم يفقه شيئاً من القرآن، أما أن تتعلم منه وتجادل به الذين يزعمون أنهم علماء القرآن والدين ويعلمون الناس أموراً لا شأن للدين بها، فهذا كفر، لا يجوز، حرام، اتقِ ربّك أيها الرجل ولا تقل في القرآن برأيك، والله لو كان الله يدخل النار من يسقط آراءه على القرآن لكنتم وأشياعكم أول من سيكبّ على النار، ألا تعجبون أن صاحب مذهب يفسّر القرآن وأحكامه فترى القرآن وكأنه نزل على إمام المذهب، ثم يأتي صاحب مذهب آخر ويكتب في أحكام القرآن، فصبح القرآن كله وكأنه نزل على إمام المذهب الثاني وشيعته، هكذا كالسحر، تتحوّل الآية نفسها عندما يتحوّل صاحب المذهب الذي يفسّرها، فإما أن الكتاب العزيز يحمل الشيء ونقيضه وهذا باطل وكفر، وإما صاحب كل مذهب يسقط رأيه وهواه على القرآن وهذا في النار بحسب قولكم. وليس إلا هذا.

لا يهمّ صاحب القرآن مَن قال، ولكن ما قيل، البرهان على ما قيل، أو على الأقل تفصيله والمستند الذي قال منه، أما أن تطلق الرواية أو المقولة، بدون تحليل أو استدلال اللهم إلا أن فلان الصحابي، أو حتى الذين ينسبون إلى النبي عليه السلام، فهذا باطل كقول أهل الجاهلية، وقد جعل الله لنا الحد الفاصل لكل مقولة "أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون" فإما حجة العقل أو حجة القرآن ولا شيء غير هذا، ولو عملتم بهذا الذي يأمر به الله لألقيتم أكثر هذه الكتب في البحر، بل لحرقتموها، ومن أراد أن يعرف فليجرّب.

...-...

(الأنبياء معصومون لا يرتكبون أي خطأ) أحب المقولات لطواغيت الأرض وأحبار السوء.

النبي هو الذي يتعلم الملكوت ويوصى إليه في قلبه، وليس رجلاً ينام ويصحى ذات يوم فيرى نفسه نبياً، وقبل أن يؤتى النور لا محالة كان في الظلمات، "ووجدك ضالاً فهدى"، "وإن كنت من قبله لمن الغافلين"، و"قتلت نفساً فنجّيناك من الغمّ"، "أقبل ولا تخف إني لا يخاف لديّ المرسلون. إلا مَن ظلم ثم بدّل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم"، فكيف بعد هذا كلّه وأكثر ما يزال الناس يقولون أن الأنبياء لا تخطئون، بسبب كيد السادة والكبراء.

إن كان لا يجب اتباع غير النبي المرسل من عند الله، وكان شرط صحة وصدق النبي كونه معصوماً طول حياته من أي خطأ، فإذا ينتج أن أيما رجل ادعى النبوة، أو توسّم فيه الناس ذلك ولو لم يتكلّم هو بذلك، لا يجوز اتباعه لأنه ليس بنبي من عند الله ولكن مجرد رجل يخطئ ويصيب ويجتهد، إذاً الطاغية يبقى في حكمه، لأنه لن ولا يوجد رجل في العالم لم يخطئ في حياته ولم يذنب ولم يكن غافلاً أو ضالاً ثم يهديه الله، إلا مريم والمسيح، فلم يذكر الله لم أي خطأ، وسرّ ذلك ليس هنا محلّه، ولكن بإجمال هو مَثَل لوسائل تربية الأنبياء وكيف تنشىء العصر المسيحي في البلاد، أما الباقي فكلّه يخطئ ثم يهديه الله، وكذلك الأحبار ينتفعون بهذه المقولة لأنهم يقولون مثلاً، لا يؤخذ القرآن وتفسيره إلا من النبي المعصوم، وهم عندهم يزعمهم أحاديث هذا النبي المعصوم والتي من شدة طولها وكثرة مسائلها لا يدركها أكثر الناس، الذين بالطبع يجب أن يؤمنوا بهذه الأحاديث وإلا كفروا، ولا يمكن أن يأتي نبي معصوم آخر، وأضعف إلى ذلك مقولة ختم الوحي كله وجعل الوحي كله نوعاً واحداً، فينتج أنه على الناس الإيمان بهم هم والاستعانة بهم لكمال دينهم، وإن لم يصرّحوا بذلك، ولكن لسان أفعالهم ومقولاتهم أعلى صوتاً من نفس كلماتهم، لذلك قال الكهنة "لا تذرن ءالهتكم" من قائل هذه الجملة، يوجد أربع أطراف، الآلهة الميتة، والعوام الذين يخاطبون بالجملة، ونوح الذي يدعو الناس إلى ترك الآلهة الميتة، والطرف الرابع هو المتحدث، الكاهن الذي يقتات على عبادة الناس للآلهة الميتة، ونوح لم يقل لهم إن الكهنة كذبة ويبين سوء نواياهم، ولكن رجع إلى الأصل لينقضه، والكهنة لم يقولوا إن نوح كاذب فحسب، ولكن رجعوا إلى مقولة الآلهة الميتة التي يجب أن يعبدوها، والتي بمقتضى الحال يجب أن

يطيعوهم ليتمّوا هذه العبادة، وإذا سمع الناس لنوح وتركوا الآلهة فافهم. بطريق اللزوم سيتركوا الكهنة، تصوّر ماذا سيحدث لكل هذه الدوائر والمراكز والمشايخ الذين يزعمون أنهم وسائط كتاب الله ودينه والذين يبينون أحاديث الرسول المعصوم والأئمة العظام، الأموات، هل سيرجع إليهم الناس في شيء، إذ كل كلابهم عن الآلهة الميتة، لذلك يحاربون من يقول بالله الحي والقرآن الحي والعقل الحي، لأن صنعتهم قائمة على الوساطة من الأموات، وأجمل ما في هذه الصناعة، (الوساطة) عن الأموات والوكالة عنهم، هي أن الميت لا يستطيع أن يقوم ويشهد أن هذا الرجل دجّال ليس وكيلاً عني، لذلك يحب الكفرة وأحبار السوء الأموات، ويعظمون قبورهم، لكي يتعلق الناس بالقبر والجثة التي أكلها الدود، وهذا سيسمح للرعاع أن يتخيلوا هذا الإله الميت، ثم ينتج عن ذلك تعظيم الوسيط، وكيل الإله الميت.

ولذلك قال من قال "لئن اتبعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون" أليست هذه هي عين الكلمة التي يرد بها وكلاء الأموات على كل من يتدبر في القرآن ويدعو إلى الله الحي، تأمل في هذه الكلمة جيداً، "لئن اتبعتم بشراً مثلكم" أليسوا هم نفس بشر، فإذا لو اتبعنا مقولاتكم إنّا إذاً لخاسرون، هذا الحكم هو مقتضى كلامكم، ولكن هل هذا ما يقصدونه، لا، لأنهم يقولون أن هؤلاء الأموات هم ليسوا بشراً، يخطئون ويصيبون، أو أنهم أعلى من البشر في القدرات العقلية والقلبية، ولا يوجد بشر يستطيع أن يصل إلى ما وصلوا إليه، يقولون صحابي-فيسجد الناس، يقولون الإمام فيخضع الناس، يقولون الفقيه فيركع الناس، يقولون المجتهد فيذل الناس، هؤلاء فوق البشر، أما أنتم وهؤلاء الأحياء مجرّد بشر تخطئؤن وتصيبون، ولكن هؤلاء الأموات الذين نحن وكلائهم هم فوق الطبيعة البشرية، لذلك يجب أن لا تسمعوا لهؤلاء الذين يزعمون أنهم رسل الله الحي، الذين يريدون أن يذكروكم أنكم ملوك إذا شئتم، وأن الله حي معكم، لا، صمّوا آذانكم، واعبدوا الموتى، وطوفوا حول القبور، نعم اعكفوا عليها، فإنهم سيشفعون لكم يوم القيامة، والرسول محمد عليه الصلاة والسلام سيشفع في أهل الكبائر من أمّته، ولا تسمعوا إلى قول الله في الذين يرتكبون الكبائر ويعتدون على الناس أنهم في النار خالدين فيها، لا، صمّوا آذانكم، ولا تسمعوا إلى قول الله أن يوم القيامة لا شفاعة، لا توجد شفاعة، هذا الكلام لا معنى له، أنتم فقط اسمعوا كلامنا، لأننا مجرّد وسطاء بسطاء، وادفعوا لنا من (انتاجكم) وأموالكم وخمس غنائمكم حتى يكمل إيمانكم، ثم لما تموتوا سيأتي النبي إليكم وعلي، والصحابة والأئمة، ليأخذوا بأيديكم إلى الجنة، لتصبحوا كالبهائم..لكم من الحور ما تشتهون، ومن الطعام حتى تمتلئون، أما هذه الدنيا فتحمّلوا كون الطواغيت يلبسون جوهرة واحدة تطعم ألف مسكين، تحملوا استشهاد أبناءكم في سبيل فتوحات الدين، تحمّلوا كل هذا، ثم يؤوم القيامة تؤجرون. لعنكم الله أيها الجهلة وأنتم أيها الرعاع الذين استمرأتم الغفلة والرغبة في التكبّر وعبادة الشهوة. انتظروا وسوف تعلمون. "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون".

...-...

(انقطع الوحي كلّه بعد القرآن)
-مسألة آدم وكمال الإنسان بالنبوة.
-ماهي النبوة وأنواعها.

...-...

(القرآن نص كالنصوص البشرية والأدبية)
-طبيعة الكلام وكونه يتأثر بمن صدر عنه.
-الكمالات كلها لله ولكتابه.
-اتصال العوالم.
-حقيقة الإنسان واحدة.

....

بسم الله الرحمن الرحيم

(سياسة العارفين)

١- لاشك في أن الأرض كانت موجودة قبل خلق الإنسان أو قبل ظهوره عليها. وبالتالي لا يمكن لإنسان أن يدّعي ملكية أرض بالأصالة ولا يمكن لإنسان أن يدعي أن عنده صك ملكية أرض بدعوى أن مالك الأرض أعطاه إياها أو أنه ورثها، إذ لا أحد يعجز عن مثل هذه الدعوى. فالأرض ليست ملكاً لأي إنسان.

ثم ظهر الناس على الأرض. وبعقولهم استطاعوا أن يطمئنوا على الأرض من أذى الجوع وخوف القتل. وبدأت تظهر الجماعة. وبما أن كل جماعة ستستقر على أرض ما. وتعمل فيها بالزراعة أو غير ذلك، أي ستشغل مساحة من الأرض، بذلك تمزج جهدها الشخصي بالأرض، فيصبح الناتج من الأرض مختلط مع ذات الإنسان عن طريق الجهد الذي بذله فيها، فمن هنا وجب أن لا يعتدي أحد على هذه المساحة. وهنا أصل الخلاف.

فبماذا تملك الأرض؟ أي متى يحق للإنسان أن يضع يده على أرض ويقول "هذه لي"؟ يوجد جوابين، إما بالقوة أو بالانتفاع. فعندما تكون ملكية الأرض لصاحب القوة الجسمانية الأكبر. فهذا معنى "بالقوة" ولنسم هذا المذهب "الطغيان". وعندما تكون ملكية الأرض لصاحب العمل الأحسن، فهذا معنى "بالانتفاع" ولنسم هذا المذهب "العرفان".

٢- في العرفان، لا يحق لأي أحد أن يتسلط على ثمار الأرض غيرالعاملين عليها. ويكون تقسيم ثمرتها شركة بينهم. لأن الجهد هو منبع الحق. ثم ليفعل كل عامل بحصته ما يشاء.

في الطغيان، يحق للأقوى أن يملك ثمار أي أرض، وأن يعطي العالمين ما يشاء ويمنعهم متى يشاء. لأن الخوف هو منبع الحق. فالذي يستطيع أن يخيف الناس منه يملكهم.

وبما أننا عرفنا من هيكل النفس والوحي أن العلم هو سبب وجودنا على الأرض، وأن العمل الشاق الجسماني ضد جوهر النفس. وبما أننا عرفنا من مجتمع المعرفة أن سبب الاجتماع هو العمل على تيسير المعيشة الكريمة للكل. فإذن مذهب الطغيان لا يوافق الناس. ومذهب العرفان هو الحق. فأي الخراف عن هذا المذهب لا شك وأنه سيجلب الشقاء على الناس في باطنهم وظاهرهم.

وعلى ذلك نريد أن ندرس هنا هذا المذهب الحق، ونرى ما يترتب على الأخذ به.

٣- بما أن بداية البحث في المجهول هي المقارنة، مقارنة الضد بالضد، فنتساءل، أي المذهبين هو السائد اليوم؟ لاشك أنه مذهب الطغيان. إذ كل الدول كونت حدود أرضها بقوة الجيوش، وحافظت على حكمها بقوة الجيوش للخارج والداخل. والدول تبدأ بثورات طاغية، تعمل القتل في كل من يقف في وجهها، ثم بعد أن يستقر لهم الحكم يبدأوا الأخذ بمذهب العرفان. لا لشيء إلا لأنهم لا يريدون أن يزولوا بنفس الطريقة التي استعملوها لكي يصلوا. فالرجل ثائر حتى إذا بلغ غايته أصبح مسالم يدعو كل الناس إلى ملكوت السلام والحب والتعاون.

اختر ما تشاء من هذه الدول الحضارية الكبيرة، وسترى أن بدايتها كما ذكرت. وحتى ثباتها لا يكون بنفس السبب الذي أقامها. فمن كان الماء سبب حياته فإنه يحتاج الماء طول حياته.

ومجموعة الرجال الذين سمّوا أنفسهم "الحكومة" يستطيعون التي التسلط على أي أرض تقع تحت مجال جيوشهم. ويستطيعون سلب أي أرض بسبب أو بدون سبب، ولعلهم في كلتا الحالتين يستعملون مصطلح "المصلحة العامة". وفي أكثر الأحيان يكون معنى "المصلحة العامة" هو مصلحتهم الشخصية كأفراد، لهم ولعائلاتهم. فواضح أنهم يعملون بالطغيان وقوانينه.

وفي أحسن الحالات، تقوم الدولة بالطغيان، ثم بعد الاستقرار النسبي تكفر به، وتؤمن بالعرفان. والمشكلة هي أن ما قام على قاعدة واهية سيهوي عاجلاً أم آجلاً بسبب قاعدته نفسها. فالذي يبيح لنفسه استعمال القوة لامتلاك الأرض لا حق له في منع الآخرين من استعمال القوة لإزالته والحلول محله. ولذلك صدق من سمّى أنظمة الطغيان "دول" لأنها لا تثبت في يد حكم واحد، ولكن تنتقل من يد إلى يد. يتداولونه بينهم. هذا يقوم بالقوة، ثم يستقر، ثم ينجب أبناء مترفين يحكمهم وزرائهم، ثم يأتي أقوى منهم، وهكذا. وعلى كل حال، من استعمل شيء فقد سمح للناس باستعمال هذا الشيء معه.

ولذلك، إذا أردنا إقامة حكم راسخ لا يزول، فعلينا أن لا نقيمه على أساس الطغيان، ولكن على أساس العرفان، فهل يمكن أن يأتي يوم ويثور الناس لأن الحكومة لا تسلبهم أموالهم وتسرقها منهم في وضع النهار؟

٤- هل يحتاج المجتمع إلى حكومة؟ لقد عرفنا أن سبب الاجتماع هو تيسير المعيشة الكريمة للكل للتفرغ للصلوة، أي لدراسة كتاب الله. هذا هو الأصل. تيسير المعيشة. وهذا يعني أن المجتمع يجب أن يحوي فئة تهتم بالنفع العام. كل إنسان لا يهتم إلا بما ينفعه خاصة. وهذا هو جوهر نفسه. وتيسير المعيشة هو بدافع الراحة. وعندما نحتاج إلى فئة تهتم بالنفع العام فهذا يعني أننا نطالب الإنسان بما يخالف جوهو نفسه. ولذلك لا نتعجب عندما نرى موظفي الحكومة مرتشين أو متكاسلين وما أشبه. لأن الاهتمام بالغير ليس من جوهر الإنسان.

وبما أن دافع الكبر موجّه للفهم، أي للدراسة فقط. فما الذي يجعل أحد يرغب في خدمة المجتمع؟ إذا قلنا رغبة في الكبرياء عن طريق الجاه والألقاب، نكون قد عدنا للطغيان، وهذا نبع الفساد الحكومي والمؤمرات والدسائس بين عمال الحكومة. وكل منهم يرغب في الاستزادة من الكبر.

فلم يبق إلا دافع الراحة. أي أن يكون مصدر معيشته هو خدمة المجتمع.

ولكن ما هي هذه الخدمة؟ أفراد المجتمع يعملون، ولكن الحكومة توجّه الناس إلى الأعمال المهمة الضرورية التي يحتاجونها ككل. فمثلاً، الاهتمام بالتصريف الصحي من الضرورات في المجتمع. وتصور ماذا سيحدث لو طافت المجاري لساعة واحدة في بيتك. فما بالك لو طافت وفاحت روائح المجاري في كل البلد. ولكن، من سيهتم بأمر المجاري؟ هل يوجد فرد عاقل سيذهب بنفسه ويحلم أن يكون عامل في الصرف الصحي؟ هنا يأتي دور الحكومة التي تعمل على دفع الناس لشغل أمثال هذه الأعمال وغيرها وكل ما يحتاجه المجتمع.

مهمة الحكومة في مجتمع المعرفة في الأساس هي مهمة إدارية. تهدف إلى توفير ضرورات الحياة الكريمة فقط. الطعام واللباس والمسكن والصحة. طلصم للاختصار. فمثلاً في اللباس، عليها تنظيم توفير لباس مريح حسن. وليس من مهامها أن تزخرف الملابس، وترسم عليها الصور، وتضع عليها الماركات المسجلة. المهم توفير اللباس الحسن للناس، المناسب للراحة والمناخ والأدب والعمل. وكذلك في المسكن، عليها أن توفر السكن المحترم وليس تصور فرعون. وقل مثل ذلك في الباقي.

ربما أن مهمة الحكومة هي الادارة، فعدد عمال الحكومة قليل، بل قليل جداً. لأن العمال الحقيقيين هم أفراد الشعب، وما الحكومة إلا توجيه وإدارة. كمثل العقل والجسم. العقل واحد في الرأس. ولكن الأعضاء كثيرة، والأعصاب أكثر والخلايا أكثر وأكثر. وكل ذلك يعمل بالقلب وحده.

فإذن، نعم، نحتاج في المجتمع إلى فئة من الناس تكسب معيشتها من إدارة وتوجيه العمل لتحقيق المنفعة العامة. وهذه الفئة سنسميها "قلب المجتمع" من واقع عملها.

٥- كيف يتعيّن عمّال الحكومة؟ بما أنه على كل إنسان أن يعمل للمعيشة بقدر معين. وبما أن كل عامل له حصة بقدر عمله، وبما أن الحكومة إنما هي لتنظيم المعيشة للعامة، فلابد أن تكون الحكومة باختيار العمّال. إذ إنما تعمل الحكومة بثمار عمل العمّال. الذي هو حق لهم، ولا يجوز لأحد أن يتصرف في حق أحد إلا بإذنه، وبالتالي الحق أن الحكومة يختارها العمّال.

الحكومة تعمل لتيسير وتطوير "طلصم"، فيجب أن تكون مكونة على الأقل من أربعة وزراء. وزير الطعام، وزير اللباس، وزير الصحة، وزير المسكن. وتحت كل واحد منهم ما لا يزيد عن شخصين

يعاونونهم. مهمة الحكومة، قلب المجتمع، هي رسم الخطط والإدارة والرقابة على تنفيذ الخطط. وهي التي تبين للناس ما يحتاجونه في كل فرع من "طلصم". فالحكومة لا تزيد غالباً عن ١٢ شخصاً.

فيجب أن يتقسم العمل بين الناس، فناس يهتمون بالطعام وشؤونه، وناس للباس، وناس للصحة، وناس للمساكن. ولكل عمال فرع أن يكوّنوا مجمع لهم، ومن هذا المجمع يختارون وزيرهم، والوزير يختار معاونيه. صاحب الصنعة أعلم بصنعته. فوزير الصحة كيف يكون جاهلاً بالطب؟ ووزير المسكن هل يكون جاهل بالهندسة والمقاولات؟

فإذن وزير الطعام يجب أن يكون من الذين يعملون في زراعة الطعام وإنتاجه. وهكذا في البقية. من العمال يخرج ويزرهم. وللوزير الرأي الفاصل في توجيه سياسة الوزراء والمجمع، ولكن عليه أن يشاور أهل المجمع ليسمع رأيهم في المسائل، لعل أحدهم عنده ما لم يصل إليه. ويأخذ بالأحسن بغض النظر عمن صدر. ودليل نجاح الوزير من فضله هو ثمرة عمله. فإن لم يتوفر الطعام للناس بيسر فوزير الطعام فاشل حتى لو فعل ما فعل. ولو لم يتملك الناس مساكن كريمة فقد فشل وزير المسكن. ولو لم يتوفر العلاج للناس فقد فشل وزير الصحة. شجرة الشوك لا تثمر تفاح وشجرة التفاح لا تثمر شوك.

٦- فماذا عن وسائل النقل؟ التنقل من مكان إلى مكان ليس ضرورة حتمية كما يظن البعض تأثراً بالواقع الآن. لأننا إذا حللنا الأسباب التي تجعلنا ننتقل من مكان إلى مكان فسنرى أنها لا تخلو من ثلاثة، إما عمل للمعيشة، وإما لجلب ضرورة، وإما للعب واللهو. أما اللعب واللهو فلا شأن لنا به ولن نحسب له حساب في مجتمعنا. من أراد اللهب واللهو فليذهب إلى مجتمع ربه الشيطان وسيجد بغيته هناك.

وأما لجلب ضرورة، مثل شراء طعام أو ذهاب إلى مستشفى، أو زيارة معلم أو ذهاب إلى مدرسة، أو ممارسة رياضة، والمسكن الكامل الذي بنيناه وندعوا إلى بناءه فإنه سيختصر كل هذه الأمور. لأنه سيحوي كل ما يحتاجه الانسان في مكان واحد. إلا شراء أمور المعيشة فهذه بالضرورة يجب أن يذهب رليها الانسان. على الأقل الآن في البداية. ولكن في الخطة طور تمر فيه المعيشة وتأتي إلى كل مسكن.

ويبقى العمل للمعيشة، ولهذا يجب أن توفر وسائل النقل. فلكي يذهب العامل من مسكنه إلى الحقل أو المصنع أو المشفى يجب أن توفر وسيلة نقل في حال كان السير صعباً. وأيضاً في الأعمال نفسها، لنقل الأشياء من مكان إلى مكان يستحسن استخدام الآلات بدل جهد الناس.

أما وسائل النقل التي يحتاجها كل فرع لاتمام عمله، فهذه يدخل توفيرها في اختصاص وزير الفرع نفسه. فمثلاً، كل ما يحتاجه الناس للزراعة والصناعة يدخل في اختصاص وزارة الطعام. وكذلك الباقي.

أما الذي يحتاجه المجتمع ككل فهو وسيلة نقل عامة. وهذه السيارات لها أضرار كثيرة من عدة نواحي. ولقد طغى الناس في استعمالها. فبدل أن تكون وسيلة نقل يسعى العالم لتطويرها وترخيصها، أصبحت من وسائل الاستعباد، والقهر، واللعب والسباقات وما أشبه. ولاشك ولا عجب أنهم سيفعلون ذلك لأن ربهم هو الطغيان. أضف إلى ذلك أضرارها البيئية وتكلفتها وزحمة المرور والحوادث الكثيرة وغير ذلك.

فلذلك في مجتمعنا سيكون الهدف هو وسائل النقل العامة، التي أهمها ما يعرف بالترامات. هذا القطار أو العربة الذي يسير في الشوارع وبين المدن. وسنسميها "العربات". فهذه إذا طوّرت، بل حتى على ماهي عليه اليوم، فإنها تغني عن الكثير من الأضرار التي تخلقها السيارات وغير ذلك.

يجب أن نصل إلى طور لا نحتاج إلى سيارة أو دباب. طور تكون العربات هي وسيلة تنقل الناس في المدنية وبين المدن والأمصار. وكذلك الاتصالات كالهواتف وما أشبه هي من النقل إذ تنقل الأصوات فهي تحت النقل.

ولأهمية هذا الأمر، أمر التنقل، فيجب أن تكون له وزارة مستقلة. لأنه مستقل عن باقي الأعمال ومرتبط بها في آن واحد. بذلك يصبح لدينا وزير التنقل.

٧- فماذا عن الجيش؟ نحن نريد الاعتداء على أحد، ولن يجرؤ أحد على الاعتداء علينا، فلماذا نحتاج إلى جيش منظم لا عمل إلا التفكير في الحرب وسفك الدماء؟ بعد أن يعرف الناس المدارس التي سننشئها إن شاء الله سيصبح من كوابيس الأمم أن تفكر بالاعتداء علينا.

وأما الجرائم الداخلية، وتنفيذ الأحكام القضائية، فإننا إذا حللنا جذور الاجرام سنجد أنها لن تكون موجودة في مجتمعنا. والقلة التي قد تكون فيها هذه الأفكار، فإن بقية المجتمع كفيل بأن يردعها.

قوة العقل والجسم هي الأساس الذي سيتربّى عليه الناس. وسنجعل كل شخص يفهم أسباب الجرائم وسنخبره ونجعله يكتشف علاجها. يتذرع بوجود الجرائم الذي لا يعرفون إلا المجتمع القائم على الطغيان. ويجدون أنه من الخيالات أن يُعالج الاجرام. نعم إنه خيال بالنسبة لهم. ولكن كما أن أمراض الجسم تعالج، وهم لا يجدون صعوبة في فهم هذا، فكذلك أمراض العقل تعالج.

الذي يريد أن يرتكب جريمة سيجد أنه من الصعوبة جداً ارتكابها. لأن أكثر من حوله سيكونون ضده. ثم إننا سنعمل على تيسير المعيشة الكريمة وتقوية قلوب الناس بالعلم، فلماذا الإجرام؟ بحث الإجرام وجذوره وعلاجه موضوع كامل بنفسه، وإنما نشير إليه إشارة.

فالمهم أننا لن ننفق أموالنا وجهودنا لكي نكون ناس لا همّ لهم إلا الحرب. وفي يومنا هذا لا نحتاج إلى مثل ذلك. كل شعبنا جيش. والعسكرية ستكون كمادة الرياضيات والقرآن في المدرسة. فلو ظهر تعيش الحظ الذي زين له الشيطان أن يهجم علينا فهذا حقاً لا حظّ له ولا علم عنده.

كمثال بسيط حتى يزداد البيان. انظر إلى أقوى جيشين في العالم اليوم، الأمريكي والإسرائيلي. لقد هجم الأمريكان على العراق، وهو ما هو في حاله البائس من كل ناحية، ولكن بالمليشيات الشعبية والتضحيات جعلوا الأمريكان ينفقون الترليونات ويخسرون ما لن يعوضوه أبداً ونالوه كره شعوبهم. وإسرائيل الصهاينة هجموا على لبنان المقسّم إلى طوائف الله أعلم بعددها. وبلد مشهور باللعب واللهو. ولم يواجههم إلا مليشيات الشيعة، وكذلك فاز الشيعة. فما بالك لو كان الحال أن الشعب اللبناني كله، أو نصفه أو حتى ربعه مدرب على قوة العقل والعسكرية منذ سن الثالثة ؟

ولكن من أجل تنظيم أمور العسكرية نحتاج كذلك إلى وزير خاص يهتم بها.

٨- فماذا عن التعليم؟ المجتمع كله قائم على فكرة أن الحياة تعليم. ولن يستطيع أحد أن يبني هذا المجتمع إلا لو كان هدف حياته الأول والأخير هو دراسة كتاب الله. وإنما نفعل ما نفعل، ونيسر ما نيسر لكي نتفرغ لدراسة كتاب الله. لماذا تظن أننا نريد تيسير المعيشة للكل؟ لكي يتفرغوا للّعب؟ حاشا لله، إنما هي للتفرغ لدراسة عقل الله.

وكل مَجمَع عليه أن يدوّن المعرفة التي يعرفها ويعمل بها. وهذه الكتب كلها هي التي ستدرس في المدارس، وتنشر في المكتبات، وهذه هي مهمة وزير المعرفة. الطباعة والنشر فقط.

يوجد نوعان من المعرفة. المعرفة المتعلقة بالمعيشة وحياة الجسم، مثل كيف نزرع وكيف نبني المساكن. والمعرفة المتعلقة بكتاب اله والعلم الرباني، مثل تفسير القرآن، بل لا يوجد غيره في الحقيقة عندنا. ولنسمّ الأول "معرفة المعيشة" والثاني "معرفة الله".

كل فرد في المجتمع يحق له أن يكتب، بل عليه أن يكتب ثمار معرفته أياً كانت. ومهمة وزارة المعرفة لا علاقة لها بالرقابة. فقط طباعة ونشر ما ينتجه الناس. ولذلك نحتاج إلى وزارة المعرفة مهمتها نشر المعرفة فقط.

٩- تفصيل كل وزارة وشؤونها لا يدخل في مجال هذه الدراسة. ويكفي هنا أن نعلم أن المجتمع يحتاج إلى أربع وزارات أصلية، وثلاث وزارات فرعية. الأصلية هي الطعام واللباس والصحة والمسكن. والفرعية هي النقل والجيش والمعرفة.

للاختصار في كلمة، طلصم نجم.

١٠- هذه الوزارات السبعة، طلصم نجم، هي وسيلة لكي تعيش أجسامنا. ولكن لماذا نعيش أصلاً؟ مجتمع الطغيان يجعل الغاية من المعيشة هي اللعب أما في مجتمع الله فإن الغاية من الحياة هي الاقتراب من الله عن طريق فهم روحه بدراسة كتابه. أي الدين. وهذه هي الوزارة الثامنة التي وزيرها هو كل أفراد المجتمع، وهي الغاية من حياة المجتمع ورغبة أفراده هي أن يحيوا بالدين وينشروا علم الدين الرباني بالدعوة في كل أرض. كل ما نفعله لهذه الغاية.

إنما نريد أن ندرس كتاب الله وندعوا الناس إلى هذه المائدة العلية.

نحن العرب اصطفانا الله بكتابه. ومنّ علينا بمحمد النبي الذي وجّه قلبه لربه، ورجاه أن ينزل عليه كتابه، فاستجاب له ربه، وولاه قبلة يرضاها وهي روحه، وأراد الله لنا أن نكون بكتابه أسوة للناس. فبدل أن كانت النبوة في الشخص الذي ينزل عليه روح الله، بكتاب الله جعل الله كل مؤمن نبي.

يجب أن يعرف كل عربي أنه نبي مقتول حتى يرجع إلى القرآن ويحيا به. هل عرفتم الآن من هم قتلة الأنبياء؟ هم كل من يحول بين العرب والقرآن، سواء بتبغيض القرآن للعرب، أو باختلاق المذاهب والأحزاب القائمة على كتاب غير كتاب الله قلباً وقالباً، أو بمنع دعاة القرآن من الكلام باطمئنان مع الناس. كل هؤلاء من قتلة الأنبياء.

رؤوس الناس في العالم وقادتهم إنما همهم هم واحد، وهو إبعاد العرب عن دراسة كتاب الله. نعم يوجد من العرب من يسعى معهم، وكم هم كثير "وفيكم سمّاعون لهم" وهل جاء بالإفك إلا عصبة منا؟ وهل المنافقين إلا أناس نحسبهم منّا؟

ابنوا مساجد كما تشاؤون، وكفوا عن الأكل والشرب كما تشاؤون، وزكوا وحجوا كما تشاؤون، وادعوا إلى حزب فلان وفرقة فلان كما تشاؤون، افعلوا كل ذلك ولن تجدوا أي مقاومة من الكفار لأنهم يعلمون أن كل هذا لا فائدة منه في حقيقة الأمر. ولكن لتكن رغبتكم هي تعلم العربية ودراسة كتاب الله وحده، وإقامة كل شيء على أساس القرآن فقط، والآن انظر ماذا سيقع.

لا يوجد عندنا غير القرآن. وهو أعظم ما في العالم كله. وهم يعلمون ذلك تماماً، ولذلك همهم فصل المسلمين، وسكان شبه جزيرة العرب خاصة لأنها قلب العرب، ومنبع القرآن منه وفيه.

ليس للعرب ملك إلا الله. وفي حالة الحرب نسلّم إرادتنا برضانا لواحد منّا لأننا لو لم نفعل ذلك فسنهلك جميعاً. علمنا من كتاب الله، وأمورنا شورى بيننا، وكل منا ينفق مما رزقه الله. لا نعرف حكم إلا حكم الله. ولا نعرف حق ولا باطل إلا بالله. وليس عندنا ما نقدمه للعالم إلا حياة قائمة على الله. وهل قدمت أو ستقدم أمة أمر خير من ذلك؟

باختصار. نحن لا نملك إلا كلمة واحدة "حسبنا الله ونعم الوكيل" إن العوام يرددون هذه الكلمة، ولكن عندما يفهم العرب معنى هذه الكلمة فعندها وعندها فقط سنكون قد أقمنا الصلوة وأتتمنا أمر ربنا.

فوزارات مجتمع المعرفة ثمانية، طلصم نمجد. "ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية".

١١- مدرسة الملوك.

١/ تبدأ الدراسة في بداية السنة الثالثة من حياة الطفل. إذ الرضاعة سنتين. وبعد ذلك ينفصل عن أمه، فهذا يعني بداية الاستقلال. ولا استقلال بلا معرفة.

ومدة الدراسة الأولية هي ٢١ سنة. أي حتى يبلغ الإنسان ٢٣ سنة.

٢/ ولدينا خمسة مبادئ على أساسها سننشىء المواد الدراسية. الواقعية، الاختصار المفيد، التدريب العملي والمشاهدة الواقعية، التعمق في البحث، تعليم حياة الاستقلال والجماعة.

أما الواقعية، فلنا نعلم ما لا علاقة له بالواقع. فلن يدرس الطالب كلمة لا تنفعه في واقعه الحياتي. كل كلمة تلقى عليه سيعرف أين أهميتها في حياته الخاصة والحياة العامة.

وأما الاختصار المفيد، فلن نكثر الكلام فيما لا فائدة فيه. فمثلاً عندما نعلّم الطالب كيف يبني مسكنه لن نجعله يدرس كل نظريات الهندسة وتعقيداتها. سنقتصر على تعليمه الضروري. سنلغي الحواشي.

وأما التدريب العملي، فاذا علمناه الصيد سنذهب به إلى البحر ليصطاد السمك أمامنا. وهكذا في كل شيء.

وأما التعمق، فلا حد للتساؤلات، ولا رقابة مطلقاً، ولا يوجد مسلّمات.

وأما حياة الاستقلال والجماعة، فسنعلّم كل طالب كيف يعيش وحده ولا يفتقر إلى إنسان، وسنعلم كيف يكون جماعة ويتعاون معها. وكل مادة ستحوي هذين العنصرين، كيف تستعمل المعلومة لو كنت وحدك، وكيف تستعملها لو كان معك غيرك. فمثلاً، لو كنت وحدك كيف تبني سفينة وتصطاد، ولو كنتم جماعة كيف تقسموا للعمل بينكم وتصطادوا وتشتركوا.

٣- ولدينا خمسة قواعد في المدرسة.

لا اجبار على الحضور. من أراد أن يحضر فليحضر ليتعلم، وإلا فلن نجبر أحد على شيء. من لم يقتنع بالتعلم فالعلم في غنى عنه.

ولا يوجد لدينا اختبارات نجاح ورسوب. ولكن مجرد تقييم، ومبنية على الواقع وليس على الورق المجرد. فمثلاً، ما معيار النجاح في مادة صيد السمك؟ هل هو الإجابة عن عدد أنواع السمك في البحر، وهذه السمكة تحب أي نوع من الطعم؟ أم أنها النجاح في صيد السمك فعلياً والأكل منه؟ لا شك أنه الثاني، لا يوجد راسب يعيد السنة أو المادة جبراً وإلا فلن يستطيع المرور إلى السنة القادمة. وهكذا في البقية.

ولا يوجد لدينا زي موحد، هذه من آداب الأغنام والبهائم. فإنهم يريدون جعل الناس سواسية كالأنعام عندما ترعى. ولكن عندنا كل طالب يلبس ما يشاء. وسيتعلمون أدب القرآن والقرآن خير هادي.

وفي كل يوم في كل سنة من الواحد وعشرين سنة دراسة يوجد درس الدين. أي تعلم اللسان العربي، وكتاب الله والدعوة.

والقاعدة الخامس، كل المواد تدرس بالعربية، والكلام في المدرسة هو بلسان الله، العربية، ويعوّد الناس على العودة إلى لسان القرآن، العربي الصحيح بدل العربي الممسوخ الذي صار العرب إليه.

٤- أما المواد الدراسية فهي بحسب الوزارات الثمانية في المجتمع.

الطعام. ويتعلمون الزراعة والرعي والصيد وشؤونهم. والطبخ النافع.

واللباس. ويتعلمون انتاج الملابس، وخياطتها. واختيار الملابس بحسب المناسبات.

والصحة. ويتعلمون كمال الجسم، اللياقة والقوة والجمال. ويتعلمون أساسيات طب الجسم والأسنان والنفس.

والمسكن. ويتعلمون بناء المسكن الكامل. وبناء مدرسة الملوك. وبناء مدرسة الملوك. وبناء ما يحتاجه المجتمع من مباني.

والنقل. ويتعلمون استعمال وسائل النقل وإصلاحها وأساسيات بناءها. كل وسائل النقل الأساسية.

والعسكرية. يتعلمون استعمال السلاح، وبناءّ. والخطط الحربية. ويتمرنون على الحياة الحربية المختلفة.

والمعرفة. يتعلمون نسخ الكتب وكل المسائل المتعلقة بذلك.

وأهم الأمور، الدين. العربي والقرآن والدعوة. ومحور ذلك هو القرآن وحده.

٥- منهج الدراسة وتقسيمه بحسب العمر.

يكفي أن نقول هنا أننا بعد أن قسمنا المواد إلى ثمانية، سنكتب لكل مادة كتاباً كاملاً من البداية إلى النهاية. ثم سنقيم الكتاب إلى عدد المراحل الواحد وعشرين. ثم سنجعل لكل مرحلة كتاب خاصة مكوّن من كل الفصول التي تحتويها كل مادة، بذلك يزداد تركيز الطلاب عندما يجدون السنة كلها في كتاب واحد، ويسهل عليهم حمل المنهج المقرر الأساسي.

سنجمع لكل مادة أحسن الخبراء والعلماء ونوكل إليهم وضع كتاب في المسائل التي نطلبها منهم. ثم سنقسم الكتاب بطريقة ومعايير ليس هنا محل تفصيلها.

٦- على مدخل المدرسة سنكتب "وزاده بسطة في العلم والجسم".

وسنبني ٢١ مبنى دراسة. لكل مرحلة مبنى. المبنى ثماني الشكل، لكل قسم مادة. والقسم مكون من مسرح للمعلم ومدرج للطلاب، حيث أن هنا قسم الدراسة الفكرية أما التطبيقات العملية فليست في حرم المدرسة من حيث الأصل يوجد استثناءات بسيطة.

عشرين مبنى على شكل جوهرة، والمبنى الأخير في قلب الجوهرة.

وسنزرع الأشجار والزهور والورود حول المباني، وعلى سطوحها.

وكل قسم مكون من ٧ صفوف مدرجة، وفي كل صف ١٤ طالباً.
ومكان المعلّم يلقي منه درسه. فالقسم يسع نحو ٩٩ شخصاً، وعلى هذا الأساس سختار مساحة البناء بحيث يكونوا في راحة.

مدخل المدرسة ومخرجها يكون من جهة مبنى المرحلة الأولى. على المدخل من جهة الدخول يكتب " وزاده بسطة في العلم والجسم". ومن جهة الخروج يُكتب على اليمين "وقل رب زدني علما" وعلى الشمال "لم تقولون ما لا تفعلون" وفي الوسط "وجعلكم ملوكا".

وفي وسط كل مبنى تكون الحمامات ومحل شراء الطعام.

ويكون لون المبنى من الداخل كلون الخشب أو خشب. بني غامق وفاتح. ولا يسمح بوجود شيء لونه أبيض إطلاقاً. والأشجار والورود والزهور هي زينة المدرسة، وجواهرها هي آيات القرآن. على كل قسم توضع آيات تناسب ما يعلمه القسم. وابحثوا عن الجوهر والآية التي تناسبه حتى يتذكر الملوك هذا دائماً.

٣- مدرسة الملوك هي قلب المجتمع الحقيقي، ويراعى أن تبنى في أحسن مكان في المجتمع، ولعله ما الأحسن لو بنيت في وسطه. ويكون لها وسيلة تنقل توصل إليها وتأخذ منها. والحمد لله.

١٢- هل يوجد في مجتمع المعرفة حاكم سياسي بالمعنى المعروف أو لا ؟

لا يوجد أصلاً حاكم سياسي الآن. وما هؤلاء إلا ممثلين وواجهات فقط. انظر ماذا يفعلون حقاً؟ الناس تريد المعيشة والمعرفة والفصل في المنازعات والقيادة في حال حدثت حرب. أما المعيشة فينتجها الفلاح والخياط والبناء والطبيب ولا علاقة للحاكم السياسي بها. وأما المعرفة فينتجها الناس والمفكرين ولا يحتاج إلى الحاكم السياسي. وأما القيادة في الحرب فيحتاج إلى قادة عسكريين متمرسين في هذه الشؤون وهذا الحاكم السياسي غالباً ما يكون أقرب إى التخنث منه إلى أخلاق الحرب. ففي الواقع الفعلي والعقلي لا يحتاج أي مجتمع إلى حاكم سياسي ولكن يحتاج إلى مجلس وزراء. كما بينا من قبل.

وإذا جاء ممثل لدولة أخرى ويحتاج أن يقابل ممثل مجتمعنا فبحسب حاجة هذا الممثل يكون الشخص الذي يقابله. فمثلاً إن كان الأمر متعلق بإقامة تعاقد تجاري في الطعام مثلاً فيقابل وزير الطعام. وهكذا في البقية. إذ كل وزير أعلم بشؤونه من غيره.

الحاكم السياسي الحالي هو مجرد ممثل كممثلين السينما. وقد وضعوه لكي يتوهم الناس أن حاكمهم رجل حيادي يريد مصلحة الشعب. ولا يخفى على المستبصرين أن هذا الحاكم أو الفنان السينمائي لا يستطيع أن يصل إلا بدعم الأثرياء. وهل سيدعم الأثرياء إلا صبيانهم. ولذلك في القرآن مرة يذكر "قارون وفرعون وهامان" ومرة يذكر "فرعون وهامان وقارون". فقارون هو سند فرعون. ولكن يظهر للعامة أن قارون مدعوم من فرعون وما هو إلا أحد الرعاة. أسقطوا قارون يسقط فرعون وهامان معه.

ففي نهاية التحليل لا يوجد أصلاً حاكم سياسي لا الآن وبالطبع لن يكون في مجتمع المعرفة المحكوم بعرش الله. وأما من ناحية تلاوة الخطابات على الشعب فلو احتجنا إلى شيء من هذا فلا أظن أننا سنعدم رجل يستطيع أن يتلو خطاباً. ومن المؤسف أن أكثر حكام العالم من الأغبياء الذين لا يحسنون الخطابة أصلاً. فلا هو نافع للمجتمع ولا هو فنان جيد. أغبياء يحكمون أغبياء مثلهم، بل لعلهم أغبى منهم. ولا قوة إلا بالله.

١٣- كيف نبني مجتمع المعرفة ؟

لا تقعوا في الوهم مرة أخرى. لا يوجد شيء سنبنيه في الخارج، إنما هي طريقة في الحياة. فعندما يصبح أكثر الناس في المجتمع من أهل المعرفة فهذا هو مجتمع المعرفة. فتعليم كتاب الله هو باب وقاعدة مجتمع المعرفة.

"يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين".
سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

....

بسم الله الرحمن الرحيم
ما هو القصور في قوله "ويجعل لك قصورا" ؟

. القصور هو المبنى العظيم الذي يسكن فيه الملوك، وأيضاً النقص كأن تقول "هذا الرجل فيه قصور"، فما العلاقة بين المبنى العظيم وبين الشعور بالنقص؟

من حيث الظاهر: الذي يسكن القصور فيه قصور. ومن حيث الباطن: الذي يشعر بالقصور سيسكن القصور.

"الذي يشعر بالقصور". إن الله يذكر هذا من باب المن والنعمة "ويجعل لك قصورا" ونحن نعلم أن الشعور بالنقص أو بالتصور يجلب الألم، فكيف يكون الألم نعمة؟ هذا لأن القصور هو قصور العلم. أي أنه سيجعله يشعر دائماً بأنه لم يبلغ تمام العلم. ولذلك قال "فوق كل ذي علم عليم" ولذلك قال "وقل رب زدني علماً".

لم نؤمر بطلب الزيادة إلا في العلم. فعندما يكون دعاؤنا هو "رب زدني علما" فهذا يعني أننا نشعر بقصور علمنا، وهذا الشعور بالنقص سيولد فينا رغبة في الاكتمال وبالتالي الدراسة والعمل. وبذلك يزداد علمنا ورسوخ منهجنا، وتتعاظم طريقتنا. ولذلك سنسكن في المبنى العظيم الذي هو بيت الله.

فقوله "ويجعل لك قصورا" يعني أن نقول "رب زدني علما". ولذلك تبدأ الآية هكذا "تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك. جنت تجري من تحتها الأنهار. ويجعل لك قصورا" والآية الأخرى التي توازيها "ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه. وقل رب زدني علما". فالجنات التي تجري من تحتها الأنهار هي سور القرآن وفي باطنها العلم الكامل بالعوالم الأربعة. وهذا هو "بسم الله الرحمن الرحيم" ولذلك أنهار الجنة أربعة، الماء واللبن والخمر والعسل. ولا يوجد علم أعظم من هذا.

فما معنى "رب زدني علما"، إذ نحن نعلم أن القاعدة هي "لم تقولون ما لا تفعلون"، فيجب أن يكون قولنا "رب زدني علما" ظاهر، فيفعل، فما هو هذا الفعل؟ هو التساؤل الدائم عن القرآن. التساؤل عن معنى كذا، وسر كذا، ولماذا قال كذا، وكيف يقول كذا، التساؤل الدائم هو تاج الملوك الذي يزين عقولهم. ولذلك قال "خذوا زينتكم عند كل مسجد" وقال "وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون" وقال "عم يتساءلون. عن النبأ العظيم" وقال "هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون" فالسجود هو التساؤل لأنه بابه، فالإعراض هو عدم التساؤل. والمسجد هو الآية. فاذن الزينة هي العقول الراقية المتسائلة على الدوام.

"الذي يسكن القصور فيه قصور" هنا القصور هي قصور الدنيا المعروفة للعامة. والقصور هو النقص الذي في نفوسهم والألم الدائم الذي يعيشون فيه. وذلك لأنهم لن يكتملوا أبدا. إذ إن كان قصره كبيراً فيوجد قصر آخر أكبر منه. وأضف إلى ذلك وهم امتداد النفس، وألم الاهتمام والخوف من الناس الذين نهبوا أموالهم. والكثير من الآلام التي تحيط بهؤلاء مما تعرفونه.

أما حياة العلم التي تمد نفس الإنسان وتملأه بالكبرياء فهذه هي الحياة. وعلى التحقيق، ما حاجة الإنسان لمنزل كبير؟ الهدف من الشيء هو الذي يحكم الشيء. فمثلا الهدف من الطعام هو الصحة والمتعة، فلماذا يأكل الانسان شيء يضر جسمه ويقزز حياته؟ وكذلك ما حاجة الانسان إلى مخازن الطعام إن كان يكفيه صحن أو اثنين؟ وسبب أمثال هذه التخلفات العقلية هو كما عرفنا: جعل الكبر في الجسم، فما الهف من المنزل أو المسكن؟ هو السكون في مكان مريح نظيف للتفرغ للأمور الأخرى. فما حاجة الانسان إلى مسكن يسع ألف شخص؟ أضف إلى ذلك الهموم التي ترافق هذا النوع من المعيشة.

ناقص العقل وكئيب النفس هو الذي لا يعرف لماذا يعمل ما يعمل، أو يعمل الشيء لغاية غير الثانية التي خلقناها لها أصلا. فما رأيك في رجل يريد أن يأكل الطاولة الحديدية أو يأكل باستعمال أنفه؟ هذا هو النقص، أو القصور عن بلوغ الأحسن.

فاذن نخلص إلى أن قوله "ويجعل لك قصورا" هو أن نتساءل دوما عن القرآن وبعمق وبلا حدود. "ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير".

...-...

بسم الله الرحمن الرحيم

من الذي خلق السارق ؟

المجتمع الدنيوي.

أي طالب مال سواء بالعمل أو بالسرقة إنما يطلبه للمعيشة أو للزينة. للمعيشة أي لكي يأكل ويشرب ويدفع الفواتير وما أشبه له ولأهله. للزينة أي للعب والتفاخر على الناس. فأما الذي يسرق للمعيشة فهذا لا غبار عليه إن كان عاجزاً عن غير ذلك، ويحل أكل الميتة عند الضرورة، ولا أحد يعقل يعيب على هذا وكل الناس إذا اضطرت فإنها تفعل أي شيء ولا ترى عيباً في ذلك. فهذا لا شأن لنا معه هنا، ولكن الذي يسرق للزينة هو السارق المقصود. فمن خلق هذا؟

يقول في قصة قارون "فخرج على قومه في زينته. قال الذين يريدون الحياة الدنيا. يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون. إنه لذو حظ عظيم" فما هي الزينة؟ هي الشيء الذي يراه أكثر الناس في المجتمع على أنه شيء مرغوب جميل. فقد يكون الشيء الواحد يعتبر هنا على أنه زينة وفي مجتمع آخر على أنه منقصة. فالزينة هي ما يقول الناس أنه زينة. فإذن الناس هم الذين يخلقون السارق.

ولذلك قال بعدها "وقال الذين أوتوا العلم. ويلكم ثواب الله خير لمن ءامن وعمل صالحا. ولا يلقاها إلا الصابرون" فهؤلاء هم دعاة حياة العلم. و"ثواب الله" من ثوب، أي لباس الكائن. وثوب الله هو النور "الله نور" والعلم نور. وهو الكبر الباطني بالفهم. وأما أهل الدنيا فهم أهل الكبر الظاهري بالجسم. ولذلك رغبوا في ما عند قارون. وقارون إنما يستمد فرحته من تعاسة هؤلاء، ولولا أن هؤلاء الأغبياء يرون ما يلبسه قارون على أنه "زينة" لما كان لقارون أي قيمة.

ولذلك بعد أن قبل المجتمع حياة العلم، ماذا حدث؟ فوراً بعدها يقول "فخسفنا به وبداره الأرض" إذا أصبح الناس يرون ما يفعله ما يفعله قارون على أنه غباء ومذلة. فانتهى قارون ومعه هامان وفرعون وجنودهما. "وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر. لولا أن من الله علينا لخسف بنا. ويكأنه لا يفلح الكافرون".

فإذن الناس هم الذين يخلقون كل الجرائم التي تحدث في المجتمع. رغباتهم هي الأيادي التي يخلقون بها. فمن العجيب أو يخلق الناس مجرماً ثم يعاقبون على اجرامه الذي هو مما عملته أيديهم! لا يوجد جرم واحد إلا وسببه أفكار الناس. فإن كان السارق يجب أن يعاقب فيجب أن نعاقب السارق الحقيقي الذي هو كل من يرغب في هذا الذي سبب السرقة.

إن الله إذا منع من شيء فإنه يريدنا أن نعالج الأمر من جذوره. فعندما يقول "لا تقتلوا" فهذا لا يعني أن نرهب المجتمع بالعقوبة على القتل. ولكن أن نبحث عن كل الأسباب التي قد تخلق القتل ونعالج هذه الأسباب. فالله لا يحب المسكنات والمخدرات المؤقتة، ولكنه يحب الشفاء التام والشفاء التام لا يكون إلا من معالجة جذر الشيء نفسه. وهكذا في كل وصايا الكتاب العزيز.

ففي موضوع السرقة، يجب أن نوفر المعيشة الميسرة لكل الناس، ونعلم الناس عن سوء الحياة الدنيا وعظمة حياة العلم. وهذا سيعالج تسعة أعشار السرقة. والعشر الأخير هو الذي يستحق العقاب الأليم الذي لا رحمة فيه. وفي مثل هؤلاء قال "ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله". وإذا توفرت المعيشة والمعرفة فلا أرى أحداً سيسرق. لماذا سيسرق؟ ليش؟ لا. لكي يتفاخر على الناس؟ لا لأن الناس ستمقته على محاولة التفاخر هذه. فلماذا يسرق إذا؟ هذا شفاء تام. والأمر بسيط جداً. بل أن تخلق سارق أصعب من أن تخلق إنسان راقي. فإن استطعنا حتى الآن أن نخلق مجرمين فلا شك وبكل سهولة يمكن أن نخلق عالمين.

وقبل أن يصبح المجتمع يعمل على تيسير المعيشة بحق لا بالكلام الفارغ والأنظمة الفاسدة، وقبل أن يختار أكثرية الناس في المجتمع حياة المعرفة بحق لا بكلام المواعظ والمخدرات المؤقتة، قبل هذا وذاك لا يجوز معاقبة أي سارق. بل إن معاقبة الناس هي الأولى هذا لو كنا سنعاقب أصلاً.

وقبل أن يتم هذان الأمران لا يحلم أحد بأن الإجرام سيزول أو يخف. كلما ازدادت القوانين ازداد الناس ذكاءً. نعم قد يمتنع بعض صغار الناس عن الاجرام الظاهر، ولكن أليست أكبر الجرائم هي تلك الصادرة من كبار الناس والسادة؟

إلى أن يختار الناس حياة العلم والكتاب منهم وإلى الأبد سيبقون في العذاب. "تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين".

...-...

بسم الله الرحمن الرحيم

ما هو تفسير قوله "وإذا تتلى عليه ءاياتنا قال أساطير الأولين" ؟

آيات القرآن أمثال، رموز. ولكن الجهلة الذين لا عقل لهم يقولون عن الأمثال أنها "أساطير". و"أساطير" من السطر، أي الكتابة على ورق. فهم يقولون أن الأمثال والرموز لا حقيقة واقعية لها، وإنما هي مجرد كلمات وقصص على الورق. فكأن حقيقتها لا تجاوز الورق المكتوبة عليه. و"الأولين" تشير إلى الأولية والبدائية. فهؤلاء يرون أنفسهم "متقدمين ومتطورين ومتحضرين" وهم الذين إذا جاءتهم الأمثال كفروا بها و"فرحوا بما عندهم من العلم". فهم يرون هذه الأمثال مجرد قصص وخرافات سطرها الأوائل البدائيين الجهلة فهم ولاشك يترفعون عن أمثلة هذه الخرافات البدائية.

وهذا لا ينصرف فقط على أمثال القرآن وقصصه، بل كل مثل وكل قصة، أو كل ما يسميه الجهلة "أسطورة" و"خرافة" هو في الحق يعتبر حق. لأنه يحوي الحق في جوهره. ولكن القرآن هو الأمثال والرموز في هيئتها العظمى الكاملة من كل الجهات.

وكذلك كل من لا يرى القرآن على أنه أمثال كالرؤيا في المنام في أحد درجاته فهو من الجهلة الذين ينطبق عليهم "قال أساطير الأولين" أي أن هذه القصص قصص شخصيات تاريخية " للأولين". فهم والذين لا يؤمنون بالقرآن سواء.

فكل من يرى الأمثال على أنها تاريخ أو خرافة أسطورية بدائية فهو من الكفار. أي الذين ستروا الحق الساكن في بيت المثل.

أما أمثال القرآن فنحن نعلم أنها حق، ولكن ماذا عن باقي "الأساطير" كتلك المروية عن أهل الديانات والثقافات الأخرى؟ أيضاً بحسب تعليم القرآن كلها حق أي تحوي الحق في جوهرها. ومن الأدلة التي تثبت ذلك:-

١-قول القرآن "ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم". والله "هو الحق". فإذن أينما نولي فثم الحق. وهذا يعني أن الحق هو الشيء الوحيد الواقعي. فما هو الباطل؟ هو ما يتوهم الناس أنه ليس الحق. فالباطل لا تحقيق إلا في خيال الإنسان ومفاهيمه. أما العالم فكله حق. ومن عادة الله أن يسمي المثل الغير مفسر والذي يعتقد الناس أن لا تفسير باطني له أنه "باطل". فعندما يؤخذ ظاهر المثل على أنه "حق" فهذا الرجل المعتقد يعتبر على " باطل"، أي أن فكرته هذه هي الباطل. فمثلاً في رؤيا الملك في سورة يوسف لما رأى الملك "سبع بقرات". أترى لو صدق بظاهر الرؤيا، هل سيكون على "حق" أم "باطل"؟ لاشك أنه على باطل،

لأنه لا يوجد لا بقر ولا سنابل. ولكنها أمثال. على السنوات والأعمال والأسرار الغيبية. وهكذا في باقي الأمثال والقصص.

ولا يمكن لشيء أن يصبح "واقع" إلا لو كان فيه على الأقل ذرة من "الحق". وإلا كيف " سيتحقق"؟ وهذا هو أساس قاعدة "كل مثل يحوي الحق". فالشخص الذي يختلق قصة رمزية، هو يكفر ويكتب، وبذلك يكون تفكير متحقق، وكتابته متحققة، وكلامه متحقق، فإذن قصته الرمزية تحوي "الحق". حتى لو لم يدرك هو نفسه ذلك.

ومن هنا، على مر التاريخ إلى يومنا هذا. كل من يريد أن يكون لنفسه حزب ويفرق الناس فإنه يذهب إلى الأمثال، خاصة الدينية منها، ويسحر الناس وَيجعلهم يرون أنها إما "تاريخ" أو " أسطورة". وبذلك يفرق الناس، ويؤسس لنفسه فرقة وبالتالي يعمل على العلو في الأرض. وكذلك كل نبي يأتي فإنه يعمل على تحطيم الأصنام، أي تأويل القصص والرموز حتى يعرف كل الناس جوهرها الواحد المشترك وبذلك يصبحوا "أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون". وأيضاً يعمل المفسد إلى التاريخ الواقعي، ويؤسس لنفسه مذهباً بناء على حوادث فيها شيء من الواقع التاريخي الفعلي أو القومية وما أشبه لأن الناس بذلك ستفرق، إذ لا يمكن لأحد أن يأتي بنفسه بنفس " تاريخنا" وبذلك تبقى المسافة بيننا وبينهم واضحة لا يمكن ردمها. وكذلك يأتي كل عالم ليدمر كل التاريخ، ويؤسس الحياة على الواقع الفعلي للناس اليوم وحاجاتهم وعقلهم.

فالناس لا يمكن أن تعلم وتتوحد إلا بتأويل الرموز. إذ هذا هو الروح المشترك بين كل الناس. وهذا من أسرار حب الناس القديم الحديث للأسرار، أو ما يسمى "الأسرار الروحية" وما أشبه. وحبهم وانجذابهم للغموض والطقوس السرية وما إلى ذلك. وتوحد الناس لا يعني أكثر من أن لا يسفكوا دماء بعضهم بعضاً ولا يفسدوا سبل معيشتهم، فهو ليس توحد كالذي يدعوا إليه الأغبياء الذين يعيشون في عالم أحلامهم. ولكن بكل بساطة أمر لا تمد يدك على أخيك. ولا تدمر سبل المعيشة. فالتوحد في أساسه فعل سلبي. فهو ليس من باب "افعل" ولكن من باب "لا تفعل". وكل التوحد مجموع في قول الكتاب على لسان الملائكة "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك".فعندما لا تفسد فأنت تسبح وعندما لا تسفك فأنت تقدس.

ومثلاً، إذا سمعت عن قصص أو "أساطير" آلهة الإغريق. فإنك قد تظن فوراً أنها "خرافة" لأن آلإله الواحد وما هؤلاء والآلهة إلا بشر وعلى صورة بشر ويفعلون أمور يتورع عن فعلها أكثر البشر، ولكن بالتأويل والتحليل سترى أنها من أعظم ما أبدعه العقل الإنساني. وقل مثل ذلك في قصص الهنود وأهل وادي النيل وكل ثقافة وحضارة وكتاب. كلها قصص حق. وهم في أكثر الأحيان يشوهون ظاهر القصة بقصد منهم حتى ينجذب إليها عقل السامع ويحفظها بسرعة وبعد ذلك يفكر فيها، فهي من باب "فاقصص القصص لعلهم يتفكرون".

يقول من لا يعلم عندما يقرأ الكثير من هذه "الأساطير" هل يعقل هذا؟ ما هذا الغباء؟ هذا ظاهر البطلان، وكلامه صحيح. لأن "ظاهر" القصة لا يعقل وغباء وباطل. ومن قال أن واضع القصة وضعها من أجل ظاهرها، إنما وضعها من أجل باطنها. فهو كمن يأتي بجوهرة ثم يلفها بخرقة عفنة حتى لا يقترب منها إلا من فضوله يتجاوز السطحية وظاهر الأجسام الميت المادي.

ومن هنا شبه الله الأمثال بالخزائن، لأنها في الواقع "خزائن" لكي تفتحها تحتاج إلى "مفاتح الغيب". والجواهر إنما تكمن في داخل الخزانة، في بطنها. كالجنين الساكن في بطن الأم. وأين هذه المفاتح؟ "وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو" فمن أرادها قلق يجدها إلا عنده. ومن هو؟ هو الساكن في النار. "كل شيء هالك إلا وجهه". فمن لا يسأل الله لن يفتح له شيء. بل إذا سمع تفسير الأمثال لعل كما قال الله "يضحكون" ولكن بعد أن يتحقق ما تنبأ به العلماء، فعندما "اليوم الذين ءآمنوا من الكفار يضحكون. على الآرائك ينظرون. هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون".

مفتاح كل الأمثال هو في "بسم الله الرحمن الرحيم". ولذلك تأتي في أول السور في الكتاب العزيز. فهل عرفت الآن ما هي "رحمة الله"؟ لقد أعطانا الخزائن، وأعطانا مفاتحها. ولكي نشعر بالكبر جعلنا نحن نفتحها. فما أعظمك يا رب العرش.

ومن عظمة الكتاب أنه يحوي الظاهر والباطن. أي يحوي الخزانة ومفتاحها وأيضاً يحوي محتوى الخزانة. وهذا لكي لا تصل أبداً. فالقرآن يحوي كل تفسيرات القرآن. وإذا فسرت مثلاً في سورة، فسترى تفسيرك هذا مذكور في سورة أخرى، بل لعله في السورة نفسها.

القرآن هو كل مملكة الله بكل ما فيها. ولا يوجد في عرش الله ذرة إلا وهو مفصلة في القرآن العظيم. فالحمد لله رب العالمين.

...-...

بسم الله الرحمن الرحيم
مقال عن الهدم

يقول الكتاب "وإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب. حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق. فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها"

الفكرة كالجسم. وإذا أردت أن تقتل جسماً فإن أحسن طريقة هي أن تركز ضربك على مفصل حياته. وهو الرقبة. فلو فصل الرأس عن الجسم مات الجسم لا محالة. ولكن من العبث أن نضربه على أطرافه. أو نفقأ عينه وما شابه. وهذا هو التعليم "فضرب الرقاب" وكذلك في أي فكرة. يجب أن ندرسها ونمحصها حتى نكتشف رقبتها. ونوجه ضربنا هناك. وبذلك لا يمكن لأصحابها أن يبعثوها من جديد ولا يدعوا إليها.

ولكن بعد موت الجسم، وبعد تحقق كل الناس من أن هذا الجسم قد مات، قد يأتي من يغمز بهذا الجسم وينظر إليه. ولذلك قال بعدها "حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق" أي أوغلوا في نقد الفكرة، وإظهار كل سوء فيها، ورد كل منقبة لها، حتى يشمئز الناس من مجرد ذكرها.

ولكن بما أن الحق في كل شيء، فقد يقال لنا "حسناً، إن هذه الفكرة سيئة ضارة تمام الضرر. فأين الحق فيها؟" ولذلك قال "فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها". "منا" أي نمن عليهم باخبارهم بالحق الذي فيها. وإما "فداء" أي أن يعلنوا تبرؤهم منها، ويلعنوها، ويعدوا الله أن لا يقربوها، ثم يجوز لنا أن نكشف عن تأويلها الباطني روحه الحق فيها. وذلك حتى لا يتذرع الجهلة بهذا الحق، ويزعموا أنهم إنما يفعلون الفكرة بسبب هذا الحق. ولذلك يجب أن يعلنوا سوءها ورفضهم لها. حتى يظهر لهم وللناس أنهم لا يعلمون أصلاً هذا الحق.فلا يستطيعوا أن يزعموا أنهم كانوا يعملون بهذه الفكرة بسبب هذا الحق. ثم يجوز أن نبينا لهم.

هذه الآية هي سلاح العلماء الراقين.

...-...

بسم الله الرحمن الرحيم
عن قاعدة مجتمع المعرفة

هذه هي قاعدة حياة الإنسان "ثم استوى على العرش". أي أن يُصبح عقلك كعقل ربك. وذلك بدراسة كتاب ربك.

كل فكرة وعمل ونظام، إنما يستند على هذه القاعدة.وليس يوجد عند الله غيرها. فكل من فهم هذه القاعدة، وقبلها لنفسه، فلا يحتاج إلى إقناع بعد ذلك إلا قليلا. وكل من لم يقبل هذه القاعدة لتكون هي أساس قلبه فلا فائدة من أي كلام معه.

"أن يصبح عقلي كعقل ربي، عن طريق دراستي لكتاب ربي".

لكل إنسان قاعدة يقيم عليها حياته، ولكل مجتمع قاعدة يقيم عليها كل نظامه. سواء عرف الانسان هذه القاعدة أو سار كالأنعام وراء ما تعود عليه. فيجب أولاً أن يتذكر كل شخص هذه القاعدة التي يعتقد هو فيها حالياً، ثم لتعارضها بقاعدتنا هذه. ثم فليختار ما يشاء. وإن الله شاء أن يكون الناس أحرار، ولكنه لا يرضى لهم إلا أن يكونوا سفرة أبرار.

حلل كل القواعد التي يبني عليها الناس حياتهم وأنظمتهم، ولن تجد قاعدة أقوى وأجمل وأحسن من هذه.

وهذا المقال هو للتذكير بهذه الحقيقة. حتى يعرف كل من ينظر في كتبنا ويسمع كلامنا ويرى أعمالنا أنه لا يملك الحق أن يحكم علينا، وأنه لن يفهم أيعمل من أعمالنا إلا بعد أن يعلم قاعدتنا ويعتقد بها عن علم عميق وبصيرة تامة وبعد أن يحلل حياته ورغباته ويقارن قاعدتنا بالتواعد الأخرى فيحسن الاختيار.

وليعلم كل الناس أننا لا نقبل بالأغبياء ولا الكسالى ولا الضعفاء أشباه الأنعام. من لم يكن يملك من الرغبة فيالعلم القدر الذي يجعله يحب الصبر على المعرفة والبحث، فهذا من الأفضل أن لا يقترب منا.

كتاب الله مرآة عقل الله، ففهم كتابه يعني أن يصبح عقلك كعقله. "إنا أنزلناه قرءاناً عربياً لعلكم تعقلون".

...-...

بسم الله الرحمن الرحيم
عن التدين والإيمان.

يقول الكتاب "ولا تقف ما ليس لك به علم" ويقول "قال الذين أوتوا العلم والإيمان" ويقول "إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا" ويقول "لتخرج الناس من الظلمات إلى النور".

كل عمق مسبوق بفكرة، وهذه الفكرة أو العقيدة إما أن يكون الشص على علم بها وله برهان على صدقها وبراهين لرد الأفكار الأخرى، وإما أنه لا يعلم بل وضعت فيه وقبلها بدون نقد. وكل أحكام الدين وعقائده تدخل تحت أحد هاذين الطريقين، إما أن الشخص يعلم لماذا يعمل بما يعمل ولماذا يعتقد بما يعتقد، وإما أنه جاهل. وبما أن الله يقول "ولا تقف ما ليس لك به علم" فإذن كل من يعمل عملاً، سواء كان مصدر هذا العمل هو القرآن أو غير القرآن، وهو لا يعلم ما هو سر هذا العمل فهو جاهل وعمله وغير مقبول عند الله.

وما يسميه العوام "إيمان" هو في الحق جهل وعمى واتباع الرعاة كالبهيمة. ويدخلون تحت قوله الحق "إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون". وقد استحوذ عليهم سادتهم وكبراءهم، وقالوا لهم "أمور الإيمان لا تدخل تحت العقل، بل هي فوق العقل ويجب أن تعامل بالتسليم لا يوجد في الدين شيء اسمه إيمان كما يفهم أكثر البشر. هذا الإيمان هو غباء صرف. ولذلك يقول الخالق "وقال الذين أوتوا العلم والإيمان" وجعل العلم قبل الإيمان ليعلم الناس أن الإيمان هو الدرجة الراقية من العلم والتي تؤدي إلى العمل بمقتضى هذا العلم. فمثلاً، أنت قد تعلم بعقلك أن الأكل الزائد مضر بالصحة، ولكن مع ذلك تكون مفرطاً في الطعام، وكما نرى بعض الأطباء الذين يموتون بسبب التدخين وشرب المخدرات، ونفس هذا الطبيب العالم الشؤون الجسم يستطيع أن يلقي محاضرة رائعة عن أضرار الافراط في الطعام والتدخين، ويشرح بذلك بطريقة مذهلة ومفصلة تفصيلا، ولكنه هو نفسه لم يلتزم بعلمه هذا. ولذلك قال القرآن بعد أن ذكر العلم "والإيمان". ولذلك نسمّى "مؤمنون" لأن الذين يعلم الكتاب كله من أوله إلى آخره بكل ظواهره وكل بواطنه. ولكنه لا يعمل بمقتضى الكتاب، فهو والحمار على درجة واحد، بل هو أضل سبيلا من الحمار لأن الحمار لم يدرس القرآن.

وكذلك فكرة "التسليم" بأمر الله. لا يمكن أن ينتج التسليم إلا بعد علم عميق. فمثلاً، قد لا يصدق إنسان أن الكرة الأرضية مدورة، وبعد أن تظهر له كل البراهين، ويؤخذ على متن سفية فضائية ويرى بعينه كروية الأرض، قد لا يملك أن يعترف بهذه المعلومة، ويسلم إليها. وهذا كفرعون بعد أن رءا آيات موسى "وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم". فعندما يأمر الكتاب بالتسليم يعني ذلك أن تقر بالأمر الواقع وهذا لسبب بسيط: لأنه "واقع". فلو كنت في غاية، ووقف أسد أمامك، فعليك أن "تسلم" بوجود الأسد حتى تستطيع أن تقوم بالخطوة الثانية وهي الفرار منه. ولكن إذا أغلقت

عينيك وقلت "ولا يوجد أسد، لا يوجد أسد" فهذا لن يغير من الحق الواقع شيئاً وستصبح غذاء لذيذ للأسد.

التسليم هو أن تقر بلسانك وأفعالك على الأمر الذي عرفه عقلك. ولذلك يقول النبي "هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة" ما الفرق بين اتباع الناس للجهلاء الطواغيت وبين اتباع الانسان لحكم الله والرسل" البصيرة. فاذا فهم الناس أن "التسليم هو القبول بغير تساؤل وجدل" فما الفرق بين أهل الجاهلية والاسلام؟ هل عرفتم لماذا ينطبق تأويل أهل الجاهلية اليوم على الأحزاب أو ما يسمى "الفرق الإسلامية". وكون الأحزاب يحيون فكرة "التسليم على عمى" هو لأنهم لا يملكون من العلم في الكتاب ما يمكنهم من الثبات بعد النقد والجدل. الضعيف اليهودي يحتمي وراء جدر وداخل حصون. أما المؤمن القوي فيقف وحده أما عشرة من الجهلة. ألم تتعلموا هذا من القرآن؟ أسلحة النقد لا تنفذ في جسم العرش.

وكذلك لا يمكن أن يقبل الله دين إنسان ما لم يختار هذا الإنسان أن يكون في دين الله بنفسه. والاختيار لا يكون إلا عندما يتوفر للانسان أمرين فما فوق. ويكون يملك أن يختار أيهما بدون جبر أو إكراه. وهذا يقتضي أن يعلم الإنسان الأمرين، وبعد ذلك يختار. فلو لم يكن على مائدة الطعام إلا لون واحد من الطعام، فهل يصح أن تقول "إني أختار أن آكل هذا الطعام"؟ لا، لأنه ليس أمامك غيره. وبالتالي أي تعتيم على المذاهب الأخرى والأفكار الأخرى بأي حجة كانت تدل على أن هؤلاء جهلة ضعفاء. فإذا وجدت الكتب "الممنوعة" والدعاة "الممنوع دخولهم" فاعلم أنك على أرض جاهلية. كل من لم يتذوق الظلمات لن يعرف النور ويقدره حق قدره. وإنما خلق الله العذاب حتى يتمسك الناس بالكتاب. ولذلك تجد دائماً "من الظلمات إلى النور" ولا تجده أبداً يقول "وأدخلهم في النور" هكذا مجردة عن ذكر الخروج من الظلمات.

كما أننا نريد أن يدخل دعاتنا إلى كل مكان فكذلك نريد أن يدخل دعاة الآخرين إلى بلادنا. وهذا هو العدل. فلو كانت عندهم علم أحسن من الذي عندنا فنحن أولى به. ولو كان علمنا أقوى من علمهم فغالباً سنكسبهم إلى صفوفنا. فنحن أمام إحدى الحسنيين: إما الرقي وإما التقوي.

لا يوجد شيء يعلو على العلم، ولا يوجد علم إلا بعد تفكير وعقل.وإنما نزل القرآن "لعلكم تعقلون" لا حظ أنه لم يقل: نعقل ماذا. بل جعلها مطلقة. فإذن يجب أن نعقل كل شيء. فإذن لا يوجد أمر يعلو على العقل. والعقل ملك العوالم. ولذلك قال "وجعلكم ملوكاً". بماذا صرنا ملوكاً، بأجسامنا؟ فالوحوش أقوى بنا. بمشاعرنا؟ فالشعور عبد للفكر. فإذن لم يبق إلا بعقولنا. من علم بأمر فقد ملكه. فملك الناس هو أعلم الناس. ولذلك ذكر العلم بأشكاله أكثر من ٨٠٠ مرة في القرآن المكون من ١١٤ سورة. فلو جاء من يزعم أن حفنة من الجهلة والمتخلفين والأغبياء يعتبروا "ورثة الكتاب" فهذا حقاً يستحق أن يقطع الله له لسانه.

انظر إلى من يعيش للعلم، هذا هو وارث عقل الله.

لا يوجد أمر يعلو على التساؤل. كل أمة يجب أن يخضع لألف سؤال. بل خمسين ألف سؤال لو استطعنا. التساؤل هو وعاء، والجواب هو الذي يملأ هذا الوعاء. فبدون التساؤلات يكون المطر ضائع غير محفوظ في أوعية لنشرب منه ونغتسل به متى أرادنا. فالتساؤل باب أي علم.

فإذن الدين إيمان، والإيمان علم، والعلم عقل، والعقل وسيلة الجواب، والجواب بعد التساؤل. فإذن الدين هو التساؤل.

هل يجوز أن نتساءل عن أوامر الله؟ هذه هي الأمور التي يجب أن نتساءل عنها، بل إن أول وأهم ما يجب التساؤل فيه هو القرآن. فإذا أردت أن تعرف جوهر إنسان انظر إلى تساؤلاته وكلامه عماذا؟ عن النبأ العظيم؟ فهو ملك. عن شياطين الدنيا؟ فهو ملعون. فانظر حولك وقيم أصحابك، فإنك بحسب من تكون معهم.

فإذن لا دين لمن لا علم له. علم عميق. عميق جداً.

...-...

بسم الله الرحمن الرحيم

عن قوله "أضاعوا الصلوة".

علماء الكتاب يعلمون ويشهدون أن الصلوة ليست إلا دراسة كتاب الله. ولكن بحكم "وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين" ظهر أئمة الأحزاب وقالوا أن الصلوة هي هذه الحركات الروتينية المصحوبة بذكر معين روتيني وغناء. ولم يعادي مفهوم الله عن الصلوة إلا هذه الأحزاب والتي كالعادة تنسب مفهومها إلى اله مباشرة أو غير مباشرة.

يقول الكتاب "فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة". أروني يوماً واحداً أضاع فيه الناس هذه الحركات والغناء الذي يُسمونه صلوة. الحاكم العادل والطاغية الفاجر كلاهما كان يقوم بهذه الحركات وبخشوع تام بل لعله يغشى عليه من خشية اله. العامي الجاهل والفقيه العاقل كلاهما كان وما يزال يحافظ على هذه الصلوة. باختصار لا نعرف يوما جاء على المسلمين إلا وهم يقومون بهذه الحركات، فأين مصداق الذين "أضاعوا الصلوة"؟ هنا يظهر الحق. إذا تذكرت أن الصلوة هي دراسة كتاب الله. فعندها سترى بعينيك كيف أن أكثرية الناس إن لم يكن كلهم إلا قلة مغلوبة على أمرها لا أحد يعرف عنها شيئاً، كل هؤلاء حقاً وصدقاً "أضاعوا الصلوة".

لاحظ مثلا تعريفهم للإسلام والإيمان والإحسان. هل يوجد شيء عند دراسة القرآن؟ بل وللأسف لا يوجد حتى تلاوة القرآن ! تصور أن هؤلاء المجانين عندهم خمسة أركان للإسلام، وستة أركان للإيمان، ركن للإحسان، أي اثنتا عشرة ركنا للدين ولا يوجد بين كل هذه الأركان لا "دراسة الكتاب" والتي هي ركن الدين الوحيد، ولا حتى "تلاوة الكتاب" مجرد تلاوة، فقد تكون مسلماً كاملاً بدون أن تقرأ حرفاً واحداً من القرآن، إذ حتى بعض الفرق تجيز عدم قراءة المأموم لأي سورة بحجة أن الإمام يقرأها ،ولهم في هذا أدلة طريفة، ولذلك يوجد ما يسمى بالأمية بين المسلمين إلى يومنا هذا. ولذلك يوجد بعد عن القراءة عامة والعلم خاصة بين المسلمين والعرب خصوصاً حتى إنك لتظن أن العرب تأخذ بتار لها من الكتب. واعلم أنه لا يوجد ولا مذهب واحد على كل هذه الأرض، ولا مذهب واحد. أعيد وأكرر ولا فرقة "إسلامية" ولا مذهب "إسلامي" في كل هذه الفرق، قديمها وحديثها، من يرى أن "دراسة كتاب الله" هو ركن مهم في الدين، فضلا عن أنه ركن الدين الوحيد والذي لا ثاني له.

هل رأيت الآن مصداق قول الحق "فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة".

اعلم جيداً هذا الأمر فلن تسمعه من غيري اليوم: لا يوجد إلا ركن واحد لدين الله وهو دراسة كتاب الله. وأما الذين يريدون أن يرقصوا ويغنوا فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون.

...-...

بسم الله الرحمن الرحيم
كيف يقتل الكفار النبيين بغير حق؟

يقول الكتاب "الذين يكفرون بئايت الله ويقتلون النبيين".

لو قال رجل "لا يوجد كفار اليوم. ولكن الكفار الذين يقصدهم القرآن هم جماعة تاريخية قديمة. أما اليوم فلا يوجد أحد يعتبر كافر بئايات الله" فكيف نستطيع أن نرد عليه من هذه الآية؟ بكل بساطة سنقول: يقول الكتاب "الذين يكفرون" وكلمة "يكفرون" فعل مضارع، أي مستمر حتى في المستقبل. وهذا بديهي ولا يحتاج إلى شرح حتى لصبي في العاشرة من عمره. حسناً، كما أنه بدلالة "يكفرون" يوجد كفار اليوم كما بالأمس، فكذلك بدلالة "ويقتلون النبيين" يجب أن يوجد قتلة للنبيين اليوم كما بالأمس. فأين هم النبيون الذين يقتلون؟

اذهب واسأل كل من يؤمن بالأنبياء: هل الأنبياء هم أصحاب أرفع درجة؟ سيقول: نعم، والآن أسأله هو شخصياً: هل ترغب أنت في أن تكون نبيا، ودع عنك ما علموك إياه عن أنه لا يوجد أنبياء ولا يمكن أن يأتي أنبياء، دع عنك هذه العقائد قليلا، ولنفترض أنه في الإمكان أن يهبك الله النبوة، فهل ترغب أنت أن تكون نبيا كإبراهيم وموسى ومحمد؟ ولاشك أنه سيقول عندها: نعم أرغب في أن أكون نبيا. فإذن هو يرغب في النبوة، ونحن نعلم من عشرات الأدلة الآفاقية والنفسية والعرفانية والقرآنية أن "وآتاكم من كل ما سألتموه" فلو سأل أحد أي شيء فإن الحق سيؤتيه إياه، وهذا من عطاء الله العظيم وفضله. فباختصار، كل من يرغب في الله سيأتيه الله. والامداد بحسب الاستعداد. وعطاء الشمس مستمر إلا أننا نحن من يدخل الجحور والحفر ونطمر التراب على أنفسنا فنظن أن ضوء الشمس قد انقطع. وكل رغبات النفس تتحقق في أحد المستويات الأربعة، الجسمانية أو الدعاء أو الكلام أو الأحلام.

فإذن، الناس تريد النبوة، وترغب بها من صميم قلوبها. فما الذي قتل هذه الرغبة وجعل الناس لا يرغبون في أن تكون فيهم النبوة؟ هذا الأمر أيا كان هو السلاح الذي استعمله الكفار لقتل النبيين.

ولعل سائل يقول: الله يقول "يقتلون النبيين" وهؤلاء الناس ليسوا أنبياء بعد، فهم أصحاب رغبة مجردة، فلو كان المعنى كما تقول لقال الله "ويقتلون النبيين يرغبون في أن يكونوا من النبيين" وما شابه، فما ردك على هذا؟ أقول: "وأن ليس للإنسان إلا ما سعى" ولاحظ أنه لم يقل: إلا ما حصل. فمجرد سعيهم للشيء جعلهم أصحاب الشيء. فالذي يسعى للكفر كافر، والذي يسعى للفساد مفسد حتى لو لم يعمل بجسم بعد. وكذلك العالم ليس من حصل كل العلم ولكن من يسعى للعلم. وكذلك من يسعى للنبوة نبي. ومعلوم أن الرغبة في الشيء هي من بداية السعي

للشيء. فالذي يقتل الرغبة فقد قتل الشيء. فلو رغب أحد الناس في العلم. فمعناه وزهدناه فيه وكرهناه له فإننا بذلك نكون قد قتلنا عالما بالرغم من أنه الآن جاهل. فالأمور بعواقبها.

ولاحظ أن الكتاب قدم ذكر الكفر بالآيات على قتل النبيين، لماذا؟ لأن الناس ستستعمل آيات الله لتقتل النبيين، أليسوا يذكرون آية ختم النبوة وما شابه من آيات القرآن لكي يقولوا للناس "انتهت النبوة فلا يحلم أحدكم يوماً أنه سيصبح نبي"؟ ومعلوم أنه لا يفهم القرآن إلا نبي. ولذلك هجروا القرآن منذ القدم إلى يومنا هذا. وبالتالي أصبح القرآن في يد الشعراء والكهنة والمجانين والسحرة، وهؤلاء هم الذين "يعلمون" القرآن للناس. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

تعالوا نرى هذه الآية "إذ قال موسى لقومه، يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين" ما معنى "إذ جعل فيكم أنبياء"؟ لم يكن بينهم إلا موسى وهارون، و"أنبياء" جمع أقله ثلاثة، وقال "جعل فيكم" ولم يقل "بينكم". فهذان برهانان على أن هذا ليس هو المعنى المقصود. ولا يمكن أن يكون المقصود هو أنهم من إبراهيم وإسحاق ويعقوب، إذ لو أراد ذلك لقال "إذ جعل فيكم أنبياء" هذا بالإضافة إلا أن هذا سيكون كلام لا معنى له في سياق الحديث وذكر النعمة. فالمعنى كما هو بين منذ البداية هو: إذ جعل فيكم أنبياء< أي أنتم الأنبياء. كلكم أنبياء. ولذلك طلب منهم الدخول إلى الأرض المقدسة. إذ لا يعمر الأرض المقدسة إلا أنبياء ملوك يحكمون بالكتاب.

ولكن معلوم أن النبوة والملك يأتيان من كتاب الله، ونرى أنه قدم ذكر النبوة والملك ثم قال "وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين" أي التورية، كتاب النور، فكيف إذا؟ هذا يدل على أن "جعل فيكم أنبياء" تعني جعل فيكم الرغبة لتكونوا أنبياء. وبحكم "للإنسان ما سعى" جعل وجود الرغبة تحقق للمرغوب فيه. فالرغبة في النبوة والرغبة في الملك هما مقدمة قبول كتاب النور. ولذلك من لا يرغب في النبوة لن يفهم الكتاب ولن يقبله في حياته.

يقول الجهلة وأشباه الأنعام "انتهت النبوة بنزول القرآن" أقول بالحق "إن النبوة بدأت بنزول القرآن، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، كيأجوج ومأجوج لا يكادون يفقهون قولا".

من هيكل النفس نعلم أن الذي يجعل في تصوره للكمال أمر، ثم لا يتحقق فيه هذا الأمر، فإنه سيكون في ألم وعذاب مستمر. لأنه ولولاشعورياً سياقرن واقع حياته بحياته لو كان فيها هذا الكمال، وعندما يرى الفرق فإنه إما سيكره حياته وإما سيكره هذا الأمر الكمالي. فإذن، إذا جعل الإنسان في عقله أن "النبوة كمال عظيم، والأنبياء أعظم الناس على الاطلاق" ثم قيل له "لن تكون نبيا أبدا" فهذا سيؤدي إلى عذاب نفسي لعل إبليس نفسه لا يعاني منه. إذ إبليس أذكى من أن يصدق حفنة من الحمير لا علم لهم بشيء. ولذلك فلا نتعجب عندما نرى أن الأحزاب، أو

ما يسمى زوراً "الفرق الإسلامية" واتباعها هم من أسوأ الناس عقولاً ونفوساً في الأرض كلها. وهذا طبيعي ومتوقع. إذ لعله لا يوجد في الأرض كلها جماعة تحب وتعظم وتنزه الأنبياء مثل هؤلاء ومع ذلك لا يوجد جماعة تؤمن بانتهاء النبوة مثلهم. فالمعادلة النفسية واضحة كالشمس في الظهيرة. في أعلى درجات تصور الكمال يوجد "الأنبياء" ومع ذلك يوجد الاعتقاد الشديد بأنه "لن تكون نبيا أبدا" وهذا التناقض الحاد هو من أهم الأسباب التي تخلق هذه النفوس السوداء والتي لا تصلح لشيء غالبا والتي يمتلئها الجهالة وعشق الجهالة والتسليم والاكتئاب الحاد والخنوع التام، لن تجد نفس "مسلمة" بحسب الأحزاب، إلا وفيها واحد أو أكثر من هذه الآثار السيئة، بل لعل أكثرهم فيه أكثرها. "يوم ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة. أليس في جهنم مثوى للكافرين" وليس الكافر إلا من لم يفهم كلام الله.

وبالتالي، سيؤدي هذا التناقض بين القيمتين إلى أحد أمرين: كره للحياة، أو كره للدين. وانظر إلى كل المسلمين أو الأحزاب بالأصح وستجد أنهم بين هذين القطبين، واختلافهم في الدرجة فقط. وكره الحياة هو عدم الفرحة بها وتطويرها. وكره الدين يظهر في السطحية وجعل الذين طقوس عبادة و " [القراءات] العصرية" وما شابه التحريفات والتي يعلم أصحابها أنهم لا يقومون بذلك إلا بسبب كره باطني للدين الحالي. والمشكلة أنهم يرون أن الدين الحالي الذي يعرفونه، دين الإسلام كما هو عند الأحزاب، يظنون أنه هذا هو دين الكتاب العزيز، وبالتالي عندما يكرهون هذا الدين فإنهم يكرهون الكتاب العزيز أيضاً معه، ويظهر هذا في عدم دراسته وبناء كل الحياة به وجعله مجرد أحكام فقهية وعقائدية لا تسمن ولا تغني من جوع. ومنهم من حاول أن يخرج من هذا العذاب الذي يسببه عدم امكان تحقق النبوءة فيهم فذهبوا إلى الطرق الصوفية والعرفانية والتي تفتح شيء من هذه الأبواب، ودع النبوة الشخصية قد يفوح عليهم ويأتيهم رشحة أو رشحتين من كل فترة وفترة. وآخرون قدحوا في الأنبياء إذ بذلك تقل [قيمتهم] وبالتالي لا تبالي نفوسهم لو لم تحصل النبوة. وآخرون يقولون أننا في عصر "ما بعد النبوات والرسالات" وبالتالي نحن الآن "أعلى" من الأنبياء الذين احتاجهم الأوائل الأغبياء. وكثير وكثير من الآراء التي سبب ظهورها هو شيء واحد في الأصل، وهو شيء نفسي، وهو التعارض بين قيمة "عظمة النبوة" و "لا يمكن الحصول على النبوة". واختلف الناس في علاج هؤلاء في علاج هذا الألم والعذاب بحسب عوامل أخرى إلا أنهم كلهم ينطلقون من هذا الأصل الواحد.

ولذلك فمن العبث وإضاعة الوقت أن ننقد كل هذه الآراء ونحن نعلم أن السبب الرئيسي لظهور مثل هذه الآراء هو أن الناس تريد أن تكون من الأنبياء ولكنهم "قتلوا" بسبب عقيدة انتهاء النبوة الكافرة. ويلهم ألا يسمعون أن النبوة نور الله، وأن الذين يكفرون يريدون أن "يطفئوا نور الله"؟ انتهاء النبوة يعني انطفاء نور الله. وبعد نور الله لا يوجد إلا ظلمات الجاهلية. وهذا ما تحيون فيه الآن أليس كذلك؟ فها أنتم تعرفون السبب الآن. [فغيروا/فقرروا]، فإن الله "لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم".

"ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا، إنك على كل شيء قدير".

...-...

بسم الله الرحمن الرحيم

عن "يخرجهم من الظلمات إلى النور".

عقل الإنسان جدلي. فإذا أعطيته طرف فإنه تلقائياً يفكر في الطرف الآخر، فمثلا إذا قلت له " اعدل" فإنه سيفكر في الظلم. وإذا قلت "اظلم" فإنه سيفكر في العدل. وهكذا يولد العقل الاحتمالات تلقائيا. ولذلك علمنا الكتاب أن نخرج الناس "من الظلمات إلى النور" أي أن نستعرض الأفكار الضارة وبعد نقدها واظهار ضررها إلى درجة أن الناس يصبحوا يكرهون هذه الأفكار أو يشمئزوا منها ويقولوا لك "حسنا لا نريد هذه الأفكار، فما البديل النافع؟ وعند نشرح لهم فكرة الله. وهذا في كل التعاليم التي في الكتاب، وفي أي تعليم عامة.

ما السبب؟ لأنك لو عرضت الفكرة النافعة فقط فإن الناس قد تتكاسل وتظن أنه يوجد أفكار أخرى نافعة وأحسن من هذه الفكرة. رأوا أن حالهم الآن حسن وبالتالي لا يحتاجون أن يغيروه. ولكن لما نشرح لهم ضرر كل الأفكار أي كل "الظلمات" فعندها لن يعودوا إلى مجادلتنا في فكرتنا. وبذلك يكون القلب مستعد لاستقبال نور العرش. وتشبه هذه العملية أن تبعد كل الحجارة والشوك عن السجادة الحمراء لكي يمر عليها الملك. فمن قبل أن يصل الملك يقوم المنظفون بتطهير السجادة من كل عيب ويعبدون الطريق للملك الذي سيمشي عليها.

والعكس هو أن نخرج الناس من "النور إلى الظلمات" وقد يسمى هؤلاء "الطاغوت" لأن النور فكرة، والظلمة فكرة، والعقل لا يفرق بين فكرة وفكرة من حيث ذات الفكرة. فالأمر عنده واحد. ولذلك إذا عرضنا فيه فكرة نور ثم ستة أفكار ظلمات فإن قوة الظلمات ستطغى على فكرة النور، وسينسى الناس ما تكلمنا عنه أصلاً. إلا في حالة واحدة وهي أن تعيد ذكر فكرة النور بعد أن تفرغ من قتل الظلمات.

ولكن ليتم ذلك يجب أن يكون الناس يرغبون في المعرفة بشدة. لأن السفر من الظلمات إلى النور سفر طويل وشاق. فمن يملك بنفسه ويجادل في سبيل الله حق جهاده فهو وحده من سيملك النور، ولذلك إن كنت بين جماعة يغلب عليهم قلة العلم والضعف فاستعمل السلاح "فضرب الرقاب" عندما تشرح وتنقد الظلمات. لا تطيل في الاستدلال والتفريعات. اكتفي بالمبادئ والقواعد، واهدم القواعد تماماً. ولا تنسى أن تلبس أفكارك ثوب القصص المسلية حتى لا يمل الناس منك ولا ينسوا تعاليمك. واحذر التجريد فإنه عذاب على آل فرعون. ولا يقوى على التجريد الكثير إلى رباني عظيم. بل حتى هؤلاء يكرهون التفاهات المجردة وما لا علاقة له بالكتاب والحق والنور. فاختصر قدر الامكان. وبلغ الناس أن من يرغب في الاستزادة من التفصيل فليأتك لاحقاً. أو ليقرأ كتبك المفصلة. فاحفظ مقام التعليم العام والتعليم الخاص. حتى يأتي اليوم ويصبح الكل خواص. "يوم يقوم الناس لرب العالمين".

أعلم الناس بالنور هو أعلمهم بالظلمات. ألا تلاحظ أنه لا يوجد في الكتاب ذكر للدخول في النور إلا ويقول "يخرجهم من الظلمات إلى النور". لماذا لا يقول: يدخلهم إلى النور وكفى. لماذا دائماً " يخرجهم من الظلمات"؟ لأنه لا يوجد نور إلا بظلمات، ولا يوجد حلو إلا بوجود مر، ولا يوجد غني إلا بوجود فقراء. وأيضاً ليعلمنا أن نتبحر في كل الأفكار بلا حد. إذ عند الحق "فأينما تولوا فثم وجه الله" و"تخرج الحي من الميت" فنحن يبين أحدى الحسنيين: إما أن نرى الحق علناً وإما أن نرى الحق مكتسياً بحجاب فعلينا أن نرفع هذا الحجاب ونرى الحق ظاهراً. فلا يوجد إلا الحق: ولكن الأحق هو ما ينفع الناس وبالتالي الباطل هو ما يؤذي ويضر الناس. وعلينا أن نبحث عن الحق الذي ينفعنا في كل مكان. والحمد لله أنه جعل كل العوالم في كتابنا العزيز.

موسى هو النور وفرعون هو الظلمة. فلماذا قدم ذكر موسى على فرعون "نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق"؟ فهذا يدل على جواز شرح فكرة النور قبل فكرة الظلمة. وكذلك توجد سور تقدم ذكر الجنة على النار، وأخرى تقدم النار على الجنة. فهذا يدل على أن لكل حالة نوع معين من الكلام. فأحياناً عندما نشرح فكرة النور يرتفع الناس في باطنهم فرحاً. فاذا شرحنا الحال المظلم الواقع تبين للناس الفرق. ولذلك قدم موسى على فرعون. لأن فرعون فكرة واقعة مظلمة. ولكن موسى هو فكرة النور التي نريد أن نستدل فرعون بها. فلا حاجة لتقديم ذكر فرعون لأن الناس اليوم تحيا في ظلمة، وبالتالي من تحصيل الحاصل أن نشرح لهم العذاب الذي سيعيشون إذا سمحوا لفكرة فرعون بالتحقق إذ هم الآن في هذا العذاب. وبالتالي يحتاجون أن نشرح لهم فكرة موسى وهي تصور الكمال سيرفعهم في الظلمة التي هم فيها الآن.

فإذن في حال أن الواقع سيء فيجب أن نقدم ذكر فكرة العرش، ثم نذكر بالواقع السيء مع شرحه وتبيين قواعده وأسراره وكيفية [قتله]. ولكن في حال أن البحث علمي حر بين أحرار فنقوم شرع الظلمات والتي هي كل الاحتمالات الممكنة غير أمر الله، وننقدها ونرى ما فيها وبعد ذلك سيُحلق فينا الاستعداد لكي نقبل أمر الكتاب.

فالقاعدة هي، انظر إلى حال الذين ستكلمهم ثم تكلم. ولا تدفع لفريق إلى الأسفل بل ارفعه إلى الأعلى.

...-...

بسم الله الرحمن الرحيم

أين نحن ؟

١- لن نعرف أي شيء عن مكاننا حتى نعرف عن مكان العالم، ولن نعرف مكان العالم حتى نفهم مكان الخالق الذي خلق العالم.

٢- والخالق إما أن يكون في حيز المكان، أو في المطلق واللامكان.

أما أن يكون الله في مكان، فهذا يعني أنه ليس الأول والأكبر وليس خالق كل شيء، لأن المكان قبل الحال في المكان، وبالتالي يكون الله محدود الذات ومخلوق. فهو ليس الخالق الأكبر الذي نسأل عنه.

وإما أن لا يكون الله في مكان. وهذا يعني أنه في كل مكان. وذاته غير محدودة، فهو هنا وهناك كما هو هناك وهناك، بل لا يوجد أي معنى للمكان، ولا للمخلوقات. لأن الله يكون هو الموجود الوحيد. وبالتالي أنا الله وأنت الله وكل شيء هو الله. بل لا يوجد شيء إلا الله. وبما أن الله مطلق العلم والقدرة فهذا يستلزم أن أكون أنا مطلق العلم والقدرة، وأنت مطلق العلم والقدرة، وهذا غير واقع. وبالتالي هذا الاحتمال غير صحيح.

فإذن إذا قلنا الله في مكان محدد فهذا غير حق. وإذ قلنا الله مطلق الذات فهذا أيضاً غير حق ويكذبه الواقع وغير ذلك. فإما أن الله وهم اخترعناه في عقولنا لأسباب الراحة والكبر. وإما أن فهمنا لاسم الله خاطىء إذ نتصوره هو الخالق الأول اللانهائي.

وبما أن القوة التي تسري في العالم وفينا ظاهرة التأثير، وبما أن رسم الأشياء يظهر وجود رسّام ومهندس. فإذن يغلب على الظن أن الخالق حق، وبالتالي علينا أن نسير مع هذا الدليل حتى يظهر نهايته. فإذن فهمنا لاسم الله هو الخاطىء.

٣- الوجود بحد ذاته يقين تام. إذ لا يمكن حتى أن نفرض العدم. لأننا موجودين فعلا والأشياء موجودة فعلاً< وكذلك لا يمكن حتى مجرد تصور أن العدم هو الأصل. إذ لو كان الأصل لما ظهر شيء أصلاً. فإذن الذات هي الوجود. مجرد وجود محض صرف.

وبما أننا مخلوقين، فإذن نحن في الوجود اللانهائي. لسنا أمامه ولا خلفه ولا فوقه ولا تحته ولا داخله ولا خارجه. لأن أي تصور لهذه الأبعاد أو أحدها يعني أنه غير مطلق وهذا منافٍ للواقع. وحتى كلمة "في الوجود" توهم أننا داخله كمثل قولنا "داخل البيت أو في البيت" وهذا غير

واقعي الآن "في" تقتضي أنه مكان محدود ونحن "فيه" ولكنه لانهائي بدون جهات. وبالتالي نعلم أنه هو خالق الخلق في نفسه.

ولكن كيف يمكن أن نفهم "خلق في نفسه" وأن "الخلق لا في مكان"؟ أقرب ما يمكن تصوره هو أننا في عقل الخالق. في خياله. فبالنسبة لنا، الخيال ليس فوقنا ولا تحتنا ولا أمامنا ولا خلفنا ولا داخلنا ولا خارجنا. أي بالنسبة إلى عقولنا. وبما أن العقل هو الذي يقدّر ويربط ويحدد ويرسم. وبما أن هذه هي صفات المخلوقات، فإذن الخلق في خيال الخالق، وبالتالي الخلق فكرة في عقل الخالق.

ولكن كوننا لا نستطيع أن نفهمه في ذاته فهل هذا يجوز لنا أن نصوره على صورتنا؟ نحن أمام أحد أمرين: إما أن لا نبالي به إطلاقاً، وإما أن نقرب لأنفسنا فهم ذاته ولو من بعيد أو قريب، فأن نقترب خطوة خير من أن لا نقترب إطلاقا. ثم إن استنباطنا سليم إلى حد بعيد. إذ كل عالم الخلق الخارجي يوازي بل يطابق خيالنا العقلي من حيث جوهر صفاته. وبالتالي نستطيع أن نعرف أن عالم الخلق هو في خيال الخالق وعقله كما أن تصوراتنا في عقلنا. وكل العرفان والقرآن قائم على ذلك الحق.

ثم إن عقولنا ليست من وجود أو خالق آخر. هو هو الذي خلق كل شيء. والقرآن والعرفان يشهدان أن عقولنا هي عين عقل الخالق من حيث الجوهر والقوة الممكنة. "قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب". فالله هو الكتاب في جوهره، ومن عنده "علم الكتاب" هو خليفة الله، فقد أصبح عقله كعقل الله بالفعل بعد أن كان بالامكان. ولذلك وازى بين من عنده علم الكتاب والله في مقام واحد.

فالله رمز على الدرجة الأعلى في العلم، العلم بالكتاب. والكتاب هو عالم الخلق كله باللسان العربي المبين.

ولكن ثمة عقبة تعترض هذا الفهم في محل عميق. إذ لو كان الخالق يرى الخلق كالخيال، ولو كان للخالق رؤية لكمال الخلق، فإن الواقع الناقص في محل، والواقع الكامل في محل آخر. وبالتالي يكون للخالق أكثر من خيال واحد، أو أنه خلق الخلق ناقصا معذبا بدون أي خطة لإيصاله إلى الكمال.

لماذا خلق أصلاً؟ الرؤية لا تكون إلا من رغبة، والرغبة لا تكون إل من شعور بالنقص. والشعور بالنقص لا يكون إلا عن تصور للكمال مسبق. فما الذي كان في عقل الخالق جعله يرغب في الخلق؟ بما أنه لم يكن ثمة غيره وكل شيء كان مكبوت في علمه أي كل احتمالات الخلق، فهذا

يعني أن تصوره للكمال كان يحوي قيمة أنانية، وهي أنه يريد أن يرى نفسه. ولأنه مطلق الذات ولا شيء غيره، فهذا يعني أنه كان لا يرى نفسه ولا يرى شيء ليقارن به نفسه فيعرفها. إذ لا يمكن لشيء أن يعرف نفسه إلا عن طريق مقارنته مع غيره. فإن لم يكن ثمة غيره فهذا يلزم أنه لا يعرف نفسه. وعدم معرفة النفس نقص، وبالتالي رغب في خلق الخلق لكي يقارنهم بنفسه فيرى نفسه كالمرآة له. ولذلك خلق كل شيء من زوجين. لكي ينظر إليهم فيرى أنه الواحد، وعندما يتعذب الزوجين لكي يحصلوا على بعضهم البعض فهذا لكي يفرح عندما يرى أنه في غير حاجة إلى زوج يكمله. وهكذا في كل شيء في الخلق سنرى أنه يعكس ذات الوجود المحض.

وبناء على ذلك، يكون للخالق خيال واحد ناقص معذب، وهذا لكي يفرح عندما يراهم، أي يفرح بذاته عندما يرى نقص وعذاب خلقه فيعلم أنه الكامل الكبير المرتاح.

ولكن يظهر أن شيء جديد بعد ذلك بدا للخالق. لأننا نرى أن كل مخلوق يسير لطور أعلى وأكمل. ونرى حركة الناس عبر القرون تتحسن وترتفع وترتقي. ونرى نفوسنا تكتمل وتتنور. وكأن العذاب بدأ يزول. ونرى الرسل والكتاب العزيز الذي جاء لكي يرفع العذاب والنقص عن الناس. فما الذي حدث ؟

يظهر أن الخالق بعد أن فرغ من رؤية نفسه وفرح، أراد أن يجلب الفرحة للمرآة التي تسببت بفرحه ورؤيته لنفسه. وبالتالي وضع رؤيا جديدة وخيال جديد في عقله، وهي رؤيا الخلق الجديد الكامل. ورسم طريقا بين الرؤية الواقعة الناقصة وبين الرؤيا المرغوبة الكاملة. ويظهر أن هذا الطريق إما أن يكون بالتجربة والعذاب، وإما أن يكون بالفكرة والكتاب.

ولكن لماذا يرغب في أن يجلب الفرحة لخلقه؟ لماذا لا يفنيهم كلهم ويعود الحال كما كان قبل الخلق؟ هذا يظهر أنه يريد رؤية نفسه في مرآة كاملة، ففي حالة النقص والعذاب كان يرى مرآة منكسرة، ولكن الآن يريد أن يرى مرآة كاملة، يريد أن ينظر في المرآة فيرى عين نفسه، أي نفسه المتطابقة مع الصورة الظاهرة، وليس بالمقارنة العكسية كما هو الحال من قبل. وبالتالي السبب أناني أيضاً ولكنه في هذه المرة سيكون فرحة للخالق وللناس معاً. فرحة للناس لشعورهم بالرضا للاكتمال. وفرحة للخالق لأنه أصبح يرى نفسه في كل مكان ومقام.

وبما أن أساس المرآة الناقصة كان في افتراق الزوجية، أي افتراق الذكر عن الأنثى، فإذن العصر الجديد هو عدم افتراق الذكر عن الأنثى، أي الجمع بين الذكر والأنثى "وجمع الشمس والقمر". "وزاده بسطة في العلم والجسم". فعند الله ثواب الدنيا والآخرة "لله ملك السماوات والأرض" "وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله" فلا فرقة بين أي زوجين في يوم الكمال.

ومن هنا نفهم وجود ظاهرة المفرقين. "فرقوا دينهم" و "يفرقون به ما بين المرء وزوجه" و "ربنا ءاتنا في الدنيا حسنة" "ومالهم في الآخرة من خلاق" و "اتخذوا آلهة من الأرض". فهؤلاء ما يزالون على النظرة القديمة. فمنهم أو أصلهم عارفين يريدون أن يزيدوا من عذاب الناس ويهلكون الحرث والنسل ويعيثون في الأرض فساداً لكي تزداد فرحة الخالق بكماله عندما يرى نقص وعذاب غيره. وهذا هو الأصل الحقيقي لكل المفسدين في الأرض من الناس ولو لم يشعروا بذلك ولو لم يعرفوا أصل الفكرة التي يتبعونها.

"فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا". يوجد ثلاثة عيون للخالق: عين على الواقع الفعلي الحالي، وعين على الطريق، عين على الواقع الآتي بعد تمام الأمر. "فاصبر" واقع الآن السيء الذي يحتاج إلى عمل وصبر. "لحكم" هو الطريق إذ الوسيلة إلى الأرض المقدسة هي اتباع كتاب الله. "لربك" هو الكمال المرغوب عندما يصبح عقل الانسان ونفسه كعقل الرب الأعلى، واحد متوحد يشعر بكل شيء.

فما الذي يمنع الناس من اتباع كتاب الله؟ الجذر الحقيقي هو لأنهم يظنون أن فرحتهم ستكون سبب في تعاسة ربهم، إذ يظنون أنه سينظر إليهم وهم في الزوجية ولوازمها، وإذا رأى أنهم في فرحة فسيشعر أنه ناقص لأنه واحد كامل بذاته، وبالتالي سيتمنى لو كان من عالم الخلق الزوجي، وهذا مستحيل لأنه المطلق المتعالي لا يمكن أن يتقيد ويكون له زوج إذ لا ضد له ولا شيء يكمله من حيث الذات. وبالتالي سيشعر بالعجز التام والفقر الذي لا يمكن علاجه. ولذلك يفضلون الحياة في العذاب والاكتئاب والبؤس الشديد لكي يعطوا الفرحة الأكبر لربهم. فالكافرين والمنافقين هم من يحبون الخالق لذاته ولا يبالون بشيء غيره ولا يبالون بأنفسهم بل يجلدونها ويذبحونها في سبيل فرحة خالقهم. ولعل الكافر الملعون نفسه لا يعرف ذلك. ولكن من قال أن الإنسان يعرف ما يعقل إلا ما رحم ربك. ولذلك "ولقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون" فلو جاء رافض للكتاب وحكمه وتذمّر بعقله الواعي وقال "لماذا أتعذب؟ لماذا جعلتني في هذه الحال يا رب؟" سيريد عليه العالم ويقول "أنت لا تريد فرحة نفسك فكف عن التذمر".

فالمؤمن هو الذي يريد أن يُري الخالق الطور الأعلى من المرآة، وهي توحد وجه الخالق مع واقع المخلوق، فهي فرحة الكل. وهذا عندما ما ترى لكل ذكر وأنثى. وعندما تتيسر المعيشة بزوال نظام النقود والفساد. وعندما يعرف أكثر الناس سر الكتاب. فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. لقد جاءت رسل ربنا بالحق.

فعندما يعمل الناس بكتاب الله ويفهمون أسراره ويكون هو محور حياتهم، فبذلك سيتغير الواقع الحالي وبالتالي تغلق عين الخالق الأولى. وعندما يعمل الناس بحكم الله في شؤونهم لدرجة أنها أصبحت قيم لاشعورية عندهم يحفظونها كطبيعة راسخة في نفوسهم فعند ذلك سينغلق عين

الخالق الثانية. وبذلك سيكون الناس في مقام "اليوم أكملت لكم دينكم" وهي حياة الزواج المشغول بالضحك والمتعة والكلام عن العشق والسر. وبذلك تبقى عين واحدة تنظر إلى مرآة متوحدة، وبذلك يكون الخالق اجتمع مع وجهه في مرآته في توحد تام "وجمع الشمس والقمر" وهذا هو نهاية العمل وبداية الفرحة الدائمة. لمثل هذا فليعمل العامل، وفي هذا فليتنافس المتنافسون.

فإذن نحن الآن في مقام "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً".

...-...

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر مَن ؟

يقول الكتاب العزيز "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"

"أولي الأمر منكم" وليس "أولي أمركم" كما يزعم الطاغوت وجنوده. فلا أحد يتولى أمر أحد من المسلمين. ولكن الولاية هي ما تعلق بأمر الله. أي دينه. "ألا له الخلق والأمر".

لا توجد وصاية إلى على أموال السفهاء الذين لم يبلغوا النكاح من اليتامى. و "أما الذين أسلموا فأولئك تحروا رشدا" وبالتالي لا وصاية على مسلم. ولذلك قال "وجعلكم ملوكا" والذي يوجد من يتولى له أمر نفسه فهذا ليس مسلم ولا ملك بل هو عبد سفيه. "ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه".

ولقد كانت هذه الآية المباركة التي بدأنا بها حديثنا هي الراية التي يرفعها كل فرعون عندما يريد حشد البهائم تحته. وقد بارك شعراء الأحزاب وكهنتهم ومجانينهم وسحرتهم هذه الراية، وبالطبع قَبِلَ الأنعام كلامهم حيث إنهم بلا آذان تسمع كلام الله ولا عقل يفهمه.

لا توجد طاعة إلا لأمر الله. وطاعة الرسول ليست مختلفة عن طاعة الله. إذ الرسول هو الذي يطيع رسالة ربه. ولكن كتاب الله بين كل الناس، ويوجد من المجانين والشعراء والكهنة والسحرة من يستشهد به لكي يؤيد أفكاره، ولذلك قال الله "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول" فيوجد فرق بين استنباط الرسل والأنبياء من كتاب الله وبين استنباط حزب الشعراء منه والذي أكثره كفر لبعض الآيات والكلمات والحروف وإبراز لبعضها بعد بترها وحشوها بأحاديثهم التافهة.

وهذا معنى "صلوا على النبي". فالصلوة هي دراسة كتاب الله، وبالتالي "صلوا على النبي" تعني ادرسوا كتاب الله على النبي. لا تدرسوه على شاعر أو مجنون. ومعلوم أن قولنا " لقد درست كتاب كذا على الشيخ الفلاني" يعني أني تلقيت هذه الدراسة منه وبحسب وجهة نظره. ولكون هذه الاية حاسمة ومفصلية قاموا باختراع فكرة غبية تقول أن "صلوا على النبي" تعني قولوا "اللهم صل على النبي". تصور لو قلت أنت لابنك "يا بني اذهب وسلّم على عمك" فرد امتثالاً لأمرك وقال "يا أبي سلّم على عمي" ! أليس هذا دليل خلل في عقله. كقول الله لليهود اذهبوا وقاتلوا فردوا وقالوا "اذهب أنت وربك فقاتلا". ثم أين أنتم من حكم الله القائل "لم تقولون ما لا تفعلون". فالصلوة على النبي فعل وليست قول مجرد كعمل الشعراء، وهم يعلمون أن الناس لو فهمت "صلوا على النبي" لقتلوهم أجمعين.

ثم انظر إلى فهمهم. يقولون "أطيعوا الله" تعني طاعة القرآن. و"أطيعوا الرسول" تعني طاعة سنة محمد التي دونوها أو ابتكرها شيوخهم. و "أولي الأمر منكم" تعني العلماء والأمراء والسلاطين.

أولاً، "أطيعوا الله". لو أراد أن يقول طاعة القرآن لقال "أطيعوا القرآن" فلماذا هذا التأويل وأنتم ضد التأويلات التي تخالف ظاهر الكتاب على حد قولكم؟ فليس أمامكم إلا أحد أمرين: إما أن تفتحوا باب التأويلات المخالفة لظاهر الكتاب، وإما أن تقولوا أن الله وكتابه واحد، وبالتالي يصبح الكتاب هو الله بالنسبة لنا، والكتاب إنما جاء عن طريق الرسول، وبالتالي تصبح طاعة الرسول هي نفس طاعة الله والتي هي نفس طاعة الكتاب. فإذن كل هذا التفريق بين طاعة القرآن وطاعة السنة يصبح كذب لا داعي له. فاختاروا. والحق هو الاختيار الثاني.

ثانياً. "أطيعوا الرسول". وهنا وقعوا في المأزق الذي لا خروج منه إلا بالتحريف. لأنهم حولوا كلمة "الرسول" لتعني كتاب الأحاديث الذي وضعه فلان وفلان من عامة البشر. أما نحن فلا نبدل كلمات الله. فالرسول تعني الرسول. وكل من يتلو آيات الله بحق فهو رسول الله بحق. ولكنهم يقولون كما قال آل فرعون من قبل "لن يبعث الله من بعده رسولا" "ولن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا". فصدق الله.

ثالثاً "أولي الأمر منكم" لا يوجد هؤلاء إلا بوجود الرسول. وهذا لأن الرسول سيكون له اتباع، وهؤلاء هم الذين سيقولون بالدعوة، و"منكم" تشير إلى محل ظهورهم. فعلى الرسول أن يجعل داعي كل جماعة منهم، وهي الطائفة الخاصة التي تذهب إلى الرسول ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم. ولذلك إذا اختلف ولاة الأمر والقوم فعليهم أن يردوا الأمر إلى الله والرسول. وأما هؤلاء السلاطين فهم وفرعون في مقام واحد. وإنما حصلوا على "السلطان" بذبح الناس. فهل يسمي الله هؤلاء ولاة لأمر دينه؟ "ما لكم كيف تحكمون". وأما العلماء فنعم ولكن من تسمونهم أنتم علماء يسميهم الله شعراء ومجانين وكهنة وسحرة. والعالم بالكتاب له شأن آخر. وأبسط دليل على ذلك كونهم يأخذون أجرة على تعليمهم وكونهم يأخذون بكتب أخرى مع كتاب الله وكونهم لا يعلمون تأويل القرآن. والله يقول "اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون" ويقول " وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم". ويكفي أنهم يزعمون أن الله يأمر الناس بإعطائهم أموال دنيوية ويسمونها زوراً بالزكاة والخمس وما شابه. وكونهم يسمون أنفسهم بألقاب دينية ويريدون أن يشكرهم الناس بشتى أنواع الشكر "إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا". أما السلاطين فلعنة الله قد حلت على كل من سماهم ولاة أمر المسلمين. هل لاحظت التحريف؟ الكتاب يقول "أولي الأمر منكم" وهم جعلوها "أولي أمركم". "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون".

...-...

بسم الله الرحمن الرحيم

عن الزهايمر العام

" إن في ذلك لذكرى ". وصف الله الكتاب بأنه يذكّر، وهذا يلزم أن الناس نسوا، وهذا يلزم أنهم كانوا يعلمون. فتى كنا نعلم الكتاب ؟ قبل أن ننزل إلى الأرض.

قبل أن ننزل في هذه الأجسام كنا نعلم كل شيء. وكنا ملوكا عند الملك الأعلى. ولكننا نسينا كل شيء، ولذلك أنزل الله لنا الكتاب حتى نتذكر كل شيء مرة أخرى. فترجع عقولنا كما كانت في الحالة الأولى. وبالتالي نفهم كل شيء، ونتذكر السبب الذي جعلنا نختار النزول إلى الأرض، وكل شيء آخر من الأسرار والعرش.

وقد يظن بعض المرضى أن "هذا مستحيل ! كيف نكون نعلم كل شيء ثم ننساه وننسى أنفسنا؟" وللإجابة على هذا الاعتراض الذي ما هو إلا من اثار مرض النسيان، خلق الحق في الآفاق لنا آية لتذكرنا بهذا الأمر. أي الزهايمر.

فها هو رجل كان من خيرة الناس وأعقلهم، وأكثرهم إنجازاً ورفعة، ومن أعلم الناس ولعله حائز على جوائز عالمية. ولكن ما أن بلغ السبعين أو الثمانين حتى أصابه مرض النسيان " الزهايمر" وأصبح لا يعرف أي شيء عن ما حوله وعن نفسه، بل حتى اسمه يكون قد نسيه.

الناس في الأرض مصابون بالزهايمر. وكتاب الله هو الدواء الذي سيشفي الناس، أي الملوك الذين نسوا حقيقتهم وعقولهم وسر حياتهم. "وجعلكم ملوكا".

...-...

{ عامي يسأل الملأ العالي }

أراد أحد عامة الناس أن يتنور ويبحث عن الحقيقة المطلقة. فنظر حوله وقال لنفسه "لا شك أن الذي يعلم الحقيقة المطلقة سيكون أدفع من باقي الناس. فإذا أردت أن أصل إليها فعليّ أن أذهب إلى أرفع الناس في المجتمع". فوجد رئيس التجار، ورئيس الطائفة الدينية ورئيس الحكومة في مجمع واحد، فذهب يسألهم عن معاني الأخلاق والقيم السامية. واتفق في ذلك اليوم أن كان هؤلاء الثلاثة قد ألزموا أنفسهم بقول الحق كما هو في الواقع عندهم ولعل ذلك كان بسبب سحر أسود مورس عليهم من قبل مشعوذ ملعون لا بارك الله فيه.

وأراد أن يعرف هذا الشاب معاني هذه الكلمات. "ما العلم، والحلم، والفرح، والزهد، والتفكير، والعبادة، والتوحيد، والعفة، والصدق، والصبر، والشجاعة، والاخلاص، والزواج، واليقين، والعدل، والاحسان"

فقال له التاجر "العلم هو أن تعلم كيف تقوم بالز ,ور التي أفرضها عليك في الوظيفة. والحلم أن لا تغضب عندما يزعجك أسلوبي السيء في الإدرة. والفرح هو أن ترضى بالأجر الزهيد الذي سأعطيك إياه. والزهد هو أن لا تسرق أي شيء من مالي ولا تتطلع إليه فتحسدني. والتفكير هو ترف زائد لا تحتاجه. والعبادة هي أن تحلم بأن الله سيعطيك النعيم الذي سأحرمك منه الآن. والتوحيد هو أن لا تشتت نفسك بالأفكار الغيبية حتى لا تنفق من جهدك ما أستطيع أن آخذه أنا منك من باب أولى. والعفة هي أن ترضى بزوجة واحدة حتى لا تكثر مصاريفك فأضطر هو أن تتحمل الجحيم الذي سأسببه لك. والشجاعة هي أن لا تخشى من الانتصار لي في مواجهة من ينافسني. والاخلاص هو أن لا تغشني وتبيع معلوماتي وأسراري إلى من ينافسني وأن لا تفكر إلا في خدمتي ونفعي. والزواج هو أن تجلب امرأة تجلب لك جهنم الكبرى في بيتك حتى ترى العمل عندي وكأنه جنة الفردوس. واليقين هو أن تصرف أحلامك إلى ما بعد الموت حتى لا تطمع بالزيادة اليوم فأخسر من مالي. والعدل أن تعطيني كل ما أريد ولا أعطيك إلا ما أريد. والاحسان أن تقبل مني كل شيء بابتسامة عريضة وتعمل لي بدون أجر إذا لم أرغب في دفع أجرك لك وإن الله لمع المحسنين".

فظن الشاب أنه قد أدرك الحقيقة المطلقة النكدة، إلا أنه قال "فلأذهب إلى الفقيه لعله يضيف أو يؤكد لي ما سمعته للتو فأزداد وعيا".

فقال له الفقيه "العلم هو ما أخبرك أنه صحيح. والحلم أن تخالف طبيعتك بهدوء وسكينة. والفرح شعور سيأتيك بعد الموت إن أطعتني في كل ما آمرك به. والزهد أن لا تطمح إلى ما في يد سيدي السلطان حتى لا يطردني فأفتقر. والتفكير هو أن تجتهد في قبول السخافات التي

نتقيؤها عليك ليل نهار. والعبادة أن تشغل نفسك عن أمور الأرض حتى تسنى العذاب الذي سنجعلك تحيا فيه. والتوحيد أن تأخذ كل أوامرك مني أنا وحدي. والعفة هي أن تكبت رغباتك الجنسية حتى لا تشعر بالفرحة فتكره التعاسة التي نسببها لك. والصدق هو أن تشهد لنا زوراً عندما نأمرك. والصبر هو تحمّل أفكارنا وطقوسنا السفيهة حتى تموت. والشجاعة أن تقتل من يعارض ديننا بدون أن تهتم لنفسك ولكن تهتم لمصالحنا فقط. والإخلاص أن لا تأخذ أي فكرة إلا مني. والزواج هو أن تجلب لنا أولاد يؤمنوا بتفاهاتنا حتى يكثر عددنا وبالتالي يظن الناس أن عندنا علم وحق إذ الناس تتأثر بالكثرة. واليقين أن تسلّم بكل الأحلام التي نعدك بها. والعدل أن تعمل لنا ما نريد وأن لا تطلب منا شيء في هذه الحياة. والاحسان هو أن تخدم ديننا بكل فرحة حتى لا تشمئز نفوسنا عندما ننظر إليك أو نأمرك".

فتعجب الشاب من اختلاف التعريف بين رجلين في نفس المجتمع بالرغم من أنه سأل عن نفس القيمة. وحيث أنه يبحث عن الحقيقة المطلقة التي تتعالى عن الاختلافات والتي لا يشك اثنان فيها، قال أنه سيجعل الحاكم هو الفاصل بين تعريفات التاجر وتعريفات الفقيه.

فقال له فرعون "العلم هو كل ما يجعلك تعتقد أن حكمي هو أحسن حكم. والحلم أن لا تغضب عندما أهينك وأتعالى عليك أنا وأسرتي وجنودي وأجعل لنفسي ألقاء استعلاء. والفرح أن تفرح كلما أفرح أنا. والزهد أن ترضى بما أعطيك وتتوهم أني وأسرتي في حالة تعاسة روحية وبالتالي لا تطمع بما عندي من النعيم. والتفكير هو أن تفهم ما ألقيه من خطابات تافهة. والعبادة أن تعتقد أن كل ما أفعله أنا هو بأمر الله وبالتالي ترضى به. والتوحيد أن لا تتبع أي ثائر عليّ. والعفة أن تحفظ قوتك الجنسية حتى تنفقها حينما أرسلك لتحارب أعدائي ولتحقق رغبتي في توسيع ملكي. والصدق أن تخبرني بكل أسرار الناس عندما أطلب منك وعن كل من يتكلم عني بسوء وإن لم أطلب منك ولو كان واحداً من أهلك. والصبر أن تتحمل العذاب الذي أنت فيه بسببي. والشجاعة أن تقاتل أعدائي بإقدام وقوة. والاخلاص أن تراني منزها عن العيوب. والزواج هو أن تجلب امرأة تشغلك بمطالبها وسوء خلقها حتى تتمنى الموت وبالتالي تقدم على الحرب بقوة. واليقين أن تحلم بأنك ستدخل الجنة بعد الموت وتتركني وشأني في هذه الحياة. والعدل أن ألعنك وتباركني. والاحسان أن أستعبدك وتشكرني. وقليل من عبادي الشكور".

فخرج الشاب هائماً على وجهه وهو يلعن الحقيقة المطلقة ويلعن الملأ العالي معها.

...-...

نفس الانسان لا يمكن أن تقبل فكرة إلا إن اعتقدت أنها الفكرة "الأحسن". أيا كان هذا الانسان وفي كل زمان ومكان. وهذه استحالة عضوية لا شأن لاختيار الانسان بها. وهذه قاعدة مطلقة لا يمكن لأحد أن يخرج عليها. فإذن هذه هي المسلمة الأولى التي سنبني عليها بحثنا: الانسان إذا عمل فإنه يعتقد أنه يعمل الأحسن.

الأصل في أي نظام حكومي أنه يعتمد على خلق الطبقية وسحق عامة الناس وجعلهم يعملون من أجل أن أحيا أهل الطبقة العليا حياة ترف وزخرفة. والطبقة الوسطى هي التي تنعم بترف العالمين ولا تعاني من قهر الفقرآء العاملين. وعدد هؤلاء في تناقص بحسب سنة المجتمع. فمنهم من يصعد إلى الطبقة العليا وأكثرهم يهبط إلى الطبقة العاملة. وتبقى قلة منهم في موقعها.

فنتساءل: لماذا توفر الطبقة العليا أسباب المعيشة الكريمة للطبقة السفلى؟ فبالنظر إلى ترفهم يبدوا أنهم لو أنفقوا عشر أموالهم على الطبقة العاملة الكادحة لتحسنت أحوالهم. ولكنهم لا يقومون بذلك. والسبب ليس البخل كما يظن البعض، إذ نفس هؤلاء المترفين ينفقون الملايين من أجل أمور تافهة لا يحتاجونها ويعطون البغايا وأشباههم الكثير من الأموال وغير ذلك من أنوا ع التبذير المعروف. والتقتير والتبذير لا يجتمعان في محل واحد في آن واحد. فعادة ما نرى البخيل المقتر يقتر على كل أحد، بل أحيان كثيرة يبخل على نفسه. والعكس صحيح. فإذن يوجد سبب آخر له علاقة بالسياسة العامة.

وقبل أن أضع ما أرى دعونا ننظر في تساؤل: لماذا نسعى أصلاً لكي ترتاح الطبقة العاملة؟ أما أن يقال "لأن هذا من حقوق الإنسان بما هو إنسان" وما شابه فهذا كلام فارغ. فمنذ متى يمكن لإنسان أن يهتم بغير نفسه مباشرة أو غير مباشرة. وأما أن نقول كما يقول الكتاب العزيز "لأن توفر المعيشة الكريمة والزوج للانسان سيجعله يتفرغ للترقي في العلم" وهذا هو الرأي الذي أراه. ولكن يوجد ظاهرة واقعية تقف كإشكالية في وجه هذا القصور.

فنحن نرى من الناس، خاصة أهل الطبقة الوسطى، من تتوفر لهم المعيشة الكريمة بكل سهولة. ويمكن أن تتوفر لهم الزوجة الحسنة ومع ذلك فهم لا يبالون لا بعلم مقدس، ولا بأي شيء. بل يظهر أن كثير منهم يرون القارئ الدارس من المغفلين وأهل السخافة. وكذلك نرى من أهل الطبقة العاملة من إذا توفرت له المعيشة الضرورية الحسنة ذهب يلهث وراء الزيادة حتى أنه يطمع في ما عند أهل الطبقة العالية الذين يلعنهم ليل نهار. ولاشك أنه لا يبالي أن يلعنه الناس ليل نهار إذا كان يمكن أن يكون من المترفين. فإنما يلعنهم لأنه لا يستطيع أن يكون مثلهم. ولو وصل إلى

طبقتهم فلعله سيفعل أضعاف ما يفعلونه. ولن يرى في ذلك بأس، بل لعله يتأول لنفسه ويقول " وتلك الأيام نداولها بين الناس" ويرى أنه منصور من الله.

فعندما نقول أن "الإنسان إذا توفرت له المعيشة الطيبة والزوج الحسن فإنه سيسعى إلى المعرفة" فهذا القول ليس مطلقاً كما هو، بل يحتاج إلى شرح وتفصيل أكثر. إذ إننا نرى في الواقع من يتوفر له الأمرين ولا يسعى لثالث. ولكن قد نقول أنه لا يمكن أصلاً لمن لا علم له أن يحيا حياة يشعر بها بالمعيشة الطيبة أو حتى أن يحسن معاملة زوجه الصالحة. وسرى دائماً أنه ناقص ولو توفرت له كل الضرورات، وسيرى دائماً أن زوجة غيره أحسن من زوجه، وغالباً سيصيب الملل هذه العلاقة الباردة التافهة التي لا يغوص فيها الزوجين إلى جوهر الحياة. ومن دراستي وملاحظتي فإني أرى هذا الرأي.

وهنا يأتي دور الحكومة التي تسحق الشعب، سحقاً نفسياً وجسمياً واجتماعياً. فالعلم الذي هو فهم أسرار العرش، أو عقل الخالق. هو مفتاح الحياة المليئة بالفرحة. والحكومة لا يمكن أن تؤيد وجود فكرة هذا العلم في عقول الناس. إذ مجرد وجودها سيزيل وجودهم. وهذا هو سر عدم طلب أهل الطبقة الوسطى ومن تتوفر لهم المعيشة من العاملين الكادحين، للعلم. لأنهم لا يعرفون أن شيء مثل هذا موجود أصلاً. ولو عرف أحد شيء عنه ولو من بعيد فإنه يظنه خرافة أو كفر فيعرض عنه. وما النبوة والكتاب إلا هذا العلم. وقد قام ويقوم الأحزاب بتحريف الكتاب كما هو معلوم. وبالنتيجة ضاع العلم الحق من عقول الناس. أي الترقي إلى عقل الخالق والاستواء على العرش. ومن هذه النتيجة تنطلق كل أنواع الحكومات مهما اختلفت صورها. ومن هذه النتيجة يبني كل من يسمون أنفسهم مفكرين بحوثهم عن النفس والمجتمع والاقتصاد والسياسة. فعندما يرجع العرش إلى حياة الناس ستزول كل المجتمعات والحكومات "فأتى الله بنيانهم من القواعد فخرّ عليهم السقف من فوقهم. وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون".

فالآن تعالوا ننظر إلى حال الناس ونرى كيف يفكر أهل الطبقة العليا.

المجتمع يحتاج إلى عمال يكدحون. ولو تعرض لهؤلاء العمال من أسباب الراحة ما يكفيهم الحاجة إلى العمل الشاق لامتنعوا عن العمل، أو لطالبوا بالتخفيف. ولذلك علينا أن نبقي العمال في العذاب الأليم دوما. وهذا يأتي بمنفعة أخرى وهي انشغال الناس بشؤون المعيشة وكيفية تحصيل الضروري منها وبالتالي إذا جاءهم رسول من العرش ليرجع لهم فكرة العرش فسيعرضون عنه لانشغالهم بهمومهم والاستيقاظ الباكر غدا للعمل. فنبقى في مراكزنا. وأهل الطبقة الوسطى سيكونون كالجدار العازل الذي يمنع الكادحين من الوصول إلينا. هذه هي سياسة المترفين العامة في كل مكان مع اختلافات بسيطة هنا وهناك.

ففي نهاية المطاف نحن نعلم أن جوهر النفس هو الراحة والكبرياء. وأهل الطبقة العليا يريدون الراحة عن طريق تسخير الجمهور للعمل لهم. ويريدون الكبرياء عن طريق أمور الزينة التي يباهون بها من لا يملك مثلها. واختراعهم لفكرة النقود وكونهم يملكون وسائل المعيشة والزينة يجعلهم يستطيعون أن يحصلوا على أي صنف من أصناف اللذة الجنسية بحسب مقامهم، فإن أراد النساء فله ذلك، وإن أراد الصبيان فله ذلك، وإن أراد عبداً أسود أن يركب عليه فله ذلك. وما الحياة إلا عزم. العلم يجلب الكبرياء ولكن المترفين يسعون إلى الكبرياء من طريق الزينة بأنواعها. والزواج هو ما ذكرنا. والمعيشة يسخرون عامة الناس لها. ولا يوجد غير ذلك في الوجود.

فحياة المترف تدور بين ثلاث كلمات: الزينة وسهولة المعيشة والمتعة الجنسية. وما الفرق بين النبي والمترف إلا فرق بين النوع والوسيلة والغاية. فزينة المترف الشقي هي أمور سخيفة مثله مما تعرفونه. وأما النبي فيتزين بالباطن الفكري أيعلم العرش. والوسيلة التي يسعى بها الشقي لكي يسهل معيشته هي قهر عامة الناس ولكن النبي يسعى لخلق نظام أحسن لعامة الناس وفي الأرض ما يكفي الجميع وزيادة وهذا مثبت علمياً وتجريبياً واقتصادياً. والغاية من الحياة عند المترف المصاب بالزهايمر هي مجرد قتل الوقت بأمر مسلي حتى يأتي الموت الذي يكرهه. وعند النبي هي ترسيخ حكم العرش على الأرض. "وجعلكم ملوكا"، ولا يمكن لمترف أن ينكشف له سر نفسه إلا وسيلعن الترف وأهله أجمعين.

وملاحظة أخرى عن عقلية الحكومة هي أنهم يرون أنفسهم "منقذي الشعب من الفوضى". وهذه فكرة قديمة جديدة لا يزال الناس يكررونها. وهي باختصار أن الحكومة تقول "إذا ذهبنا نحن فإنكم ستقاتلون على السلطة، وستشيع الفوضى. فأن يحكمكم ظالم خير من أن لا يحكمكم أحد" ويتأثر الكثير من العامة بهذه الفكرة. فتعالوا ننظر.

كل جماعة ترغب في أن تسقط حكومة قائمة فإنها تشهر في وجهها مطالب الاصلاح والتجديد. وتنتشر هذه الأفكار على عامة الناس فيصدقونهم قليلا أو كثيرا. ولاحظ أنهم لا يبالون بدعوى حدوث الفوضى، هذه الدعوى التافهة. ثم بعد أن يصلوا إلى السلطة، مع العلم أن السلطة هي مجرد فكرة في عقول الجمهور. ويقضوا على الحكومة القديمة. وعندها ينسون الاصلاح والتجديد، وينشرون أفكاراً كثيراً لكي يمنعوا الناس من اسقاطهم، ومن أبرز هذه الأفكار فكرة وقوع الفوضى التي ذكرناها.

وهذه السنة ليست من شأن الحكومات فقط بل أيضاً في المذاهب الفكرية والأديان. فترى صاحب الدين المستضعف يدعوا في البداية إلى حرية الرأي وعدم اتباع الآباء والجدل والبرهان، وكل ذلك فقط لكي يجد نافذة يستطيع أن يخترق بها الدين السائد. حتى إذا انتصر، وانتشر دينه فعندها

يبدأ في نشر فكرة "لزوم الجماعة" وقتل المرتد. واخراس الألسنة لأنها تسبب فتنة، والفتنة أشد من القتل. وما أشبه من هذه الأفكار التي تعرفونها وتسمعونها ليل نهار.

وهذا من مظاهر جوهر النفس، ويثبت أكثر أن العقل لا يفكر بالمنطق ولكن بالرغبة في الراحة والكبر. فإن كان المنطق يؤدي إلى تحقيق رغبة النفس في الراحة والكبر. فعندها يصبح المنطق من أشرف علوم الانسانية، ولكن إن كان المنطق سيدمر حكومتي وديني، فعندها سنشهر في وجه الناس المقولة الراقية "من تمنطق فقد تزندق" وإن الدين مبني على التسليم وليس على الاقناع والتفهيم.

ومن زاوية أخرى. فإننا نعلم أن قلة من الناس هم الذين سيفهمون، في الوقت الراهن على الأقل. وعقل هؤلاء سيمكنهم من أن يبلغوا الطبقة الوسطى التي لا تحيا الحيوة الدنيا كالمترفين وعندها وقت للتفرغ للدراسة بطمأنينة بعكس المقهورين. وبالتالي سحق العالين للعاملين يؤدي إلى راحة المؤمنين. لأنهم لن يهتموا بشؤون الحكومة وينشغلوا بها، وكذلك سيجدون دوما عبد مقهور ليعمل لهم ما يحتاجون إليه من شؤون المعيشة، وبذلك يتفرغون للعلم. ولعل هذا هو سر تدبير المجتمع وسيره على هذه السنة منذ قديم الزمان إلى يومنا الحالي. وبذلك يمكن أن نرى يد الله التي خلقت لنا الحكام لكي يوفروا لنا الأمان، وخلقت لنا الأنعام ليوفروا لنا الطعام. إن هذه فكرة عظيمة لمن يفهمها. فتدبر فيها جيداً.

ولكن هذه الفكرة هي مخرج قانوني أكثر منها عمل إصلاحي. فهي تبرر عدم تدخل المؤمن في أي شيء وانعزاله أو باختصار استغلاله للواقع كما هو. فالناس لا تريد أصلاً أن تسمع للرسل، فعليهم أن يتحملوا العذاب إذن. فإن يصبروا أو لا يصبروا سواء عليهم، إنما يجزون ما كانوا يعملون. وإن شئت قم بهذه التجربة: احضر أحد الفقرآء، وفهمه وجود علم العرش وأنه هو سر الحياة. ثم وفر له المعيشة والزوجة. ثم انظر هل سينشغل بالعلم أم ماذا. وأغلب الظن أنه لن يبالي لا بعلم ولا يحزنون. ولعله سيرى أنك موسوس تحتاج إلى طبيب نفساني.

فعلينا نحن المؤمنين أن نحدد موقعنا جيداً. هل نريد أن نستغل الواقع كما هو. ونعمل لأن نكون في الطبقة الوسطى. وندع المترفين يحاربون المقهورين، وننشغل نحن بحياتنا وأزواجنا ودراستنا، ونفرح بالله ولا نلتفت إلى أي شيء آخر؟ هذا ممكن، لعله سهل التحقيق إلى درجة بعيدة. أم هل نريد أن نضع منهجاً عميقاً كاملاً لإزالة القهر وإصلاح الحكومة؟ هذا أيضاً ممكن ولكنه احتمال ضعيف. ومن واقع الناس ومعرفتنا بالتاريخ والنفوس فيظهر أن الناس تحب أن تنجلد بالسياط. ومن علمنا بكتاب الله يظهر أنه لن يؤمن إلا قليل فقط "وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين". فكل الوقائع والأدلة تشير إلى أن أكثر الناس سيظلون أنعاماً والحكومات ستزداد طغياناً. وبالتالي من الأحسن أن لا يلهث المؤمن كالكلب وراء الأحلام السيئة.

ولكن يوجد طريق وسط بين عدم الالتفات إلى الاصلاح وبين السكر به، وهو أن نلزم الحياد مع نشر العلم شيئاً فشيئاً. والتوسع شيئاً فشيئاً. كالشمس عندما تشرق. فتأمل جيداً فيما سأقوله الآن فإنه من خلاصة للدراسة الطويلة.

علينا أن نركز على ثلاث جوانب من الحياة الاجتماعية: علم النفس، وعلم التفسير، والتحكيم.

أما علم النفس. فمنه نبدأ نعالج نفوس الناس. وبذلك نصلح المجتمع من قاعدته. ونكسب معيشتنا من هنا، إذ العمل سهل وممتع وفيه من الاستزادة من التعمق في النفس الشيء الكثير، ومعلوم أن علم النفس هو أهم ما في الوجود.

وأما علم التفسير. فمنه نبدأ نعالج دين الناس. وبذلك نصلح أهم عامل من عوامل الحياة ألا وهو الدين. ونعمل على إرجاع الصلوة كهدف رئيسي ومحوري. أي جعل كل إنسان يدرس الكتاب العزيز وترسيخ فكرة العرش. ومن ما يفتح الله علينا وبعدم أخذنا أي أجرة أو شكر على تعليمنا فإن الله سيجعل الناس تتحلق حولنا كما يتحلق الفراش المبثوث حول النور. ومعلوم أن تفسير القرآن هو دم حياتنا. وإنما نفعل ما نفعل لأننا نريد أكثر الناس أن تفهم عقل الخالق المتعالي لكي يكبر "وربك فكبر".

وأما التحكيم. فبه نجعل الناس تبتعد ولو قليلاً عن محاكم الدولة المعقدة والسيئة في أكثر الأحيان. ونحكم بينهم بحكم العرش مما يجعل الناس تبدأ تتذوق حلاوة حكم العرش. وهذه منفعة واضحة للناس. وكذلك لا نأخذ أجرة على الحكم بما أنزل الله. فإنما نحن رسل الله ونأخذ أجرنا منه وما نحصل عليه من المعالجة النفسية، خاصة في هذه المجتمعات التي يحترق الناس فيها تحت لهيب جهنم، فلعلنا نصبح من المترفين في يوم من الأيام !

ولاحظ أن الأعمال الثلاثة التي ذكرتها لا تكلف فيها. إذ نحن نحيا أصلاً تعلم كتاب الله الذي يبين كل أسرار هذه الأعمال. فسواء نشرناها وعلمناها الناس أم لم ننشرها فنحن لن نتكلف شيئاً. بل بالعكس. نشرها سيزيدنا قوة وبصيرة من ردود الفعل والتجارب الكثيرة التي سنمر بها. فنحن بين علم في بيوتنا وعلم في أعمالنا. فصدق ربنا القائل عن حياتنا "نور على نور".

فقسموا أوقاتكم بين هذه الأعمال الثلاثة.

ومن علم الله يظهر أن رجالاً ونساء من الطبقة العليا سوف يتبعونكم، ولعل الرجال سيتبعونكم بسبب تفسيركم لكتاب الله، والنساء سيتبعونكم لهذا ولعلاجكم النفسي الذي تقدموه لهن. وأما التحكيم فلا تعولوا عليه كثيراً، ولعله يرتفع بكم بعد حين، خاصة بعد اشتهاركم في أمر التفسير. وهؤلاء الرجال والنساء سيعملون على الاصلاح من داخل طبقتهم، وستنقسم الطبقة من جراء

ذلك، وعندها ستسلط الأعين عليكم، ولعلكم تضطرون عندها إلى الهجرة، ولذلك فما إن تبدأ أموالكم في الزيادة فاعملوا على أن تشتروا بيوتاً في بلاد آمنة وافعلوا كل ما من شأنه أن يؤمنكم. وعلى كل الأحوال فأن يكون لكم بيوت في أكثر من بلدة خير من أكثر من ناحية.

أعود فأقول: هل رأيتم كيف ستتحول الدعوة إلى أذى لكم عاجلاً أم آجلاً. أما التحليل النفسي فأقصا ما يقال فيكم أنكم ملاحدة أو ما شابه. ولن يؤثر هذا في قدوم الناس إليكم للعلاج. وأما التحكيم فمثلكم مثل أي قانوني أو مفتي من حيث الظاهر. ولكن ما سيسبب لكم الأذى هو تصديكم لشرح كتاب الله للناس، ودعوة الناس إلى دراسته. ولا أرى لهذا مخرجاً إلا بأن تعلموا الأقارب فقط، وهكذا يعلم كل قريب أقاربه حتى تنتشر الفكرة. أو أن تهاجروا إلى أرض يكون لكم الحق في قول ما تشاؤون، مع العلم أن هذا سيصغر من شأنكم في أعين قومكم، وستظهرون بمظهر الخونة أو الأب الذي هجر أبناءه. فليس أمامكم إلا تحمل الأذى الذي قد يصيبكم، وعسى ربكم أن يكف بأس الذين كفروا. هذا لمن يريد منكم درجة الرسل. فإنما تنال المقامات بالأعمال.

...-...

{ السؤال الأعظم لمن يقول أن "الله شخص" }

١- إما أن الله في مكان. وإما أنه ليس في مكان.

٢- فإن كان الله محدود في حير المكان. فإذن المكان أكبر من الله. إذ الحاوي أكبر من المحوي. وبالتالي يكون الله مخلوق مثله مثل المكان الذي يحويه.

٣- وإن لم يكن الله في مكان محدد، فهذا يعني أنه مطلق الذات، وبالتالي فهو في كل مكان، بل لا يوجد سواه أصلا. فكل شيء هو الله والله هو كل شيء. فإذن أنا الله. ولكن الله يفترض أنه مطلق العلم والقدرة. وأنا ناقص العلم والقدرة. وبالتالي أنا لست الله. فإذن الله ليس مطلق الذات.

٤- وبناء على ذلك، لا يمكن أن نقول أن الله "في مكان" ولا أن نقول "ليس في مكان". فإذن إما أن الله غير موجود وهو مجرد فكرة اخترعها عقل بشر. وإما أن فهمنا لاسم الله فهم جاهلي تشخيصي.

٥- فإما الالحاد، وإما جعل الله هو الكتاب والمثل الأعلى. وبالتالي لا يمكن لعالم إلا أن يكون ملحداً، أو يرى أن الكتاب العربي المتعالي هو عين الله.

هذا ما أرى، فانظر ماذا ترى.

...—...

بسم الله الرحمن الرحيم

{ سورة الفاتحة }

.افتتاح القرءآن بذكر الاسم ودخوله فوراً إلى مستوى الكثرة الأسمائية. إعلان بماهية هذا التجلي في هذا الكتاب، وهو إعلان حتمي بماهية هذا الكتاب. وهذا غير ذكر الماهية الإلهية، أي من حيث الهوية المطلقة اللامتناهية للحق تبارك وتعالى، كأن يبدأ بقوله "هو الله". بل البدء حتى لم يكن كلاماً من نفس الله تعالى، أي ليس كلاماً ككلامه مع موسى بضميره الذاتي "إنني أنا الله لا إله إلا أنا" فالتعريف في بداية الفاتحة تعريف من جهة العبد متوجهاً إلى حضرة الحق تعالى. وهذا ظاهر في بقية السورة كذلك. ما دلالة هذا؟ هذا يدل على أن هذا القرءآن هو سعي الانسان في اتجاه الله تعالى، وهذا هو الأصل. وليس اتجاه الله للانسان. فالله تعالى غني عن العالمين. فالقرءان وسيلة الفقراء إلى الله إلى الله. وسورة الفاتحة هي التوجه الأكمل للفقير الأكمل-أي الذي وعى كل أسرار الوجود عموماً ووجوده الخاص خصوصاً، واكتمل نور كشفه من هذه الحيثية- ومن هذا المقام توجه إلى الحق تعالى بلسان الافتقار المحض، والثمرة هي هذه السورة المباركة، فليس بكثير أو بغلو لو قلنا: إن كل سور القرءان العظيم تفصيل لسورة الفاتحة، وسورة الفاتحة تفصيل للحالة الانسانية في هذا الوجود وماهية كمالها ووسيلته.

."بسم الله الرحمن الرحيم"-"رب العالمين"-"ملك يوم الدين". هذا هو الايمان بالله، وشامل لمطلب التوحيد الذاتي والأسمائي والأفعالي الربوبي. وفيه مطلب الأسماء الحسنى، ولأي الأسماء السيادة عموماً، وفي التعامل مع الناس خصوصاً. فكل ما له علاقة بالمعرفة الإلهية كامن في هذه الآيات والسمات الكريمة. والتكرار الظاهري لاسمي "الرحمن الرحيم" يدل فيما يدل على أن الرحمة بمختلف معانيها ومستوياتها هي الحاكمة على الناس كلهم، قبل الحمد وبعد الحمد، فمن لا يحمد الله محكوم بالرحمة، ومن يحمد الله محكوم بالرحمة. والفرق هو في الرحمة المستقيمة أو الرحمة المعوجة وهذا يعود إلى أي الفرق من الناس ينتمي الانسان. فالدولة لاسمي الرحمن والرحيم في المحصلة. "ورحمتي وسعت كل شيء" هذه لكل الناس، "فسأكتبها للذين" هذه للمنعم عليهم.

."الحمد لله"-"إياك نعبد وإياك نستعين"-"اهدنا الصراط المستقيم" هذه عبادة الانسان، وسر سعادته، وحقيقة مقامه وحاله، وغايته وطريقته.

."صرط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين". هذه فرق الناس وتقسيماتهم بحسب العين القرءانية. وأي تقسيم غيره فهو تابع له حتماً وصورة من صوره.

.المفردات: الاسم، الحمد، رب، العالمين، ملك، يوم، الدين، العبادة، الاستعانة، الهداية، الصرط، المستقيم، النعمة، الغضب، الضلالة، الألوهية، الرحمة.

ثمانية متعلقة بالله (٨: الاسم، رب، ملك، النعمة، الغضب، الضلالة، الألوهية، الرحمة)، أربعة متعلقة بالناس (٤: الحمد، العبادة، الاستعانة، الهداية)، اثنان متعلقان بالعالم الخارجي الموضوعي (٢: العالمين، يوم الدين)، اثنان متعلقان بمسيرة الانسان (٢: الصرط، المستقيم).

.العالمين-يوم الدين (مكان)- يوم (زمان).

.ثلاث عوالم: الله، الرحمن، الرحيم. "العلمين" أي عالَم الرحمن وعالَم الرحيم. فالعوالم مظهر الأسماء.

.لاحظ: ليس سنعبد وليس سنستعين. فالأمر ناجز واقعاً.والفرق هو في الوعي به.

. إن حصلت العبادة والاستعانة فالنتيجة يوم الدين هي منعم عليهم غير مغضوب عليهم ولا ضالين.

إن حصلت العبادة بدون استعانة فالنتيجة منعم عليهم غير مغضوب عليهم لكن ضالين.

إن لم تحصل العبادة وحصلت الاستعانة فالنتيجة منعم عليهم مغضوب عليهم لا ضالين.

إن لم تحصل لا العبادة ولا الاستعانة فالنتيجة منعم عليهم مغضوب عليهم وضالين.

. العبادة مربوطة بالغضب.

الاستعانة مربوطة بالضلال.

. الله مرتبط بنعبد.

الرحمن مرتبط بنستعين.

الرحيم مرتبط باهدنا.

. يوم الدين أربع فرق. منعم عليهم غير مغضوب عليهم ولا ضالين. ومنعم عليهم مغضوب عليهم ضالين. ومنعهم عليهم مغضوب عليهم لا ضالين. ومنعم عليهم غير مغضوب عليهم ولا ضالين. فالكل على صراط ولكن ليس الكل على صراط مستقيم. فالسر: الاستقامة (أقصر الطرق) [الراحة] #

. الرحمن مرتبط بالغضب. والرحيم مرتبط بالضلال. والله مرتبط فقط بالنعمة. والرحمن والرحيم أيضاً مرتبطين بالنعمة.

. الأسماء الظاهرة:
١ الله - النعمة - نعبد.
٢ الرحمن —> الغضب —> نستبعين —>العبادة.
٣ الرحيم —> الضلال —> اهدنا —> الاستعانة.
٤ رب العالمين.
٥ ملك يوم الدين.

. الحمد—>رب العالمين/الرحمن الرحيم/ملك يوم الدين.

. عقل: "لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم". كل آية من الفاتحة باب من أبواب جهنم لمن يناقض مفهومها ومضمونها.

. حروف لم تذكر (٧-٨ء) : ث ، ج ، خ ، ز ، ش ، ظ ، ف .

. عــدد ذكــر الحــروف : ٤ ب - ٣ س - ١٥ مـ - ٢٢ أ - ٢٢ ل - ٥ هـ - ٥ حـ - ١١ن - ١٤ي -٤د- ٨ر - ٦ع - ٣ك - ٣و - ٣ت - ٢ص -٢ط - ١ق - ١ذ - ٢غ - ٢ض. ٢١ حـرف (بـلا مـكرر). (ترتيب الظهور).

= ٧ آيات. عدد حروف كل آية بحسب ترتيبها.
١٩ - ١٨ - ١٢ - ١١ - ١٩ - ١٨ - ٤٣ (١٠٠+٤٠) = ١٤٠ حرف (بالمكرر).

الحروف:
الحرف ب ، عدد ذكره ٤، الكلمات : بسم ، رب ، نعبد ، المغضوب.
الحرف س، عدد ذكره ٣، الكلمات: بسم، نستعين، المستقيم.
م ، ١٥ ، بسم، الرحمن، الرحيم، الحمد، العلمين، الرحمن، الرحيم، ملك، يوم، المستقيم، أنعمت، عليهم، المغضوب، عليهم.
أ ، ٢٢ ، الله، الرحمن، الرحيم، الحمد، العلمين، الرحمن، الرحيم، الدين، إياك، إياك، اهدنا، الصرط، المستقيم، الذين، أنعمت، المغضوب، لا، الضالين.

. الحرف : ق - د . تكرر ذكره ١.
الحرف : ص-ط-غ-ض ، عدد ذكره ٢.
س-ك-و-ت ، ٣.
ب-د، ٤.
هـ-ح ، ٥.

ع، ٦.
ر، ٨.
ن، ١١.
ي، ١٤.
م، ١٥.
ا-ل، ٢٢.
إذن توجد أربع مستويات من حيث عدد تكرار ذكر الحرف.
المستوى الأول يتضمن الحروف: ق، ص، س، ب، هـ، ع، ر، ن، ي، م، ا.
المستوى الثاني: ذ، ط، ك، د، ح، ل.
المستوى الثالث: غ، و.
المستوى الرابع: ض، ت.
. الحروف التي لم تذكر، بحسب أول أشباهها ظهوراً: ث، ش، ج/خ (نزع لا يُحل)، ز، ظ، ف.
.)الفكرة: نفس الحروف الواردة في كلمات، تدل على ارتباط خاص بين معاني الكلمات.
+فكرة أخرى: ترتيب حروف العربية بدلاً من أبجد وأبتث، بناء على ذكر أول الحروف ظهوراً في الفاتحة ثم بناء على أول الحروف بحسب الشبه. فيصبح الترتيب هكذا :
{ ب س م ا ل هـ ح ن ي د ر ع ك و ت ص ط ق ذ غ ض ث ش خ ج ز ظ ف }
تنبيه: تم حلّ النزاع الآن إذ خطر لي وأنا أنسخ هذا وأكتب الترتيب الذي لم يرد في الورقة التي أنسخها، وخط لي حل النزاع بين الجيم والخاء بناء على أولهما ظهوراً في القرءآن بعد الفاتحة، فلما نظرت وجدت الخاء ذكرت قبل الجيم وذلك في الآية الرابعة من سورة البقرة "وبالآخرة هم يوقنون". فتم تقديم الخاء على الجيم لذلك فنبدأ بما بدأ الله به كما قدّم النبي صلى الله عليه وسلم الطواف بالصفا على المروة بحجّة أن الله بدأ بذكر الصفا "إن الصفا والمروة" فقال النبي " نبدأ بما بدأ الله به" وهكذا هنا بدأ الله بالخاء قبل الجيم. فالحمد لله على القرءان الذي لا يبقى نزاع إلا حلّه ولا خلاف إلا وحكم فيه بحكم ما.
ملحوظة أخرى : يمكن وضع ترتيب آخر لحروف العربية وذلك بناء على ما ورد في الفاتحة ثم بناء على ما ورد في البقرة، أي لا نأخذ بما يشبه الفاتحة بل نكمل بالنظر في الحروف (ث، ش، ج، خ، ز، ظ، ف) ونرى ترتيب ظهورهم في البقرة. فالقسم الأول من الباء إلى الضاد هو بحسب الفاتحة في الحالتين، لكن من الثاء إلى الفاء نأخذ بالبقرة، عليه سيكون الترتيب هكذا:
{ ب س م ا ل هـ ح ن ي د ر ع ك و ت ص ط ق ذ غ ض ز ف خ ش ظ ج ث }

. عدد الآيات بحسب العد بالتكرار :
٤+٣+١٥+٢٢+٤٤+٥+٤٤+٥+٨+٥+١٥+١١+٤٤+٨+٥+١٤+١٥= ٣٦٢

. "أنعمت" سمة لله. —> عليهم : من خارجهم
"مغضوب" الغاضب غير معين هنا —> عليهم : من خارجهم
في كلاهما الكائن مغاير لهم بالذات وأعلى منهم.
"الضالين" سمة للعبيد —> -

. "رب" — "ملك". فالكل عبد مملوك في كلا المقامين واليومين.

<u>: وصف التركيب :</u>
الآيات : ٧
الحروف كلها :١٤٠
الحروف المذكورة : ٢١
الكلمات : ٢٩ (٢ و)

ورد الفاتحة :
تلاوتها ١٤٠ مرة، ٧ مرات يومياً، لمدة شهر، لمدة ٢١ شهراً.

عدد كلمات كل آية : ٤-٤-٢-٣-٤-٣-٩

....

مفاتيح خزائن علم الأسماء الحسنى.

كل اسم له حقيقة بالنسبة للرحمن ويظهر في الأكوان والإنسان والقرءان.

(أ) بالنسبة للرحمن :
١-المعنى يتعلق بذاته الأحدية.
٢-علاقة الذات بالأسماء الحسنى.
٣-علاقة الأسماء بعضها ببعض.
٤-علاقة الذات بالأعيان الثابتة.
٥-علاقة الأسماء بالأعيان الثابتة.

(ب) بالنسبة للأكوان:
١-المعنى يتعلق بعلاقة طبقات الأكوان العزّية والجبروتية والملكوتية والملكية بعضها ببعض.
٢-علاقة أفراد كل طبقة بأفراد من فوقهم ومن مثلهم ومن تحتهم.
٣-علاقة الأفراد بالقطب.

(ج) بالنسبة للإنسان:
١-المعنى يتعلق بعلاقة طبقات وجود الإنسان السرّية والروحية والنفسية والجسمية بعضها ببعض
٢-علاقة الناس ببعضهم امداداً واستمداداً.
٣-مقام الإنسان في الكون كروح الكون وخليفة الله فيه.

(د) بالنسبة للقرءان:
١-المعنى يتعلق بصفات القرءان الذاتية.
٢-علاقته بالأكوان دنيا وآخرة.
٣-علاقته بالإنسان المؤمن والكافر به.
٤-كون القرءآن وسيلة رابطة خاصة بين الإنسان والله.

ملحوظة: وجدت هذه الورقة مطبوعة بين أوراقي ولعلي كتبتها من قبل في كتاب من كتبي لكني لا أدري بيقين تام، ولأهمية المقالة نسختها هنا احتياطاً. ولعل هذه المقالة من أعلى وأهم ما كتبته بفضل الله تعالى.

....

(في الطرق إلى الروح)

الإنسان خمسة عناصر أو أجزاء، وكل شيء يريده الإنسان أو يجب أن يسعى له للفضل والرفعة، يجب أن يكون ضمن هذه المكونات الخمسة، وهي الجسم والنفس والعقل والقلب والسر.

الروح التي هي مجمع البحرين، التنزيل والتأويل والظاهر والباطن، وفيها كل علم ومعرفة في الإمكان، ومن نورها يعرف من يعرف وباحتجاب القلب عنها يجهل من يجهل، وهي مجمع أمر الله، وأوامره ودينه وشؤونه، "قل الروح من أمر ربي"، والروح في السر، "إنا أنزلناه في ليلة القدر..الروح فيها". فالروح بنفسها متجلية بكل ما فيها لكل قلب، وإنما يمنع أن يكون الناس كلهم كاملي المعرفة والعلم شيئان، الذنوب التي هي سواء وران على القلب الذي هو كالمرآة للروح، وَإذن الله للملائكة، الأنوار، بأن تظهر أمراً وتخفي أمراً، فإن غفر الله كل الذنوب، كلها مطلقاً، وأذن لكل الملائكة بأن تتنزل على سر العبد، كل الملائكة مطلقاً، صار الإنسان كلّي العلم والمعرفة بكل الأمور الظاهرة والباطنة، الآفاقية والنفسية والإلهية.

للروح طريقان لا ثالث لهما، وأعني هنا الطريق إلى الروح لكي تكون معلم للإنسان كل ما يسأله عنه، وهو علم الإمام الإلهي، ومن هنا كان الإمام لا يجهل شيء لا بمعنى أنه كلي المعرفة والعلم، وإنما لأن الله يعلم كل ما يسأله هو عنه أو سيسأله أحد عنده فإن شغل الإمام عن أمر وأجاب رأساً فليس معناه ذلك أن ثمة ملاكاً يهمس في أذنه ليجيب وهو مجرّد آلة جسمانية تتحدث إلى الناس بما يهمس المَلَك، وهذا توهم العامة في الأنبياء والأولياء، وإنما [يكون] الإمام، بدافع طلبه الدائم للعلم والمعرفة ودوام تأمله في كل شيء، يكون قد سأل الله هذا السؤال من قبل أو خطر له هذا السؤال من قبل، فأوتي الإجابة، فأجاب رأساً لما سُئل نفس السؤال.

والطريقان هما الموت الإرادي، والتدبر في كتاب الله.

الموت الإرادي هو أن يقتل الإنسان عناصره الأربعة كلها، فلا تبقى إلا شيئيته الإمكانية، التي هي عين ذاته بما هو هو، فلا يبقى لهذه الذاتية محل تسكن فيه إلا السر، فتكون قد وصلت إلى الروح، وهذا هو الطريق الذي يأخذ سنين، ومجاهدة وصيام وصلوات واعتزال، وصمت، وبذل كل المال، وعدم التفكر في شيء بالعقل والتحليل المنطقي، مداومة ذكر الله بالقلب حتى ينفجر القلب ويبقى الله، ومعلوم أنه استحالة أن يقتل أحد العناصر الأربعة قتلاً تاماً، وإلا مات، ولكن المقصود هو أن يصل إلى أقل حالة قبل الموت، والقريب من الشيء كالشيء، ومن تشبه بقوم فهو منهم، ولذلك كان الأنبياء والأولياء يعتزلون في الكهوف أو بيوتهم، ويلازمون الأذكار والأوراد والصلوات والمجاهدات، إنما أرادوا أن يستقروا في الروح ثم يصدروا عنها، ويبنوا قلوبهم وعقولهم وأجسامهم ونفوسهم منها وبها، فيكون إلهيين النشأة، نورانيين الطبيعة، إنسانيين النزعة، مِنْ ثمة

جعلهم الله أسوة حسنة ونجوم هداة، "وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون".

"وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" هو أنه جعل الله الروح وما فيها من علم ومعارف في كتاب يقرأه الناس، وجعل هذا الكتاب باباً للروح التي في السرّ، وجعل فيه العلم الذي في الروح، فبدل أن كانت الروح محجوبة من غير الأنبياء، صارت بين يدي العالمين، الناس أجمعيين، فأراد الله أن يصير كل الناس أنبياء، ولذلك ختم النبوة الأولى بمحمد صلى الله عليه وآله، لأنه لا نبوة تعليم بعد التنزيل المبارك، وبما أن الروح كالكتاب من حيث أن فيها العلم ومنها يتعلم الناس وبها، قال تعالى لمن قالوا للنبي صلى الله عليه وآله، يريدون المعجزات الحسية والهباء المنثور "أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم" الكتاب هو الروح، ولكن الجهلة وإخوان الشياطين نشروا بين الناس أن كان هناك أنبياء بمعجزات حسية مادية، ولم يفهموا ما معنى ما نُسب للأنبياء من الخوارق، والسبب في نشرهم هذا هو لكي يصدّوا الناس عن سبيل الله والروح والولاية، و[يرأسوا] هم الناس ويأكلوا من ظهورهم وينالوا جاه الدنيا وعرضها، لأنه إن جاء نبي بالحق، نبي حقيقي صادر من الله، يريد الاصلاح ما استطاع، واجهه الرؤوساء، الأئمة الذين يدعون إلى نار الحجاب والجهل والظلم، وواجهه من بعدهم العوام الأنعام الذين لا يدرون ما يُفعل بهم، وقالوا له، إن الأنبياء آتاهم الله معجزات تؤيدهم، فاتنا أنت بكل ما أتوا هم حتى نصدقك، ولما كان هذا لا يقع لأن الله يقول الحق وما الفائدة إن كان سيشق البحر أو يطير في السماء، فإنه بعد ذلك لن يؤمن به أحد حتى يشق له البحر أو يطير في السماء، فيقضي النبي طول حياته يشق البحار ويطير في السماء، وأي نبوة هذه، وهذا عين ما واجه به الجهلة أيام النبي محمد صلى الله عليه وآله، قالوا له، انزل علينا كنز واخرق لنا الأرض وأخرج لنا كذا وافعل لنا كذا، فما كان ردّه إلا أن قال "سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً" أي هكذا أنتم تفهمون ما نُسب إلى الأنبياء، هذا حقكم. هذا ما تحتاجونه [لتقبلوا] قولي وتهاجروا إلى الله وتحيوا معه، أأحتاج أن أنزل لكم خشباً من السماء على شكل صندوق حتى تؤمنوا أن الحياة [بغير] الله ليست حياة لنا نحن البشر، وما زال الناس يصرّون على الجهل والقول بالمعجزات الوهمية، وما ثمرة مقولاتهم هذه، إذ بالثمرة تعرف الشجرة، ثمرتها تقليد الآباء والطعن في الدين والانطواء على النفس، والقتل باسم الجهاد، والغزو باسم الفتوحات، والحرب باسم السلام، والكلام الفارغ باسم الفقه، والبعد عن كتاب الله باسم التقديس له وضرورة الأحاديث [المقراة]، وهجر القرآن باسم التكلم بالرأي، والغباء المنتشر باسم سد الذرائع وبطلان الفلسفة ومحدودية العقل، وعدم الاهتمام بالجسم باسم الزهد، اللامبالاة بالدنيا حتى صارت البشاعة والبدانة سمة النساء والرجال في عالم الدين المزعوم، الذي لا أراه إلا دين إبليس، والسطحية المفرطة والتعمق في الجدل باسم ترك الغلو في الدين وعدم الاختلاف في العقائد، والكثير الكثير الذي سببه وأصله مقولة واحدة، وهي المعجزات الحسية تتبعها ضرورة مقولة احتكار الأنبياء السابقين للروح الإلهية، تتبعها ضرورة انسداد الوصول إلى الله والأخذ عنه والسماع منه، تتبعها ضرورة اتباع الآباء الذين رويت عنهم الآثار والأخبار التي

هـي الطريق الوحيد للعلم، تتبعها ضرورة ترك كتاب الله لأنه ذهب الذين يعلمون فيما أنزل، ومواقع الخطاب فيه، يتبعها ضرورة نشوء نظام أو مؤسسة دينية تحصر الحق فيما تقول وتكوين مرجعية للناس في أو دينهم ويكفر من يخرج عليها ويضل من لا مرجع أو شيخ له، يتبعها ضرورة نيل هذه الطبقة ميزات مالية وإجلالية تجعلهم لا يبالون أين الحق طالما أنهم على كراسيهم ومِنْ ثمة يحاربون كل شيء، قد يجعل الناس تكفر بهم. باسم الدين طبعاً، يتبعها ضرورة صيرورة الناس أغبياء بهائم في ثياب بشر، وعندها يكون قد انتصر إبليس وصدق ظنه في بني آدم.

فالبشر إذن أربعة لا خامس لهم، ثلاثة في حزب الله، وواحدة في حزب الشيطان.
فرجل سلك إلى الروح بالموت الإرادي، ورجل سلك إلى الروح بالتدبر في كتاب الله، ورجل سافر إلى الروح بالموت الإرادي والتدبر في كتاب الله، هذا الأخير هو الإمام الإلهي الذي على العقلاء الالتفاف حوله والأخذ منه وطاعته بالحب والإرادة والاختيار، وهو ممثل حزب الله على الأرض في فترة حياته ومكانه، ورجل لا حظ له من الروح، لا بالموت الإرادي لكفره بهذا الطريق أصلاً لأي سبب كان، ولا بالتدبر في كتاب الله إذ حتى لو قرأه [الناوي] وهو لا يعلم ما كتاب الله أصلاً يقرأه للحسنات وما شابه ولا يعلم درجاته وأعماقه وفي ماذا يتكلم أصلاً، فذا وأتباعه كلهم، الذين هم أكثر من في الأرض، هم حزب الشيطان. وحزب الشيطان هم الخاسرون. وإن جندنا لهم المنصورون.
"وبشّر عباد. الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه" وأحسنه هنا هو أن تسلك إلى الروح بالموت الإرادي والتدبر في الكتاب الإلهي، "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع الصابرين المحسنين.

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. وصلى الله على النبي وعلي وآله الطاهرين، والحمد لله رب العالمين.

....

بسم الله الرحمن الرحيم
(فواتح البقرة)

{ الم } الرجوع إلى البسائط وأوائل الأشياء المركبة والمعقدة. أعد النظر في حياتك كلها بكل تفاصيلها ولكن اعمل على استخلاص العناصر الأولية البسيطة التي تتشكّل بقية المظاهر منها. مثلاً، في تقييم ما تحتاجه لكي تعيش، وهو أمر مهم إذ الحرية تقوم على أساسات منها المعيشة وكلّما ازدادت حاجاتك كلما ازداد عملك في الماديات بالتالي قلَّ تفرغك للمعنويات وهذا قد يؤثر بل سيؤثر حتى على تعاملك المعنوي مع الماديات أي ستفقد القدرة على رؤية العمل المادي كمثال للعمل المعنوي ومظهر للحقائق المتعالية فتنفصل حياتك إلى قسمين معنوي خالص ومادي خالص، والمادي الخالص لأنه يستهلك وقتاً طويلاً كل يوم سيؤثر على نفسك بالتكدير مما يؤثر في المقابل على الجانب المعنوي الخالص (أعمال الطريقة الثمانية) وهكذا في علاقة جدلية ترتفع المادة وتنخفض الروح حتى تختنق أو تموت. إذن لاتقاء هذه الدوامة المظلمة لابد من تبسيط جانب المعيشة لا أقل كخطوة أولية ولوضع قواعد عيشك على أسس راسخة، فكما أن { الم } تشير إلى الحروف المجردة للسان العربي الذي يدل رمزياً على العوالم والحروف كالمبادئ والعناصر المكونة له، كذلك ينبغي النظر في كل عنصر من عناصر المعيشة على حدة فتميز بين الطعام واللباس والسكن والآلات والصحة والغذية والرياضة والشهوة والنظافة أي الأصول الثمانية للمعيشة، ثم تتأمل في كل أصل منها وما هو أقل ما تحتاجه منه حتى تقيمه على وجهه بالنحو الذي يجعلك مرتاحاً ومتفرغاً لأعمال الطريقة الثمانية (الخلوة والتأمل والذكر والفكر والكتابة والقراءة والدعاء والمجالس) وهكذا تتطابق بواطنك مع ظواهرك وتتسق رؤيتك وحركتك وسكونك. { الم } تدل على البساطة والتبسيط، لا تتشوش من الكثرة والتعقيد ولا تضل عن الجواهر بسبب المظاهر.

..-..

{ الم } ألف العقل، لام النفس، ميم الجسم. كما أن { الم } متصلة إذ نطق الألف فيه اللام والفاء التي تحرف الشفة وتمسها كالميم، ونطق اللام فيه الألف وفيه الميم، ونطق الميم موصول بها، كذلك لابد من وجود وحدة متصلة بين العقل والنفس والجسم ووجود التناغم والتناسق بينهم، فلا يفكر عقلك بشيء تخاف من العمل به، ولا تشعر بشيء عقلك يعتقد خلافه بحسب قيمك وما تلزم به نفسك، وهكذا، كما قال تعالى "يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم" فأثبت عدم التناسق بين قلوبهم وأفواههم وهو من عدم التوحيد الذاتي للإنسان. وهذا من أهم الأمراض الناشئة لأسباب متعددة على رأسها عدم الحرية، كما أنه تعالى أجاز التقية في حال الإكراه فيقول ما ليس في قلبه، فعدم الحرية يُفسد وحدة الإنسان الذاتية. والحرية تعزز تلك الوحدة وتفتح بابها وإن كان ليس كل أحد يدخل هذا الباب لأغراض أخرى في نفسه لم يجبره عليها أحد غيره. أن تفكر كما تشاء وَتشعر بما تشاء وتتخيل ما تشاء وتقول ما تشاء وتفعل في حدودك ما تشاء وتملك السعي لاقناع مجتمعك لفعل ما تشاء فيما يتجاوز حدودك ويتعدى جبراً إلى غيرك، هذه هي الحرية التي

تجعل ألف الروح ولام النفس وميم الجسم تتحد وتتسق. ومن لا يعرف وحدة نفسه كيف يعرف وحدة ربّه.

..-..

آية ٢

.) { ذلك الكتب لا ريب فيه هدى للمتقين } الخاصية الأولى لذلك الكتاب هي {لا ريب فيه}، الخاصية الثانية {هدى للمتقين}. ما معنى {لا ريب فيه}؟ يقول تعالى عن المنافقين أنهم "في ريبهم يترددون"، الريب يدخل الكتاب من ثلاث جهات، الأولى مصدره وَالثانية مبناه وَالثالثة معناه. مصدره أي الكاتب مَن هو؟ إذا انفصلت حقيقة الكاتب عن الكتاب دخل الريب معرفة الكاتب وتحديده، ومن هنا قال تعالى "إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا"وغير ذلك من الدلائل التي ذكرها لنفي نسبة الكتاب لغير الله مثل "لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً" ولإثبات نسبة الكتاب لله مثل "حتى يسمع كلام الله" وَ "جاءكم من الله نور" و "اتبعوا النور"، هذه الدلائل تنقسم إلى دلائل ذاتية ودلائل ذهنية، والذاتية هي انكشاف نفس الحقيقة للقلب مباشرة والذهنية هي الاستعانة بالأفكار والجدل، والذهنية وحدها لا تكفي لإزالة الريب وإن خففت حدَّته خصوصاً إذا انضم لها سلطان العادة وشيء من العصبية والمصالح الدنيوية، ويظهر ذلك حين تذهب هذه العوامل المساعدة فيتجرد القلب منها ويبقى ما فيه من العلم الحق فيتبين له أن أفكار الذهن وحدها قواعد خشبية أو سراب بقعية. فحين يقول {لا ريب فيه} فهو يشير إلى الدلائل الذاتية، إلى المكاشفة العلوية، بمعنى أنه يشهد الحقيقة العلية الحكيمة للقرءان حيث يشهده متصلاً بالله تعالى الذي هو "نور السموات والأرض" فحينها يصبح {لا ريب فيه}. أما مبناه، فإن الريب يدخل أي كتاب لم يشهد القارئ لحظة كتابته، لأنه سيبقى احتمال حدوث تغيير الكلمات إما بسبب النُسَّاخ وإما بسبب التحريف المتعمد وإما الضياع وهكذا، لكني إذا شهدت الكاتب وهو يكتب الكلمات بنفسك فحينها ستعلم علماً لا ريب فيه أن مباني الكتاب الذي بيدك هي المباني التي أراد الكاتب إثباتها، وإلا سيبقى لديك شيء من الريب ولن تصل إلى مستوى {لا ريب فيه}، فالمقصود الأصلي هنا ليس هذه الصورة العربية للكتاب لأن هذه لا أقل لأكثر الناس دخل فيها ريب بدرجة أو بأخرى ولذلك قال {ذلك الكتاب} ولم يقل "هذا"، فإن {ذلك} إشارة للمتعالي والبعيد عن الطبيعة السفلية وهو مقام "في كتاب مكنون. لا يمسه إلا المطهرون" فهنالك لا يوجد إلا النور المجرد للكتاب وهي حقيقته حيث ظاهره هو باطنه وباطنه هو ظاهره، وَحيث تتجلى إفاضته من الله تعالى ويتكلم الله به فيعرفه أهل الشهود مباشرة. وأما معناه فإن الريب يدخل الكتاب من جهة معناه حين ينفصل الدال عن المدلول، أي في التعبير اللفظي حيث اللفظ الدال على الموجود غير الموجود من جهة الواقعية، فقولنا "الشمس" ليس هو نفس جرم الشمس الواقعية، وهلمّ جرّاً، ومن هنا يدخل الريب إذ تتشابه المعاني وتخفى المقاصد وغير ذلك من أسباب عدم فهم أو سوء فهم أو اختلاف في الفهم المتعلق بالكتب عموماً، إذن الكتاب الذي {لا ريب فيه} ليس كتاباً لسانياً ولغوياً ولفظياً، بل هو كتاب الدال فيه متحد بالمدلول،

فالدال حقيقة علوية والمدلول حقيقة علوية هي عين ذلك الدال، بل لا يوجد دال ومدلول وإنما هي حقيقة واحدة تنقسم إلى دال ومدلول حين تنزل إلى العالم السفلي، فيوجد حقيقة علوية لكل موجود في العالم السفلي والطبيعي وكل موجود وعموماً والكتاب الذي {لا ريب فيه} هو المشتمل على تلك الحقائق. الحاصل، {ذلك الكتاب} هو نور الله وأصل الخلق ومبدأ الظهور، مَن عرفه هكذا في ذلك المستوى فقد عرف معنى {لا ريب فيه}. ومن هنا قال "الم. ذلك الكتاب" لأن الألف المصدر واللام المباني وميم المعاني متحدة بوحدة متعالية ومتصلة السر. وأهل القرءان هم أهل هذا السرّ. كل ما نزل فيه ريب "إن كنتم في ريب مما نزلنا"، إذن ما{لا ريب فيه} هو الشيء في حقيقته غير النازلة. النزول ظهور في النفس والجسم، والعلو تجرد الروح، "كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً"، ومن هنا كلما كان الإنسان أكثر تجرداً عن النفس والجسم كلما كان أقرب إلى الروحانية بالتالي أقرب للقرءان إذ العلم يكون بالمناسبة بني العالِم والمعلوم، فإن كان المعلوم روحاً فلابد أن يكون العالِم روحانياً، والارتفاع إلى أفق {لا ريب فيه} يكون بالروحانية وذلك جاء بعدها {هدى للمتقين} هدى لصنف مخصوص وليس للجميع أي في ذلك المستوى الأعلى للكتاب هو هدى فقط {للمتقين}، بالتالي أثبت أهمية حال القابل للانتفاع بالكتاب الفاعل، والهداية اتصال بين الهادي والمهدي، والاتصال بين الروح والإنسان الذي هو روح ونفس وجسم لا تكون إلا للروحاني الذي غلبت روحه نفسَه وجسمه وتجرد قدر الإمكان ثم يرجع بعد ذلك بنور الروح الجديدة فيه ليتجلى في النفس والجسم فلابد من عروج وبعده نزول بعطايا المعراج، وهذا كله ثابت للمتقين وإلا لم يثبت لهم الاهتداء بالكتاب على مستوى {لا ريب فيه} و{الم}. الأسماء في القرءان تُفهَم في سياقها الخاص وإن وُجد معنى مشترك للاسم الواحد بغض النظر عن سياقه، فالمتقي هنا {هدى للمتقين} غير المتقي في غيره من المواضيع ذات السياق المختلف جوهرياً، أي توجد درجات لحقيقة التقوى كما أنه توجد درجات لحقيقة الصدق والعلم والإيمان وكل اسم حسن، وفي المقابل توجد دركات لكل اسم سيء كالكفر والفسوق والعصيان، "هم درجات عند الله". وعلى ذلك، الذين يهتدون بالحقيقة المتعالية للكتاب ليسوا مثل الذين يهتدون فقط بالظل العربي للكتاب، ولذلك تجد الفرق في الأجور بين حسنة بعشر أمثالها وحسنة بسبعمائة وحسنة ليس لها حد كأسماء الواسع العليم. فالذي يعمل من منطق الجسم والمحسوسات غير وأدنى من الذي يعمل من منطلق النفس والنفسانيات وفوقهما الذي يعمل من منطلق الروح والمجردات. فالأول يتبع الشهوة والثاني يتبع اللذة والثالث يتبع الحقيقة، وصاحب الحقيقة قد يتنزل ويملك اللذة والشهوة تنزلاً، لكن صاحب اللذة ليس بالضرورة يكون صاحب حقيقة وإن كان صاحب شهوة، أما صاحب الشهوة فقط فإنه قد يخسر الشهوة نفسها كما في حالة المصيبة وهو حتماً محروم من اللذة النفسية والحقيقة الروحية. {هدى للمتقين} أي للروحانيين. ولذلك بعدها سيدخل في بيان ذلك ويشرح اسم المتقين بهذه الدرجة العالية للاسم. {هدى} في ماذا؟ هدى مطلق أي هدى لحسنة الدنيا وحسنة الآخرة واتقاء نار

الحجاب، هدى معاملة الحق تعالى في أسمائه وخلقه وكلامه، هدى يعرفون به الوجود على ما هو عليه.

..-..

آية ٣

.) {الذين يؤمنون بالغيب وَيقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون} ثلاث صفات كل صفة تُقابل حرفاً من حروف "الم". {يؤمنون بالغيب} الغيب هنا الروح والمجرد والعقل والفكر وهو الألف. {يقيمون الصلاة} النفس والمثال والعشور والخيال وهو اللام. {ومما رزقناهم ينفقون} الجسم والحس والمحسوس المادي وهو الميم. الغيب كنز، الصلاة مفتاحه وسُلَّم وجسم يصل ما بين الغيب والحس الطبيعي الذي هو محل الإنفاق، فالنفس تأخذ من الأعلى وتعطي في الأدنى. ولذلك بدأ بوصف الأعلى وهو {يؤمنون بالغيب} أي يعلمون علماً تطمئن قلوبهم به ويؤثر في نفوسهم وهو العلم البعث على العمل وليس أي علم أو العلم الذي يغلبه الهوى فيؤثر تأثيراً أقوى من العلم بحيث يغلبه ويجعل السلطان للهوى، ومن هنا قال "يعلم الذين أوتوا العلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم" فهو هنا إيمان مع العلم وليس علماً مُجرَّداً قائماً بذاته لأن الهوى حينها قد يغلبه كما في قوله "اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم"، فالإيمان هو العلم الفعّال في القلب، العلم النافع الايجابي وليس المعلومة الميتة والسلبية، ولذلك قال {يؤمنون بالغيب} ولم يقل "يعلمون الغيب" أو يعلمون بالغيب، بمعنى أنهم يعلمون بوجود الغيب وصفته وحقيقته، لأن هذا العلم ليس بالضرورة ينتج سعياً للاتصال بالغيب والاستمداد من حقيقته وكوثره المتعالي. مثل ذلك أن تقول "يؤمن بالنهر العذب الفرات" فإن هذا يؤدي إلى السعي للاتصال به والشرب منه، كذلك الحال هنا {يؤمنون بالغيب} أي يعرفون بحقيقة الغيب معرفة أثّرت في قلوبهم وبعثتهم إلى {ويقيمون الصلاة} وهي وسيلة الاتصال بالغيب واستنزال إلى الخير والعلم منه كالاستسقاء من النهر بعد الإيمان به، والغيب ليس التقليد الأعمى بوجود شيء غير معلوم ومجهول تماماً ولا يمكن التحقق منه، إذ لو كان كذلك لجاز لكل كافر وملحد أن يختلق ما شاء من الخرافات الممكنة وإذا حاجّه الناس فيها أحالهم على "الغيب" وأنه وراء طور العقول والمعقول والمعلوم، وهذا إبطال العلم والقرءان دفعة واحدة، كلا، الغيب هو الحقائق المجردة التي لا صورة وكيفية محددة لها كالأجسام مثلاً أو الخيالات ذات الكيفية المخصوصة المشهودة، فالروح غيب من حيث حقيقتها وإن كانت شهادة من حيث تنزلها في اللسان العربي مثلاً وهي هذا القرءان العربي في إحدى تجلياتها، أو كحقيقة الأشكال الهندسية فإنها معقولة من حيث إطلاقها وإن كانت مشهودة من حيث تجسدها في الخيال أو الحس ويمكن تجسيدها في صفات صورية لانهاية لها مخلق مثلث من خشب وآخر من حديد أو مثلث كبير ومثلث صغير وهكذا إلى ما لانهاية له من المظاهر وإن كان الجوهر واحد وهو المثلث المطلق المجرد فهذا تشبيه لتقريب الفكرة، كذلك الحال في {يؤمنون بالغيب} أي يؤمنون بالعقل والفكر والحقائق المتعالية وهذا الايمان يؤثر في قلوبهم وسلوكهم، إيمان فعّال حي جدّ ليس بالهزل ولا بالرياء أو الهراء أو الهباء، فالغيب حق معلوم وهو الأصل الأعلى ومن خصائص المتقين بل أولى خصائصهم ذلك كما أنهم "يخشون ربهم بالغيب" أي

بغض النظر عن الأحوال المحسوسة الطبيعية التي يعيشون فيها فإنهم يعقلون أعلى من ذلك ويشهدون حقيقته. {ويقيمون الصلاة} الصلاة اتصال بالغيب وانفتاح القلب لتلقي التنزلات الروحية والتجليات الإلهية والأفكار القدسي، الصلاة قراءة كتاب الغيب، ولذلك قال بعد أن أمر بالصلاة "نحن نرزقك" لأنه بالصلاة يحدث رزق العقل بالعلم والفكر، و "ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها". ثم ماذا ستعمل بهذا الرزق العلمي الذي نزل عليك؟ الجواب بالنسبة للمتقين هو {ومما رزقناهم ينفقون" إذا أخذوا أعطوا، بيّنوا وعلموا ونشروا. ولاحظ أنه قال {مما} وهي تدل على جزء الشيء، فيظن البعض أن {مما} تدل على أنهم ينفقون فقط بعض ما رزقهم وليس كل ما رزقهم، وليس الأمر كذلك ولا حتى على مستوى المال الدنيوي وإن كان ليس هو المقصود بالقصد الأولي في هذه الآية، لأن المال الدنيوي إذا أنفقته على نفسك فقد أنفقته ولك أجر كما أن الذي لا ينفق على نفسه حتى هيلك عليه وزرٌ فكذلك الذي يبدأ بنفسه فينفق عليه فله أجر-وبعد ممتاك فإن ما توصي به هو من نفقتك وما تبقى من ميراثك فالله أنفقه عنك وهو من كسبك وأثبت الله حدوث نفع للعبد بذلك إذ ذكر النفع في الآية "لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً"، فالمال للمؤمن كله يتم إنفاقه وحتى المحافظة عليه دائماً فيها شيء من الإنفاق وحتى المحافظة عليه دائماً فيها شيء من الإنفاق ولو ببذل الجهد في المحافظة على بعضه وإخراج زكاته والعفو منه، ولكن هذا كله على حمل الآية على مال الدنيا وليس هو مناط الآية كما هو واضح إلى الآن من السياق، أما العلم فلابد من إنفاقه كله وإلا كان الإنسان ممن كتم شهادة عنده أو لم يبين أو كتم ما آتاه الله من البينات ونحو ذلك، وكله في النار وليس من شأن المتقين وقد قال الله عن إمام المتقين "وما هو على الغيب بضنين" ولو ضنَّ بكلمة لما صدق عليه هذا الوصف وهو صادق، إذن لا يمكن قبول كون {مما} دالة على التبعيض بهذا المعنى، فما هو المعنى إذاً؟ المعنى سهل بالنسبة لما تقدّم، فإنه يستحيل أصلاً استحالة وجودية مطلقة، أن ينفق الإنسان على المستوى الطبيعي كل ما ورد من الغيب لأن الوارد الغيبي يمكن أن يتمظهر في ما لانهاية له من المظاهر الطبيعية، كما ذكرنا في المثلث المطلق والمجسَّد مثلاً، ولذلك {مما رزقناهم} حكم ضروري لأن الممكنات هنا لانهاية لها فحتى لو فرضنا أن إنساناً بقي من أول الدنيا إلى آخرها لما استطاع أن ينفق تمام الإنفاق المُستهلك للمصدر ولا حتى كلمة واحدة من كلمات الله ولا حتى اسم واحد من أسماء الله لأن المظاهر هنا كالأعداد لانهاية لها، كما قال تعالى "قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً"، ولذلك قال عن القرءان أن فيه "من كل مَثَل" أي كل مَثَل ذكر منه بعض المظاهر الممكنة له وليس كل المظاهر إذ هذه لا حد لها تقف عنده، وقال في الرسل "منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك" وهلمَّ جرّاً، إذن {مما رزقناهم} أي بعض مظاهر ما رزقناهم وليس بعض جواهر ما رزقناهم، فإن الجواهر يمكن حصرها ولكن المظاهر لا تنحصر، فقد تعطي شخصاً علماً بجوهر الذكر-ذكر الله-ولكن يستحيل واقعياً أن تعلمه كل مظهر من مظاهر ذكر الله فإن الألفاظ والتراكيب في ذكر الله لانهاية لها، أو مثلاً تعطيه معنى الشجاعة مع بعض القصص التي تبرز هذا الخُلق، ولكن يستحيل أن تعطيه كل قصة

ممكنة عن الشجاعة، وهكذا. الصلاة وسيلة تحصيل الجواهر مع القدرة على التمثيل بالمظاهر. ثم الأمر بالمظاهر، بل تعبّر وتنشر وتبلغ غيرك ما أنزلك إليك من ربك أيا كانت طريقة حصول هذا التنزيل العلمي والكشف الوجودي. {يؤمنون بالغيب} فكرة، {ويقيمون الصلاة} كلمة في النفس والباطن، {ومما رزقناهم ينفقون} كلمة في الحس والظاهر. سؤال: كيف ءامنوا بالغيب؟ أحد الطرق هي التأمل في عقولهم وأنفسهم. طريقة أخرى وهي المستفادة من سياق الآيات هي التأمل في الحروف والكتاب، فإن نفس الحروف والكتب أي حقيقة اللسان والكلام دالة على هذه الحقائق ووجود الغيب والقدرة الواقعية على تجسده تنزلاً وحصول علم وفكر لم يكن في النفس من قبل، وهذا طريق يفتح الباب أو يكشف جدوى السير على طريقة الأنبياء كباعث أولي. الكلام ظاهرة غيبية. وكما أن الكلمة تجمع بين الفكرة والصورة المحدودة، كذلك الوجود فيه مستوى الفكرة المجردة والمنازل المحدودة على طبقاتها القائمة في عوالم الإنسان ذاته.

..-..

آية ٤

.) {والذين يؤمنون بما أُنزِلَ إليك وما أُنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون} الآية السابقة بدأت بـ"الذين" وهذه بدأت ب{والذين} فذاك فريق ودرجة وهذا فريق آخر ودرجة أخرى، قد يجتمعان لواحد لكن التقدّم هو للفريق الأول، أي الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة والإنفاق ليست من الأعمال الناشئة بالضرورة عن الإيمان بالنبي والرسل عموماً واليقين بالآخرة، فتلك أعمال يكفي وجود الإنسان نفسه لتبريرها والقيام بها، فالصلاة هناك ليست هيئة مخصوصة أو شعيرة ومنسك معين تأتي به الشريعة، وكذلك بالانفاق ليس إنفاقاً مخصوصاً بلون أو آخر مما تأتي به الرسل، بل ذلك من دين الفطرة الإلهية ويكف يوجود العقل والنفس والكلام لاتمامها كلها حتى لو لم يُبعث رسول مخصوص لأمة بعينها. ولذلك قدّم ذكر تلك الأعمال الثلاثة على الإيمان بالنبي والقرءآن وحتى الآخرة فإن تلك الأعمال الثلاثة لها قيمتها الذاتية في ذات الإنسان حتى لو افترضنا عدم وجود آخرة أصلاً، فكما أن الإنسان يشرب الماء رعاية لجسمه بغض النظر عن وجود آخرة كذلك الإنسان يشرب العلم رعاية لروحه بغض النظر عن وجود آخرة./ {ما أنزل إليك} إشارة إلى المُنزَل وَالمُنزَل عليه، لكن {وما أُنزِل من قبلك} إشارة فقط إلى المُنزَل فإنها لم تقل "ما أُنزِل على الذين من قبلك"، ففرق بين الإشارة إلى النازل أو إلى القابل، فالقابل هنا هو نبي القرءان أو نبي وقته أو القابل الحي الذي يواجهه الناس في زمانهم وهو حاضر عندهم، هنا يقول {والذين يؤمنون بما أُنزل إليك}، إذن الإيمان بوجود ما أنزل سواء في زمنك أو قبل زمنك، بمعنى الإيمان بحقيقة الإنزال ووجود قوابل من الناس لهذا الإنزال. والسؤال: كيف يؤمنون بذلك؟ أحد أهم الطرق هي أنهم قد عرفوا في أنفسهم حقيقة الإنزال، أي عرفوا أن الإنزال الإلهي للعلم حق على الدوام ولكن الذي يميز بين الناس هو وجود القابلية لهذا الإنزال، وحيث إنهم قد اختبروا بأنفسهم هذه الحقيقة حين ءامنوا بالغيب وأقاموا الصلاة وأنفقوا فقد كانوا شواهد على هذه الحقيقة، وبما أن "مما رزقناهم ينفقون" تدل على الإمكان الواقعي اللانهائي لتمثّل النور الإلهي العلمي، فلا

غرابة إذن في وجود وتنزيل حاضر في زماننا وما قبل زماننا في الجملة ولغيرنا من الناس من أهل القابلية، فالطبيب يعرف الطبيب والقابل يعرف القابل ولو كان دونه في الدرجة./ {والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك} هم أهل الغفلة الذين يأتي الرسول فيوقظهم ولم يكونوا من قبله مسلمين وعرفوا شيئاً من الكتاب العالي، وإيمانهم بما أنزل علي رسولهم يفتح لهم باب الإيمان بما أنزل من قبله، فالنور شيء واحد من عرف بعضه اتصل بكلّه، ومن ءامن بتنزيل فقد ءامن بكل تنزيل إن صدّق إيمانه بالأول. ما الفائدة من الإيمان بما أنزل من قبل الرسول؟ حتى ننفتح على جميع الشعوب والقبائل ونتعرف إليها بالكلمة السواء والتعاون على البر والتقوى، إذ إيماننا بعالمية وكليّة التنزيل العلمي تفتح هذا الباب، وإلا انغلق بل أدى إلى نزع الإنسانية الحقيقية ممن سوى الأمة التي نزل عليها شيء من العلم والحكمة، لأن النفس ظلمة حتى يُشرق عليها نور الروح والعقل والوحي./ {وما أنزل من قبلك} تدل على أن كل من قبله من الأقوام التي لم يهلكها الله لديها شيء من العلم والحق حفظ عليهم بقائهم، وعلينا التعارف والتواصل معهم انطلاقاً من استخراجنا لهذه البقية الكامنة فيهم من النور./ {والذين يؤمنون} إيماناً مختلط بالزمان خلافاً لإيمان الفريق السابق المتعالي على الزمان، {بما أنزل إليك} الحاضر، {وما أنزل من قبلك} الماضي، {وبالآخرة هم يوقنون} المستقبل./ {وبالآخرة هم يوقنون} اليقين فيه معنى الاستقرار والثبات، ولولا كشف الغطاء عن حقيقة الآخرة لما كان يقيناً، واليقين ليس قضية إرادة حتى يضغط الإنسان على إرادته فيحصل لديه اليقين بشيء، اليقين قضية عقل وإدراك وشهود، فإيمانهم بالوحي وبالنبي تبعاً سيفتح لهم باب مشاهدة الآخرة إلى الدرجة التي تجعلهم بها يوقنون، ولذلك قدَّم {بالآخرة} أي بوسيلة الآخرة ذاتها صاروا بها يوقنون وذلك الكشف الذي يجعل اليقين ممكناً./ الأنبياء يأتون بالتكليف الذي لا يكتسب معناه عند عامة الناس إلا من وجود الآخرة التي بها يظهر لهم تعويض ما كُلفوه من الجهد، ولذلك مقدار استقامة عامة الناس على أوامر الأنبياء والرسل هو بمقدار يقينهم بالآخرة، فجعلهم في نمط واحد في الآية وربط بين الإيمان بالقرءان كأساس ثم منه دخل في الإيمان بالنبوات السابقة عليه ومن هذه إلى اليقين بالآخرة، إذ معرفة ما حدث للأمم السابقة وَكيفية تعرض حتى الأنبياء للظلم يجعل من المستبعد عند المؤمن أن لا يوجد دار أخرى بعد هذه الدار ينال فيها الأنبياء حقهم ونصرهم هم ومن اتبعهم، إلا أن هذه قرينة قوية وليست دليلاً قاطعاً على إرادة الله إيجاد دار آخرة فهذا يحتاج إلى دلالات من نوع آخر، ومنها بيانات القرءان ذاته عن وجودها، فما يعزز اليقين بالآخرة الإيمان يصدق النبوات.

..-..

آية ٥

.) {أولئك على هدى من ربهم وألئك هم المفلحون}. الفريق الأول على هدى من ربهم، والفريق الآخر هم المفلحون./ {هدى} هو العمل، كما قال في التوراة "فيها هدى ونور" وقال في أصحاب الجنة "لهم أجرهم ونورهم" فالهدى والأجر للعمل، والنور هو العلم، ولذلك سنجد فواتح البقرة تدل على أعمال "يؤمنون..يقيمون..ينفقون..يوقنون.." هذه كلها أعمال يقوم بها المتقون، ولذلك قال {أولئك على هدى} هدى من مَن؟ {من ربهم} أي ربهم الخاص بهم المتجلي مباشرة لهم بغير

واسطة، وليس رب الرسول أو رب الملائكة أي ليس عطاءً وهدايةً من الرب بواسطة مظهر من المظاهر المغايرة لهم، بل هو {هدى من ربهم} فالإيمان بالغيب وإقامة الصلاة والإنفاق كلّه من دين الفطرة التي فُطروا عليها وليس من أوامر شرعية جاءتهم بواسطة رسول من الملائكة أو من الناس./ {وأولئك هم المفلحون} باتباع ما أُنزل إلى الرسول، أي بالإيمان به واليقين بالآخرة، فالإيمان واليقين سبب الفلاح والتحقق باسم {المفلحون}، أي الإيمان بقرءان محمد والكتب المنزلة عموماً وَاليقين بالآخرة وكما تقدّم فإن الإيمان هو العلم المؤثر في النفس والقلب تأثيراً يتناسب مع العلم. واليقين فيه معنى الاستقرار وعدم التردد بالأمر المتيقَّن منه، فبهما يتم اسم الفلاح ويتحقق قوله تعالى {وأولئك هم المفلحون}./ أهل النور الشرقي هم أهل الهدى المباشر، وأهل النور الغربي هم أهل الفلاح بالوسيلة، وأهل النور التام هم الذين يجمعون بين الأمرين، فيأخذون عن الحق تعالى مباشرة وبالوسيلة، من رسول روحهم ومن رسول قومهم، من الوحي الباطن ومن الوحي الظاهر./ {على هدى} أي عكس الهوى، فالهوى حيث السلطان للجسم وشهواته وله الكلمة العليا، والهدى حيث السلطان للعلم وحقيقه وله الكلمة العليا أي السلطان للروح المستمد من الله تعالى ربه، فحيث يكون الإنسان مؤمناً بالغيب ومقيماً للصلاة ومنفقاً مما رزقه ربه فهو على هدى من ربه وكل جزء من أجزاء ذاته وعوالمها يكون متناغماً مع المثل الأعلى له عند الله تعالى ومتجهاً صوب الوجود والبقاء الخالد الأبدي، والعكس يؤدي إلى التنافر مع المثل الأعلى ويتجه صاحبه صوب العدم والفناء والعذاب الخالد والعياذ بالله ورحمته ويشعر بالحيرة والضلال في الأرض ويحتجب عن ربه./ {هم المفلحون} الفلاح في الآخرة خصوصاً بغض النظر عن صورة الحال في الدنيا، فهو بإيمانه ويقينه يزرع الآخرة والجنة التي يسكنها بعد ذلك "جزاء بما كانوا يعملون"./ أهل الهدى يجدون الجنة في قلوبهم اليوم، وأهل الفلاح يجدون الجنة غداً، وأهل الكمال يجدونها في قلوبهم اليوم وغداً وتكون جنتهم أرفع درجة ممن كان من أهل الفلاح فقط./ أهل الهدى هم الخلفاء، وأهل الفلاح هم الأتباع./ أهل الهدى طلبوا ربهم، أهل الفلاح طلبوا نفوسهم./

....

(العقلانية في الموقف من الطبيعة وما وراء الطبيعة)

(الفصل الأول : الموقف من الطبيعة)

أكبر مسألة في كل مجال هي: هل الوجود هو الطبيعة فقط أم يوجد شيء ما وراء الطبيعة؟ ثلاث حجج كبرى تعزز موقف أنصار مقالة "لا وجود إلا الطبيعة".

الأولى، التجربة المباشرة. فنحن نشهد ونعيش في الطبيعة مباشرة، وليس وراء ذلك حجة.

الثانية، حتى أنصار موقف ما وراء الطبيعة يقرون بوجود الطبيعة، بفكرهم وبكلامهم وأهم من ذلك بسلوكهم وعيشهم وإقرارهم بالحال والعمل، فنحن وإياهم سواء في هذا الجانب وقد أقروا بالطبيعة وبقي ما وراء الطبيعة دعوى منهم.

الثالث، اختلاف أهل ما وراء الطبيعة، اختلافهم الشديد الذي بلغ من الكثرة والتنوع الشيء العظيم في وصفهم لما هو هذا الماوراء الطبيعة، وأقوى حججهم هي قولهم "انتظروا الموت ليأيتكم يقين قولنا عن ما وراء الطبيعة" وهي حجة أقل ما فيها أنهم يقولونها كلهم مع اختلافهم، وأنها تحيلنا على وقت إن كذبوا فيه لن نملك الاستدراك عليهم ونكون قد بعنا عاجل اليقين بآجل الشك أو الظن، وهو عمل السفهاء ومعلوم أنه لا يُنقَض اليقين بالشك والوساوس والاحتمالات، وكذلك إذا دخل الاحتمال بطل الاستدلال، وقد دخل الاحتمال على ما وراء الطبيعة ذاتاً وصفاتاً ولم يدخل على الطبيعة عموماً.

إذن القدر الذي ينبغي بناء الحياة العامة للناس عليه هي الرؤية الطبيعية البحتة للوجود، ثم يُترَك كل واحد بسلام ليعمل حسب اعتقاده فيما وراء الطبيعة ما دام لا يقهر ولا يكره غيره على اعتقاده أو أعماله.

لا يستطيع أحد أن يأتي بأقوى من هذا الموقف. ولا أعقل منه ولا أكثر نفعاً للناس منه.

(الفصل الثاني: الموقف من ما وراء الطبيعة)

النظر في الطبيعة يدلنا
على أن غرضنا ما وراء الطبيعة.

فحركتنا الطبيعية الأصلية تدور حول الأمن وَ الصحة وَالعيش، أي فراغ الجسم من البواعث المؤلمة داخله أو صد الأسباب المؤلمة من خارجه. الجسم ينطلق من الفقر والحاجة لإخماد نار داخلية كالجوع والتعب والشهوة أو صد نار خارجية كالوحش والجو المؤذي ونحو ذلك. النفس لا تجد نفسها في هذه النار والتعامل معها، لذلك ما أن تخمد النار وتستقر أحوال الجسم وتنتظم سلامته، تشعر النفس بالملل وعذاب الفراغ ما دامت لم تعمل بعد إلا في حدود الطبيعة.١

في العالم ما يتلاءم مع كل حاجة في الكائن. فالمعدة لها طعام في العالَم، والرئة لها هواء في العالمَ، والأذن لها أصوات في العالمَ، وهكذا. لكن في النفس إرادة لمعرفة أسباب الوجود وحقائق المعاني وراء الحوادث وعلل الأشياء أي العقل، وفي النفس أيضاً إرادة التكلم والتعبير بالحروف والرموز أي القول، إلا أننا لا تجد في الطبيعة لا العقل ولا القول. العقل ليس طبيعياً كالطعام والهواء وليس شيئاً نحوزه من الطبيعة وتمدنا به كما تمدنا ببقية أغراض الجسم، ففي الطبيعة كل ما يحتاجه الجسم من غذاء ودواء وغير ذلك، ولذلك تعيش الحيوانات على اختلافها في الطبيعة دون الحاجة إلى العقل والقول. كل ما هو عند حيوان يوجد نظيره وشبيهه وما هو من جنسه في حيوان آخر، لكن لا نجد طلب وتحقق العقل والقول بالمعنى السابق عند أي حيوان آخر ولذلك لا نجد مظاهر العقل والقول عند الناس في أي أمة حيوانية أخرى، ولذلك إن توفر المعاش والانطلاق الحرفي في الأرض للحيوان يرضى لكن لا يرضى الإنسان عادة بمجرد المعاش والانطلاق الحر في الأرض بل يطلب العقل والقول بل ولو على حساب معاشه وحريته الحركية أحياناً بل ولو على حساب حياته الطبيعية.٢

إذن، النظر في الطبيعة، والنظر في طلب الإنسان للعقل والقول وظهورهما فيه، بالرغم من عدم وجودهما في الطبيعة، يؤديان إلى نتيجة وهي أنه في الإنسان جانب وجودي من ما وراء الطبيعة، فالإنسان طبيعي وما ورائي في آن واحد وهو الذي نسميه الروحاني.٣

الروحانية عقل وقول، والطبيعة معاش ومثال. المثال يعني أن روح الإنسان تتجلى بالضرورة حتى في جانبه الطبيعي، وتسري حتى في عنصر المعاش كسباً واستهلاكاً، فحتى حيوانية الإنسان لها روحانية وليست طبيعية بحتة لا روح فيها، ومن هنا اختلاف الناس في مظاهر المعاش واختياراتهم السلوكية وعاداتهم وتقاليدهم المتنوعة التي لها معاني غير محصورة بمجرد العيش كيفما اتفق لمجرد تحقيق الغرض الطبيعي، فالإنسان مثلاً يأكل كروحاني متجسد لا كحيوان مجرد، أو له هذه القابلية والتي تظهر بدرجة أو بأخرى بحسب مدى قوة روحانيته وإشعاعها.٤

وبما أن القول هو نوع من المثل لأنه يمثل العقل، فيمكن تعريف الإنسانية بأنها عقل ومَثَلْ.٥

وبناء على ذلك الإنسان ليس طبيعياً بل هو روح متجسد، هو الماوراء نزلاً في لباس يشبه الصورة الطبيعية، هو الغيب الحاضر.٦

لأن كل موجود له رزقه في الوجود، ورزق الإنسان هو العقل والمثل، فلابد من وجود مرتبة وجودية يتحقق فيها العقل والمثل، ومن هذه المرتبة يستمد الإنسان رزقه كما يستمد الموجود الطبيعي رزقه من الطبيعة. بالتالي لابد من توفر هذا الرزق الإنساني إما مباشرة بالاتصال بمصدر العقل والمثل، وإما بالواسطة بإتيان كائن ما لهذا الرزق للإنسان والأول هو الأصل. العقل والمثل والقول، أي رزق العقل بالعلم، ورزق المثل بالحكم، ورزق القول بالكلم، ويجمع الثلاثة اسم (الكتاب)، لأنه يشتمل على العلم والحكم والكلم. فالإنسانية بالكتاب. والكتاب إن كان قائماً ما وراء الطبيعة نسميه الأم لأنه الأصل الجامع والمصدر الذي منه يكون ما في الطبيعة من مظاهر الكتب إذ قد علمنا ومر معنا بأن ما في الطبيعة من مظاهر العقل والقول هو من ما وراء الطبيعة. ولأنه لا يبرز في الطبيعة شيء إلا بواسطة موجود له جانب طبيعي، ونحن لا نشهد أي موجود يُبرز كتاباً إلا الإنسان،فالنتيجة أن لرسل أم الكتب هم من الناس لا أقل بالنسبة للناس في جانبهم الطبيعي أو الكائن في الطبيعة. بالتالي للكتاب أم ما وراء الطبيعة ويحصل مباشرة بنحو ما ورائي. وللكتاب مجالي في الطبيعة ويحصل بواسطة رسل لهم وجه طبيعي يستمدون من الماوراء العقل والمثل والقول أو بعض ذلك ويرسلونه إلى الطبيعة في ثوب طبيعي حرفاً كان أو صورة أو شخصياً أو شيئاً مشتملاً على المعنى الماورائي.٦

إذن، لا يقوم وجود الإنسان بغير كتاب ولا تتحقق إنسانية وغرض وجود الشخص إلا بالكتاب.٧

(الخاتمة)

ما سبق من الفصلين ذكرته بحروفه في كتاب الخواطر السادسة على فقرتين إذ كانا منفصلين فذكرتهما كما هما هناك إذ لم يكونا مقالة بالقصد الأول من كتابتهما. لكن لما وجدتهما من أهمّ بل لعله أهمّ ما كتبته في باب الموقف العقلاني من الطبيعة وما وراء الطبيعة وما ينبني عليهما من الحرية الفكرية والدينية والسلوكية والسياسية، ذكرتهما معاً هنا حتى يكون من باب التأكيد وكذلك من باب قراءة المقالة كاملة مشتملة على البابين المهمين في المسألة.

....

(عن سورة العنكبوت)

آية ١) ثلاث حضرات: الألف من عمق الصدر، وَاللام من وسط الفهم واللسان، والميم من الشفتين وآخر المخارج وهي حرف إطباق الشفتين خلافاً للواو المفتوحة المخرج. (أ) يشير إلى الحق تعالى، الواحد الغني عن العالمين، ولذلك الألف مستقلة عن بعدها منفصلة عنها، فالحروف تتصل بالألف لكن الألف لا تتصل بالحروف، كذلك كل شيء متعلق بالحق لكن الحق غير متعلق بشيء. (ل) تشير إلى الوسيلة، اللسان الذي هو الروح إذ به يتكلم الحق مع الخلق ويتنزل الوحي على النبي والولي، ولذلك اللام متصلة بالميم بعدها، واللام لها في هيئها شكل الألف مع زيادة الوعاء الذي يشبه النون والباء (ل لـ) وذلك للدلالة على رجوع الروح إلى الحق تعالى وفقره إليه واعتماده المطلق عليه فليس فيه إلا ما تجلى الحق به له ولذلك قال "من روحي" فنسبه إليه وظهر ذلك في (ا) التي في (ل ن) (بدون نقطة النون)، "وكذلك أوحياء إليك روحاً من أمرنا". (م) تشير إلى العبد، والعبد التام هو محمد، ولذلك افتتح اسمه بالميم، وكان له اسم يبدأ بالميم واسم يبدأ بالألف أي أحمد، فالجزء "حمد" مشترك بينهما والفرق في الحرف الأول، وذلك لأن له وجه غيبي ووجه شهادي، أحمد اسمه حين كان في الغيب ومحمد اسمه حين صار في الشهادة إذ لما ذكره المسيح سمّاه " أحمد" في قوله "رسول يأتي من بعدي اسمه أحمد"، فالميم تشير إلى الخق الكامل المتصل بالوحي، أي إلى النبي والرسول، والميم فيها صمت الفم وذلك لأن النبي "أذن خير" فهو صامت لأنه يتلقى الوحي "إذا قُرئ القرءآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تُرحمون"، فالذي يستمع له من جبريل كالذي يستمع له من الرسول "إني لتُلقى القرءان من لدن حكيم خبير"، فالصمت أولى الأحوال بالعبد، وكلما كان الصمت أكمل كان الوحي النازل أبين أوضح، فلما كان النبي عبداً كاملاً وأثبت الحق له هذا المقام بقوله "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب" وقوله "لما قام عبد الله يدعوه" فأثبت له عبودة الهوية وعبودية الاسم وليس وراء هذا شيء يُعبَد، كان القرءان لذلك هو النور المبين إذ نزل على قلب عبد كامل أمين. إذن (الم) الحق والوسيلة والخلق، حضروة الربوبية وحضرة الروح والملائكة وحضرة الخليفة والإنسان. الغيب والبرزخ والشهادة. المعنى واللسان والأذن. الرب والكلمة والعبد. الوجود والعقل والجسم.

..-..

آية ١: كل حرف مثل كل كلمة يدل على وجود ما أيا كان. فالكلام القرءاني عبارة لسانية عن حقائق وجودية، حتى لو كانت هذه الحقائق الوجودية هي الأوهام الباطلة أو التعبيرات الفوهية التي يُطلقها المبطلون بأفواههم وليس لها حقيقة بحسب الوجود لكن لها حقيقة من حيث اعتقاد الناطق ومن حيث الصورة اللفظية التي صنعها الناطق فعلى هذا الحد يأتي الكلام القرءاني

ويرد عليها أو يُرتب عليها الجزاء المناسب بحسب موازين الحق دنيا وآخرة وعند الله تعالى. وهذا معقول لأن الموجود له عناصر كذلك كلمة لها حروف، مثلاً، كلمة "شمس" تدل على موجود طبيعي في أحد اعتباراتها وهي هذا الجسم المضيء في السماء، لكننا نرى أن الشمس ليست موجوداً من عنصر واحد بل عناصر متعددة كمكوناتها وأسرار علاقاتها، كذلك الحال في الكلمة التي تدل عليها المصنوعة من ثلاثة أحرف (ش م س) مع سر العلاقة بين هذه الحروف المعبّر عن سر العلاقة بين تلك العناصر الطبيعية وغير ذلك من الأبعاد. فحين نرى حرف الشين في أول كلمة الشمس، ونرى حرف الشين في أول كلمة الشر والشحن والشراب وغير ذلك، فإننا نعلم بوجود اشتراك بين هذه الموجودات من هذا الوجه، وكما أنه لا يوجد اثنان لهما نفس الموجودية من جميع الجهات فكذلك لا يمكن الدلالة الدقيقة على موجودين بكلمة واحدة وإلا دخل الإبهام إليها وحصل اللبس، ولكن لأنه بين جميع الموجودات مشتركات وصلات بوجه أو بآخر، كذلك كل كلمة لها مشتركات مع بقية الكلمات ولو بالنظر في أسماء الحرف وتحليله إلى عناصره كلها حتى تصل إلى جميع الحروف مثل (أ) الذي اسمه (ألف) وهكذا نطق به الرسول أيضاً كما في حديث ثواب قراءة القرءآن وكذلك ينطق المسلمون (الم) ولا ينطقونها (أَ لَ مَ) كأصوات بل ينطقون اسم الحرف (ألف، لام، ميم) وهكذا في (ن والقلم) و (ق والقرءان)، فأسماء الحروف من تعليم الله ورسوله وهي من المقدسات العلمية والمواريث النبوية فلا تدخلها شبهة الوضع الاعتباطي البشري، إذن كل كلمة فيها حرف تتصل بكل كلمة فيها نفس الحرف، ودرجة الاتصال بحسب العوامل الأخرى كعدد حروف الكلمة وترتيب ذكر الحرف ونحو ذلك من الاعتبارات. قد يُقال: لكن هل حرف الألف الموجود في اسم الله يدل على أن الله موجود متكوّن من العنصر الكوني الموجود في موجود مثل الكأس حيث إنه يشتمل على حرف الألف أيضاً؟ الجواب: الحروف كلها لها حقائق إلهية بحسب أعلى وجودتها، ومن هنا تجد الحروف قائمة في الأسماء الحسنى. فالحق هو العكس، الموجودات مصنوعة من حقائق الأسماء الإلهية، وليس الله هو المشترك مع الموجودات، ولذلك نجد (الم. الله لا إله إلا هو الحي القيوم) فقدَّم ذكر الحروف على اسم الله لأن الحروف قائمة بين الهوية والأسماء الحسنى فهي البرزخ الأقدس ما بين "هو الله لا إله إلا هو" و "له الأسماء الحسنى"، فنجد حرف اللام من "له" يربط بين الهو والأسماء حتى جاء بصورة "لهُ"، فكما أن اللام بعد ذلك صارت تدل على الروح الرابط بين الحق والخلق، كذلك كانت حقيقة اللام العليا رابطة بين الهوية والأسماء الحسنى، وهكذا في العالَم الإنساني الحروف تربط بين العقل والموجودات الخارجية والداخلية. فالحروف أبداً عقول، روابط، جوامع، وسائل، وهي بارزة [مع] الحضرة الإلهية للهوية المتعالية، وهي أول تجلّي وأعظم هبة وهي الرسمة الواسعة التي بها يتم التعبير عن كل شيء حتى الله تعالى. فالخلق مهما علا ليس له من الله إلا الحروف. ولولا الحرف لما كان لُطف ولما كان شرف.

..-..

آيات الهجرة (٥٦-٦٩): افتُتح هذا المقطع المقدس بل الأقدس بخطاب الله تعالى مباشرة بنحو أظن أنه لم يتكرر في القرءان كله، وذلك في قول {يعبادي} فلا يوجد "قل" ولا نداء "يأيها"، وليس

بعد هذا من المباشرة والقرب شيء من الكلام الإلهي اللهم إلا أن تسمع نفس هذه الكلمة من الله تعالى بلا واسة رسول ولا حجاب. لماذا اختصّت هذه الآية بذلك؟ من أسباب ذلك خطورة موضوع الهجرة في الجملة وشرف المهاجرين لله تعالى. الله مع المؤمن أينما كان، فلما كان المؤمن العارف بالله قد يرد عليه سؤال "إذا كان الله معي هنا فلماذا أهاجر؟" وهو سؤال كبير وجوابه على غير الله وأهله عسير، ورد الجواب من الحضرة الإلهية تقدست أسماؤه مباشرة حتى يُعلم أن هذا ليس فقط مأذون به من الحق بل من أمر الحق. المسألة الثانية هي ما معنى عبادة الله؟ وهنا وثن عظيم بل لعله أعظم الأوثان الفكرية الرابضة على قلوب المسلمين، وذلك بتعريف العبادة بأنها الدعاء والقراءة والصلاة الشعائرية ونحو ذلك فقط أو يجعلون هذا هو جوهر العبادة حصراً، حسناً، لو كان الأمر كذلك فكيف يُفسّرون قوله تعالى {يعبادي الذين ءامنوا، إن أرضي واسعة، فإياىَ فاعبدون} ما علاقة العبادة بالمعنى السابق للهجرة وتغيير الأرض التي يعيش عليها الإنسان؟ أما الشعائر واعتقاد التوحيد فأمر في القلب ويمكن العمل به في السر أي سرّ النفس مثل "اذكر ربك في نفسك" أو سرّ الخلوة والعزلة مثل "فأووا إلى الكهف"، وهذا أمر معلوم بالتجربة العامة والخاصة، فحتى أثناء تسلّط الكفار على المسلمين في الماضي والحاضر ومحاربتهم في دينهم فإن المسلمين وغيرهم من أهل الملل مارسوا شعائرهم وحافظوا على اعتقاداتهم في السرّ، وبما أن الإكراه في القرءان يرفع الحرج والإثم عن المُكرَه وكذلك المضطر، أي في قول الكفر وأكل الحرام مثلاً، فلم يبقى شيء من هذا الوجه للهجرة إن كان المقصود بالعبادة فقط الشعائر ونحوها. فنرجع للسؤال: ما العلاقة بين {أرضي واسعة} وَ {فإياي فاعبدون}؟ الجواب: العبادة هنا هي الحرية من الناس. عبادة الله حصراً تعني فيما تعني التحرر من تسلط الناس عليك. فأن يجبرك شخص على أحكام في نفسك ومالك بغير إيمان منك ولا شورى فهذه عبادة لغير الله جلّ جلاله. لأنك إذا ءامنت برسول الله فأنت تعبد الله {من يُطع الرسول فقد أطاع الله}، وإذا شاركت بالشورى في صنع الحكم الدنيوي والذي سيتم العمل على أساسه فأنت حر لأنك شاركت بإرادتك في صنع القرار، {وأمرهم شورى بينهم}. فأمر الله يؤخذ بالإيمان، وأمر الناس يؤخذ بشورى الناس، هذه هي عبادة الله. هذا المعنى لم يكن ولا يكون متحققاً للمسلمين في كل أرض، ولذلك قال {إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون}. إذن، عبادة الله هي الحرية من الناس، والحرية تعني لا إكراه في الأفكار، ولا استبداد في القرار. فللناس حرية الكلام وحق الشورى، ومن ضمن حرية الكلام حرية الدين وَالإيمان. الإكراه والاستبداد يجعل النفس في ضيق والأرض ضيقة، ولذلك أرض الله أي الأرض التي يُعبَد فيها الله دائماً أرض واسعة، وهذا وجه آخر في دلالة {إن أرضي واسعة}.

الآيات بعد هذه الآية المفتاحية تفصيل للموضوع وجواب على أسئلة وشبهات واعتراضات ستنشأ في نفوس الناس بعد سماع الأمر بالهجرة لتحصيل الحرية. وكذلك فيها تمهيد بالإشارة إلى بعض مخاطر الحرية بالنسبة للمؤمنين والتحذير المسبق منها. فمثلاً، إن قلت: أخاف من الهجرة حتى لا أموت لأنها صعبة ولا أدري مصيري إذا تحملتها، فيأتي الجواب {كل نفس ذائقة الموت ثم

إلينا تُرجعون}. وإن قلت: الحياة في المهجر هي مثل الحياة في الموطن سواء، فيأتي الجواب {والذين ءامنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غُرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها فنِعمَ أجر العاملين}. وإن قلت: الهجرة مُتعبة ولا أدري ما عاقبتها، جاء الجواب {الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون}. وإن قلت: لا أملك ما يكفي من المال للعيش في المهجر، جاء الجواب {وكأين من دآبة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم}. وإن قلت: أخاف من تدمير حياتي في وطني ولا معارف لي يعينوني في مهجري، جاء الجواب {ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وَسَخَّر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون}. وإن قلت: كيف ستنمو حياتي الجديدة؟ جاء الجواب {ولئن سألتهم من نزَّل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون}. فإن قيل: هذه الهجرة لَمَن؟ قال {وما هذه الحيوة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون} فهي لمن كان من أهل العلم كالذين ردّوا على المعجبين بقارون فهؤلاء الذين يُقدّرون الحرية قدرها لا أهل اللهو واللعب الذين لا يعقلون من ذلك شيئاً. ثم تأتي تحذيرات مستبقة، منها {فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلمّا نجاهم إلى البر إذا هم يشركون. ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون} هؤلاء الذين يستعملون حريتهم الجديدة كوسيلة للعربدة بدلاً من وسيلة للعلم والدعوة والجهاد في سبيل الله. ومنها {أولم يروا أنا جعلنا حَرَماً ءامناً ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون} وهؤلاء الذين يرتدون عن الدين ولا يرون نعمة الله عليهم، ولا يرون النعمة العظيمة للدين حتى في بلاد غير المسلمين بالمعنى الحصرى ومدى الراحة التي يحيا فيها المؤمن في مقابل الكافر. ومنها {ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين} وهؤلاء ما بين الذين يستعمل حريته لاختراع دين جديد من دون الله ويستغل الحرية الدينية لأجل ذلك، وما بين الذي يستغل عدم إكراه الآخرين له على الدين والرأي فيرفض أي رأي وقول لا يعجبه بالرغم من كونه الحق أي لا يرى سلطة للحق بل للعنف، فلما تحرر من العنف صار يجحد الحق ويستضعفه وقيمته ولا يبالي بأهله. أخيراً، النجاة والفلاح لمن في دار الهجرة؟ هي لهذا الفريق {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين}. هذه إشارات فارجع إلى السورة وانظر فيها بعمق فإنها سورة العلماء بالله وكتابه وأتباع رسوله بالحق بفضل الله العظيم.

....

بسم الله الرحمن الرحيم

(إضاءة الفاتحة على موضوع الحرية)

١- عن الاستعباد الوجودي.
الباطل (ذاتك تابعة لذات إنسان أو كائن محدد).
الحق من الفاتحة "بسم الله الرحمن الرحيم" أي الذات تابعة للاسم الإلهي لا غير، وكل ممكن مثلك تابع أيضاً للاسم الإلهي.

٢-عن الاستعباد التكويني.
الباطل (خلقك مربوب لمخلوق بشري أو غيره).
الحق من الفاتحة "الحمد لله رب العالمين" أي كل مخلوق مربوب لرب واحد هو الله.

٣-عن الاستعباد التربوي.
الباطل (أنت عبد لمن يربّيك من الناس).
الحق "الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم" أي كل الناس مربوبين لله. رد على فرعون في قوله لموسى "أولم نربّك فينا وليداً".

٤-عن الاستعباد الصفاتي.
الباطل (مَن له صفة كمالية رب لمن ليس له أو لمن هي عنده أقلّ منه).
الحق "الحمد لله" أي كل صفات الكمال هي لله وحده.

٥-عن الاستعباد المصيري.
الباطل (مصيرك الأبدي يعتمد على رضا غير الله عنك).
الحق "مالك يوم الدين" أي الأمر فيه لله وحده فرضاه وحده هوالمهم للمصير الأبدي ورضاه في الحق/والعدل والإحسان.

٦-عن الاستعباد السياسي.
الباطل (إرادتك لا قيمة لها لكن إرادة غيرك هي الحاكمة).

الحق "مالك يوم الدين" فبما أنك مسؤول عن إرادتك وما تصرفها فيه فلابد من سلطان إرادتك في كل أمورك إذ على ذلك سيكون حسابك. آية الاستضعاف "يستضعف طائفة منهم" فالاستضعاف دليل وجود الإرادة لكن القهر جاء من الخارج لمنعها من التحقق والظهور، فحتى المستضعف له إرادة وقاهره يعلم ذلك.

٧-عن الاستعباد الديني.
الباطل (الدين يأمر باتخاذ سادة وأرباب من دون الله فالدين ينفي حريتك من الناس/أو الدين غير صريح وقاطع في عدم التعبد للناس والخلق).
الحق "إياك نعبد وإياك نستعين".

٨-عن الاستعباد التعليمي.
الباطل (مُعلّمك هو ربك).
الحق "اهدنا الصراط المستقيم" فمصدر الأعلى هو الله واطلبه منه يغنيك ويهديك.

٩-عن الاستعباد القومي.
الباطل (أنت عبد الجماعة وقومك).
الحق "صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين". قيمة كل أحد بالله.

....

(العقل الحر اللامحدود)

على هذه الأسس تقوم حرية العقل، كلها أوبعضها. ويمكن ذكر غيرها لكني ذكرت ما تيسّرت حين وضعت عناوين الرسالة قبل أكثر عشر سنوات وعلّقت عليها اليوم بتعليق بسيط حسب ما حضر من خاطر.

١-الصانع المتقن. أي الذي صنع العقل هو الله وهو متقن في صنعه والعقل أتقن ما صنع وكل صنعه مُتقَن، وينبني على ذلك أن عمل العقل من حيث ذاته متقن بالتالي لا يوضع عليه حدّ من خارجه ومن غيره لأن الحد المقبول يوضع لدرء فساد أصيل في الشيء أو متوقع منه حين ينطلق بإظهار ما في ذاته، فلما كان العقل حسن في ذاته فكل ما يخرج من العقل من حيث هو عقل يكون حسناً كذلك، فلا موجب لوضع حد عليه من خارجه أصلاً.

٢-اللاممكن لا يمكن قبوله. فالأفكار التي ينطق بها العقلاء لا تخرج عن إحدى ثلاثة احتمالات، إما فكرة حقيقية واجبة الوجود وهذه يجب قبولها، وإما فكرة مستحيلة الوجود فهذه لن يقبلها العقلاء بالتالي لا معنى لوضع حد على العقل في التحدّث بمثل هذه الأفكار المستحيلة لأن العقلاء سيرفضونها لاستحالتها وكذلك لأن التحدّث بها يدلّ على أنها صادر من جهة غير عقلية بحتة فتكشف عن شؤون النفس والموجودات والمقاصد التي يضمرها الناطق وفي هذا معرفة نافعة من أكثر من وجه. وأخيراً فكرة ممكنة الوجود، وهذه تختلف وجهات النظر فيها بالتالي يحق لكل عاقل أن ينظر فيها وعليه لا موجب للحد من إظهار العقل لها. فما لم يكن ممكناً لن يقبله عاقل فظهور اللاممكن تمرين للعقل على اكتشاف الحق من الباطل والصواب من الخطأ.

٣-الشعور مبني على عقل. مشاعرك إذا حللتها ستجدها راجعة إلى عقلك وأفكارك ورؤيتك للوجود وشؤونه، فلابد من تحرير النظر في العقل مباشرة حتى لا يختفي وراء المشاعر التي يزعم صاحبها أن شعوره شيء قائم بذاته وليس وراءه عقل فلابد من تحرير العقل للنظر في كل شعور، وكذلك لابد من تحريره حتى يكوّن أحسن المشاعر المبنية على أحسن المعقولات والوعي بها.

٤-الأئمة متهمين. لا يمكن الثقة المطلقة بأي إنسان لأنه قد يكون صاحب هوى أو أخطأ أو ما وصلنا عنه غير دقيق أو لم نحسن فهم قصده ولم نعرف برهانه. فعلى كل وجه لا يمكن الاعتماد على تقليد شخص، على فرض الحاجة أو تحقق الكرامة الإنسانية بمثل هذا التقليد.

٥-العقل والروح وجهان لعملة واحدة. الحقيقة التي نسمّيها روح وعقل هي حقيقة واحدة، هي نور واحد، لها أسماء متعددة لكنها في الوجود شيء واحد، لكن حين تتوجّه نحو الله والغيب نسمّيها روحاً وحين تتوجّه نحو العوالم والأسباب قد نسمّيها عقلاً وهكذا باعتبارات مختلفة توجد أسماء مختلفة. فلما كانت الروح من الله ومن أمر رب النبي الذي هو نور من نور الله وشعاع من مشكاة النور الإلهي، كانت حريتها وعدم جواز التعرّض لها بالحد واجب على العقلاء أصحاب الشريعة وأتباعها، وحيث أن العقل هو الروح فالعقل كذلك يجب تحريره وعدم التعرّض له من خارجه بقيد يعيق تصرّفه وسعيه.

٦-الغيب ليس تفسيراً. فالذي يحيل تعليل الشيء أو سببه على الغيب بمعنى الغائب غير المعقول ولا المشهود ليس تفسيراً لشيء لأن أي ناطق قد يخترع غائباً وغيباً من عند نفسه وحيث أننا لا نستطيع التأكد من أقوالهم فلا قيمة لتفسيرهم. فلا يبقى إلا التفسير الذي يدركه العقل بكل سعته وأبعاده ويمكن التأكد من صدقه بنحو مفتوح للعقلاء.

٧-المجتمع للمتعة الجسمانية. فأصل تكوين المجتمع كان الحاجة إلى تحصيل المتع الجسمانية والأغراض الطبيعية والأمن المادّي، بالتالي ليس للمجتمع التعرّض للعقل ونطقه وبحثه وتعبيره عن نفسه لأنه خارج سلطة المجتمع الذاتية، فما برز بسبب تقيّد بسبب بروزه، وسبب بروز المجتمع الخوف على الجسم وتعبه وليس العقل وبحثه وحججه ومنطقه. فأي قيد اجتماعي على العقل وتعبيره عن نفسه هو قيد غير مشروع بالذات والأصالة ولا يحتاج إلى برهنة.

٨-الحد مرض. ما معنى وضع حد على العقل؟ معناه أن شيء لا يمكن التفكير فيه أو لا يمكن التفكير فيه إلا من زاوية معينة أو يمكن التفكير فيه لكن لا يمكن التكلّم عنه، أما ما لا يمكن التفكير فيه فهو مرض إذا وضع من الخارج والغير لأن الشيء إن كان قابلاً واقعياً للتفكير فيه فمن المرض منع العقل من التفكير فيه وممارسة قوته الطبيعية، وإن كان غير قابل أصلاً للتفكير فيه والعقل سيعجز حين يفكر فيه من الوصول إلى نتيجة مقبوله له بحسب منطقه الذاتي فإذن الواجب ترك العقل يكتشف عجز نفسه بنفسه وسيمرض العاقل حين يشعر أنه لم يفكّر لأنه خائف من واضع الحد المغاير له والمفروض عليه بالقهر دائماً والتخويف العاطفي والذي هو بدوره مرض آخر. وأما التفكير من زاوية معينة فهذا يدل على إمكانية التفكير من زوايا أخرى فيمرض العقل حين لا يرى الشيء من كل زواياه الممكنة. وأما التفكير مع عدم التكلّم فمثل الشهيق بدون الزفير وهو مرض بل اختناق وموت وهو قضية أخرى خارجة عن نفس تحرير العقل وتحرره داخل نفسه.

٩-القرءآن أبو الأحرار. الناظر في القرءآن بتجرّد يكتشف أنه فتح الأبواب كلّها للعقل للنظر وبعثه بكل باعث وشرح العقل للعقل وشرح عملياته ومعتقداته المختلفة ودرجاته وكيفية تقويته وسبب ضعفه وعرض الأفكار كلّها مستحيلها وممكنها وواجبها على العقل ولم يحجب عنه شيء كأن يعرض عليه فقط ما هو حق ويخفي عنه الباطل بحجّة حماية العقل كلّا بل عرض على العقل كل شيء وقال له "انظروا" و "أفلا تعقلون".

١٠-في الفكر لا يوجد سد للذرائع. قد يوضع الحد خوفاً من تطور الفكرة إلى عمل والعمل إلى عدوان أو فساد فيتم سد ذريعة ذلك بتقييد العقل نفسه كونه المحطّة الأولى لقطار الفساد هذا على فرض أنه فساد فعلاً. هذا منطق ضعيف وخطير. الطريق إلى منع تطور فكرة إلى عمل فاسد هي بإبطال الفكرة نفسها والوعي بفسادها وقطعها من جذورها الوجودية والنفعية. هذا أمر. الأمر الآخر، نفس فكرة سد الذرائع دليل على أن الفكرة نفسها لا تفسد شيئاً لكنها حسب منطق الذرائعي المحرّك الأول للفساد لكنها ليست فساداً بحد ذاتها، وهذا يعزز ما نقوله من كون الفكرة نفسها حسنة بغض النظر عن الآثار العملية التي قد تنتج أو لا تنتج عنها بعد ذلك مع دخول عنصر الإرادة والجسم والتفعيل السلوكي. فالفكر نفسه بريئ من كونه ذريعة إلى صلاح أو فساد على المستوى العملي الظاهري. لذلك ليس كل ناظر في فكرة ينتهي إلى نفس النتائج العملية التي انتهى إليها غيره وإن كان كلاهما نظر في نفس الفكرة، فلو كانت الفكرة ذاتياً تؤدي إلى نتيجة محددة لوجب أن نرى كل من ينظر فيها بل حتى كل من يقبلها ويعتقد بها يعمل نفس الأعمال ومن الواضح لكل ناظر في نفسه وفي غيره أن الواقع ليس كذلك، إذ ينظر في الفكرة القابل والرافض لها، وإذ يعتقد بالفكرة عشرة فلا يعمل بلوازمها العدوانية إلا واحد من العشرة. وعلى هذا المنوال يوجد للفكرة تجرّد ذاتي وانفصال نسبي عن العمل، وبحكم هذا التجرّد والعلو والكينونة الغيبية في ضمير العاقل لا يجوز وضع الإنسان على نفسه فضلاً عن وضع الإنسان على غيره قيود حتى لا يفكّر في شيء خوفاً من تطور الفكرة إلى سلوك اجتماعي وطبيعي فاسد وعدواني.

١١-في الفكر لا امتياز للعمر. أي لا يهمّ في ذات الفكرة ما هو العمر الجسماني لصاحبها، فقد يأتي عجوز بفكرة فاسدة ويأتي طفل بفكرة صالحة، وقد يعتقد الشيخ بالخرافة ويعتقد الصبي بالحقيقة. بالتالي لا معنى لوضع الكبار في العمر قيوداً على الصغار في العمر كأن يقال لابد من قبول كل فكرة يأتي بها شخص أن عمره أكبر عدداً من عمر غيره، بل لابد من النظر في ذات الفكرة.

١٢-قد يكون الجواب الفعلي أنه لا يوجد جواب فعلي، الآن. أي لا خشية من عمل العقل وعدم اكتشافه لجواب ما في المسألة التي يبحثها، فعدم المعرفة مفيدة من وجه ومقدمة لبحث لاحق يتمم الناقص ويكمل البحث من حيث توقف الأول. فوضع قيد بحجّة عدم وجود جواب بحكم تجربة

شخص آخر للتفكير في المسألة ووصوله إلى سد، هو وضع غير مبرر. نعم أنت لم تصل إلى جواب لكن غيرك قد يصل، فاتركه لعله يصل فتنتفع بفكره، بل شجعه على التفكير لعله يكتشف أو يرسم ما لم تستطيع أنت اكتشافه ورسمه. عدم العلم ليس حجة ضد العقل، لكنه باعث على مزيد من العقل والحاجة إليه.

١٣-التهديد الفعلي آية الضعف. حين تهدد شخصاً من التفكير في شيء فأنت تكشف بذلك عن ضعف عقيدتك وفكرتك، لأن تهديد المفكّر حتى لا يفكّر يكشف عن خوف المهدد من وصول المفكّر إلى نتيجة مغايرة لما عنده، فلو كان عنده الحق الصريح القاهر كما يزعم فلماذا يخاف. وعلى ذلك لابد من تركيز العقلاء تحديداً على المواضيع التي يوجد من يهدد المفكّرين فيها، ولابد من السعي المضاعف في هذا الشأن، حتى نرى ما هو الشيء الذي يخافه المهدد، وكذلك حتى لا يتجرأ بعده أحد على تهديد المفكّرين وتخويفهم من التعقل الحر.

١٤-العقل ميزان. في العلميات قد توجد حجج تؤيد فكرة وحجج تؤيد فكرة أخرى، فالعقل حينها يكون ميزاناً يختار الأرجح والأقرب إلى اليقين والمؤسس على قواعد أسلم وأدق. وفي العمليات قد توجد حجج تؤيد منفعة شيء وحجج تؤيد منفعة ضده، أو توجد منافع وأضرار للعمل الواحد والشيء الواحد، فحينها كذلك يكون العقل ميزاناً ويختار الأرجح وما يراه العقلاء الذين سيعملون بالنتيجة أنه الأرجح فيما بينهم. فتعدد الاعتبارات وتضارب الحجج واختلاط الأمور مرّة أخرى ليس حجّة لصالح تقييد العقل لأنه إذا كان العقل وهو حر يرى الأمور مختلفة ومتضاربة فماذا سيكون حاله إن تقيّد بقيد خارجي واعتمد التقليد الأعمى وخاف وارتعب وانكمش فمن باب أولى سيكون حال الناس أشد سوءاً. التضارب والاختلاط يقضي بوضع مناهج أدق وأقرب لاكتشاف دقائق كميات وكيفيات الأمور حتى يحسن وزنها والتخيّر بينها، وليس شلّ العقل بالخوف والتقليد والتقييد.

١٥-النظريات زوايا نظرات. قد توجد أكثر من نظرية حول شيء واحد، فإذا نظرت بتحرر في هذه النظريات ستجدها عادةً نظرات من زوايا مختلفة ولكل واحدة منها قيمة في تحصيل رؤية أوضح للشيء. وبناء على ذلك نحتاج أكبر قدر ممكن من نظريات العقلاء حتى نكتسب أحسن وأشمل نظرة للشيء.

١٦-سعة العقل أم الزهد الدنيوي. كلما ازدادت سعة عقلك كلما ازداد زهدك في الدنيويات، لأنك ستجد اللذة العقلية التي ستغنيك عن معظم اللذات الدنيوية خصوصاً ما غلب ضرره نفعه منها، وكذلك لأنك ستركز على المهمات والضروريات وتميل إلى البساطة في أمور الدنيا لكي يزداد صفاء عقلك ودقته وتفرغه للنظر وتنفق أكبر قدر للطاقة في العمل العقلي بدلاً من الجهد البدني والخارجي الذي لا مقصد له في الحقيقة إلا استهلاك الطاقة النفسية لتحصيل الراحة، وكذلك لأن

العقل كلما كبر وتعمق كلما استشرف على الآخرة وأحوالها بالتالي يصبح أكثر استعداداً لها أو يميل إلى ذلك قدر قوّة وبركة عقله، وأسباب أخرى تربط بين العقل والزهد.

١٧-الجماهير حمير. حميرتهم تأتي من عدم استعمالهم عقولهم بشكل مستمر وفي المواضع الحرجة والمسائل المهمة ويسمحون لعواطفهم أن تقودهم وحواسهم أن تخدعهم، فمن أراد التخلّص من هذه الوصمة-وصمة العار على الإنسانية-فعليه بتحرير عقله واستعماله بأكبر قدر ممكن. فالعقلاء نخبة الناس وصفوتهم، فاعمل على أن تكون من الصفوة.

١٨-الفعل يعتمد على العقل. كل فعل يعتمد على تعقل بنحو ما ولو كان ناقصاً ومشوهاً، بالتالي لا يمكن للتركيز على الفعل وإغفال مركزية ومصدرية العقل، إذ التركيز على ما تعتمد عليه خير من التركيز على ما يعتمد على ما تعتمد عليه. فالزعم بأن الاهتمام بالعقل هو شأن نظري يقوم به ناس لا يفعلون شيئاً ليس صحيحاً وإن كان يقع أحياناً لأسباب لا علاقة لها بذات العقل ولكن لها علاقة بأبعاد عملية وعادة اقتصادية أخرى كأن تكون مهنته هي صناعة أفكار كالأكاديمي أو الإعلامي فلا يبالي بغير ذلك. أما نفس العقل فلا يشلّ الفعل لكنه يعززه وكلما كان العقل أعلى كان الفعل أرقى وأكثر تأثيراً لأنه يحسن تخيّر أهدافه ووسائله ويراعي الزمن ويصبر بحكم حضور عقله ورسوخه ومعرفته لطبيعة الدنيا وتدرجها وبطئها.

١٩-الذي لا يريد التفكير فلا يفكّر. تحرير العقل لا يجبر المستعبد عقلاً على التفكير، لكنه يبعده عن طريق العقلاء في استعمال عقولهم وذلك بأن يبتعد عن طريقهم عبر عدم ارتكاب العنف ضدهم وعدم تحريض دولته والهمج الذين يتبعونه على العقلاء والمفكرين ونحو ذلك، لكن هذا لن يجبره على التفكير قسراً.

٢٠-البعض يريد العقل حين يكون في صالحه ولا يريده حين لا يكون في صالحه. على طريقة " إن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين" لكن حين لا يكون الحق لهم يفرّون من العاقل "كأنهم حمر مستنفرة. فرّت من قسورة". مثل هذا الصنف يجب كسره بإظهاره نفاقه وبالتركيز على تطفيفه وتناقضه وتذكيره وتذكر الناس بمعاييرة المزدوجة في تعاطيه مع العقل ولوازمه. وعلى كل حال لا تجوز مراعاته بحال في تقييد العقل ونفاقه عليه ولا يؤثر على العقلاء.

الحاصل: فكّر بما تشاء، وتباحث مع المفكّرين، واترك عقلك رهواً وسارحاً يغطّي ما يشاء ويذهب حيث يشاء، ودعه يقف حين يقف لأنه وقف وعجز لا غير. حرر عقلك مطلقاً واكسر كل قيد مطلقاً.

....

بسم الله الرحمن الرحيم
(خمرية لأبي نواس)

خمرية الأقطاب

ألا فاسقني خمراً وقل هي هي الخمرُ . ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهرُ
فما العيش إلا سكرةٌ بعد سكرة . فإن طال هذا عنده قصر الدهرُ
وما الغبن إلا أن تراني صاحياً . وما الغنم إلا أن يتعتعني السكر
فبُحْ باسم مَن تهوى ودعني من الكنى . فلا خير في اللذات من دونها ستر
ولا خير في فتك بدون مجانة . ولا في مجون ليس يتبعه كفر
بكلّ أخي فتك كأن جبينه . هلال وقد حفّت به الأنجم الزهر
وخمّارة نهّبتها بعد هجعة . وقد غابت الجوزاء وارتفع النَّسر
فقالت مَن الطراق قلنا عصابة . خفاف الأداوى يبتغى لهم خمر
ولابدّ أن يزنوا فقالت أو الفدا . بأبلج كالدينار في طرفه فتر
فقلنا لها هاتيه ما إن لمثلنا . فديناك بالأهلين عن مثل ذا صبر
فجاءت به كالبدر ليلة تمّه . تخال به سحراً وليس به سحر
فقمنا إليه واحداً بعد واحد . فكان به من صوم غربنا الفطر
فبتنا يرانا الله شرّ عصابة . نجرر أذيال الفسوق ولا فخر

تأويل

قبل خلق الكون اجتمعت أرواح الأقطاب عند الله تعالى. فلكل زمان قطب يدور عليه فلك الكون ومن أنفاسه يستمد الكون روحه وغاية وجوده. ولما كان الخلق تنزّلاً لهذه الأرواح من مقامها الأقدس العلوي إلى قيود الكون والقيد حجاب عن الحق تعالى عبّرت الأقطاب عن مرادها لله تعالى. هذه الخمرية تعبير رمزي عن هذا الأمر. فتعالوا ننظر.

الخمرية لها ثلاثة أقسام. قسم يعبّر عن مراد الروح الطاهرة للولي. وقسم يعبّر عن مراد الولي من الذات الأحدية للحق تعالى. وقسم يعبّر عن علاقة الولي بنور النبي والحقيقة المحمدية.

القسم الأول : مراد الولي.

{ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر . ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهر }

الخمر هو الذكر وأعظم مجاليه هو القرءآن، لأنه يغشى روح الذاكر ويجعله يفنى عن حدود نفسه بشهود عظمة ربّه، وكذلك لأنه يبلغ بالروح إلى كمالها الأعلى فيغطّي كل نقائصها. والولي هنا يقول {ألا فاسقني خمراً} وهو سؤال من الله تعالى لأنه مصدر الذكر "إنا نحن نزّلنا الذكر"، لكن يوجد فرق بين الذكر المجرّد وبين الذكر المجسّد، فالذكر المجرّد حقيقة وحال قائمة بروح الولي، وأما الذكر المجسّد فهو الذكر حين يلبس ثوباً طبيعياً كاللسان واللغة والمثال وفي حالة القرءآن هو اللسان العربي، لذلك قال بعدها {وقل لي هي الخمر}، فالإنسان لا يكتفي بالحقيقة بدون الكلمة، ولا بالكلمة بدون الحقيقة، بل لابد من الاثنين لأن للإنسان وجه للغيب يعشق الحقيقة والمعنى وله وجه للشهادة يعشق الصورة والمبنى. والشاعر هنا يذكر الترتيب الصحيح السليم للعلاقة بين الذاكر والذكر والقول، أي {فاسقني خمراً} أوّلاً وبعدها {وقل لي هي الخمر}، فلا يقدّم القول على فعلية الشيء وواقعيته، ولا يكتفي بواقعية الشيء بدون التعبير عنه بالكلام، بل لابد من الجمع على هذا الترتيب، العقل ثم القول. ثم قال {ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهر} توحيداً بين السر والجهر في مقام الجهر، لأن الجهر هو الأصل والإنسان لا يسرّ الشيء إلا لوجود الإكراه والجهل والقهر من الخارج فيضطر إلى تقسيم ذاته إلى قسم سرّي وقسم جهري وهي حالة مرضية، لذلك قال الشاعر {ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهر} لأنها الحالية السليمة التي تتوحّد فيها النفس وتكون لها الهيمنة على خارجها لا أن الخارج يهيمن عليها. فالمراد الأول للولي هو تعقل الحقيقة وقول الحقيقة والهيمنة بالحقيقة والظهور بها. العقل والقول والظهور. بالعقل يتوحّد العاقل مع الوجود، وبالقول تتوحّد عوالم العاقل داخل ذاته، وبالظهور يتوحّد مع محيطه. فمدار مرادات الولي هنا كلّها هو التوحيد والوحدة الوجودية على كل مستوى.

(فما العيش إلا سكرة بعد سكرة . فإن طال هذا عنده قصر الدهر }

العيش في الدنيا سجن مؤقت للروح فهو شقاء للروح من هذا الوجه. ولكل روح أجل ستبقى فيه في الدنيا "ولكل أجل كتاب"، وهو فترة سجنها. فمراد الولي هنا أن لا يشعر بالزمن الذي سيضطر أن يقضيه في الدنيا. فتغيير قضاء الله مستحيل، لكن تغيير كيفية تفاعل العبد مع قضاء الله ممكن، ولحصول هذا التغيير الممكن يقول الشاعر {فما العيش} فالعيش هنا هو العيش في الدنيا لكنه يشير إلى حسن العيش في الدنيا وتغيير كيفيته إلى كيفية مقبولة، {فما العيش إلا سكرة بعد سكرة} والسكر تغيير العقل في كيفية نظرته للدنيا وليس تغييراً لذات الدنيا، وحيث أن العبد لا يستطيع تغيير أجله وقضاء الله له في سجنه الدنيوي-والانتحار ليس خلاصاً من شقاء الدنيا على التحقيق لأنه خلاص من شقاء أدنى إلى شقاء أخروي أعلى والعياذ بالله فالعبد لابد من أن يقبل البقاء في الدنيا ما دام لم ينقضي أجله فيها ولا يستعجل الرجوع إلى الله والآخرة التي هي وطنه الأصلي. لذلك يأتي الشاعر المعبّر عن مشاعر الأولياء فيقول {فما العيش إلا سكر

بعد سكرة} فالحل الوحيد الممكن لعدم استشعار شقاء البقاء في الدنيا هو السكر المستمر. سكرة في الليل بعدها سكرة في النهار، وسكرة النهار بعدها سكرة الليل، وهكذا إلى انقضاء الأجل. فإن فعل هذا وأدام السكر لن يستشعر الزمن وسيقصر عنده الزمن وهو معقول ومجرّب، لذلك قال مبيناً سبب دعوته إلى السكر المستمر لتحسين العيش {فإن هذا هذا عنده قصر الدهر} فالغاية هي تقصير الدهر، لكن معلوم أن الدهر لا يقصر في ذاته بل بالنسبة لشعور الشخص، فالساعة لا تصبح خمسين دقيقة بسبب السكر لكن السكر يجعل الساعة تبدو للنفس كأنّها دقائق معدودة من الفرح والابتهاج وغير ذلك من المشاعر المصاحبة للسكر. فالزمن الكمّي لا يتغيّر، لكن الزمن الكيفي أي شعور الإنسان بالزمن الكمّي هو الذي يتغيّر بالسكر. فقوله {قصر الدهر} أي قصر بالنسبة إليك لا في ذاته ولا يهمّ ما هو الدهر في ذاته وإنما يهمّ الإنسان تجربته الشخصية مع الدهر.

{ وما الغبن إلا أن تراني صاحيا . وما الغنم إلا أن يتعتعني السكر }

السكر ضد الصحو، والصحو رؤية الدنيا من حيث هي دنيا أي منفصلة عن استغراق الروح في نور ذكر الله، فلو استغرقت الروح في نور الذكر فإنها لن ترى الدنيا كدنيا لكن ستراها بالله وفي الله وكآيات الله وكمثال للآخرة. فالصحو غبن أي خسارة وخداع ونقص للحال الأكمل، لأن الدنيا يمكن أن تراها كدنيا فقط ويمكن أن تراها كمجلى أسماء الله ومثال آخرة الله وكلمات آيات الله، فرؤيتها كدنيا فقط غبن قطعاً. وأما الغنم فهو أن يتعتعه السكر، والتعتعه فيها معنى الحركة بشدة وفيها معنى تردد المتكلّم في كلامه بسبب العيّ، والمقصود بالسكر هنا الحال التي تصيب النفس من شدّة إشراق النور الإلهي فيها بسبب الذكر فتحرّك عقله تحريكاً شديداً بالمعانى والروابط العقلية والمشاهدات الوجودية فيتردد لسانه من شدّة توارد المعاني عليه وقوّة ما يشهده ويظهر كموسى "لا يكاد يبين" من عظمة ما شهده ويشهده، لذلك قرنه ب{الغنم} الذي هو الكسب ونيل الشيء المفيد، فغنم الذكر سبب والأثر هو التعتعة باطناً وظاهراً.

{ فبح باسم مَن تهوى ودعني من الكنى . فلا خير في اللذات من دونها ستر }

{اسم مَن تهوى} هو الذات الأحدية المطلقة للحق تعالى، والبوح بها بدون كنى هو ذكر حقيقة الوحدة المطلقة للذات الإلهية وأنه لا وجود ولا موجود سواه "هو الأول والآخر والظاهر والباطن" و "فأينما تولوا فثم وجه الله". فالشاعر هنا يذكر أقصا مقام يبلغه الذاكر وهو مقام الوحدة المطلقة بالإطلاق الحقيقي الذي يتعالى حتى على مجرد الإطلاق الذي له ضد هو التقييد. وهذه هي اللذة الكبرى للسرّ الإنساني، ومن هذه اللذة تنتشر اللذات في بقية مستويات الوجود الإنساني من إرادة فتكون إرادته إرادة الله وعقل فيكون تعقله عين علم الله وشعور فيكون شعوره مظاهر رضا الله وسخطه وخيال فيكون خياله مرآة آيات الله وحواسه فتكون حواسه آلات فعل الله "فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم". {فلا خير في اللذات من دونها ستر} وهو ستر الألفاظ التي تخفي حقيقة الوحدة الوجودية المطلقة لله تعالى، وستر الأفعال التي يقوم بها الإنسان كوسيلة لإبراز

الفرق بينه وبين الله سبحانه مراعاة لجهلة البشر أو خوفاً من ظلم فراعنة زمانه. البوح هو حرية الكلام المطلقة التي لها أن تبوح بما تشاء بدون كناية ولا رمز ولا تعمية ولا تورية ولا حذف ولا تحريف ولا أي قيد وإخفاء، وهي القمّة التي بحصولها تصبح روح الولي في الدنيا أقرب ما تكون إلى السعادة، ولذلك يحارب الأولياء وعلى رأسهم النبي لأنهم {يقولوا ربنا الله}. الشاعر هنا يعبّر عن استهلاك سر الولي في الوجود الإلهي المطلق الذي لا يحتمل أصلاً الكنى لأن الكنية نفسها على الحقيقة هي عين الذات الإلهية، فلا يوجد في هذا المقام فصل بين الكنية وما تكنيه، ولا الرمز وما يرمز له، ولا المثال والممثول، بل هو مقام الوحدة المطلقة والأحدية الصرفة. وفي هذا المقام اسمها هو اللاسم، ليس لها اسم لأن كل اسم قيد وهي وراء كل قيد، لذلك قال {فبح باسم من تهوى} بدون تعيين اسم لها، فالتعيين يكون بحسب ما تهواه أنت، فكل ما تهواه أنت فهو اسمها، إذ هي وراء كل اسم وكل اسم هو اسمها في آن واحد، فلما لم يبق غيرك وليس غيرك أولى منك في تعيين اسم لها فليكن ما تهواه أنت هو اسمها، ومن هذا المقام قال الحلاج "أنا الحق".

{ ولا خير في فتك بدون مجانة . ولا في مجون ليس يتبعه كفر }

الفتك فيه معنى الإقدام على الشيء بقوة وكذلك معنى القتل، والمقصود هنا لا خير في الفتك بنفسك أي قتلها بالذكر بقوة حتى إلا إن وصلت إلى حالة المجانة التي فيها معنى المجانية أي الإباحية وعدم وجود مقابل لما تفعله، نعم لأن تحصيل فناء النفس في الوحدة الإلهية هو فتك بالنفس لكن إن فتكت بها على أمل أن يحصل لك أجر وجزاء وثواب دنيوي أو أخروي فأنت لم تزل موجوداً لم تفنى بعد ولا تزال في الثنائية والكثرة حيث تتوقع المقابل لفعلك، لكن الفتك الحق هو الذي يصل بك إلى المجانة التامة أي حين تفنى أنت ولا يبقى إلا الله "كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" هذا هو الخير أي الحقيقة الوجودية الصادقة. لذلك بعد المجون لابد أن يأتي الكفر، والكفر هو التغطية والستر، فبعد الفناء يزول الفرق بينك وبين الله بحيث لا يبقى إلا الله وهو الفعّال لما يريد وأنت عبد خالص له لا تشهد حتى عبوديتك ولا ترى فرقاً أصلاً بينك وبينه فهو القائم القيّوم لا غير "فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم"، وبعد المجون لابد من الكفر، فالمجون غياب عن الثنائية في الحال والكفر هو غياب عن الثنائية في المآل، أي تبطل حتى توقع الجزاء لاحقاً أو تحقق وجودك لاحقاً وعودة نفسك إليك بعد حين، فأنت لا تفني نفسك اليوم من أجل أن ترجع غداً فتكون كصاحب صفقة يبيع عاجل بآجل فهذا أيضاً دليل على عدم خلوص الوحدة المطلقة، كلا، الوحدة المطلقة يعني الآن ولاحقاً ودائماً لا يوجد إلا الله ولا صفة إلا له ولا فعل إلا له بل هو. فالفتك والمجون والكفر هم الفناء عن النفس وأفعالها وآثارها. فإن تم هذا تم نور الولي الذي هو تمام إشراق نور الله إذ "الله نور السموات والأرض" ولا نوره إلا نوره، فقول النبي والذين ءامنوا معه "ربنا أتمم لنا نورنا" يعني تمام إشراق نور الله وغياب كل ظلمة لوجودنا الخاص بنا وهو العدم والفقر الأصيل للعبد. هذا كلّه في سرّ الولي وغيبه.

وإلى هنا ينتهي القسم الأوّل الذي يعبّر فيه الشاعر عن مراد القطب من حياته التي قدّر الله له قضائها في الدنيا. ثم يأتي القسم الثاني الذي يعبّر فيه القطب عن صلته بالأقطاب وما سألوه الذات الإلهية قبل خلق الكون.

القسم الثاني: سؤال الأقطاب الحق تعالى.

{ بكل أخي فتك كأن جبينه . هلال وقد حفّت به الأنجم الزهر }

أخو الفتك عبارة عن القطب فهنا بدأ يذكر الأقطاب الآخرين وعبّر بأهمّ أعمال القطب وهو الفتك بنفسه في سبيل الله فيفنى هو ويبقى الله والباقي فروع لهذا الأصل الأكبر. {كأن جبينه هلال وقد حفّت به الأنجم الزهر} جبينه عبارة عن أعلى الوجه فيرمز إلى أعلى العقل، أي عقله الأعلى هلال من حيث أنه يستمد الضوء من الحق تعالى كما يستمد القمر نوره من الشمس، فالقطب عبد لله يستمد منه، فهنا بدأ التنزّل من مقام الوحدة المطلقة إلى الظهور في العوالم، فبدأ بأعلى ما عليه القطب وهو عقله الأعلى الذي يستمد من الله مباشرة ويرى فقره إلى الله باستمرار في العلم والحكمة وتنزّل الفهم عليه لذلك عبّر عنه بالهلال الذي هو أوّل منازل القمر فالقطب دائماً يتذكر جهله الذاتي وقلة علمه بالنسبة إلى علم الله ويرى نفسه في أول المنازل وأضعفها وأقلها كما قالت الرسل في الآخرة "لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب" بالرغم من أن الله سألهم ولولا وجود العلم فيهم لما سألهم، لكن في الحضرة الإلهية لا يوجد إلا "لا علم لنا إلا ما علمتنا" كما قالت الملائكة، فمهما استنار القطب لا يرى نفسه إلا هلالاً في أحسن الأحوال بالنسبة لعلم الله المحيط والأصيل. {وقد حفت به الأنجم الزهر} الأنجم هنا هي كلمات الله وآياته التي تحفّ بعقل القطب دائماً، وكذلك هي الملائكة التي تحف بعرش عقل القطب وتمدّه وتسجد له وتتولاه للقيام بأمره وتكليفه دنيا وآخرة.

{ وخمّارة نهّبتها بعد هجعة . وقد غابت الجوزاء وارتفع النسر }

الخمّارة هنا هي الذات الإلهية الغيبية المحضة التي هي وراء كل وراء، وهي التي تغطي وتغشى وتحيط بكل شيء فهي خمار كل شيء مطلقاً. والشاعر هنا يعبّر عن جميع الأقطاب كمتكلّم بالنيابة عنهم فهو قطب الأقطاب وإمامهم الذي يتقدّم وفدهم على الله تعالى. والإشارة بالهجعة وارتفع النسر هي إلى ليل الأزل أي قبل نهار خلق الكون.

{ فقالت مَن الطرّاق قلنا عصابة . خفاف الأداوى يبتغى لهم خمر }

قالت الذات الإلهية للأقطاب {مَن الطرّاق} فالحق مطلق ولا يتقيّد عطاؤه إلا بحسب سؤال السائلين وإلا فهو مطلق في ذاته والمطلق لا يتقيّد من ذاته بذاته بل لابد من سؤال واستعداد وشيء من دونه، لذلك سألهم صفتهم في القدوم عليه. فقالوا {عصابة} كما قال النبي عن أصحابه المقربين في غزوة بدر "إن تهلك هذه العصابة"، فهي جماعة بينها عصب يجمعها وهنا

هو القطبية والولاية الكبرى ولهم إمام يقودهم وهو الشاعر. وهذه العصابة تسأل الحق تعالى من فضله حتى تنزل إلى الدنيا وتقوم بعملها في الكون. فهي تخشى أن تنزل إلى الدنيا وليس لها خمر لأنها عرفت الدنيا وقيودها الزمانية والمكانية بالتالي فيها عذاب للروح الحرة ذاتياً والمقدّسة نفسياً. {خفاف الأداوى يبتغى لهم خمر} الأداوى هي القلوب وهي خفيفة حين تنزل إلى الدنيا لأنها ستأخذ علومها بواسطة الحواس، والطبيعة لا تمدّ القلب بالعلم والذكر الإلهي بواسطة الحواس إذ الحواس لا تكسب الذكر من الطبيعة مهما نظرت وشمّت وذاقت وسمعت ولمست ونحو ذلك، بالتالي استشعروا خفّة قلوبهم وفراغها من خمر الذكر. وهذا هو الطلب الأول. ثم ذكروا الطلب الثاني فقالوا..

{ ولابد أن يزنوا فقالت أو الفدا . بأبلج كالدينار في طرفه فتر }

{يزنوا} هنا لها معنيان. الأول من الوزن وهو الفكر الذي يزن الأمور، إذ لابد للإنسان من استعمال فكره لمعرفة الأسباب والآثار ومعرفة المنافع والمضار مادام في الطبيعة فلابد أن يزن ويستعمل قدرة الفكر لاختيار المسار الأسلم للجسم، فالذكر للروح والفكر للجسم، فالذكر هو الخمر وهو الطريقة، والفكر هو الوزن وهو الشريعة، ولابد للأقطاب من شريعة يسيرون عليها، فمن أين سيحصلونها والطبيعة لا تمدّ بشريعة من ذاتها بواسطة الحواس، وكذلك لابد للشريعة من شخص يجسّدها ويريها للناس بسنّته "فبهداهم اقتده" "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" وهو المعنى الثاني للزنا هنا أي لابد من شخص نستن به ونتصل به ونجتمع به وعليه حتى نأخذ منه ميزان الشريعة. فجاء الجواب ضمناً بأن الخمر تم الامداد به ولم تذكر الخمّارة هنا استجابة هذا الطلب بالنص لكن لأنها لم تذكره وذكرت الفدا من الزنا فقط عرفنا ضمناً أنها وافقت على الامداد بالخمر، والتأويل أن الذكر غيبي في حقيقته وسيتم امداد الأقطاب والأولياء بالذكر بدون واسطة رسول ونبي بل مباشرة من الله تعالى وهي النبوة العامة الباقية وغير المنقطعة وهي نبوة الولاية ونورها. لكن بالنسبة لمظهر النور الإلهي في الجنس الإنساني وهو الرسول فقد قالت {أو الفدا بأبلج كالدينار في طرفه فتر} وهو النبي، لأنه خليفة الله في العالَم، فلما أراد الأقطاب رؤية الله في العالَم إذ لم يحتملوا الحجاب عنه وخشوا من الدنيا لأنها تحجب عن الله سألوا الخمّار الزنا بها فقالت {أو الفدا} أي سأعطيكم خليفتي فإن يده هي يدي "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله" وطاعته طاعتي "من يطع الرسول فقد أطاع الله" ورضاه رضاي "والله ورسوله أحق أن يرضوه" وفضله فضلي "أغناهم الله ورسوله من فضله" وهكذا هو خليفة الله بأقصى ما تحتمله الكلمة من معنى. ووصف الرسول بعدها بقوله {بأبلج كالدينار في طرفه فتر} فالأبلج من الحق كما قال النبي "الحق أبلج" وقال عن نفسه "من رآني فقد رأى الحق" فالأبلج هو النبي لأنه الحق ومظهر الحق ومرآة الحق ووسيلة الحق. كالدينار لأنه ذهبي أي شمسي المقام "سراجاً منيراً" "جعل الشمس سراجا" فكما أن القطب هلال بالنسبة لشمس الله أمدنا الله هنا بشمس النبي ليكون خليفة لشمس الألوهية المتعالية، فشمس الألوهية تضيء السر ما وراء العالَم وشمس النبي تضيء القلب في العالَم، وكذلك كالدينار أي دين ونار فالنبي هو

صاحب الدين الذي برز من نار الله كما كلّم الله موسى من النار وأوحى إليه منها، والنبي أيضاً هو صاحب الدين الذي من خالفه دخل النار والعياذ بالله "فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم". في طرفه فتر أي عينه غير مفتوحة على الدنيا كل الانفتاح ولا هي مغلقة عنها كل الانغلاق بل بعض عينه ينظر إلى الدنيا وبعضها مغلق عنها لأنه مفتوح على الآخرة، فالطرف الفاتر عبارة عن الناظر إلى الدنيا والآخرة معاً، لذلك الفتر يشير إلى درجة من الانغلاق بالتالي النظر إلى الباطن كالنوم وهو النظر إلى باطن الدنيا أي الآخرة "يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون"، فالنبي يأتي بدين يوازن بين النظر إلى الدنيا والنظر إلى الآخرة فيكون في طرفه فتر رمزياً.

{ فقلنا لها هاتيه ما إن لمثلنا . فديناك بالأهلين عن مثل ذا صبر }

فلما عرفوا خصائص النبي وخلافته ودينه ومقامه ونفعه وافقوا على النزول إلى الدنيا لعلمهم بحضور النبي فيها وهو خليفة الله. فقالوا للحق تعالى {هاتيه ما إن لمثلنا فديناك بالأهلين عن مثل ذا صبر} فذكروا الفداء بالأهلين لأن معية النبي يجب شرائها ولو بترك الأهلين فضلاً عن الأموال التي هي دون الأهل، كما قال "قل إن كان أباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم..أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله" فقدّم الرسول على الأهل كلهم وعلى الأموال أيضاً من باب أولى. فعلموا أن النبي أغلى وأثمن وأعظم ما في العالَم، ولابد من تفديته وتفدية الجهاد معه على كل شيء بشري ومالي على السواء.

{ فجاءت به كالبدر ليلة تمّه . تخال به سحراً وليس به سحر }

البدر التام هو النبي وهو ظاهر، فالقطب هلال لكن النبي بدر تام، كذلك القطب دائماً مع النبي يرى نفسه ناقصاً بالنسبة إليه وتابعاً له، فالولي تحت قدم النبي أبداً محبة وطوعاً وتعظيماً وتسليماً. وهو الوجه الثاني للنبي أي الوجه القمري خلافاً للوجه الشمسي المشار إليه بالدينار سابقاً، "وسرجاً منيراً "و "قمراً منيراً". ففي البيت السابق ظهرت حقيقة النبي الأحمدية في غيب الأزل للأقطاب إذ كانت الخمّارة تتكلّم عنه وتشرح حقيقته للأقطاب، لكن في هذا البيت ظهرت حقيقة النبي المحمدية في شهادة العالَم والعالَم ليل وظلام لذلك ذكر البدر {ليلة} تمّه. فلما ظهرت النبي في الدنيا قال عنه الكفرة ما قالوه كرميه بالسحر فرد الشاعر هنا {تخال به سحراً وليس به سحر} أي لما ظهرت في الدنيا تعرّض لمثل هذه التهم الباطلة. {تخال به سحرا} لأنه يتكلّم بمنطق أخروي لا منطق دنيوي، وعينه تنظر إلى باطن العالَم لا فقط ظاهره فيستغرب الناظر إليه من عينه وتصرفاته، ولأنه ينظر في باطن قلبه وليس فقط ظاهر حسّه، ويعبّر بالأمثال ويعترف بوجود أشياء لا تشهدها الحواس العادية للبشر فيرمونه بالسحر أي هو مسحور يعتقد ما لا وجود له ويظن أنه يفعل ما لا يفعله في الظاهر لأنه يتصرّف بباطنه في باطن الأمور ويغيّر الأشياء من أسبابها العلوية والغيبية ونحو ذلك من أمور كلّها غائبة عن غرقى ليل الدنيا فيرمونه بالسحر لكن الحق أنه {ليس به سحر}.

{ فقمنا إليه واحداً بعد واحد . فكان به من صوم غربتنا الفطر }

{فقمنا إليه} أي الأقطاب، {واحداً بعد واحد} إذ في كل زمان واحد يوجد قطب واحد، ولا يأتي قطب إلا بعد رحيل القطب الذي قبله، وكلما قام قطب إنما يقوم للنبي حتى يمدّه النبي بالنور الإلهي الخاص الذي هو خلافة عن النبي، فكل الأقطاب خلفاء النبي والنبي خليفة الله في العالَم أي خلافة الشريعة ونورها وحمل القرءآن وكتاب الله الذي جاء به الرسول وتعليمه للناس وتزكيتهم وإصلاحهم به وبالصلاة. {فكان به} أي كان بالنبي والقيام له والأخذ منه {من صوم} وليس من صيام، فالصوم عن الكلام كما أن الصيام عن الطعام كما قالت مريم "نذرت للرحمن صوما فلن أكلّم" لكن في رمضان قال "كتب عليكم الصيام"، وهنا المقصود أن الأقطاب كانوا في العالَم في حالة صوم أي لا كلام إلهي عندهم إذ لا ينزل كتاب الشريعة والكتاب باللسان العربي والوحي الخاص بالأمر والنهي إلا على النبي لذلك كان بالنبي من صوم غربة القطب {الفطر} فإن النبي أطعمه كلام الله وفتح له قلبه حتى يمتلئ بنور الله فيفهم عن الله كتابه، وبذلك يصبح القطب ليس في غربة في العالَم لأن الغربة هي المكان الذي لا تملكه والقطب غريب في العالم لأن العالَم ملك النبي بتمليك الله له إياه، فلما نقل النبي سر الخلافة للقطب صار القطب ملكاً للعالَم تابعاً للملك الحقيقي له الذي هو النبي. وهذا حال الأقطاب كلهم. فالنبي ملك العالَم لأنه خليفة الملك الحق الذي هو الله تعالى وحده، والقطب ملك العالَم بنور النبي وكتابه لأنه خليفته.

{ فبتنا يرانا الله شرّ عصابة . نجرر أذيال الفسوق ولا فخر }

{فبتنا} أي الأقطاب كلهم، {يرانا الله} بعد أن حصّلنا الولاية الإلهية والخلافة النبوية، {شرّ عصابة} الشرّ هو العدم والفقر كما أن الخير هو الوجود والغنى، فالأقطاب {شر عصابة} لأنهم الفقرآء إلى الله بالحقيقة وبالعلم وبالوعي وبالتصرّف بناء على هذا الفقر خلافاً للجهلة الذين هم فقراء إلى الله لكنهم في طغيانهم يعمهون. فشرّ عصابة هم الأقطاب لأنهم أفقر الناس إلى الله حالاً وعلماً وعملاً، إذ ولايتهم تجعلهم في طريقتهم فقراء بالذكر والوجود وتعقل فقرهم الذاتي إلى الله باستمرار وبالتوكل عليه، وخلافتهم تجعلهم في شريعتهم فقراء بالأمر والسلوك واتباع النبي في كل صغير وكبير. فهم الفقراء حقاً. {نجرر أذيال الفسوق} الفسوق هو الخروج عن الشيء، أي خرج الأقطاب عن بقية الناس بل والخلق بكونهم دخلوا في الفقر المطلق إلى الله تعالى، فلا يرون لوجودهم وجود إلا وجود الله ولا يعملون عملاً إلا كان الله هو الفاعل له ولا يتبعون إلا كتاب الله ورسول الله في كل صغير وكبير، فخرجوا عن كل من سواهم بتحقيق سر الفقر وحقيقته من كل وجه، لذلك {لا فخر} أي لم يخرجوا عن بقية الخلق فخراً عليهم ولم يدعوا أنهم خرجوا عن بقية حال الخلق فخراً ولا كان غرضهم في ذلك كله هو الفخر والتفاخر، بل إنما هي حقيقة يحيونها وحقيقة يذكرونها من قبيل قول النبي "أنا سيد ولد آدم ولا فخر".

والحمد لله رب العالمين.

....

بسم الله الرحمن الرحيم

(كيف يرضى الله بوجود الشر في العالَم ؟)

١- الشر هو الألم. والألم شر لأنه يجعلك تكره الوجود، فإن كنت في حالة تكره استمرارها وترغب في تبديلها فهي شرّ بالنسبة لك. ولا يهمّ بالنسبة للوجدان تعريف الشرّ بالنسبة لجميع الناس أو جميع الخلق لكن المهم هو الوجدان الفردي، فما هو شرّ بالنسبة لك هو الشرّ الوحيد لك فحتى لو فرضنا أنه خير بالنسبة لغيرك فإن علمك بأنه خير بالنسبة لغيرك لا يغيّر بالضرورة كونه شرّاً بالنسبة لك. فإذا تألمت في جسمي مثلاً بسبب شرب حساء حارّ فلن يغني عن شيء أن يقال لي "لكن فلان من الناس شرب نفس الحساء ولم يتألم بسببه". الألم بالنسبة لي هو الألم الوحيد الذي يهمّني. لكن نحن نعلم وجدانياً أننا نتألم أحياناً ليس بسبب وقوع شيء مؤلم علينا لكن بسبب وقوعه على غيرنا ممن يهمّنا أمره كابن أو أم أو صديق، ونجد ألماً في أنفسنا وأحياناً يمتد إلى أجسامنا بمجرّد معرفتنا بوقوع ألم معين لهم، ومثل هذا يعتبر شرّاً أيضاً بالنسبة لي لأنه بلغ إليّ وتسبب بإزعاجي وإفساد مزاجي وتعكير صفوي وإيلام نفسي وجسمي، باختصار الألم بكل مستوياته. الصفة الأساسية لكل ما هو شر هي كره وجوده وكره استمرار وجوده فيك. ومن هنا نعلم أن الشرّ شيء حقيقي، ومعلوم بالوجدان والإحساس، ولا يمكن بحال من الأحوال إنكار وجوده باختراع ألفاظ لغوية أو مفاهيم تجريدية. فالشرّ موجود في العالَم. ولا يوجد أحد حتى ممن ينكر وجوده نظرياً إلا ويعترف بوجوده نظرياً في مواضع أخرى من كلامه وبالتأكيد يقرّ بوجوده واقعياً في حياته الشخصية وتصرفاته ويشهده في نفسه. وبالنسبة للقرءآن يقول "قل أعوذ برب الفلق. من شرّ ما خلق" فالشرّ هنا مقرون بخلق الرب، وكذلك قال "لا يضرّونكم إلا أذى" وهذا في النبي والمؤمنين الذين يتعرّضوا للأذى، والضرر والأذى والألم والإساءة وبقية الأمور من هذا الصنف كلّها داخلة في معنى الشرّ الكلّي، فسنتكلّم عن الشرّ كحقيقة كلّية تتضمّن هذه الجزئيات والأنواع المختلفة من الشرّ، والاستعاذة بالله من الشيء هي بحد ذاتها دليل على اعتراف القرءآن بوجود الشر وإلا فلا استعاذة من الخير والمحبوب واللذيذ الغالب، والأدلة على هذا المعنى كثيرة من القرءآن. ونستطيع الإتيان بجميع كتب الأديان والملل والنحل المختلفة لإثبات إقرارهم الصريح أو الضمني بوجود الشر في العالَم، سواء نسبوا خلقه إلى الله أو إلى من سواه لكن المهم أنهم يعترفون بوجود الشر. وكذلك يمكن الإتيان بكل فلسفة ومذهب فكري يدعي عدم وجود الشر ونثبت أنهم يقرّون بوجوده تصريحاً أو تلميحاً. ولا نريد التطويل في

هذا الباب البديهي المعنى، ويكفي ذكرناه لتقرير حقيقة الشر في العالَم. من هذا المنطلق نريد أن نسأل: كيف يرضى الله بوجود الشر في العالَم؟ فتعالوا ننظر.

٢- لا وجود الله ولا صفة الله تقتضي عدم وجود الشر في العالَم. أما وجود الله فهو من وجه غير معلوم الكنه لأنه المطلق المتعالي بنحو لا يمكن قياسه على أي شيء موجود ومخلوق، فمن هذا الوجه يتعالى على الخير والشر كليهما، ومن وجه آخر كون الله موجوداً أي نفس حقيقة الوجود لو كانت تقتضي من حيث ذاتها عدم وجود الشر لما كان للشر أي وجود في العالَم إذ لا يصدر عن الله شيء غير ذاته وما تقتضيه ذاته لأنه لا يوجد غيره في الحقيقة ولا إله سواه ولا إله ولا وجود خارج إحاطته وسعته بالتالي لا غير له حتى يكون هذا الغير هو مصدر الشر باستقلال عنه فكل موجود سواه هو منه وبه وله وإليه وعليه وفيه فلو كانت ذاته تقتضي عدم الشر لما لكان للشر وجود فبما أن الشر موجود فذاته لا تقتضي عدم الشر. وأما صفة الله فهي ما بين كمال وجمال وجلال، فكماله كأحديته وجماله كرحمته وجلاله كانتقامه، فصفة الكمال تقتضي انحصار الوجود والكمال فيه هو بالتالي لابد من كون الوجود مستعاراً غير أصيل في كل موجود من دونه والشعور بهذه الاستعارة والفقر الدائم لاستمداد الوجود من الله هو من الشر ومسببات الألم إذ كثير من الشر في العالم يدور حول إهلاك المخلوق وإعدامه أي إرجاعه إلى أصله العدمي وسلب الوجود المستعار منه، فنفس انتقال الشيء من عدمه الأصلي إلى ساحة الخلق هو انتقال غير طبيعي وفوق طبيعي فهو مضاد للحالة الذاتية أو الحركة الذاتية للمخلوق كصعود الجبل مثلاً فهو مضاد للحركة الطبيعية التي هي الهبوط وسقوط الأشياء إلى أسفل بحكم الجاذبية، كذلك جاذبة كل مخلوق هي باتجاه العدم، فخلقه الله وأعطاه نور الوجود لكن هذا العطاء عملية فوق طبيعية وقاهرة وخارقة للطبيعة من هذا الوجه، لذلك نجد أسباب الشر كالقتل والتعذيب والمرض وغيرها في العالَم فهي في الحقيقة من مقتضيات صفة الكمال لله التي تحصر الوجود والكمال في ذاته فتتجلّى في العالَم بهذه الأسباب. وأما صفة الجلال فإنها أظهر في كونها السبب الأعلى للقهر والإفناء الذي يصيب الخلق. وأما صفة الجمال فهي الوحيدة التي يمكن نسبة سبب الإيجاد والبقاء النسبي للخلق إليها، فرحمته هي التي أوجدت كل شيء وتحفظ وجود كل شيء وتنميه وتدفع عنه أسباب الفناء والإيلام أي تدفع عنه الشر. فلا النظر في وجود الله ولا في صفاته يقتضي لا نظرياً ولا عملياً نفي وجود الشر في العالَم، بل على العكس تماماً، ونجد فيها التفسير الأعلى لوجود الشر في العالَم. فالله خلق العالَم ليكون مرآة له يعرف فيها نفسه، فالله يعرف نفسه بنفسه ويعرف نفسه بخلقه، ومعرفة نفسه بخلقه رمزياً بالنسبة لنا تشبه النظر في وجوهنا بوسيلة مرآة تعكس لنا صفتنا، كذلك العالَم بالنسبة لله يعكس صفات الله بطريقتين، طريق المباشرة فالله جميل فنجد في العالَم جمال والله رحيم فنجد في العالَم رحمة وهكذا، وطريق العكس فالله جميل فنجد في العالم ضد الجمال وهو القبح والله كريم فنجد في العالَم ضد الكرم وهو البخل، فالعالَم مرآة لله من وجهين. بالتالي وجود الشر الذي هو النقص والألم والضعف والمحدودية داخل في التركيب الذاتي للعالَم لأنه يعكس لله صفة كماله وتعاليه وقوته وإطلاقه. فالله خلق العالَم له والعالَم

كما أراده، و"لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون"، ولا يوجد لدينا إله آخر نرجع إليه غيره، فطوعاً أو كرهاً لا مفرّ من هذه الحقيقة.

٣- النظر في تفسير الشرّ بالنسبة للإنسان لابد أن يتحدد قبله مسألة مهمة وهي وجود الآخرة. فهل الآخرة موجودة أم معدومة؟ إن افترضنا وجود الآخرة فسننتهي إلى نتائج غير ما سننتهي إليه لو افترضنا عدم الآخرة، وقيمة الشر وأبعاده ستختلف بحسب هذا السؤال. فما نعتبره شرّاً الآن ستختلف قيمته بالنسبة لنا إن اعتبرنا الدنيا كرسمة غير منتهية بعد لا يزال الرسام يرسمها فالرسمة قبل الفراغ منها قد تكون قبيحة وفوضوية لكن بعد انتهاء الرسام من إبراز الصورة كما هي في عقله قد تكون أجمل رسمة في تاريخ الفن كله، كذلك العالَم إن كانت الدنيا هي مجرد مرحلة من مراحل تجلّي العالَم الذي هو إرادة الله وفكرته السابقة وجوداً على ظهورها في الخلق، فلا نستطيع الحكم النهائي على أن العالَم كله شر أو أغلبه شر أو كون الشر الذي فيه مبرر لتحصيل خير أعظم مع بطلان الأثر الماضي للشر وكذلك الانفعال النفسي للشر في الدنيا كل هذا سيتغيّر لو افترضنا أن الدنيا مرحلة من مراحل رسمة العالَم وليست كل العالَم. وأما إن افترضنا عدم الآخرة مطلقاً فهذا ليس إله الأديان المعروفة وخصوصاً ديننا فلا يلزمنا الجواب عنها هنا لأني لا أنتمي لدين لا يؤمن بآخرة ويفترضها، مع العلم أن صورة الإله خالق العالَم ستختلف إن افترضنا وجود الآخرة عنها لو افترضنا عدم الآخرة لا فقط الشر هو الذي سيختلف في أعيننا. فصورة الخالق وصورة الشر ستختلف بحسب موضوع الآخرة وجوداً وعدماً وكيفيةً. لكن هذا لن يغيّر من اعتبار الشر جزءاً أصيلاً في العالَم سواء قلنا بالآخرة أم لم نقل بها، فحتى لو قلنا بالآخرة فإن جانب معيّن من ظواهر العالَم سيبقى شرّاً وإن كان مفسّراً وإن كان يأتي معه يسر وخير عظيم في باطن الإنسان أثناء حصوله في ظاهره يبرر وجوده، فلا مفرّ مع ذلك من الاعتراف بوجود نسبة معينة من الشر والتي هي الألم ورؤية النقص ونحو ذلك. فوجود الآخرة يقلل من حدّة الشر وتأثيره السلبي في النفس لكنه لن يلغي كل أبعاد الشر فالشرّ أصيل في العالَم لا يمكن رفعه ولا إبطاله بالكلّية، ولولا أن سبب الشر وإرادته أصيل في ذات الخالق وصفته لما أمكن للشر من الوجود في العالَم وهو كما ذكرنا من اللوازم الذاتية لصفة كماله وصفة جلاله وحتى باعتبار صفة جماله لأن الرحمة تطلب مرحوماً ولولا النقص والألم والضعف لما وجد محلّ لنزول الرحمة أصلاً. بالتالي وجود الخالق يقتضي وجود الشر في المخلوق، لذلك لا مجال لرفع الشر مطلقاً من العالَم. "أعوذ بك منك". "قل أعوذ" فهو الذي خلق الشر وهو الذي أمر بالاستعاذة به من الشر. فلا مفر منه إلا إليه ولا ملجأ منه إلا إليه. الآخرة تخفف حدّة الشر ولا تبطل وجود الشر ولا يمكن إزالة الحد والفرق ما بين الخير والشر بمجرّد إدخال عنصر الآخرة في الاعتبار، أقصد الإزالة المطلقة من كل وجه. في بقية هذه المقالة سنفترض وجود الآخرة في باطن النفس اليوم وبعد الموت حسب الرؤية القرءانية. لأني أؤمن بها وأراها تفسّر العالَم أحسن تفسير.

٤- هل سنقيّم مصلحة المتألم من حيث مصلحته الدنيوية أم الأخروية. لنقل هنا دفعاً للاستثناءات الممكنة أن المتألم هو طفل. حتى لا يقال أن الألم جاء بسبب كون الشخص ارتكب عدواناً على غيره فارتدّ عليه الألم كجزاء على طريقة كما تدين تدان فيتبرر الألم بكونه عدلاً. لنقل أنه طفل دفعاً لأشباه هذه الاحتمالات. ونحن نرى الأطفال يتألمون ويعتدى عليهم ويضربون ويمرضون وتقع عليهم أنواع الآلام. فما سبب ذلك؟ هنا لابد من الاختيار مبدئياً بين المصلحة الدنيوية والمصلحة الأخروية. بالنسبة للدنيا لا يتبرر ألم الطفل من حيث أنه لم يفعل شيئاً بإرادته يستحق به هذا الألم حسب ما يظهر لنا. لكن في ضوء الآخرة الألم رفعة وكفارة والموت نجاة وسلامة. وأبيّن ذلك بقصّة وقعت لأخي محمد حتى يتبيّن المعنى بوضوح إن شاء الله.

تعرّض لأخطاء طبية فادحة يوم ولادته أدّت إلى فساد في دماغه وشلل في جسمه فصار لا يتكلّم ولا يتحرّك بشكل عام وتأثر كل حواسه وأحسن ما بقي فيه سمعه وبقي كذلك تقريباً سبعة وعشرين عاماً، وتقوم على شؤونه خادمة دائماً. في أواخر أيامه هربت خادمتا البيت ولم يبق معه أحد، فاحتجنا إلى شخص يقوم بأمر تغيير حفائضه وتنظيف جسمه. فتقدّمت أنا وأخي الأصغر لذلك ودخلت بقلب منشرح ومفتوح تماماً بنحو عجيب بالرغم من شهرتي بالتقزز حتى من نفسي في هذه الأمور، لكني كنت أبتسم وأنا أخدمه وألاطفه بالكلام وكان هو أيضاً يضحك ولا أدري لماذا لكنه كان ضحكاً قوياً بشكل غريب لم أرَ مثله قبله ولا بعده ولا علاقة له بشيء كنت أفعله لأني كنت بكل بساطة أغيّر حفاضته وأمسح جسمه بنحو طبيعي وهادئ لم يكن فيه أي دغدغة ولا شيء يمكن أن يثير الضحك بل كان بمجرّد دخولي وبدأي بالعمل يضحك بقوة عجيبة، وبقيت على هذا الحال يومين، وكنا نبحث عن خادمة في أثناء ذلك. في الليلة الثانية دخلت وخدمت وهو يضحك بقوة كاليوم الماضي وفرغت من خدمته وصعدت إلى الحمام لأغتسل، ولم يردنا أي خبر عن وجود خادمة، وأنا أغتسل فجأة نزل عليّ شيء أوقفني عن الحركة ونظرت أمامي فإذا بي أجد نفسي عند باب الجنّة وأخي محمد يفتح لي الباب فرأيته وإذا هو رجل طويل جميل جدّاً فخم بهي يشع نوراً من بياضه وأدخلني وأخذني وجلسنا بجانب نهر وصار هو يخدمني ويسقيني وقال لي "كنت أضحك بسبب رؤيتي ما سيعطيك الله إياه على خدمتك لي". ثم رجعت إليّ نفسي ورأيت نفسي في الحمام من جديد وعرفت حينها أن فترة خدمتي له انتهت، وفعلاً في تلك الليلة جاءت خادمة جديدة له وكان هذا آخر عهدي بخدمته، وأردت أن أرى ماذا سيحدث حين تغيّره وتنظفه الخادمة الجديدة لأرى إن كان سيضحك أم لا فنظرت وكان أبرد من الحجر معها لا ضحك ولا تأثر ولا شيء.

الآن، هذا أمر واحد من بين أمور كثيرة تتعلّق بالفوائد الأخروية التي نزلت علينا بسبب أخي محمد. فمن جهة، وجود المعاق بيننا هو فرصة لإظهار المبدأ الإنساني الروحاني الذي فينا أي المبدأ الذي لا يطلب المصلحة الدنيوية بالمعنى الضيق والمقابل المادي على سبيل التجارة الباحثة عن المصلحة المادية، لذلك السفلة من البشر كالنازيين الذين كان همهم الأول والأخير المصلحة المادية كانوا يرون إعدام المعاقين بحجة عدم نفعهم للمجتمع-النفع بمفهومهم هم طبعاً والذي جلب

عليهم أخيراً الدمار والفناء في جيل واحد والحمد لله، وكانوا يظنون أنهم أقوياء إذا تخلّصوا من الضعفاء، والحق أن هذا انتكاس تام في الفهم، لأن القوي حقاً هو الذي لا طلب عوضاً وهو غني عن العوض في تقديمه لعمله وقوته لخدمة الآخر، الضعيف يشعر بقدان قوته إذا أعطى شيئاً أو عمل عملاً ولذلك يريد مقابل مادي يعوضه، لكن القوي يعمل بدون طلب ولا حتى توقع مقابل لعمله (بدون طلب إن كان قوياً، بدون توقع إن كان قوياً جداً)، فهو يعمل ويعطي من فيض قوته التي لا تنضب أو مخزونها عال جداً لا يتأثر بالعطاء والعمل الجزئي. بالتالي ما يظهر أنه شر في الإعاقة الطفولية مثلاً هو في الحقيقة من أعظم وأكبر المنافع للناس من حيث إعطاءهم الفرصة العملية الحاسمة في إظهار أعظم ما فيه وتثوير أعمق ما فيهم من إنسانية وروحانية وربّانية، فالمعاق بحسب الصورة هو رسول بحسب الحقيقة يدعو الناس بلسان حاله إلى الصعود إلى أعلى ما يمكن أن تبلغه نفوسهم وهو العمل من مبدأ القوة العالية ومن مبدأ الإنسانية الراقي ومبدأ الربانية في العطاء المطلق. فالإعاقة شر من وجه لكنها خير عظيم من وجه آخر، وإن وازنّا بين الأمرين سنجد أن الخير يطغى على الشر ويغطّيه تماماً، بل الحكم على الأمر سيختلف تماماً ويصبح خيراً.

ثم أخي محمد نفسه حين توفي رأيته يصعد درجاً على طرفي كل درجة مَلَك ساجد وخلفه صف طويل من الأنبياء والأولياء، وارتقى أخي محمد الدرج كلّه حتى صعد إلى أعلى درجة وعليها يقف نبينا محمد وحده وبيده القرءآن فأعطاه لأخي وانفتح له باب الجنّة فدخل. وتبيّن لي سبب ذلك من أحد الوجوه السببية وليس السبب الأكبر الذي هو فضل الله، وذلك لأن أخي محمد عاش محمدي الفقر تماماً وهو آية في الفقر إلى الله، فقد كان حياته كلّها لا يفكّر ولا يدبّر لنفسه ولا يعمل شيئاً بل يتقلّب بين يدي القدرة والرحمة الإلهية التي اعتنت به ويسّرت أموره لثلاثة عقود تقريباً، وكنّا نرى بركة وجوده وحضوره في البيت حتى فقدناها بعد وفاته وشعرت بها شعوراً واضحاً وحين توفي قبل أن أعلم بوفاته ظاهراً شعرت بالبلد كلها مظلمة وذقت حضور الموت حتى في الهواء وفي نفسي ولم أستطع الكلام حينها من شدة الغم الذي غطّى على العالَم والحزن الذي كنت أستشعره في كل شيء وهذا كلّه كما قلت وأنا لم أعلم بعد أنه توفي فعلاً ثم تبيّن لي ذلك بعدها حين وصلت المستشفى ولم يخبرني خادمه هناك أنه توفي لكنه طلب حضورنا بلهجة عادية جداً ليس فيها أي شيء ولم أتوقع وفاته بسبب هذا الطلب وشعرت بما شعرت به حتى قبل استقبال المكالمة التي طلب مني فيها ذلك في الليل ولم يكن الوقت متأخراً جداً نعم كانت مكالمة على خلاف العادة لكنها لم تكن السبب في ما شعرت به ورأيت ذلك في نفسي بوضوح. المهم، هذا المقام العالي بل الأعلى الذي ارتقى له أخي محمد كان أحد أسبابه هو تحمّله للشرّ الذي وقع عليه أقصد الشلل الدماغي والجسماني مع كل ما صاحب ذلك من متاعب خلال ثلاثة عقود تقريباً، حتى إنه تعرّض لمحاولة اغتيال من خادمة فليبينة أرادت أن ترحمه بزعمها على ما يبدو فكاد يختنق في غرفته لولا أن ألهم الله أخي الأصغر بنحو لم أرى له مثيلاً من قبل حيث استيقظ من نومه وصعد إلى غرفة محمد في الأعلى بدون أي سبب ظاهر على الإطلاق ولم يكن ذلك من

عادته ولا يوجد أي داع له وفتح غرفته وتبيّن له ما حصل وأن الخادمة أغلقت من اليوم السابق مكيفات الغرفة في وقت حرارة الشمس الشديدة حتى يختنق من الحر وهربت من البيت فدخل أخي ورآه غارقاً في عرقه منذ ساعات طويلة لعلها تبلغ العشرة، وهلمّ جرّاً إن أردنا إحصاء ما حصل له عبر رحلته في الدنيا سنطيل الكلام (ملحوظة: هروب هؤلاء الخادمات في آخر بضع سنوات لا علاقة له بمعاملة أهل البيت لهم بل راجع إلى قوانين عمل الخادمات في البلد والخوف من الترحيل ونحو ذلك من أسباب مع عمل في الدعارة أحياناً يجعلهن يكسبن أكثر من العمل في البيوت وأسباب أخرى تختلف من خادمة لأخرى)، فكل هذا الأذى الذي صبر عليه بفقر محمدي تام جعله آية في الفقر وآية لنا وآية لكل من يعرف عنه ويعقل عن الله فعله في أوليائه، والمصير أنه الآن في النعيم الأعلى المقيم في أعلى الدرجات مع النبي وكل ما مرّ به في الدنيا كأنه عدم بالنسبة له وانتهت السنوات القليلة من المعاناة والآن أمامه الأبدية بكل أبعادها من النعيم، وهذه صفقة رابحة بجميع المقاييس. فالحالة النهائية تجعل العمل والرحلة كلّها خيراً، وإن كانت محطّاتها الأولى صورتها شرّ.

الإعاقة في الدنيا هي رحمة خالصة في الآخرة، لأن المعاق لا حساب عليه إذ لا تكليف على من لا يعقل ولا يعمل بحريته. فمن أراد أن ينظر إلى شخص من أهل الجنة فلينظر إلى معاق. وكل عضو معاق هو عضو تخلّص من التكليف الشرعي بالتالي هو رحمة خالصة وحرية تامة فهو آية على الجنّة من هذا الوجه إذ الجنّة هي الرحمة الخالصة والحرية التامة. لذلك من الجهل العظيم إرادة التخلّص من المعاقين أو عدم النظر إليهم أو الخوف منهم أو كره وجودهم واعتبارهم تكليفاً شاقاً على من يعتني بهم. الحق أنه علينا أن نرفعهم في مجتمعاتنا لأسباب دنيوية كإظهار القوة الإنسانية وفيض قونا ولأسباب أخروية ككونهم آية الجنة وخدمتهم من أعظم الوسائل والقرب إلى الله لأنهم أولياء الله الفقراء إليه ورسل بفطرتهم ودعوتهم بلسان حالهم الذي هو أشرف الألسنة وأصدقها.

وقس على ما مضى بقية مظاهر الشر في الأطفال فضلاً عن الرجال والنساء والشيوخ. ففي ضوء إرادة القوة والرفعة في الدنيا هم وسيلة لإظهار ذلك وتربية الناس عليه، وفي ضوء إرادة الرفعة في الآخرة وعند الله فهم وسيلة لإظهار ذلك وتحصيل الناس له. فما يبدو كشرّ لمن يعتبر الخير مجرد القدرة الصورة على الحركة أو الكون في صحة ونحو ذلك هو من وجه آخر خير ليس فقط للفرد المريض أو المعاق أو الذي وقع عليه أذى بل هو خير لمن حوله وخير للكون كلّه باعتبار آخر، فلا حجّة لاعتبار الأول دون اعتبار الثاني، فلا يمكن الحكم على الحالة بأنها شر إلا من زاوية محددة وتوجد زاوية أخرى تكشف أنها خير، فلا يجوز القول أن الله فعل الشر في هذه الحالة إلا بالنسبة لمن يراها شرّاً وبحسب تلك الموازين التي هي حق من وجه، لكن يوجد زوايا وموازين أخرى هي حق أيضاً بل أحق من حيث الهمّة العالية والإرادة السامية والأبعاد الأبدية.

٥-الدنيا فيها كل الاحتمالات. فطفل يموت وطفل يعيش، طفل يمرض وطفل يصح، وهكذا في كل الناس والمخلوقات، فمن حيث الكيفيات توجد في الدنيا كل الاحتمالات. وأما من حيث الكمّيات

فعدد الذين تقع عليهم أوجه الشر أقلّ من عدد الذين تقع عليهم أوجه الخير، فمن النادر أن يولد الطفل مريضاً لكن الشائع ولادته صحيحاً، وهكذا في كل أمر آخر بشكل عام. وهذا أمر مهم جدّا لابد من تذكره دائماً خصوصاً في زماننا هذا بإعلامه الذي يركّز على النادر والاستثنائي والشرير تحديداً بل حتى إن كان في الحادثة الواحدة سبعة أوجه خير ووجه شر فإن الإعلام يركّز على وجه الشرّ ويبرزه، وذلك راجع إلى سبب صحيح هو إرادة الإصلاح بكشف أوجه الخلل في الأشياء ويرجع أيضاً-ولعله هو السياسة الأساسية للإعلام-إلى سبب قبيح هو إرادة الأرباح عبر جذب الناس بالدم والخطر والإنذارات فمن شعارات الإعلام المعاصر قولهم "إن كان في الحادثة دم فسيتابعها الناس" (ترجمة عن الانجليزية If it bleeds it leads). فيبدو لمن يتابع وكالات الأنباء المعاصرة أن الدنيا كلها شر أو الغالب عليها الشر، وهذا أكبر إفساد إعلامي عبر التاريخ البشري كلّه لأن قدراتهم أعظم ومتابعة الناس لهم أكثر. الحق أن الدنيا الغالب عليها الخير، الغالب بشكل طاغي، الغالب هو السلام والهدوء والنظام، ولذلك حين تأتي الحادثة الاستثنائية نستغرب ونتابعها، كحادث طائرة مثلاً بالرغم من أنه يومياً توجد عشرات الآلاف من الرحلات السليمة التي طارت وهبطت بسلام وأمان لمدة سنة كاملة لكن حين تسقط طائرة بسبب خلل مرّة في السنة فإن الإعلام ينقلب رأساً على عقب ويبدأ بالمناداة بالويل والثبور فيتخيّل البعض أن الطائرات وسيلة نقل خطرة بالرغم من كونها بحسب الإحصاءات أكثر وسائل النقل أمناً على الإطلاق، فحين يتم الإنباء عن سقوط طائرة لا يذكّرون الناس حفظاً للتوازن بأن هذا استثناء فيقولوا مثلاً "من بين العشرة آلاف رحلة طيران اليوم في كل بلاد العالم التي وصلت إلى محطتها النهائية بسلام وأمان، سقطت طائرة في ماليزيا بسبب كذا وكذا"، فإن مثل هذا الكلام سيبقي الحادثة في إطارها الواقعي ولن يسبب خللاً نفسياً لأنه سيظهرها كاستثناء ويذكّر الناس بذلك. وقس على ذلك بقية الحوادث. الحق أن العالَم ممل تحديداً لأنه مسالم وهادئ ومعظم ما فيه متوقع مسبقاً، وأنت تعلم ذلك وتبني يومك عليه، فحين تخرج من بيتك إلى العمل وتركب السيارة فإنك لا تضع في حسبانك أنك معرّض الآن لحادث سيارة يمكن أن يهشم دماغك ويجعله واحداً مع راديو السيارة بحيث لا يستطيع حتى أعظم خبراء العالم فصل مخيخك عن زرّ تغيير محطة الراديو، كلا هذا لا يخطر ببالك وإن كان-حرسك الله-ممكن الحصول ويحصل لكثير من الناس، لكنه الاستثناء والحمد لله، الشائع والأصل هو أنك تركب السيارة ولعلك لم تستيقظ بعد كل الاستيقاظ ولا تبالي بعدم تركيزك التام، وتشغل الأغاني أو تسمع محاضرة في طريقك ولا تبالي بما يأخذ من تركيزك، وتسوق السيارة بيد واحدة وتشرب عصيراً أو قهوة في اليد الأخرى بل لعلك تأكل شيئاً باليد الثاني وتسوق السيارة بركبتك (حركة تعلّمتها من والدي)، ولعلك تكلّم شخصاً أثناء أكلك وشربك فوق ذلك، وهذا كلّه وأنت مرتاح تماماً ومتوقع للسلامة ولعلك فعلاً في الغالبية العظمى من الأيام لن يحصل لك ولا حتى ازعاج بسيط بسبب ذلك، وعلى هذا النمط بقية الأمور في الحياة. أكثر الناس يعانون من الملل والغم في الدنيا ليس بسبب الخطورة التي فيها فإن الخطورة والمخاطرة فيها نوع مغامرة مثيرة وتجذب الانتباه وتثير النفس وتمتعها بنحو ما،

كلا، أكثر الناس يعانون من ذلك بسبب الملل الناشئ عن رتابة الدنيا وبساطتها وتوقع ما فيها، خصوصاً في زماننا هذا وكلما ازدادت الدول تحضراً زاد نظامها بالتالي زادت رتابتها والملل لأكثر الناس فيها بسبب السهولة ومعرفة مكان كل شيء مطلوب وكيفية تحصيله بأقرب السبل. فالغالب على الدنيا إذن الخير وليس الشر. لذلك تفسير هذا الشر النادر لابد من إرجاعه إلى سبب لأنه غريب عن النمط العام.

ما هو سبب وجود الشرّ الاستثنائي وأي هذه الأسباب يمكن نسبته إلى فعل الله المباشر بالمعنى الخاص لذلك؟ إذا نظرنا إلى أي شر يقع على الناس سنجده لا يخرج عن احتمالات كبرى. إما جهل الناس بشيء، وإما عدم إتقانهم لعمل شيء، وإما إلى عدم احتياطهم من شيء، وإما إلى ظلم بعضهم بعضاً، وإما إلى قهر طبيعي بحت بالرغم من العلم والإتقان والاحتياط والعدل. إذا صنّفنا الشر بهذه الموازين الخمسة (العلم والإتقان والاحتياط والعدل والقهر)، سنجد أن الغالبية العظمى التي تكاد تحيط بكل الحوادث راجعة إلى تقصير الناس أنفسهم وهنا أقصد بحسب الظاهر والباطن معاً، أي بسبب عدم الاجتهاد في العلم والاتقان والاحتياط والعدل. وأقلّ أقلّ القليل هو الراجع إلى القهر المطلق الذي يستولي على الإنسان بغض النظر عن علمه وإتقانه واحتياطه وعدله. بناء على ذلك، يجب أن لا نلوم إلا أنفسنا إن حصل لنا شرّ بسبب تركنا للعلم والاتقان والاحتياط والعدل، فالعدوان منّا علينا وبغينا منا علينا. قد يخفى عن أكثر الناس كونهم السبب الحقيقي الفعّال للشر الذي وقع عليهم بسبب تركهم لأحد الموازين الأربعة هذه، ويسارعون بلوم الرب تعالى أو العالَم أو الطبيعة أو حتى البشر الآخرين لكن يكون في الحقيقة هو السبب الأول والحاسم في وقوع الشرّ عليه، وبالنسبة لمجموع الجنس البشري لابد من تحمّل الجنس البشري لكل ما يقع على الجنس البشري بشكل عام وحين لا نفكّر بهذا المنطق الجماعي فإننا نجلب البغي على أنفسنا بأيدينا ونخرب بيوتنا بأيدينا مباشرة وغير مباشرة، وأكبر وأهمّ مظالم الناس تقع بسبب الناس لا بسبب الطبيعة الخالصة. فلا يبقى لدينا شر نبحث له عن تفسير غير إنساني مباشر إلا القهر. فإذا نظرنا إلى هذا القهر سنجد أنه يرجع أيضاً إلى أسباب، منها كونه آية لعبودية الإنسان وتذكير له بذلك، ومنها كونه وسيلة لتذكير الناس بحقيقتهم وأعلى ما في نفوسهم، ومنها كونه وسيلة لتذكير الناس بالآخرة وفناء الدنيا ومحدوديتها، ومنها كونها مصيبة نزلت عليهم سبب ما كسبته أيديهم فارتدّت عليهم تعجيلاً للعقوبة لهم في الدنيا بدلاً من الآخرة فهي رحمة وتذكرة لهم حتى لا يتمادوا، ولا أعرف مصيبة قاهرة لا يمكن تفسيرها بهذه الاعتبارات. بالتالي القهر تذكير والتذكير نافع للإنسان وهو رحمة أيضاً والرحمة خير. بالتالي حتى القهر الطبيعي خير للإنسان إن كان له عقل مستنير ورؤية أخروية. فالشرّ الذي سببه عدم العلم والإتقان والاحتياط والعدل هو شرّ جلبه الإنسان على نفسه فلا يلومن إلا نفسه، والشرّ الذي سببه القهر هو إما شر جلبه الإنسان على نفسه فلا يلومن إلا نفسه وإما وسيلة إلى الخير فلينتفع بها. فعلى التحقيق لا حجّة للإنسان على الله في ما يقع عليه من شرور بل "لله الحجّة البالغة".

٦-هل الكفر بالله سيزيل الشر من العالَم؟ بعض الناس يرى الشر ولا يعترف بكل ما ذكرناه من اعتبارات ويعتبر الشر شرّاً والسلام، وله وجه من حيث أن الإنسان يريد الراحة التامة والراحة التامة تكون في الوجود في مكان لا يحتاج أصلاً فيه الإنسان إلى تنظيم حضارة ولا تحصيل علم ولا إرهاق الاتقان ووسوسة الاحتياط ولا التحرّز عن الظلم الراجع إلى ضعف الإنسان وإرادة استغلال غيره ليعمل بدلاً منه أو إلى خوف الإنسان وإرادته جعل سد بينه وبين المستقبل المقلق وغير ذلك من أمور ترجع إلى طبيعة الدنيا، فالتواجد في الدنيا بحد ذاته متعب للإنسان فهو في كد وكدح وشقاء بدرجة أو بأخرى، وقطرة السم في الطعام السليم تجعل الطعام سليما وإن كانت القطرة في موضع واحد منه، كذلك الدنيا لأن فيها ولو قطرة سم كدح واحدة قد تجعل بقية الدنيا سمّا مكروهاً للنفس مهما كثر خيرها وغلب وظهر، وبناء على ذلك يرى هذا الإنسان الشرّ هو الظاهر على نفسه ولا يريد أصلاً الحاجة إلى التفكير ورؤية الأبعاد المختلفة الدنيوية والأخروية. حسناً، لنقل بذلك الآن. حكمنا بأن العالَم كله شر. ثم ماذا؟ بالنسبة لعلاقتنا مع الخالق فإن هذا الاعتبار لن يؤثر في قليل أو كثير في الخالق نفسه، لأنه بحكمنا على العالَم أنه شر نكون قد حكمنا بأن خالقه أراده شرّاً. فأمامنا طريقين لا ثالث لهما، إما قبول ذلك والتعايش معه، وإما الكفر بالخالق على اعتبار أننا في عقولنا نرى أن الخالق لابد أن يخلق خيراً أو إن لم يخلق خيراً فإننا سنرفضه ولن نحبّه ونرضى عنه. فنسأل هنا: ومن أين جئنا بأن الخالق لو كان موجوداً فلابد أن يخلق خيراً بدلاً من عالَم غارق في الشر؟ هذه الفكرة نفسها من أين جئنا بها؟ لم نأت بها من العالَم نفسه بالتأكيد لأن العالَم كما حكمنا هنا هو عالَم شر، ولم نأت بها من أنفسنا لأننا إن قلنا بأن أنفسنا جزء من العالَم فهي شرّ أيضاً إذ العالَم شر فما كان من العالَم فهو شر أيضاً، فمن أين جئنا بفكرة الخير أصلاً وحكمنا بأن الخالق لابد أن يخلق خيراً؟ هذا سؤال على من يتبنى هذا الوجه الإجابة عنه. لكن إن قلنا بأننا سنعترف بالخالق بالرغم من أن العالَم شرّ، فماذا سنفعل الآن؟ إن قلنا لن نرضى عن الله لأنه جعلنا في عالَم شر، فإن الشر لن يتغيّر في العالَم، وأنفسنا ستزداد مرارة بسبب عدم رضانا عن الله وبالتالي عن العالم وعن أنفسنا، فنحن بذلك نزيد الشر في العالَم بمرارتنا وعدم رضانا فحلّنا لمشكلة الشر هو بحد ذاته شر إضافي. إلا أننا نفترض بعدم رضانا عن الله أننا نؤثر في الله ونجعله غير راض في نفسه لأننا لا نرضى عنه، ولعل لذلك وجهاً في الحقيقة لأن الله يقول "رضي الله عنهم ورضوا عنه" فالله يريد رضى المؤمنون به عنه، وبعدم الرضا عنه لا نحقق له مراده كما أنه لم يحقق لنا مرادنا بخلقنا في عالَم شر ونحن نريد الخير، أي أننا عاملنا الله كما عاملنا، فهو عاملنا بجعلنا في عالم شر مضاد لإرادتنا لعالم خير، ونحن سنعامله بعدم الرضا عنه وعدم فعل ما يأمر به وينهى عنه حتى إن ءامنا برسله كرسل صدق من باب المعاملة بالمثل والعدل. هذا هو الالحاد المستنير، إن كان ثمة الحاد مستنير. أي هو الحاد وكفر له سبب صريح واعي يتعلّق بالعدل في التعامل مع الله حتى بناء على الإيمان بالله والرسل. فمثل هذا الكافر هو مؤمن بالعدل بشدة، ويطبّق العدل كما يراه على نفسه وعلى ربه ولا يجعل الجلالة الإلهية تعمي عينه عن حقيقة واقعه ومراده وقيمة العدل، فالعدل ينطبق حتى

على الله تعالى، ولمثل هذا حجة من القرءان حيث ينفي الله الظلم عن نفسه في أكثر من موضع فلولا أن العدل ينطبق على الله لما احتاج إلى نفي الظلم عن نفسه. وعلى ذلك، الكافر هنا يطبق العدل على الله، ويقول له "لم تفعل بي ما أريد، فلن أفعل لك ما تريد". على اعتبار أنه يريد الراحة التامة بفطرته وهو يرى أن ربه جعله في عالم يحتاج فيه إلى كسر هذه الراحة مع وعده إياه في كتابه بأنه إن فعل ما يريده الله منه سيرجعه إلى الجنة التي فيها الراحة التامة والحرية التامة التي هي راحة الإرادة بتحققها الفوري والفعلي، فبوعد الجنّة نفسه نرى أن القرءآن يعترف بفطرة الإنسان الحقيقية وإرادته الفعلية لكنه يعده بها بعد الدنيا ويقرر حقيقة الدنيا بأنها ليست الجنة أي ليست الموطن المناسب للنفس الإنسانية، فالكافر هنا يأخذ حقيقة الجنّة كشاهد على صدق دعواه بأن نفسه تريد الراحة التامة فهو إقرار من الله ورسوله بهذه الحقيقة النفسية، ثم يأخذ حقيقة الدنيا التي قررها الله ورسوله كشاهد على صدق تقييمه للدنيا بأنها شقاء وكدح وجهاد ونزاع وخصومة أيا كانت النسبة، ويأتي بهذين الشاهدين العدلين ويقدّمهما إلى ربّه بدعوى العدل ويقول له "هذا إقرارك وهذا خلقك، وأنا غير راض عن فعلك. وأنت قلت أن الإحسان جزاء الإحسان، وأنا لا أراك أحسنت إليّ بخلقي في الدنيا فأنا لن أحسن باتباعك إرادتك ورسلك في الدنيا أيضاً. فهو العدل الذي قلت أنك تأمر به، وأنت العدل، فها أنا أردّ إليك ما فعلته بي. أنت كسرت إرادتي وأنا سأكسر إرادتك، وأنت البادئ". هذا اختيار واعي قد يقوم به البعض، بل قد يقوم به بغير وعي بكل تفاصيله كما بينتها هنا لكنها كامنة في عقله وتبعث تصرفه وكفره. وأنا لا أملك جواباً عن مثل هذا الموقف، فهو شيء بين العبد وربّه. وما أستطيع قوله هو هذا: إن صدق الرسل بأن الذي يعصي الله سيجازئ بالعذاب الخالد حيث سيكون الشرّ أعظم من شرّ الدنيا من وجه الكيفية والكمّية على السواء، لكن طاعة الله ستؤدي إلى الجنّة حيث ترجع النفس إلى موطنها الطبيعي المناسب لها، فالعقل يقضي باختيار أحسن الطريقين وأقربهما إلى المراد، والطريق الأحسن عقلاً هو طريق الطاعة. وأنت وما اخترت. والمقطوع به أن الكفر الواعي أو غير الواعي الذي هو الإلحاد الشائع لن يغيّر حقيقة العالم. أقصد بالالحاد الشائع إنكار وجود الله بسبب رؤية العالم كشر على اعتبار أن الله لو كان موجوداً لما خلق مثل هذا العالم الشرير. نعم، قد يحرر الكفر الإنسان من الالتفات إلى الله وذكره وشرعه، لكن الإيمان بالله والآخرة وشرعه كما رأينا هو ليس عبئاً من كل وجه على النفس بل هو وسيلة تحرير النفس من كثير جداً إن لم يكن كل شرور العالم بإعادة تفسيرها بنحو يجعل تأثيرها في النفس حسناً ومقبولاً ومرضياً عنه، فالإيمان هو الطريق الوحيد لتغيير العالَم من شر إلى خير ليس عبر تغيير نفس العالَم بالضرورة (وإن كان هذا يحصل أيضاً) لكن عبر تفسير العالَم بنحو يجعله خيراً ليس جعلاً صناعياً مزوراً بنحو سخيف لكن بنحو معقول وعميق من أكثر من وجه. فالكفر لن يغيّر شر العالم لكن الإيمان قد يغيره، فالإيمان خير من الكفر بالنسبة لمن دفعه شر العالم إلى الكفر، لأن كفره لن يغير الشر بل سيزيد الشر في نفسه من حيث إحكام رؤية الشر لقبضتها على عقله وإحكام اليأس من تغيّر الشر على نفسه وإحكام ما سيبعثه اعتبار العالم شرّاً لا معنى له ولا أمل فيه على أعماله

وانفعالاته، فالكفر شرّ عظيم فوق شر العالم. فالذي يرى شر العالم فيكفر بربّه هو كمن يرى جرحاً في عنقه فيعالج ذلك بقطع رأسه.

....

بسم الله الرحمن الرحيم

(عن المثلية)

أ- ما هي المثلية ؟ هي عمل جسماني شهواني يطلب راحة النفس ولذة الجسم. يتمثل في الذكر بنحو وفي الأنثى بنحو مختلف، لا ينتج نسلاً، ويمكن أن ينتج علاقة رعاية بيت وأبناء. تمثّله في الذكر هو هذا لا غير، ادخال القضيب في الشرج. وتمثّله في الأنثى في هذا لا غير، وضع فرج على فرج. ما سوى ذلك من أمور كلّها فروع وحواشي وليست ضرورية في تحديد المثلية. فحب الذكر للذكر لا يجعله مثلياً مهما كان الحب، فقد يحب الذكر الآخر ولا يكون مثلياً وقد يصل الحب درجة العبادة والهلاك في سبيله ولا يكون مثلياً، وكذلك الأنثى، فالحب لا قيد ولا شرط عليه ولا يجعل العلاقة ذات صفة جسمانية وشهوانية بالضرورية. وكذلك مثلاً لمس الأيادي، والعناق، وحتى التقبيل في الفم ولعق الأعضاء وأي عمل آخر هذا كلّه ليس مثلية ولا يحدد جوهرها، فإنها أمور تحصل لأكثر من سبب ولا يترتب عليها شيء حقيقي يحدد نوعية العلاقة. وأشدد على هذا المعنى لأن أعداء المثلية لا يكرهونها بسبب الحب بين طرفين ولا بسبب أي فعل تحديداً غير الفعل الذي ذكرناه قبل قليل أي إدخال القضيب في الشرج بالنسبة للذكور ووضع الفرج على الفرج بالنسبة للإناث، وعدم ملاحظة ذلك يؤدي إلى نزاعات لا داعي لها ولا يفتح أبواباً من الجدل لا تستحق الفتح، فأوّل ما يجب البدء به في هذا الأمر هو تحديد ما المقصود من المثلية ثم يمكن البناء على التعريف. وباختصار، جوهر المثلية عندي هو بالنسبة للذكور ادخال القضيب في الشرج، وبالنسبة للإناث وضع الفرج على الفرج. كل ما سوى ذلك ليس مثلية وهو عندي من الأمور المباحة بشكل عام أو تبحث على مستواها الخاص، سواء كانت بين ذكور أو بين إناث، وهي أقرب إلى اللعب والحب منها إلى العلاقة المقصودة بشكل عام في الجدال الدائر حول القضية.

اختلاف تمثّل المثلية بين الذكر والأنثى يعني اختلاف حكم كل واحد منهما. فلا يجوز للدقة الجمع بين مثلية الذكور ومثلية الإناث، لأن العملية نفسها مختلفة بين الاثنين، وتنبني على أسس مختلفة وتؤثر تأثيراً جسمانياً بيولوجيا مختلفاً. وسنأتي على أهم هذه الفروق تفصيلاً إن شاء الله في هذه المقالة.

ب-حجج تجويز المثلية.

١/الأصل الإباحة وإمضاء المشيئة وتحقيق الإرادة، أي لكل فرد أن يفعل ما يشاء ويحقق إرادته هذا هو الأصل، والاستثناء أن يقيّد نفسه بسبب خارج عن إرادته طوعاً، واستثناء الاستثناء أن يجوز تقييده بسبب خارج عن إرادته كرهاً كالقصاص في العقوبات مثلاً. فالواقع أنه يوجد إنسان مثلي، ويريد ممارسة المثلية الجنسية تحقيقاً لإرادته الميّالة إلى مثل جنسه، لا مفرّ من الإقرار بوجود هذا النوع من الناس في هذا المجال السلوكي، ولا يمكن ربط وجودهم بأي سبب محدد خارجي كأن يقال بأن الثقافة صنعته أو نحو ذلك من أسباب جزئية بدليل وجود المثلية الجنسية في كل العصور المعروفة لنا تاريخياً وحاضراً، في البيئة المتدينة وغير المتدينة، في المجتمع المفتوح والمجتمع المغلق، وهكذا في بقية الاحتمالات المعروفة، وكذلك في شتى أصناف البشر مثلاً قد تجد رجلاً شديد الشكيمة شجاعاً قوياً جبّارا عتياً وهو مثلي وقد تجد رجلاً رقيقاً لطيفاً سهلاً ليناً وهو مثلي، قد تجد امرأة ذكية مثلية وقد تجد امرأة غبية مثلية، قد تجد شخصاً من أسرة لطيفة وهو مثلي وقد تجد شخصاً من أسرة عنيفة وهو مثلي، وهلمّ جرّاً في بقية الأصناف على اختلاف درجاتها. فوجود المثليين لا يرجع إلى هذه الأسباب واختزال سبب المثلية في صنف دون صنف هو عمل اعتباطي ولا يقوم به إلا من يريد أن يتهرّب من واقع المثلية الجنسية في الناس عبر نسبتها لسبب خاص سيسمه بعد ذلك بالانحراف ليطعن في قيمة وجود المثلية في حد ذاتها، وهذا لا يفيده في شيء في الحقيقة لأنه مهما كان السبب الذي أوجد المثلية على فرض وجوده فواقع وجود المثلية كاف بحد ذاته للقول بأنه مراد لبعض الناس كالغيرية الجنسية. عدد المثليين أقلّ من عدد الغيريين وهذا حتى في أكثر المجتمعات انفتاحاً للمثليين وتقبّلاً لهم، فضلاً عن ما سوى ذلك من مجتمعات، فتقبّل المثلية اجتماعياً لن يكثّر عددهم ويخلقهم بل في أحسن الأحوال سيجعلهم يبرزون لسطح وعي المجتمع إلا أنهم موجودون قطعاً في كل مجتمع والكل يعلم ذلك وحتى في أكثر المجتعات محاربة للمثلية ستجد المثليين ولعلك تجدهم بين أشدّ أنصار معاداة المثلية والطبقة الحاكمة فيهم أيضاً. فالمثليين أقلية، والغيريين أكثرية، كما أن العلماء أقلية والجهلاء أكثرية في كثير من المجتمعات إن لم يكن كلها، وهكذا في كل صفة، فلا يمكن الطعن على المثليين وعدم اعتبار إرادتهم لأنهم أقلية، وإلا فيجب اطعن على كل أقلية، وهذا باطل قطعاً لأنه سيؤدي إلى الطعن في كل أصناف الناس وطوائفهم إذ كل صنف وطائفة هم أقلية بالنسبة للأكثرية المخالفة لهم من حيث مخالفتها لهم وإن اختلفت الأكثرية نفسها فيما بينها، فمثلاً المسلمون أقلية في العالَم لأنهم خمس العالَم مثلاً لكن بقية الناس أكثرية من حيث مخالفتهم للمسلمين واجماع هذه الأكثرية على بطلان دين الإسلام أي اتفقت الأكثرية على معنى وهو إنكار الإسلام وإن اختلفت نفس الأكثرية فيما بينها كأن يكون خمسهم مسيحيين وعشرهم يهود وثلثهم بوديين (هذه نسب غير واقعية لكنها لتقريب الفكرة فقط) وهكذا في بقية الطوائف. فإن أقررنا مبدأ إبطال إرادة الأقلية لأنها أقلية فالنتيجة الحتمية هي جواز اضطهاد الكل للكل لأن الكل أقلية في شيء ما وصفة ما. فلا مناص ولا مفرّ للعقلاء والأحرار وكل من يريد سلامة نفسه وطائفته وما يهتم له من عدم السعي في إبادة الأقليات وعدم الأخذ بمبدأ الطعن على

الأقلية لأنها أقلية وعدم اعتبار إرادتها، فكلنا ناس في نهاية المطاف ولابد من اعتبارات إرادة كل واحد بشكل عام وكمبدأ. كل إرادة لها قيمتها من حيث هي إرادة، ولا يجوز لإرادة أن تطعن على إرادة أخرى بشكل جوهري وطالما أن الإرادة الأولى لم تتجاوز في تفعيل نفسها إلى حدود الآخر وتفعيل إرادته هو التي تخصّه في حدود جسمه وحدوده المادية، هذا هو مبدأ السلام ودار السلام والمجتمعات المنظمة الأقرب للسلام والسكينة.

فالأصل إباحة الشيء فلسنا بحاجة إلى البحث عن حجج إباحة المثلية لكن الذي يعترض على المثليين هو المطالب بحجج تؤيد اعتراضه. والاعتراض إما أن يكون بالقول وإما أن يكون بالفعل. بالقول له الاعتراض مطلقاً لأنه حر في قول ما يشاء. لكن الاعتراض بالفعل هو الممنوع كأصل لأنه تعدّ على الآخر بالإكراه وهو عدوان ما لم يثبت أنه بحق كالقصاص مثلاً والدفاع عن النفس والعقوبة المشروعة التي شرعها المجتمع عبر أفراده وممثليهم الشرعيين. فمن يريد الاعتراض على المثلية عبر وضع قانون يعاقب على المثلية هو الذي عليه أن يأتي بحجج تبرر هذه العقوبة وجعل المثلية جريمة قانونية. وفي هذا الزمان لا توجد حجّة مقنعة ضد المثلية من حيث المبدأ، وسنذكر أمثلة على ذلك فيما يأتي إن شاء الله. هذه هي الحجّة الأولى لكشف الجواز الذاتي للمثلية أي إباحة الأشياء ونفاذ المشيئة وتحقيق الإرادة الفردية بحرية، فطالما أنه لا يوجد اغتصاب بين الطرفين أو الأطراف في العمل الجنسي المثلي فكأصل لا يجوز لا لدولة ولا لفرد التدخّل بالفعل لإكراههم على ترك هذا الفعل أو معاقبتهم عليه في أنفسهم وأموالهم، نعم للأفراد الاعتراض على ذلك بكل سبل الاعتراض القولي والوعظ بل وحتى السخرية إن شاؤوا فهذا من حرية الكلام وهي أعلى وأقدس وأهمّ حرية عملية على الإطلاق للفرد والتي ينكسر تحتها ويخضع لها كل مبدأ وحق آخر إن تعارض معها، أما التجاوز إلى الفعل العدواني فلا لأن إرادتك أنت أن لا تمارس المثلية لك أن تحققها عبر عدم الممارسة، أما إرادتك أنت أن لا يمارس غيرك المثلية فلا يمكن تحقيقه إلا عبر إقناع الغير بالعدول عن إرادته وتغييرها وبوابة ذلك هو عقله وكلمتك فإن استطعت بكلمتك النفاذ إلى عقله لإقناعة بتغيير إرادته والامتناع عن تحقيق مشيئته فهو وذاك وإلا فليس لك في دولة قانون حرة غير ذلك، إلا أن تثبت وتقنع الناس بوجوب وضع قانون يجرّم المثلية. وهذا ما سنبحث بعض حيثياته في هذه المقالة إن شاءالله.

٢/الجماع يطلب النسل و/أو اللذة. عندنا وعند عموم الخلق يجوز للذة فقط وإن قطعنا بعدم حصول النسل.

السؤال هنا هو التالي: ما المقصد من الممارسة الجنسية؟ إن قلنا بأن المقصد هو تحصيل النسل فقط واللذة مجرد طريق لجذب النفس لممارسة الجنس حتى يحصل النسل بالتالي اللذة غير مطلوبة لذاتها ولا معنى لها ما دام النسل لن يحصل، ففي ضوء هذه النظرة تصبح المثلية مرفوضة سلوكياً ومن حيث المبدأ إذ المثليون لا يتناسلون. وإن قلنا بأن المقصد هو تحصيل اللذة فقط أو اللذة مطلب مقبول وحده كما أن النسل مطلب مقبول وحده، فحينها تجوز المثلية من هذا

الوجه لأنها عمل غايته اللذة البحتة أي بدون نسل، وفي ضوء هذه النظرة تصبح المثلية مقبولة من هذا الوجه. الحجّة هنا للمثليين. لماذا؟

أوّلاً، الذي سيختار ما هو "مقصد" العمل الجنسي هو الإنسان، أي لا يوجد في الطبيعة ما يجبر الإنسان على اعتبار الجنس وسيلة النسل فقط، فالناس هم الذين يختارون هذه النظرية أو تلك في تحديد مقاصد الجماع، وبالإمكان اختيار أي واحدة من النظريتين، فهي ليست قانوناً فيزيائياً ولا جبرياً إكراهياً في الطبيعة ولا النفس، وبناء على ذلك يحق للمثليين اختيار النظرية الثانية التي تعتبر اللذة وحدها غرضاً مشروعاً للجنس كما أن لغيرهم اختيار النظرية الأولى التي تجعل النسل هو المقصد الوحيد أو المقصد الرئيس الذي بدونه تبطل مشروعية وقيمة الجنس.

ثانياً، إذا نظرنا في كل المجتمعات سنجدهم يقبلون نظرياً وعملياً أو عملياً على الأقل بوجود جنس بدون نسل، فنحن نرى مثلاً جواز زواج امرأة بعد سن اليأس فهذه قطعاً لن تنجب ولداً ومع ذلك لا يعترض أحد على زواجها وجماعها، وكذلك قد يكون الرجل لا ينجب لسبب العقم مثلاً ومع ذلك يجوز أن يتزوج ويجامع وكذلك في المرأة العاقر، وحتى بين رجل سليم وامرأة سليمة نجد أنهم متزوجين منذ عشرين سنة وليس لديهم إلا ولد واحد وقد منعوا الحمل عبر وسائل مختلفة كالحبوب أو الواقي أو حتى العمليات الجراحية للرجل أو للمرأة حتى لا ينجبوا ولا اعتراض على ذلك في القوانين كلها بشكل عام ولو كانوا يتسافدون تسافد الطيور ليل نهار فلا يعترض عليهم أحد بإكراه بل لعله ولا حتى بإشارة قول لأنهم يتناكحون ولا يتناسلون، ونجد في مجتمعات قبول ظاهرة الرهبنة بشكل أو بآخر وهي عملياً رفض للنسل فيقبلون بأسلوب حياة يمتنع فيه أفراد عن التناسل فليكن المثلي في نفس الطبقة يحيا حياة لا نسل منها فكما أن المجتمع لا يتضرر جوهرياً بوجود أقلية مترهبة أو حتى إن لم تكن متدينة لكنها لا ترغب في النسل كذلك ليدخل في هذه الأصناف التي يقبل بوجودها من غير المتناسلين ليدخل فيهم أيضاً المثليين، وهلمّ جرّاً.

ثالثاً، المقصد من الطعام الصحة واللذة في الأكل وسيلة، بنفس المنطق السابق في الجنس، حسناً، فبقياس الطعام على الجماع يجب أن يعاقب القانون كل شخص يأكل لمجرد اللذة وليس بغرض الصحة وكذلك يجب أن يعاقب الذي يأكل بنحو يضرّ صحته مباشرة كأنواع المأكولات والمشروبات التي تملأ الأسواق والمطاعم التي أثبتت ألف دراسة علمية ودراسة أنها سموم للجسم وتسبب سرطانات ونشهد ويشهد كل أحد الآثار الضارة للسمنة والسكر وغيره من الوباءات التي يتسبب فيها هذا النوع من الأكل وعدم الرياضة، ومع ذلك لا نرى المجتمعات تعاقب على هذه الممارسة الشهوانية الفموية بالرغم من فصلها للذة عن المقصد واعتماد اللذة كمطلوب ذاتي مرغوب لنفسه والتركيز عليه حتى مع الإضرار بالجسم ضرراً واضحاً صريحاً فصيحاً لا يشك فيه لا الآكل ولا الطبيب ولا الجاهل أيضاً، ومع ذلك هو عمل قانوني ولا نرى حملات تقام عليه تريد قتل المصاب بالسمنة اختياراً أو رمي الذي يجلب مرض السكّري على نفسه بسوء أكله وقلة حركته من فوق جبل ونحو ذلك من أصناف العقوبات النفسية والمالية المختلفة هذا بالرغم من أن

الآثار السلبية لهذا الأسلوب في الطعام الذي يركّز على اللذة بدون المنفعة أي الصحة يؤثر أيضاً على النظام الصحي في البلد والأموال التي تنفق على الأفراد في حال كانت الدولة تقدّم تأميناً صحياً شاملاً لكل مواطن على حساب دافعي الضرائب. فمن أراد جعل اللذة مجرد وسيلة لتحصيل منفعة النسل في الجماع فيجب عليه أن يجعل اللذة مجرد وسيلة لتحصيل منفعة الصحة في الطعام على الأقل حتى يتناسق، ونحن لا نرى ذلك في الذين يستعملون مثل هذه الحجج، بل نجدهم في الجنس أشدّاء غلاظ وفي الطعام أحرار طلاب شهوة ولذة أو لا أقل يسكتون أو لا يبالغون بالاعتراض العنيف مع أنفسهم وغيرهم فيها. ويمكن ذكر غير الطعام في هذا الباب، فبمجرد ما نجعل اللذة العقلية والنفسية والجسمية هي مجرد وسيلة ونفصلها عن المقصد-وهو عمل تحليلي بشري-فهذا سيفتح الباب على مصراعيه في كل أمر مادي ومعنوي للقول فيه كما قلنا هنا. ثم لا يخفى أن مثل هذا التفكير الفاصل بين اللذة والمنفعة هو شيء يقوم به ويحبّه بشكل عام الذين يستعبدون الناس ويريدون تسخيرهم لأغراضهم الخاصة، فهم يريدون عامّة الناس أن يكونوا كالبهائم يتوالدون لتكثير العمّال والجنود الذين يخدمونهم، ولا يبالون بفردية كل واحد وما يريده لنفسه، ويريدون بعد ذلك أن لا يفكّر الناس باللذة بل يفكّرون بالانتاج بحسب ما يشتهيه سادتهم طبعاً (السادة الغرقى عادة في اللذات إلى آذانهم بل رؤوسهم). هذا الفصل ليس طبيعياً ولا يدعو إليه عادة إلا الذين يستعبدون الناس، فلا مشروعية له ولا أخلاقية حقيقية فيه وهو في النهاية تحليل مصطنع لا يتحمّله إنسان في الحقيقة لذلك قد يطبّقونه في مجال دون مجال كالجنس دون الطعام مثلاً بالرغم من أن المبدأ واحد في الحالتين وهو وجود لذة ووجود منفعة أخرى، فلا يتم اعتبار اللذة كمنفعة في حد ذاتها وكأن اللذة نفسها مضرة وإثم ولا تتبرر إلا بوجود منفعة أخرى (ويصدف أن تكون هذه المنفعة الأخرى-سبحان الله-هي دائماً في مصلحة الذين يستعبدون العامّة لمصالحهم السياسية الطبقية والقهرية).

مثال إسلامي: النبي. النبي تزوج الكثير من النساء، وفي فترة كان عنده تسعة. ومع ذلك لم ينجب من ولا واحدة أي ولد بقي بعده إلا بنت واحدة، والبقية إما لم ينجب منهن مطلقاً وإما أنجب من واحدة ثم مات الطفل صغيراً، هذا مع العلم أن النبي كان كثير الجماع كما هو معلوم للكافة. والجماع فيه لذة. فكان يحصل على اللذة، لكن بدون نسل، ولم يكتب الله له نسلاً منهن إلا بنت واحدة بقيت بعده ومعظم النسوة لم ينجب منهن أصلاً. فالسؤال: لماذا ابتلى الله النبي بمصيبة الجماع الكثير الذي ليس فيه إلا اللذة فقط وهي مرفوضة إن استقلّت ذاتياً حسب نظرية المقاصد الميتة الجافة هذه؟ إذا كان الله يعلم أن النبي لن ينجب منهن فلماذا يبتليه ب"هدر طاقته" في الجماع بدلاً من إنفاق هذه الطاقة في الدعوة والصلاة مثلاً طالما أنه لن ينجب منهن أصلاً؟ في ضوء نظرية "المقصد من الجنس هو النسل واللذة تابع" لا جواب مقنع خصوصاً في ضوء توفيق الله للنبي للأحسن واختيار الأحسن له ولأمّته. لكن عند بعض الصوفية الذين يعرفون الحقائق جواباً أفضل. في كتاب شرح الأسماء الحسنى لصدر الدين القونوي تحت اسم الشكور ذكر هذه القضية وقال ما حاصله أن من نعم الله على النبي أنه كان يجامع بدون حصول نسل

إذ هذا الحال هو حال الناس في الآخرة في الجنّة حين يجامعون للذّة فقط بدون نسل فكان هذا نوع من تعجيل النعيم للنبي في الدنيا، أو كما قال. إذن اللذة فقط كانت نعمة على النبي لا مصيبة، وعدم وجود النسل كان نعمة أيضاً في هذه الحالات وليست مصيبة. وهذا مفهوم ويتوافق مع كون الله يختار لنبيه الأحسن ويوفقه له وينعم عليه.

يمكن التعمق أكثر في الاحتجاج لمبدأ اللذة وكونه كافياً في تبرير الجنس، نعم في هذا المثال الإسلامي وغيره هو جنس بين رجل وامرأة متزوجين أو رجل يستعبد امرأة فيجامعها للمتعة لا للنسل (والاستعباد هذا ضعه في بالك لأننا قد نرجع إليه لاحقاً إن شاء الله)، لكن هذا لا يؤثر على مبدأ اللذة لأن كلامنا هو عن إقرار هؤلاء بمبدأ اللذة منفصلاً عن مبدأ التناسل وقيام مبدأ اللذة حتى مع القطع والعلم بعدم وجود نسل ومشروعية ذلك. نعم قد يضعون كيفيات بعد ذلك لتجويز تفعيل مبدأ اللذة فهذه قضية أخرى قد نذكر بعض حيثياتها وقد لا نذكرها، لكن المبدأ ثابت وهو المطلوب. ونحن لا نذكره هنا إلا من باب الإتيان بحجّة لقضيتنا من قول وفعل خصومنا. (في هذه المقالة أنا ألعب دور محامي المثليين..أو محامي "الشياطين" حسب قول بعض الخصوم. لابد من إعطاء كل قضية أقصى ما تحتمله من دعم حتى نعرف وزنها. وهذه المقالة اكتشاف لوزن قضية المثليين.)

٣/ النسل يُطلَب بالتوليد وبالتبني حتى عند غير المثلي. فلا مانع من وجود التبني في المثليين وفي هذا خير للمجتمع.

بعض الناس ينجبون أولاد وبعضهم لا يستطيع إنجاب أولاد بسبب قاهر مثل العقم والعقر. قد لا ينجب الرجل أو المرأة أي ولد، سواء للعجز أو للعنوسة أو لعدم الرغبة في الزواج أصلاً، ومع ذلك يسعى هؤلاء إلى تبنّي أولاد أو كفالة أولاد إما مات والدهم وإما تخلّى عنهم أهلهم وإما ضاعوا عن أهلهم بسبب أو بآخر. فيوجد في كل مجتمع أولاد يحتاجون إلى رعاية. الرعاية قد يقدّمها واحد أو واحدة يعيش في بيته منفرداً غير متزوج ولا صاحب له. فللمثليين إذن سواء كان المثلي منفرداً في العيش أو كان له شريك أو أكثر يعيشون سوياً، خصوصاً إن كن نسوة، لهؤلاء كفالة أيتام ورعاية أولاد الآخرين الذين مات أهلهم أو تخلّوا عنهم لدار الأيتام مثلاً. بالتالي ليس بالضرورة ولا في الطبيعة أن كل واحد ينسل ذرية، بل جعل الخالق البعض لا ينجب حتى يعتني بأولاد من أنجب ومات أو قتل أو ضاع أو تخلى عن أولاده لسبب إرادي أو قهري كمرض مثلاً أو فقر شديد فيعطي أولاده لمن يستطيع رعايتهم بدلاً منه. وعلى هذا يكون المثلي الذي لن يتناسل سبباً لرعاية أولاد غيره، وبذلك يكون سبباً لنفع المجتمع برعاية أولاد منه وإن لم يكونوا أولاده هو. وإن كان الرجل وحده يستطيع كفالة يتيم ويربّيه بمفرده، فما المانع من وجود رجلين أو امرأتين في البيت بدلاً من واحد لكفالة نفس اليتيم وتربيته والاهتمام به وحبّه ورعايته وبالتأكيد لن يمارسوا الجنس أمامه كما أن الرجل والمرأة المتزوجين حسب الرسم الشائع لن يمارسوا جنسهم الغيري أمام أولادهم ولا أمام من يكفلونهم (أنا مثلاً لا أذكر في أكثر من عشرين سنة أني رأيت والدي يقبّل والدتي فضلاً عن أن يفعل معها ما وراء ذلك، وأحسب أن أكثر الناس في بلاد

المسلمين والعرب له تجربة مشابهة لتجربتي، وكذلك في باقي أنحاء الأرض لكن بنحو مختلف، والاستثناء النادر أن يشهد الطفل أباه وأمه يلعبون أحّيه في الظلام) فكذلك نستطيع أن نقول بأن الطفل لن يرى أبويه أو أميه-لا أدري هل هذا اللفظ صحيح أم لا لغة لكن يهمّني المعنى هنا وهو واصل-يمارسان المثلية أمام، والذي يهمّه هو الرعاية والحب ورؤية بيت مسالم متفاهم، ولا أظن أنه يوجد داع لأن يقول أحد الرجلين للابن "قد ضاجعت هذا أمس في شرجه مضاجعة دموية" أو تتناقش الامرأتين أمام اليتيم عن كيفية السحق بذمّة وضمير، فمرّة أخرى أحسب أنه حتى في البيوت الغيرية لا يتناقش عادة الأب والأم عن حياتهما الجنسية أمام الأطفال. هذا طبعاً على فرض أن في هذه المناقشة وكشف الحياة الجنسية شيئاً مضراً بالطفل أو الصبي أو الشاب والشابة، لكن هذه مسألة أخرى ليس هنا محل النظر فيها، ويكفي أن العادة في البيوت الغيرية وطبائع الناس عموماً في تعاملهم مع أبنائهم كافٍ لإبعاد شبح تأثير الحياة الجنسية للمثليين على أبنائهم المتبنين أو المكفولين. إذن، حتى على فرض كون عدم تناسل المثليين حجّة ضد المثلية فإن وجود التبني وكفالة اليتيم حجّة لعدم وجود ضرر عام على المجتمع بسبب المثلية، فإذا كان كما بينا لا يوجد أصلاً سبب لاعتبار عدم التناسل جريمة بحد ذاته لا عدم التناسل مطلقاً (فكم من عالِم وفقيه وشيخ وحاكم من أعظم من عظّمه الناس ويعظّمونه وقد اختار العزوبية طوعاً) ولا عدم التناسل النسبي أي إنجاب ولد أو أكثر ثم ممارسة الجنس بدون تناسل بالامتناع عن الحمل بوسائله المختلفة بدءاً من عزل الرجل ("كنّا نعزل والقرآن ينزل") مروراً بما سوى ذلك من طرق منع الحمل. فقضية النسل هذه لا وزن حقيقي لها في تحديد قيمة المثلية، وهي أكبر حجج خصوم المثليين بالمناسبة، فإذا تبيّن أن حجّة النسل هذا ضعفها بل بطلانها، فما دونها أشدّ بطلاناً وضعفاً فتأمل وارتقب.

٤-المثلية مثل اللون وهيئة الجسم، لا يد في كسبها أو إعدامها.

من أهمّ ما يدور النقاش حوله بين أنصار المثلية وخصومها هو تحديد ما إن كانت مكتسبة أم فطرية، أي هل الميل للمثل شيء اختاره الإنسان كما يختار مثلاً الكتاب الذي يقرأه أو كيف يسرّح شعره، أم هو شيء مثل اللون وهيئة الجسم والغرائز الطبيعية التي يولد بها أو على الأقل تكون كامنة في النفس وتظهر في حال توفرت ظروف معينة تمكنها من الظروف مع حضورها في النفس دائماً وإن بنحو خفي؟ بعبارة مختصرة، هل الله خلق بعض الناس بميول مثلية وبعضهم بميول غيرية وبعضهم بميول تجمع بين المثلية والغيرية؟

يترتب على الجواب الكثير. نعم، قد نقول بأن المثلي مخلوق هكذا، بالتالي لا يمكن لومه على مثليته. لكن حتى إن سلّمنا بهذا فلا يقتضي التسليم به رضا المجتمع وقوانينه عن الفعل المثلي من حيث المبدأ، لأن بعض الناس لديه ميول أخرى جنسية وغير جنسية ومع ذلك يقننها المجتمع كميل البعض للجنس مع الأطفال أو الحيوانات أو ميله لاكتساب المال بكل طريق مسموح وممنوع أو ميله لتعاطي المخدرات وهكذا، نعم هذا لا يعني المساواة بين المثلية وهذه الأمور، لكن من حيث المبدأ لا يمكن التسليم اجتماعياً بأن كل ما يميل إليه إنسان فهو مقبول اجتماعياً، هذه القاعدة

مرفوضة في كل المجتمعات لأن الإنسان بفرديته له ميول تؤثر سلباً على نفسه وعلى المجتمع ولا يمكن لمجتمع متحضر وسليم القبول بها وإعانته عليها. فمجرد التسليم بأن المثلية مخلوقة غير مكتسبة لا يكفي لحسم الجدل حول جوازها اجتماعياً، إلا أن التسليم بذلك مقدّمة قوية لحسم الجدل لصالح أنصار المثلية وقبولها اجتماعياً، فهي خطوة في الطريق وليست الطريق كلّه. لذلك نرجع ونسأل: هل المثلية مكتسبة أم فطرية؟

كل الميول الجنسية غير مكتسبة، بدليل أننا نجد من أنفسنا كغيريين الميل بدون معرفة متى اكتسبناه ولا كيف اكتسبناه، ونجد في بعض مراحل حياتنا ميول غريبة عنا بعد كبرنا والبعض يكون له ميول مثلية في صغره وإن صار غيرياً في كبره، وبعضهم يجمع بين الاثنين، بغض النظر عن الحالة الاجتماعية وعاداتها تجاه الجنس، فحتى أشدّ المجتمعات تشدداً تجاه المثليين ستجد فيه المثليين، فمجرد وجود قوانين تحارب المثلية لن تلغي وجودها كحقيقة فردية في أي مجتمع كائناً ما كان. الميل الجنسي يشبه في ذلك الميل الغذائي، ما يحبّه البعض لا يحبّه البعض الآخر وليس الأمر مكتسباً باختيار عقلي حر بل نجد أنفسنا على شاكلة معينة والسلام. ولنا على ذلك شاهد محايد تمام الحياد لا علاقة له لا بمشاكل هذا العصر ولا هو طرف فيه ولم يكتب أصلاً من أجل هذا البحث، والشاهد هو القاضي المسلم المعتزلي عبد الجبار الهمداني في كتابه متشابه القرآن، في المسألة ١٧٤، سورة النساء، الآية ١٢٩ القائلة "ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل"، كتب القاضي {والمراد بالآية: أن أحدنا لا يستطيع فيما يتعلق بميل النفس والشهوة أن يسوي بين النساء لأن ذلك من خلق الله تعالى فيه. ولذلك ترى بعض الناس لو اشتد حرصه على أن يشتهي ما يسهل عليه تناوله ليتمكن من القناعة لم يتمكن من ذلك. فلو أراد قصر شهوته على ما تحويه يده لما أمكنه. فصارت الشهوة بمنزلة الصحة والهيئة واللون وغيرها في أنه لا قدرة للعبد فيه ولا استطاعة. والله تعالى لم يكلف أن يسوي المرء بين نسائه في هذا الوجه وإن ألزمه التسوية بينهن في القسم والأحكام المتعلقة بأفعال الجوارح ولذلك قال عليه السلام "هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك" يعني ما يتعلق بشهوة القلب.} إذن، شهوة القلب وميل النفس والشهوة لا قدرة للإنسان فيه ولا استطاعة بل هي مثل الصحة والهيئة واللون مفروضة عليه من الله الذي خلقه وليست باختياره والنبي نفسه قال أنه لا يملك ذلك "فلا تؤاخذني فيما لا أملك". نعم لاحظ أن القاضي ذكر الفرق بين شهوة القلب وفعل الجوارح، وجعل التكليف يرد على الفعل الجسماني وإن لم يرد على الميل النفسي القلبي، وهذا مثل ما ذكرناه قبل قليل. لكن هنا يرد اعتراض كبير: إن كان الله خلقه كذلك والنبي قال "فلا تؤاخذني فيما لا أملك" والله أحكم وأرحم من أن يخلقك على شاكلة ثم يعاقبك إن عملت العمل المناسب لهذه الشاكلة، فمن العبث أن تصنع سيارة ثم تلومها على السير أو تحرق خشبة ثم تلومها على الاحتراق أو تعطي ولدك مالاً ثم تعاقبه على إنفاقه بشكل عام، وهنا الأمر كذلك لأن وجود الميل للمثل هو شيء مخلوق فيه فإن قام بالعمل المناسب لذلك وهو الاتصال بالمثل وتحقيق الشهوة فكيف يؤاخذه الله الذي خلقه بذلك. نعم للإنسان نوع من الاختيار الشديد

والشاق جداً بل والمستحيل من بعض الأوجه "ولو حرصتم" في أن لا يعمل بحسب مقتضى ميله النفسي وشهوته القلبية ولذلك قال القاضي {لم يتمكن من ذلك} تبعاً للآية "ولو حرصتم". فالذي يؤمن بأن الله خلق المثلي مثلياً ثم لا يؤمن بأنه يريد أن يكون بالفعل مثلياً إنما ينسب أهوائه وتحيزاته وسفاهته ومقاصده السياسية الاجتماعية هو إلى رب العالمين. فإن كان المثلي عاصياً بفعل الحرام فمحارب المثلي كافر بالاعتقاد بانعدام حكمة ورحمة رب العالمين. ولو نسبنا إلى هؤلاء وإلى من يعظمونهم من البشر ما ينسبونه هم إلى رب العالمين لقامت قيامتهم ولم تقعد، وهذا على طريقة الجاهليين الذين ينسبون ما يكرهون إلى الله وتشمئز قلوبهم وتسود وجوههم منه لو نسب إليهم كما في أمر نسبة البنات إليه تعالى الواردة في القرءآن. الحاصل: القدر المقطوع به وجدانياً وقرءانياً أن الميول الجنسية هي مثل لون الجسم وهيئته لا يخلقها الإنسان في نفسه بل يولد بها أو تتكوّن فيه بعوامل لا يد له في دفعها ولا استطاعة له على تغييرها جوهرياً وإن كبتها ولم يظهرها فعلياً مع المشقة الشديدة بل المستحيلة فعلياً وقد عرفنا أن الله لم يجعل على أحد من حرج ويريد بالناس اليسر لا العسر وقال الفقهاء "المشقة تجلب التيسير"، فأي مشقة وأي حرج وأي عسر أشد من أن يكون للإنسان ميل جنسي خاص يتقزز من سواه ثم يفرض عليه الامتناع عن ميله الفطري وينفرض عليه الميل الذي يتقزز منه، هذا يشبه بل يساوي أن تفرض على رجل له ميول غيرية أن يمتنع عن مضاجعة النساء وينفرض عليه قهراً مضاجعة الرجال، هذا بالضبط ما يحاول الغيريون الطاغون فرضه على المثليين، المحاولة قبيحة وعدوانية وأعرابية منافقة من الطراز الأول على طريقة الذين يرون الحق إن كان لهم يقبلونه وإن كان عليهم يرفضونه ولا يتبعون الحق من حيث هو كذلك ويوجبونه على الكل وعلى أنفسهم أولاً. فإذا كنت لا تريد من أحد أن يفرض عليك ميولاً جنسية لا تجدها في نفسك ولا يشتهيها قلبك فلا تسعى أنت إلى فرض ميولك الجنسية على غيرك إن كان لا يجدها في نفسه ولا يشتهيها قلبه.

٥-خطورة القمع الجنسي.

حسناً، سلّمنا بأن الميل الجنسي مخلوق وفطري في الإنسان غير مكتسب ولا يستطيع دفعه ولا تغييره. لكن يستطيع أن يقمعه ويكبته ولا يظهره ويمارسه، كأن تميل إلى ارتكاب جريمة فهذا لا يبرر لك ارتكابها. هكذا يقول البعض. وهذا مردود من وجوه كثيرة.

أوّلاً، كل الأمثلة المضروبة في هذا السياق بشكل عام تختلف عن واقع المثلية. فحين يضرب المثال بارتكاب جريمة مثلاً، الجريمة ليست مثل المثلية، لأن الجريمة فيها قهر لشخص آخر بغير إرادته على شيء معين كأن تضرب إنساناً أو تقتله أو تسرق ماله، في كل هذه الحالات أنت تفعل في غيرك شيئاً لا يريده هذا الغير، أما في المثلية فإن الذكر والذكر أو الأنثى والأنثى تسالما واتفقا وتراضيا على العمل فلا إكراه فيه ولا إجبار، وإلا صار اغتصاباً وتلك جريمة طبعاً لا يناقش فيها أحد سواء كان اغتصاباً مثلياً أو غيرياً والكلام ليس في هذا فهو مفروغ منه. حين يضرب المثال بشخص له ميول جنسية تجاه الأطفال، أيضاً يختلف هذا عن المثلية، لأن الطفل مجبور وغير واعي وغير مختار للدخول في هذه العلاقة وهذا أهمّ أسباب رفض المجتمع لها بحق

فهو نوع من الاغتصاب والاستغلال القبيح بل من أقبح صور استغلال القوي للضعيف، والمجتمع المتحضر والعادل يحارب قهر الإرادة واستغلال القوي للضعيف بمجرد القوة، أما في المثلية فلا يوجد لا اغتصاب ولا قهر ولا استغلال قوي لضعيف بهذا الشكل. حين يضرب المثال بالمخدرات، فمن جهة كل المجتمعات تسمح بنوع ما من أنواع "المخدرات" بالمعنى الواسع لها فإن القهوة والشاي والشوكولاته والسكر نعم السكر كلها من المخدرات بوجه ما وتسبب أضراراً عقلية وتغيرات عقلية وتؤثر على الصحة الجسمية، وكذلك السجائر العادية لها أضرار سرطانية ورائحة كريهة ملوثة على شاربها والجالس بجنب شاربها والذي يمر من أمام من يشربها ومع ذلك مسموحة بشكل عام، وكذلك الكحول والنبيذ فإنه مسموح في كل المجتمعات رسمياً ما عدا بضعة دول ينتشر فيها الكحول بشكل غير رسمي لعله أكثر من الدول التي تسمح بالكحول قانونياً، وفي زماننا هذا صارت الدول المتقدمة تميل إلى إباحة الحشيش وبعضها يبيح الفطر وأشباهه، والحركة تميل باتجاه قبول المخدرات كلها وهي مدفوعة بهذا الاتجاه رسمياً وبشكل غير رسمي، فقياس المثلية على المخدرات بشكل عام يوجب-على فرض صحة القياس-إباحة المثلية والتحرك باتجاه إباحتها وإباحتها في بعض مظاهرها وفي بعض الحالات على أقل تقدير كإباحة القهوة والشاي والسكر والشوكالاته والسجائر في كل مكان بالرغم من كل الأضرار القاتلة على المتناول وعلى المجاور والمعترف بها في كل مكان، فالذين مرضوا بسبب المثلية في أي مجتمع لا يبلغون عشر معشار عشر الذين مرضوا وقتلوا وكلّفوا الدولة تكاليف عالية مالية وصحية بسبب إصابتهم بالسكري والسرطان الناتج عن تناول أطعمة معينة وتدخين مادة معينة. الأمة التي تسمح بالسكر والسجائر ولا تسمح بالمثلية بحجّة الخوف على صحة المجتمع هي أمة منافقة وتافهة لا تستحق حتى احترام الرأي الطبيعي بين المختلفين في الرأي. السماح بالسكر والسجائر مع منع المثلية بحجة الخوف على المجتمع يشبه السماح بحمل الناس للقنابل ورشاشات الكلاشينكوف مع منع السكاكين السويسرية ذات ملاقط الحواجب ومقّصات الأظافر خوفاً على طعن الناس بعضهم بعضاً بها. لنقل على أقل تقدير أنه قياس غير مشروع والميزان مختل. وعلى هذا النمط الأمثلة المضروبة للمثلية لمنعها، هي إما أمثلة فيها قهر للإرادة وإما أمثلة لا تنطبق واقعياً على المثلية وقياسها على المثال المضروب.

نقطة أخرى: أشد الناس على المثلية هم عادة المتدينين بالأديان التقليدية، وإذا نظرنا في المجتمعات الدينية تاريخياً وإلى وقت قريب سنجدها مجتمعات لا تبالي بقهر الإرادة أصلاً لأنها إما تقوم على أسس ملكيات طاغية وتبرر وجودها وهي أعظم ومظاهر القهر والاستغلال، وإما ترضى بوجود العبيد والإماء ومضاجعتهم قهراً واغتصاباً وتملكهم كما تُملَك البهائم والمعادن، وإما ترفض مظاهر العلم والطب ورعاية الجسم وتسببت بخلق مجتعات كان الفقر فيها هو الظاهرة الرئيسة والكبرى والمحيطة بأكثر الناس ولم يبال شيوخ هذه الأديان الدجاجلة بذلك بل كانوا يسحرون أعين الناس الفقراء حتى يرضوا ببؤسهم ليتمتع ملوكهم وشيوخهم وفقهائهم بالدنيا الدنية. مثل هؤلاء لا يحق لهم الاحتجاج بمبدأ عدم قهر الإرادة ولا بمبدأ صحة المجتمع

أصلاً لأنهم أكبر من قهر ولا يزال يقهر إرادة الناس ويشرعن لذلك وهم أكبر مرض وداء أصاب الجسم الإنساني ولا يزال، أو لنقل على أقل تقدير أنهم من أكبر بدلاً من أكبر. فمن كل وجه لا حجّة لهم في هذا الباب.

ثانياً، أضرار القمع الجنسي وكبته عموماً وبالنسبة للمثليين خصوصاً أضرار فادحة لا مبرر لها وحتى لو افترضنا وجود منافع لها فإنها لن تزيد على الأضرار بنحو يبرر الأخذ بها وتحمّل الأضرار في سبيل النفع الأكبر. فلنبدأ بالأضرار ثم نثنّي بالمنافع الواقعية والمتوهمة إن شاء الله.

الأضرار الناتجة عن قمع المثلية تدور حول خمسة: الاضطراب والعنف والكذب والطلاق والعداوة. فالمقموع والمكبوت جنسياً (مقموع من غيره، مكبوت يكبت نفسه) هو شخص مضطرب نفسياً وعقلياً لأنه يحارب نفسه بنفسه أو يحارب نفسه خوفاً من غيره. ويمكن توقع العنف من مثل هذا الشخص على نفسه أو على غيره لأنه يكره نفسه بسبب ما هي عليه أو لأنه يكره غيره ممن يجبره بالعنف-وكل قمع للمثلية سيكون بالعنف-على الامتناع عن ممارسة ميوله القلبية الفطرية. وسيعيش حالة كذب مستمر ويتصنع ما ليس فيه ويلبس ثوبي زور الظهور بمظهر الغيري أو بمظهر المريد للعزوبية طوعاً أو تديناً أو اشتغالاً بما هو أولى ونحو ذلك من أكاذيب بالنسبة له يخبر بها غيره وقد يكذب على نفسه أيضاً والحق أنه يتقزز من النساء إن كان رجلاً وتتقزز من الرجال إن كانت امرأة فتبرر ذلك بغير الواقع الذي تعلمه أو تجهله غفلةً منها عن كوامن نفسها. وإن حصل وتزوّج المثلي من الغير الغيري فإنه سيؤول إلى الطلاق أو حياة بائسة، وكم من امرأة اكتشفت بعد زواجها خيانة زوجها لها مع حبيبه وليس مع حبيبته، وكذلك العكس. وأخيراً عداوة المثلي للمجتمع الذي يقمعه وأسرته التي تكرهه مما يؤدي إلى عداوة بسيطة أو معقدة في حال تمكّن من رقاب المجتمع أو بعض أجزائه بسلطة كبيرة أو صغيرة أو العكس عداوة المجتمع للمثليين وتهميش وإيذاء طائفة من الناس فيه بغير حق. هذه أضرار كلها معلومة ومعقولة ومشهودة وموجودة في كل مجتمع يحارب المثليين بدرجة أو بأخرى. فما هي المنافع المرجوة في الكفّة الأخرى؟

يقال: إباحة المثلية اجتماعياً سيؤدي إلى تقليل النسل وفناء المجتمع. أقول: أنتم بمثل هذه الحجّة تقرّون بأن مجتمعكم كلّه أو معظمه من المثليين ! وإلا فكيف سيفنى النسل إن كان أكثر الناس أو حتى نصفهم من الغيريين. فتنبّه لما تقول. والحق أن في هذه الحجّة يكشف أصحاب الحجّة أنفسهم أنهم من المثليين أو من الذين لديهم ميول مثلية يخشون من ظهورها أو يعلمون من اطلاعهم على أحوال الناس انتشار المثلية بينهم. وإلا فكيف تصدر مثل هذه الحجّة عن عاقل يدرك الأوضاع الفعلية للمجتمع ويزعم أن الفطرة الإنسانية هي الميول الجنسية الغيرية والشاذ النادر هو وجود المثلية-لاحظ أن المثلي يسمّى "شاذّ" عندهم على اعتبار أن القاعدة العامة الشائعة هي الغيرية الجنسية، حسناً، سلّمنا، الأصل الشائع هو الغيرية والمثلي "شاذ"، فأين المشكلة إذن؟ الغيريون سيتناسلون ويبقى مجتمعكم العزيز، واحسبوا المثلي البحت الذي لن يتناسل كما تحسبون علمائكم العزّاب، مرّة أخرى أمثلة إسلامية لأنها الجمهور العام لكلامنا

هذا، مثل ابن تيمية شيخ إسلام كثير منكم والنووي شيخ إسلام كثير منكم من الطرف الآخر وهلمّ جرّاً من أمثلة "العلماء العزّاب"، اقرأوا كتاب العلماء العزاب للشيخ عبد الفتاح أبو غدة كمثال إن شئم أن تروا كمّية وكيفية الرجال الذين اختاروا عدم التناسل بل عدم الزواج أصلاً، وستجدون أسماء مثل هذه أذكرها بدون العناوين والألقاب الكبيرة مثل الحافظ المحدث القدوة الإمام العلَم وهلمّ جرّاً: عبد الله بن أبي نجيح المكي، يونس بن حبيب، الحسين بن علي الجعفي، بشر الحافي، هناد بن السري، ابن جرير الطبري (صاحب التفسير المشهور)، أبو بكر الأنباري، أبو علي الفارسي إمام العربية، أو نصر السجزي المحدث، وهكذا، أمثلة كثيرة من شتّى أنواع العلماء والعباد والأولياء اختاروا العزوبة وعدم التناسل. وإن أردنا الشق الآخر المتدين من الجمهور العربي أي المسيحي سنجد أن الأمر عندهم أهون فإن العزوبة عندهم مقدسة للرجال والنساء وعندهم أن يسوع ابن الله لم يتزوج ولم يتناسل والرهبنة شيء مقدس وعظيم ولا نحتاج بعد ذلك إلى أمثلة. فإن كنتم تهتمون فعلاً بالتناسل أيها المسلمون والمسيحيون، وتريدون من كل شخص التناسل وتحاربوا أي ظاهرة تؤدي إلى عدم التناسل، فلماذا تعظّمون وتقدّسون هؤلاء الأشخاص الذين اختاروا عدم التناسل وتبررون فعلهم بتخريجات وتبريرات أو تقدسيات وتبجيلات، أو لا أقل لا تحاربونهم وتلعون سنسفيلهم سبب اختيارهم هذا. مع العلم أن المثلي ليس بالضرورة لا يتناسل، فقد تكون مثليته جزئية لا كلّية، أي يميل إلى مثله وإلى غيره، ومن حيث ميله إلى غيره قد يتزوج ويتناسل ثم يطلق أو لا يطلق ويجد نوع من التفاهم مع زوجه أو غير ذلك من احتمالات توفيقية لا ندخل الآن في تقييمها لكن بشكل عام قد يكون مثلي وتناسل وأنا شخصياً أعلم واحد من أثرى العوائل التجارية من أهل مكة المكرمة هو مثلي مشهور بمثليته وابنه أيضاً مثلي مشهور بمثليته عندنا هنا في جدة، والأمثلة كثيرة لعل كل واحد منا يعرف بعضها، فهذا ليس تخيلاً بحتاً لاحتمال بل هو واقع وموجود (هذا المثلي صاحب الولد المثلي تقدّم إلى إحدى قريباتي طالباً منها الزواج لأنه يجب أن يظهر بمظهر المتزوج رسمياً حفظاً لوجه العائلة الثرية المشهورة! لو أردت أن أضرب أمثلة على كل حالة ذكرتها لفعلت من واقع معرفتي فضلاً عن ما لم أعرفه وأنا رجل غير اجتماعي بشكل عام ومع ذلك أعرف أمثلة واقعية على كل ما ذكرته وأنا عقلي ينظر للواقع وينتزع منه وإن صغت الأفكار بطريقة مجردة فاعلم ذلك.) إذن، المثلي قد يتناسل وقد لا يتناسل، بينما الجماعات الدينية تعظّم أناس اختاروا عدم التناسل بالكلية وقد تعظّم طرق وتوجهات وشخصيات ترفض التناسل بل والزواج من أصله وتعتبره سفالة ودنساً وذلك في كل دين بدرجة أو بأخرى، وأنا لا أعلم ديناً لا الإسلام ولا غيره يجبر الناس بالقهر على الزواج والتناسل، بل هو اختياري عندهم في أحسن الأحوال وإن أوجبوه شرعاً لكن لا يفرضوه قهراً كقانون من يخالفه يحبس أو شيء من هذا القبيل. حسناً، فالمثلي أيضاً اختار عدم التناسل، وكما أن المجتمع لا يفنى باختيار غير المثليين للعزوبة كذلك لن يفنى باختيار المثليين لعدم التناسل. هذا جواب. جواب آخر مستمد من الإحصاء الواقعي لعدد المثليين في كل مجتمع، ولنأخذ المجتمع الذي يصرّح فيه المثليون بحالتهم مثل كندا عاصمة المثليين في الأرض

إن شئت: عدد سكان كندا ٣٨ مليون، عدد المثليين فيهم؟ ٩٠٠ ألف، وهذا يتضمّن المثلي الكلّي والمثلي الجزئى، وهذا إحصاء لعددهم من سن ١٥ فما فوق. فنسبة المثليين بكل أنواعهم ومنها الذين قد يتناسلوا بسبب وجود ميل غيري لديهم أقصد المثلية الجزئية، هي ٣.٣٪. يعني في عاصمة المثليين في العالم ومع كل الحريات والحقوق والضمانات القانونية والاجتماعية والقبول الاجتماعي العام أو عدم التعرض لهم بشكل ممنهج، مع كل ذلك نسبتهم لا تزيد على ٥٪. فلو أردنا المجازفة والشطح لنقل أنهم لا يزيدون في أي بلد عن ١٠٪ من عدد السكان، ومن ضمنهم كما قلنا المثلي الجزئي. ولنشطح فوق الشطح للاحتياط ونضرب العدد في اثنين، فنقول أنهم لن يتجاوزوا قطعاً ٢٠٪ ولنفرض أيضاً أن هذا عدد المثليين الكليين الذين لن يتناسلوا ولن يتصلوا بالغير للتناسل بحال من الأحوال. إذن حتى مع كل الشطح والنطح والفطح لن يبلغ عدد المثليين في أي مجتمع ٢٠٪ منه، فيبقى ٨٠٪ للتناسل والتكاثر وانتاج الأولاد كالأرانب إن شاؤوا. وحتى أكبر الموسوسين لا أظنه سيعتقد بأن ٨٠٪ من الشعب لن يكفي لضمان استمرار الشعب. والدليل الواقعي على ذلك أننا نجد أكبر أسباب قلة السكان في بعض نواحي الأرض خصوصاً الغرب ليس وجود المثلية ولكن عدم وجود القدرة الاقتصادية والأمن المعاشي والوقت الكافي لإنجاب أولاد من قبل الغيريين، دع عنك المثليين، الغيري صار لا ينجب أحياناً بسبب غلاء المعيشة وقلة الوقت بسبب ضغط العمل. فإن كان المجتمع فعلاً مهتماً بتكثير النسل فالحل ليس محاربة شخص يتقزز من التناسل ويرفضه لسبب أو لآخر فإن هذا لن ينتج شيئاً فعلياً، لكن الحل الجذري هو بتوفير المعيشة والأمن والوقت الكافي للآباء والأمهات للتناسل كرفع الرواتب وتقليل أيام العمل وساعاته وإعطاء إجازة مدفوعة وتأمين صحي حكومي شامل للجميع وما أشبه من أسباب. هذا في المجتمعات المتحضرة. أما في المجتمعات المتخلفة فإن التكاثر هو متعة اليوم ولا شيء يفعلونه بعد انطفاء الكهرباء غيره لذلك يكثرون بالرغم من الفقر والجهل. فالعالَم لن يفنى بسبب قلة النسل، والعالَم الإسلامي مثلاً قبل مائة سنة كان أقلّ بكثير جداً منه اليوم بعد كل "الانفتاح" أو "سيطرة الدجال" على الأمة حسب قول البعض، بل تضاعف أضعافاً كثيرة بفعل تيسيرات الحداثة ونظام الدول الحديثة بشكل عام. فلا يأتي شخص بقيم عالم كان الفقر وموت الأطفال والحرب المبيدة والاستعباد هو النمط الشائع في الأرض، ويرى أن فرض تلك القيم الهمجية والجاهلية هو الذي سيضمن بقاء النوع البشري عبر التناسل وغيره، خصوصاً إن كان يرى الحل الأكبر أو أحد أكبر الحلول هو محاربة المثليين. إذن، انظر من كل وجه لن تجد للربط بين قبول المثلية اجتماعياً وبين فناء النسل رابطة حقيقية معقولة واقعياً.

يقال: القبول بمبدأ المثلية يعني القبول بوجود متعة ولذة بدون منفعة اجتماعية بل مجرد متعة فردية أنانية والمجتمع يقوم على تقييد الفرد لصالح المجتمع، لذلك رفض المثلية يعني رفض فصل اللذة عن المنفعة. أقول: قد فرغنا من هذا الفصل المصطنع بين اللذة والمنفعة، هذا أوّلاً. ثانياً، بمثل هذه الحجج يكشف هؤلاء عن نزعتهم الطغيانية الصريحة، إذ يريدون الفرد أن يكون عبد لهم هم لأن "المجتمع" هو مجرد اسم يطلقه هؤلاء على مصالحهم هم والناس عبيد ينتجون لهم لا

يستحقون حتى التنفس ما لم يكن تنفسهم من أجل شيء يخططون هم له وفي ضوء مقصد يضعونه هم. فلا قيمة لمثل هذه الحجّة لا أصلاً ولا فصلاً. ثالثاً، المجتمع المحترم الإنساني يقوم على وجود قانون يتشارك الكل بوضعه مباشرة أو عبر وكلاء، وعبر وجود مؤسسات منتخبة عاقلة، وتناسل مقبول ويمكن تعويضه أحياناً بفتح باب الهجرة للتعددية أيضاً وليس فقط العدد، وأهمّ شيء يقوم ويبقى ويتطور بناء على إيمان الناس عموماً بقيمة هذا المجتمع الذي يحترم الأفراد ويترك لهم حريتهم ويضمنها لهم بأقصى حد ممكن. هذا لمن يهتم بالمجتمع وبقائه. أما قمع " الأنانية" فهو شيء باطل وسخيف لا يعمله أحد فعلياً. بل كل حركة الإنسان هي حركة " أنانية" بوجه أو بآخر ظاهر أو باطن، فالفصل بين الفرد وأنانيته هو فصل بين الفرد وفرديته وهو أمر مستحيل كسلب الشيء عن نفسه. هذا من وجه. ومن وجه آخر، إن الالتزام بالقوانين المشروعة هو بحد ذاته تضحية فردية إن شئت في سبيل حفظ المجتمع، وهذا كاف. فما علاقة هذا بالجنس؟ إن كنّا سنقمع الجنس بحجة الأنانية فلنقمع أيضاً الأكل والشرب واللباس والسكن وكل شيء في بحجّة الأنانية، فإن الشخص الذي يأكل فوق حاجته الضرورية الضيقة للصحة هو "أناني" يستمتع بلذة منفصلة عن المنفعة بأضيق معانيها التي هي البقاء الذي يريد هؤلاء الطغاة جعل الناس يرضون به حتى يأخذوا هم لأنفسهم أكبر حصة ممكنة من الانتاج القومي، والذي يلبس تزيناً ويحسّن نفسه أيضاً يرتكب عملاً "أنانياً" لا داعي له بحصر المعنى للبقاء والدفء من البرد ونحو ذلك، هذا اختزال سخيف وشنيع ومريض للعمل الإنساني ولا قيمة له. بل نفس مضاجعة الرجل لزوجته بغير نية وقصد واستعداد مناسب وفي أيام الشهر المناسبة لحملها يعتبر هو أيضاً من "الأنانية" التي تفصل اللذة عن المنفعة وهي هنا النسل، إذ هذه متعة بحتة غرضها القذف والتواصل بينهما بدون انتاج ولد وقد يكونا قد قطعا على أنفسهما بعدم الانجاب كما مرّ، ومع ذلك لا يأتي منظّرو عدم الأنانية هؤلاء بأي اعتراض على هؤلاء. قلّب الحجّة كما تشاء فلن تجد فيها معنى متحقق واقعياً لا عند من يقول بها فضلاً عند من لا يؤمن بها أصلاً ولا فصلاً.

هذه من أهم الحجج وسنذكر غيرها في ثنايا ما يأتي إن شاء الله. فالحاصل أن الأضرار الواقعية المشهودة لقمع المثليين أكبر بكثير وأصدق وأولى بالمراعاة من أجل الدنيا بل وأجل سلامة الروح والقلب من المنافع المرجوة من قمعهم على فرض تحققها وقيمتها فما بالك وهي غير ذات قيمة لا وجوداً ولا اعتقاداً بل ولا ممارسةً فعلية من الذين ينادون بها.

٦-المثلية حقيقة قائمة في كل التاريخ المعروف، ولم تتغيّر بدين وفلسفة وغيره.

وجود المثلية في كل التاريخ المعروف يشهد له كل من وثّق لتاريخه بكل حسناته وسيئاته في نظره، وكذلك كتب القوانين التي كانت تجرّم المثلية سواء كانت قوانين دينية أم ملكية أم جمهورية، وكذلك كتب القصص عموماً، وتجد التصريح بوجودها أو التلميح في مواضع شتّى من كتب مختلفة، فضلاً عن العصر الحاضر الذي يشهد ظاهرة المثلية في كل مكان معروف وخصوصاً يُترَك الناس فيه لإظهار ما هم عليه. وأقلّ ما يقال إن لم نقل أنها موجودة بشكل مطلق في كل

زمان ومكان فهي موجودة بنحو غالب والغالب له الحكم وعليه القياس وبه الحساب. لنضرب مثلاً إسلامياً ومثلاً مسيحياً.

أمّا الإسلامي فاتّفق أن فتحت كتاب الحارث المحاسبي "الرعاية لحقوق الله" حيث يقول في باب وصف أعظم الرياء ما يلي وهو يحكي عن {طلب الفجور وغيره من أهل الفسوق} عبر مظاهر معينة دينية فقال {وقد يظهر القراءة أيضاً بعض الفجّار فيطلب الغلمان والنساء بالطاعة فيظهر الصوف والخشوع وكثرة الذكر وطلب العلم والجلوس مع أهل الدين وإتيان مجالس الذكر} إذن، حتى في مجتمع وفي دائرة أهل الدين وطلب العلم والدين والذكر والزهد وقراءة القرءآن، تجد أناساً من المثليين يبحثون عن {الغلمان} وهم ذكور كالطالبين لهم ليفجروا بهم.

أمّا المسيحي، فأيضاً كتاب يتعلّق بالروحانية وهو "بستان الرهبان-عن آباء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية"، ويذكر في بداياته قول للأنبا أنطونيوس فيه نصائح للخلاص ومن هذه النصائح {لا تأكل مع امرأة. ولا تصادق صبياً البتّة لا يرقد اثنان منكم على حصرة واحدة. وإذا نمت لا تدخل يدك داخلك لئلا تخطىء بغير هواك. لا تحلّ مِنطقتك وأنت قوي. وإذا تعريتَ فلا تنظر جسدك. ولا تمسك خدّ قريبك ولا يده صغيراً ولا كبيراً.} أقول: هذا المقطع كما يبدو كله عن الأمور الجنسية ومقدّمات الجنس على ما يبدو التي تصل إلى حد هستيري من الحذر. ومن هذه النصائح الثمينة لهذا الراهب الروحاني لبقية الرهبان أمثاله الذين يريدون التفرغ لأمور الروحانية والقداسة يقول {ولا تصادق صبياً البتّة، لا يرقد اثنان منكم على حصرة واحدة} فحتى هؤلاء المتشبعون بالقداسة كما يقال كانوا يخشون من ظهور مثليتهم الكامنة فيهم أو يخشون من وجود مثلية كامنة فيهم إلى حد أن مجرد مصادقة صبي أو الرقود معه على حصرة واحدة قد يكون شيئاً خطيراً يبعث على المضاجعة أو اللعب الجنسي كإدخال اليد داخلك أي عند قضيبك وأنت نائم لعلك تستمني من شدة الكبت بسبب ورود صورة في نومك ومن يدري لعلها صورة الصبي الذي لا تستطيع أن تصادقه لدخول ملكوت السماوات !

هذه أمثلة من روحانيين وزهّاد وعبّاد ! فتستطيع تخيّل كيف كان الحال وما هو الحال اليوم بالنسبة لغيرهم من الدنيويين وعامّة سفلة البشر-عليهم اللعنة !

ولا نريد الدخول في أكثر من ذلك لإثبات انتشار الظاهرة، وإن كانت الكتب والدراسات عنها لاشك متوفرة وما ذكرناه كفاية لمثل هذه المقالة التي تضع العناوين مع شرح مبسّط لها أكثر من البسط العريض لكل حجّة.

بناء على ذلك، حيث لا دين ولا فلسفة (بل الفلاسفة خصوصاً اليونان كانوا مشهورين بالمثلية بشكل عام وبعضهم يرى مضاجعة الصبي من حسن تربيته) قد غيّرت من هذه الحقيقة، بل إما الدين لم يؤثر نهيه وإما الفلسفة قد دعمت وشجعت أو على الأقل نهت نهياً أضعف بكثير من النهي الديني، فلابد من اليأس بالكلية من اجتثاث هذه الحقيقة النفسية الإنسانية التي هي المثلية الجنسية. بالتالي لابد من التعامل معها كالتعامل مع الأمر الواقع الحتمي الذي لابد من قبوله والرضا به، كالأكل والشرب. وما لم يفلح لا الدين ولا الفلسفة في اجتثاثه، فإن القانون قطعاً

لن يجتثه، ولا حتى سيخفف من حدّته، بل كل ما سيفعله القانون هو تعسير حياة أناس أبرياء لم يختاروا ما هم عليه ولم يجبروا أحداً لكي يضاجعوه أو يضاجعهم. فالقانون المضاد للمثلية هو ظالم وجاهل في آن واحد، ولا يكون إلا كذلك حتى من قبل تنفيذه لأنه مبني على أفكار وافتراضات خاطئة وباطلة وسخيفة، وكأن القانون البشري يستطيع تغيير القضاء الإلهي. فالقوانين المضادة للمثلية ظالمة وغير مشروعة من أصلها، لأن المثلي مظلوم بسببها وغير المثلي خارج عن دائرتها، فهي موضوعة للظلم والقهر فقط.

٧- تصرّف البالغين بأجسامهم هو اختيارهم، ولو فيه عنف لأنفسهم. (رياضة..الخ).

هنا أصل مهم جدّاً. هل يحق لإنسان أن يتصرّف في جسم إنسان آخر بغير إذنه؟ الأصل هو عدم تصرّف إنسان في جسم غيره إلا بإذنه. والأصل أيضاً أن لكل إنسان التصرّف في جسمه أي جسم نفسه هو كما يشاء. فمن ادعى أن له الحق في التصرّف في جسم غيره أو الحدّ من تصرّف غيره في جسمه فهو كأصل ظالم ومعتدي ولا عبرة لادعائه وفعله عدواني غير مشروع، مالم يثبت ذلك بنحو مقبول وفي حالات استثنائية، كعملية جراحية يقوم بها طبيب بدون إذن المريض الذي تعرّض لحادث سيارة جعله يفقد الوعي ولابد من القيام بالعملية الآن وإلا سيموت المصاب فلا أظن أن أكثر العقلاء سيرفضون هذا التدخّل الجراحي للطبيب وإن كان تصرفاً بدون إذن المريض. وعلى هذا القياس لابد لمن يدعي وجود حجّة تبرر تصرفه في جسم غيره أو الحيلولية بين الإنسان وجسمه الخاص به، هذا هو الذي عليه الإتيان بالحجّة لا الذي يذكر ما يترتب على الأصل. البيّنة على من ادعى خلاف الأصل، هذا معلوم في الفقه والقوانين عموماً وهو أصل معقول بنفسه وعكسه فيه ضرر ومشقة عظيمة بغير داعي.

الإنسان الذي يدعي أن الله هو الذي خلق الجسم بالتالي ليس لإنسان أن يتصرف في جسمه إلا بإذن الله، هو إنسان يقول كلمة حق عادةً لكنه يريد بها باطلاً. لأن مثل هذا حين يذكر هذه الحجّة في هذا المجال إنما يقصد أنه هو يملك شرع الله المطلق والحقيقة التامة الباهرة التي على أساسها يحق له هو وطائفته من المعتدين السطو والاعتداء على الناس بحجّة أنهم يتصرّفون بهم باسم الله وأمره. نعم أنت تؤمن أن الله يريد منك التصرف بجسمك بطريقة معينة فهذا حجّة عليك وأنت ملزم بها، لكنه لا يلزم غيرك. وحتى إن افترضنا أن شخصاً يؤمن كما تؤمن، فهو حر في اختيار المعصية والله يحاسبه لا أنت. لو أراد الله محاسبة الناس في الدنيا لما أبقى على ظهر الأرض أحداً لحظة واحدة بدون حساب مباشر على كل شيء ولما وجدت القيامة والحساب. بالتالي بالنسبة لمن يؤمن بيوم الدين والحساب لا مجال للزعم بأن الله يريد الآن محاسبة كل أحد على كل شيء. وبالنسبة لمن لا يؤمن بيوم الحساب بل يؤمن أن الحساب قائم الآن تكوينياً، حسناً، فهذا أيضاً لا حجّة له لوضع قوانين أو فرض إرادته وفهمه الخاص على الآخرين. فلا يبقى إلا قاعدة العدل والعقل التي هي عدم التعرّض بالعدوان على أحد في حال اقتصر فعله على جسمه الخاص به أو على جسم من أذن له بالتصرف في جسمه. ونحن نعلم بالشهود الآن الذي يشهده كل أحد أن الله-لمن يؤمن بالله-أعطى الناس كلهم عموماً سلطة تكوينية على

أجسامهم، بدليل أنهم يتصرفون بها الآن بدون الحاجة إلى أي إذن آخر غير الإذن المساوق لنفس تكوينهم. فالإنسان فعلياً يتصرف بجسمه بإذن الله، إذن الله التكويني. لكن الإذن الشرعي الاختياري فهو مبني على الإيمان بالرسالة والطاعة بغير إكراه وقبول العقوبة في حال أراد تطهير نفسه بحسب عقيدته من الذنب الذي ارتكبه. وفي جميع الأحوال لا مجال لجعل هذا الشرع المخصوص قانوناً عامّاً لكل الناس الذين منهم كافر ومنهم مؤمن به ومنهم مؤمن يريد عصيانه. فالقاعدة إذن هي العدوان على الجسم، والعدوان تصرّف بغير إذن صاحب الجسم ولو كان حسناً، فقد تقبّل رأس إنسان بغير إذنه فتعتبر معتدياً عليه لأنك لمسته بغير إذنه بالرغم من أن تصرفك فيه احترام وتعظيم له. قد تفتح باب بيت بدون كسر وتدخل البيت بدون إذن وتضع داخله كيس من الذهب وتخرج، ومع ذلك تعتبر معتدياً مستحقاً للعقوبة وإن كانت نيتك خيراً وفعلت خيراً لهم من وجه. العدوان على جسم-وبالتبعية مال-الآخرين لا علاقة له بكون الفعل حسناً أو سيئاً، حتى إن اعترف الذي تصرّفت في جسمه بحسن تصرفك ونفعك له لكنك بكونك لمسته بغير إذنه بغير ضرورة ملجئة لا مفرّ منها تكون معتدياً عليه (ضرورة مثل سقوطك في الشارع لانفكاك ركبتك فتقع على من أمامك أو خلفك ولعلك تؤذيهم لكنه ليس عدواناً مستحقاً لعقوبة بشكل عام لأنك لم تقصد ذلك ولم تختاره كما هو ظاهر).

بما أن الطفل والصغير لا يزال غير مميز بالقدر الكافي لمعرفة مصلحته أو لوجود مسؤوليته القانونية والاجتماعية ومحاسبته بناء عليها، فإن تصرف البالغين بجسمه يعتبر عدواناً وإن أظهر لهم الموافقة لأنه جاهل وضعيف وينخدع بسهولة بسبب ذلك. فهذا القدر خارج عن بحثنا.

القدر الذي يمكن البناء عليه هو تصرّف البالغين بأجسامهم، وبناء على الأصل السابق يكون تصرف البالغين بأجسامهم هو تصرف الأصل فيه الصحة والمشروعية القانونية ولا يحق للمجتمع التدخّل فيه بعمل فردي أو قانوني ما لم يثبت الاستثناء النادر والصعب إثباته المبرر للعدوان عليه كالقصاص والضرورة الطبية القصوى ونحو ذلك من حالات تدور حول العدل ومنفعة المعتدى عليه غير المميز وما أشبه. وبناء على ذلك، إذا اجتمع ذكر وذكر مثلاً كلاهما بالغ سن الرشد ومسؤول اجتماعياً وقانونياً عن تصرفاته، واختارا ممارسة المثلية فإن الضرر الذي قد ينتج عن هذا ويقتصر عليهما لا يحق لأحد التدخل فيه، حتى إن ثبت طبياً أن القضيب يتأثر بالإيلاج في الشرج أو أن الشرج يتأثر سلباً بدخول القضيب فيه. فهذا باختيارهم وهم أحرار بالإضرار بأنفسهم.

ونحن نجد في كل المجتمعات قبولاً لهذا المبدأ-وإن لم يتم التصريح به أحياناً-بل بما هو أسوأ من هذا المبدأ. مثلاً، الرياضيون على اختلافهم، يمارسون رياضات شاقة متعبة ومرهقة وكلها معرضة للخطر والخطر الشديد الجسماني الذي قد يصل حد الكسور والشلل والقتل أحياناً، وخصوصاً رياضات كالفنون القتالية كالملاكمة حيث يجتمع الناس ويدفعون الملايين ليشاهدوا اثنان يشوه كل واحد منهما وجه الآخر ولعله يصيبه مع الوقت بمشكلة دماغية من شدة الضرب على الوجه، وكذلك مثلاً لعبة القدم الأمريكية حيث يصاب اللاعبين بنسبة عالية من الخلل

الدماغي والخطر على أجسامهم وركبهم ومفاصلهم ورؤوسهم بسبب العنف فيها، وهلمّ جرّاً من رياضات كثيرة جداً العنف فيها بارز وصريح بل لعل "متعة" الرياضة يكون في عنفها والخطر الذي يتعرض له أصحابها، هذا فضلاً عن التمرين الشاق المرهق الذي هو نوع من التعذيب للنفس وفي حال وجود مدرّب مشرف هو تعذيب بإشراف وإدارة الغير، وهلمّ جرّاً، كل هذا يراه الناس ويقبلونه ويستمتعون به، ويرون مظاهر الدم والألم والعذاب والإرهاق الإنساني، ويضحكون ويأكلون الفشار أيضاً. فإن قيل بأنه يوجد أثر سلبي ثابت طبياً من المضاجعة المثلية بين الذكور فلا أظن أنه سيكون أسوأ من الارتجاج الدماغي في لاعبي القدم الأمريكية والملاكمين مهما كانت ليلة المضاجعة عنيفة. وكذلك إن قيل بوجود ضرر نفساني بين الإناث السحاقيات أو حتى الذكور بسبب هذه الممارسة، فلن تكون أسوأ قطعاً من الضرر النفساني الذي يأتي قطعاً وباعتراف معظم العقلاء والجهلاء إن لم يكن كلهم بسبب بقية الأعمال والأنظمة التي يقبلها المجتمع وكل مجتمع، كالضرر النفساني الناتج عن الفقر الناتج بدوره عن عدم رفع الضرائب على الأغنياء وتوزيعها على الفقراء، أو الضرر النفساني الناتج عن العمل تحت القوانين الرأسمالية المرهقة التي تسمح لرب العمل استغلال العامل كما يشاء (ولماذا تظنّ انفجر العمّال في القرن التاسع عشر حين دخلت المصانع بقوة في الحياة الاقتصادية، ألأنّهم كانوا يحبّون حياة العمل)، وعلى هذا النمط، انظر في أي ضرر جسماني أو نفساني حقيقي أو خرافي مربوط بالجنس بين المثليين وعلاقتهم عموماً وستجد أن مثلها بل أسوأ منها وأكثر ثباتاً علمياً وشهودياً وحسياً وذوقياً وشمّياً ولحسياً أيضاً إن شئت موجود في المجتمعات كافة والناس يقبلون بذلك بل وكما قلنا يأكلون الفشار وهم يشاهدونه أيضاً. فلا يوجد لمجتمع معاصر ولا قديم حجّة في هذا الباب ولا يحق لأحد منهم استعمال فكرة الضرر الجسماني أو النفساني لمنع المثليين من ممارسة حياتهم الجنسية كما يشاؤون وتكوين علاقات بينهم كما يحبون، فأقصى ما يقال أنهم من البالغين الذين يتصرفون في أجسامهم وأجسام غيرهم بإذنهم وبرضاهم التام والواعي، فأي ضرر يقع عليهم بسبب ذلك فهو مسؤوليتهم هم وحدهم، لا أقلّ كضرر الذي يأكل الوجبات السريعة كل يوم-والمسموحة قانونياً والمسموح قانونياً فعله أيضاً على جسمه ونفسيته—لا أظن أنه توجد دولة تحدد عدد المرات التي يجوز للفرد السمين المصاب بتسعة عشر مرضاً بسبب سمنته يمنعه من الدخول إلى ماكدونالدز وطلب البلاستيك الذي يسمّونه بطاطس ولا الكائن المطاطي المضاد للأشعة فوق الحمراء وتحت الخضراء المسمّى برغر..وأستطيع أن أقول بناء على تجربة أني كلما أكلت من ماكدونالدز تردني خواطر الانتحار وإيذاء نفسي بشدّة، لا أدري ما السرّ لعله في الخلطة السرّية للبيغ ماك. بلد تسمح بوجود البيغ ماك وللأطفال أيضاً لا يحق لها الاحتجاج بالخوف على الناس من الضرر الجسماني والنفساني بسبب المثلية الجنسية.

٨-كل لذّة في الطبيعة لها مخاطر وخصوصاً إذا بولغ فيها. (حتى الماء..).

البعض يسعى إلى تجريم المثلية على أساس أنها لذّة لكن يصحبها مخاطر، وحتى نحمي الأفراد والمجتمع من هذه المخاطر يجب تأثيم اللذة وتجريم وسيلتها التي هي المثلية.

الرد على ذلك من جهتين. الأولى ملاحظة القاعدة الكلّية الثابتة وهي أن كل لذة في الطبيعة لها مخاطر. الثانية، ملاحظة الشقّ الثاني من القاعدة وهو "خصوصاً إذا بولغ فيها". فمن الجهة الأولى لا يمكن الاحتجاج لنفي أو تجريم شيء فقط لأنه يحتوي على مخاطر بشكل عام، لأننا بذلك نفتح الباب لتجريم كل شيء وأي شيء بمجرد ملاحظة المخاطر التي فيها أو التي قد تنشأ عنه أو ينشأ هو عنها، ولن نعدم مثل هذه الملاحظات، فيصبح كل شيء ممنوعاً حتى الحياة نفسها لأن الحياة نفسها مخاطرة بل سلب الحياة بالانتحار أيضاً مخاطرة. ومن الجهة الأخرى نكتشف أنه علينا أن نوازن ونرى المخاطر المحتملة والواقعية ونرى المنافع المحتملة والواقعية ثم نعمل المبادئ الفردية أي كون كل فرد له حريته وحقوقه لتحديد مصيره الخاص به ونزن ذلك بمصالح المجتمع المشروعة ثم نخرج بنتيجة أو نتائج، فهذا أقرب إلى الإصابة وترجيح الراجح عقلاً ومنفعةً. فشدّة المخاطرة تعتمد على مدى التشدد في استعمال الشيء، كما ضربنا مثلاً بالماء، فإن كثرة شرب الماء الذي هو سبب الحياة يصبح سبباً للقتل، وهذا لا يعني أنه يجب تجريم شرب الماء، وحتى المجتمع لا يضع قوانين-لا أعرف مجتمعاً يضع قوانين-يجرّم فيها كل من يشرب أكثر من عشرة أكواب من الماء مثلاً أو شيء من هذا القبيل ليدرأ خطر القتل بكثرة شرب الماء، فالأمر متروك للأفراد ومعرفتهم وإرادتهم لمصلحة أجسامهم والدولة لا تتدخل في مثل هذه التفاصيل. فكل فرد بالغ يجب أن يُترَك ليحدد لنفسه ما هي الكفّة التي يريد ترجيحها لنفسه، فيضع اللذة في كفّة والمخاطر في كفّة ويختار بحسب وزنه وحسابه ويتحمّل مسؤولية نفسه. وهكذا حين يقترح شخص أن نجرّم فعل بالغ حر في نفسه وفي غيره بإذنه بحجّة درء المخاطر عن الفرد والمجتمع فيجب أن نرى المبادئ التي يستعملها هذا الشخص ثم ننظر أوّلاً في هل هذه المبادئ يتم تنفيذها بمساواة في بقية القضايا والأفعال في المجتمع، كما ضربنا أمثال في الفقرة السابقة، ثم ننظر في قواعده للترجيح بين اللذة والمخاطرة. الحجّة هنا تذكير بحقيقة ارتباط اللذة بالمخاطر وأن كل لذة لها مخاطر والنافع ينقلب ضاراً إذا زاد على حد معين. فقد نجرّم الشيء بعد حد معين لكن نبيحه قبل بلوغه هذا الحد، ففيما يتعلق بالمثلية قد نقول مثلاً بناء على دراسات وإحصاءآت بالنسبة للذكور أن المضاجعة بينهما لو زادت على ثلاث مرات في الأسبوع سينشأ الضرر الجسماني المحذور بالتالي ينصح الأطباء-لا الدولة بشرطتها-المثليين الذكور بعدم المضاجعة أكثر من ثلاث مرات إلا بعد مراجعة طبيبهم للتأكد من سلامة الأعضاء، وهكذا في الإناث مثلاً إن كان ثمة ضرر بسبب المساحقة، وكذلك في كل عمل آخر عموماً. فالضرر الجسماني الناتج عن أفعال حرة بين بالغين يعالجها الأطباء لا الأمراء.

المخاطر التي قد تُربَط بالمثلية الذكورية قد تنتج أيضاً عن مضاجعة الرجل لزوجته في دبرها، فالقضيب قضيب والدبر دبر، لكننا لا نرى تجريماً ودول تراقب مواطنيها إن كان الرجل " يرقع" زوجته خلفي، فلماذا تراقب الدولة إذن إن كان الرجل يرقع صاحبه خلفي. في المسألة تحيّز واضح لا علاقة له حقيقة بالخوف على القضبان والأدبار وصحة الأجسام.

٩-الأمراض الجنسية توجد حتى عند غير المثليين. (وفي صور شرعية كالتعدد والرق).

رؤية علاقة بين مرض جنسي وبين المثلية لا يجعل المثلية بحد ذاتها مستحقة للتجريم. لأنه من جهة توجد هذه الأمراض في العلاقات الغيرية أيضاً، وهذا لا يجعل الغيرية بحد ذاتها مستحقة للتجريم. فلم يبقَ إلا وضع قيود وحدود على كيفية ممارستها لمنع أو التقليل من خطر المرض الجنسي. والذي يُعنى بذلك الأطباء بشكل رئيس.

نعم، إن افترضنا أن الأطباء اكتشفوا أن لا مفرّ من انتشار مرض جنسي ما بين المثليين، وكان هذا المرض معدياً ويتعدّى إلى الآخرين حتى في ظروف غير مضبوطة كالتعاملات الاجتماعية العادية، فحينها يجب تجريم المثلية لأنها صارت سبباً للإضرار بالغير البرئ غير الراغب بالتعرّض للمرض وغير المتوقع له والراضي به. لكن إلى أن يتم هذا البحث ويثبت فلا حجّة بيد من يستعمل المرض الجنسي المُعدي كوسيلة لتجريم المثلية. إلى الآن لا نعرف شيئاً عن ذلك.

١٠-الاحتجاج بالأمراض البدنية لم يكن معروفاً بالتفصيل عند القدماء.

نعم قد توجد إشارات بأن انتشار الزنا مثلاً سيؤدي إلى نشوء أمراض جديدة، هذا موجود وموثق بنصوص عمرها أكثر من ألف سنة يقيناً. فانتشار الأمراض بسبب أنواع من العلاقات الجنسية المحرمة عند فرقة ما من الناس أو فرق كان أمراً معروفاً. لكن في المقابل كان نفس هؤلاء يرضون بعلاقات من نوع اخر تسبب أمراض بدنية، مثل تشريعهم للرق والتعدد بين الزوجات والذي هو رخصة نظرياً وعملياً للرجل بأن يضاجع آلاف النساء وتوجد أمثلة على ذلك في التاريخ، وكذلك إمكان دوران المرأة الواحدة على رجال كثر في فترة نسبية قليلة. وكذلك مثلاً تجويز بعض القدماء لمضاجعة المرأة من الدبر. هذا فضلاً عن تصريح بعضهم بجواز مضاجعة الرجال للصبيان كما أشرنا من قبل. فالجو العام في العالم القديم-وهو ليس حجّة أصلاً على المعاصرين لكن نذكره لأن البعض يذكره-لم يكن يهتمّ كثيراً بقضايا البدن بل ولا النفس الإنسانية لأنه أجاز الحرب الابتدائية والعدوان واستعباد الآخرين وقهرهم بالعنصرية والتكبّر الديني والطبقية الصريحة القبيحة والملكيات وغير ذلك من وسائل تسببت بجعل معظم الناس فقراء جهلاء مستعبدين مقهورين، في عالَم هذا شكله لا يحق لأحد-لا حق علمي ولا حق أخلاقي-أن يحتج برأي أهله ومثال عالمهم لكي يرسم صورة عالمنا الجديد.

١١-كل زمن شرّع لما يناسبه ويؤدي به إلى ما يراه خيراً بحسب حدوده.

هذا تعرفه من دراسة الأحكام والقيم التي سادت في كل زمن وعند كل فرقة من الناس ومجتمع. فكانوا ينظرون لأنفسهم بشكل رئيس، وبعضهم لا ينظر لمن بعده أصلاً أو ينظر من طرف خفي أو ينظر إلى من بعده لمن بشرط أن يحقق الشيء المراد لنفسه أولاً. الكل إذن كانوا يعطون زمنهم وما هم عليه الاعتبار الأول، ولكن المقطوع به أنه لا يوجد فرقة معتبرة من الناس كانت تراعي الماضي على حساب الحاضر، بل كان الماضي يُذكَر كوسيلة لتعزيز الحاضر وإيجاد شرعية للقيم التي يراد المحافظة عليها الآن من قبل طبقة ما أو حتى المجتمع ككل بشكل من الأشكال في أحسن الأحوال. بناء على ذلك، نحن في زمن جديد ويجب أن نشرّع بعقل جديد

له وما نرى أنه يؤدي إلى الخير بحسب حدود علمنا ورؤيتنا وإرادتنا، ولا نبالي لا بقديم ولا يحزنون. وزمننا هذا مختلف جوهرياً عن الأزمنة الماضية في تركيب المجتمع ونظامه ومراعاة الفرد وأحواله، والسعي في زماننا يتجه في اتجاه مختلف جوهرياً عن السعي في الزمان القديم. في الماضي مثلاً-والأجزاء المتخلفة اليوم-كانت المراعاة تتم لصالح الطبقة الحاكمة القائمة على العنف والتوارث، أما اليوم فالسعي هو باتجاه مراعاة الفرد والنظام يقوم على الاختيار والاستحقاق. الرؤية مختلفة والمقاصد متباينة. لذلك لا معنى لأخذ القيم الماضية ومحاولة فرضها على الحاضر. ومن ذلك قضية المثلية. فالمثلية في جوهرها مراعاة للفرد بغض النظر عن نفعه المادي التناسلي للمجتمع، وأما في الماضي وبحسب قيمه فقد كان الفرد مجرّد عبد مسخّر للطبقة الحاكمة تصريحاً أو تلميحاً بالتالي قيمته كانت في إنفاق طاقته في الانتاج لسادته ومنفعته في التناسل لتكثير العمّال والخدم والعبيد في الدولة واستمرارية الانتاج، وأما في المثلية فإنها تعارض نقطة الإنفاق من حيث أن المثلي يريد إنفاق بعض طاقته في لذّته الشخصية ولا يريد أن يتناسل في حال كان مطلق المثلية، من هنا ينشأ التعارض الجوهري بين صاحب العقلية الحديثة المجيز للمثلية وصاحب العقلية المتخلفة المحارب للمثلية لأنه المتخلف يريد عبيداً للدولة لا أحراراً لأنفسهم. من هنا يجب على الأحرار أن يدافعوا عن المثليين حتى إن كانوا هم أنفسهم يتقززون من المثلية ويبغضونها، لأن قضية المثلية جوهرياً هي قضية الحرية الفردية، وهي نوع من أنواعها وسبب من أسبابها ومظهر من مظاهرها، وأصحاب قضية استعباد الناس في هذا الزمان شرقاً وغرباً يحاربون المثلية حرباً شديدة لا يشنّون عشرها حتى على قضايا الفقر والاستعباد السياسي الصريح وقمع حرية الكلام والدين في بلادهم، وذلك ليس لسبب واحد طبعاً فبعضهم مريض نفسي بكل بساطة وبعضهم مقتنع فعلياً بحرمة ذلك ويرى تكليفاً شرعياً يوجب عليه الدعوة لتجريم المثلية، لكن أرى أن الدافع الأساسي لا يمكن تبريره إلا على أساس أنهم يحاربون مبدأ الحرية الفردية والذي تدعمه المثلية دعماً صريحاً. لذلك حتى إن افترضنا بأن بعض الأمراض تنشأ عن المثلية، وثبت ذلك علمياً، فإنه يجب السعي لعلاج هذا الداء والحد منه، وتحمّل الأضرار الناتجة في سبيل الحفاظ على صورة من الصور القوية لمبدأ الحرية الفردية وعدم تسخير الفرد للدولة والأكثرية في المجتمع خصوصاً المتخلف منه.

١٢-تجريم المثلية قد يرجع إلى أسباب كلها غير ملائم لزماننا.

مثلاً، تكثير النسل. في العالم القديم لأن الجهل والفقر والتخلف وسوء استغلال الطبيعة وسوء التنظيم في الدولة القائمة على الغصب والتلذذ بالماديات من قبل الطبقة الحاكمة على حساب كل شيء وغير ذلك من سوء الأحوال وعلى رأسها الحروب والغارات المستمرة بين القبيلة وجاراتها والشعب وجيرانه والتوسع والتمدد وقتل المقاتلة وسبي النساء والذرية وغير ذلك من مظاهر العنف الخارج عن السيطرة والذي لا يجد حدّاً إلا حد السيف المقابل له، في مثل هذا العالم الملعون كان النسل نادراً بسبب موت الأطفال بالأمراض وموت النساء في الولادة وبالاغتصاب وبالخطف وعدم انتظام الأحوال وبسبب موت الرجال في الحروب، والفقر الذي كان يأكل الجميع، ففي مثل هذه

الحالة كان النسل فعلاً شيئاً مرغوباً للحفاظ على المجتمع واستمرار الجنس البشري. لكن نحن في زمن انتهت فيه هذه القضية. بل جاء لعله ضدّها. وصار الناس يشتكون من كثرة النسل لا قلّته، وصارت بعض الدولة تضع وسائل لتقليل النسل لا تكثيره. فلا مشكلة لدينا اليوم بخصوص النسل، إن شاءت الدول والمجتمعات والأفراد تكثير نسلهم فالأمر متيسر، والرزق المتوفر اليوم للفقير في معظم البلدان كان رزق الأغنياء في قديم الزمان. بالتالي لا نحتاج إلى وضع كل القيود الجنسية التي كان يفرضها القدماء لأنهم رأوا أنها وسيلة جيدة لتكثير النسل وحفظه ورعايته، سواء كانت رؤيتهم صحيحة أم خاطئة فتلك مسألة أخرى لا تهمنا الآن. المهم، حتى مع فتح أبواب الحرية الجنسية على مصارعيها، مثلية وغيرية، فلا توجد لدينا اليوم مشكلة قلة النسل، بل المشكلة إن كانت موجودة في مشكلة كثرة النسل.

مثال آخر، التزهيد في المادة. الفقر والاستغلال في العالم القديم جعل الطبقات الحاكمة تنشر في الشرق والغرب نماذج الزهد في الدنيا، حتى يرضى الفقراء وهم العامّة بالقليل من لقيمات الدنيا الخبيثة فلا يثوروا، وحتى يتسع القليل الذي ستعطيهم إياه الدولة القاهرة ليقسموه بينهم برضا نفس قدر الإمكان، وحتى يكثر الباقي الذي تستطيع الطبقة الحاكمة تناوله لأنفسها بدون تعرضها للأعين الحاسدة لهم الكارهة لما أنعم الإله به عليهم! والاقتصاد حينها كان قائم بشكل أساسي على الزراعة والزراعة المحلية بشكل أكبر، مما يعرضها لنوبات من التقلبات في الانتاج تجعل الفقر شبحاً ماثلاً أمام أعين الناس بشكل مستمر، بالتالي يحتاجون إلى تقليل الاستهلاك حتى ينجوا بشكل مستمر. هذا في العالم القديم. أما اليوم فاختلف الأمر، اليوم الاستهلاك المادي هو أكبر أسباب الازدهار الاقتصادي، لأن الاقتصاد قائم على التنظيم العالمي وشبكة الواردات والصادرات والتجارة العالمية، ولابد من استهلاك الكل حتى ينتظم معاش الكل، كما أنه طبعاً يجب انتاج الكل حتى يزدهر حال الكل، فنحن اليوم نعيش في حالة إنسانية تعاونية أكبر بكثير وبقدر لم يكن يحلم به حتى الحالمون الراشدون في العالم القديم، ولا يزال السعي بهذا الاتجاه وطبعاً توجد عوامل التخلف والجهل والعنف ولا تزال فالقضية ليست " طوباوية" لكنها إنسانية طبيعية تسعى للتحسن مع الوقت وتوجد انتكاسات بطبيعة الحال فهي ليست خطاً مستقيماً من التطور والتقدم، إلا أن الاتجاه صحيح والخير عام ويزداد والحمد لله والشكر لعقلاء الناس في كل مكان الناظرون لمصلحة أنفسهم بعين نظيفة تساعد على توسيع دائرة المصلحة لتشمل بشكل أو بآخر العالم كله. بالتالي أمثلة الزهد في الدنيا اليوم تدميرية وسيئة إن تجاوزت الحد المعقول بل لعل نفس وجودها شر وفي بعض الحالات النادرة يجب تعاطيه كشر لابد منه لتخفيف شر أكبر منه، إلا أنه ليس الحالة السليمة للاقتصاد المحلي والعالمي. بناء على ذلك أيضاً كان يتم تقييد العلاقات الجنسية في كل مكان، لأن الجنس شهوة والشهوة تحتاج إلى طعام والشهوة لذة واللذة تعزز الفردية وشعور الفرد بنفسه. فبما أن الطعام قليل وتعزيز الفردية خطير، فالشهوة خطر. وهذا باختصار منطق العالم القديم شرقاً وغرباً. أما اليوم فالفرد عزيز والطعام كثير، بالتالي الشهوة مباحة بل هي نافعة، لأنها ستزيد من إرادة الفرد

لمزيد من الماديات بالتالي تزيد انتاجه وتزيد استهلاكه فينفع المجتمع المحلي والعالمي من الوجهين بانتاجه واستهلاكه، وكذلك ستعزز من قيمته الفردية وشعوره بنفسه مما يعزز المجتمع ككل والنظام الديمقراطي القائم على صوت الفرد وسعيه لفرض رأيه بسلام لتكوين الرأي العام والنظام العام. فالشهوة اليوم فائرة لأنها ضرورية ونافعة، وليس لأن الشيطان تحكم في العالم أو الدجال يسيطر على مقاليد الحكم كما يقوم المتخلفون من عبيد القدماء والأموات. الشهوة بالأمس كانت مجرمة ومشبوهة وشر لابد منه لأن النظام السياسي والاقتصادي كان يقوم على الطغيان والفقر، بينما اليوم السعي هو باتجاه نظام سياسي واقتصادي يقوم على الاختيار والوفرة. تغيّرت قيمة الشهوة بسبب تغيّر النظام السياسي والاقتصادي. لذلك نرى في العالم القديم أفحش أمثلة الفجور الجنسي أين؟ نراها في الطبقات الحاكمة، "إسلامية" و غير إسلامية. أعظم فجور في التاريخ البشري بالنساء والصبيان والعائلة وقل ما تشاء إنما كان ولا يزال في العوائل الحاكمة الطاغية، لماذا؟ لأنها طاغية فهي تراعي فرديتها ولا تبالي بالنزعات الاجتماعية الاشتراكية التي تمحو الفرد، ولأنها ثرية فلا تبالي بالفقر، فلما زال الدافعان لتجريم الشهوة انطلقوا في شهوتهم انطلاق كلب الصيد الماهر لفريسته. المتخلفون اليوم هم رؤوس سحر العامّة وإضلالهم في الماضي ويأخذون من نفس مصادر ذلك السحر والخداع ويستمرون بنشره خدمة لطغاة بلادهم من وجه وجرياً على العادة النافعة لمصالحهم المادية أو النفسانية من وجه آخر، ولا يراعون تغيّر الزمان أي تغيّر النظام السياسي والاقتصادي وانقلابه من نظام قائم لتيسير شهوة الطبقة الحاكمة إلى نظام قائم لتيسير شهوة العامّة مع خدمهم من الحكام المؤقتين المنتخبين. قيمة الشهوة بحسب قيمة النظام السياسي والاقتصادي القائم، تتغيّر بتغيره وتعلو وتنخفض بحسب طبيعته. بناء على ذلك، المثلية تصبح حداثية بامتياز، لأنها قائمة على الفردية واللذة الخالصة. فالديمقراطية والتجارة الحرة تعزز المثلية المطلقة، والدكتاتورية واقتصاد الاستغلال يعزز الغيرية العائلية المقيدة. ثم الناس بين هذا وذاك على درجات ودركات بحسب مدى الاقتراب من القطبين الكبيرين.

مثال ثالث، الخوف الطفولي. أحد أسباب الخوف من المثلية يرجع إلى الطفولة، وليس السبب الوحيد. بيان ذلك، عادة الطفل يقضي وقته مع أفراد من نفس جنسه، فالطفل الذكر مع الذكور الأكبر منه سناً، والطفلة الأنثى مع الإناث الأكبر سناً. والشعور بالرهبة من الكبار والضعف أمامهم من جهة، والتعرض لاستغلالهم الجنسي للصغير الضعيف من جهة أخرى، لعله ينشئ في الطفل عقدة من الجنس مع المثل، بسبب تجربة الرهبة وبسبب تجربة الاستغلال، فإن اجتمعا استحكمت العقدة وتشددت. فكلنا عانينا من رهبة الصغير تجاه الكبير لأنها طبيعية، وكثير من الناس عانى من الاستغلال والتحرش الجنسي من كبار في السن من عائلته عادة أو غيرهم وحين نقول "كبار في السن" لا نعني أكبر بخمسين سنة بالضرورة لكن لعلهم أكبر منه بسنين معدودة وهم صبيان أو فتيات مثله ومثلها المهم أنهم أكبر وأقوى، بالتالي يوجد درجة من التحيز والكره ضد المثليين الجنسيين لعلها تنشأ من هذا الأمر. وهذا الأمر لا يختص بالعالم القديم فهو

مستمر، لكن في العالم القديم كان الأمر أفحش وأشد والفصل بين الرجال والنساء كان بشكل عام أكبر وخصوصاً في الحضارات الكبرى والدينية منها بشكل خاص كما رأينا فيما سبق حيث كان استغلال الصغار جنسياً أمراً لعله شائع بدرجة أو بأخرى أو متوقع على الأقل بسبب الفصل الحاد بين الرجال والنساء فكان أقرب شيء للأنوثة عند الرجال مثلاً هو الصبي والغلام فانتشر الفجر بهم، ويبدو أن المجتمع كلما كان أكثر تديناً كلما كان أكثر مثلية استغلالية من هذا الصنف القبيح القائم على قهر القوي للضعيف. وإلى يومنا هذا نجد أمثلة على ذلك ونسمع عنها ونعرفها شرقاً وغرباً. فبما أن الفصل ما بين الرجال والنساء انحلّ في هذا الزمان خصوصاً عند المتقدمين الغربيين والأقرب لهم فالأقرب، والسعي باتجاه مزيد من الانحلال والتكثير من الاختلاط، وبما أن الوعي بالاستغلال الجنسي للصغار ازداد وطرق محاربته والحذر منه ازدادت وهي في ازياد، وبما أن ترهيب الصغار وتعويدهم الاستعباد أيضاً بدأ ينحسر والحركة باتجاه محاربته والحذر منه أشد الحذر حتى بالإشارة، فكل هذه العناصر التي تحفظ حرمة وحرية وكرامة الطفل والصغير صارت سبباً لإبعاد الرهبة من المثل وإعدام الاستغلال الجنسي للصغار أقصد السعي هو بهذا الاتجاه، بالتالي سينتهي هذا السبب أو يضعف من أسباب محاربة المثليين عاجلاً أم آجلاً وإن كان لن ينتهي تماماً لأن لا شيء من الشر ينتهي تماماً في عالم البشر الذين فيهم عناصر من جهنّم على ما يبدو لكن يكفي أنه لن يكون الشكل العام والاتجاه السائد في المجتمع ويضطر المخالف له من المعتدين والمتجبرين إلى الاختباء في جحر أعمق وأعمق في الأرض. وهذا بحد ذاته خير عظيم وانتصار كبير للعدل والرحمة على الوحشية.

مثال أخير، الذوق الشخصي. في العالم القديم كان من الطبيعي أن يسود الذوق الشخصي لبعض الأقوياء وينفرض على البقية، سواء كان باسم الملكية أو باسم الديانة أو بأي اسم ملعون آخر. ومن ذلك مثلاً الذوق الشخصي لبعض الغيريين الذين يبغضون ويشمئزون من المثلية فعلياً لا سبب خوف طفولي ولا اعتقاد ديني ولا أي شيء غير الذوق الشخصي. فبدلاً من العمل بالذوق الشخصي في حدود شخصيته وترك الناس بسلام ليعملوا بحسب أذواقهم الشخصية هم أيضاً مثله (المساواة كانت شيئاً بغيضاً في العالم القديم، ودع عنك هذيان البعض بأن الناس في العالم القديم حتى شمّوا رائحة المساواة أو كانوا يريدون شمّها أصلاً)، فإن القوي المعتدي كان يفرض ذوقه الشخصي على البقية. ولا نزال نرى هذا اليوم في المجتمعات المتخلفة المريضة بالطغيان. في إحدى الدول المعاصرة بدأ يستلم الملك فعلياً شاب لدي اطلاع خاص-وبدأ ينتشر هذا الأمر عنه-بأنه مثلي، وقد عرفت ذلك عنه من مصدر مطلع خاص شهد بعينيه ذلك منه لا أقصد شهد الممارسة لكن شهده مع حبيبه وكيفية تغنجه في كلامه خلافاً لما يظهره للناس من خشونة الصوت المتصنع مع بدو حقيقته من فلتاته، على العموم كنت أعرف ذلك من قبل فترة من بداية ظهور السماح غير الرسمي للمثليين بالظهور في المجتمع، وكذلك بدأ الناس يستغربون من ظهور حلقات تلفزيونية لمسلسل مشهور ذكرت المثليين ودافعت عنهم بدرجة ما واعترفت بهم، فمثل هذا الشخص يفرض ذوقه الشخصي على المجتمع أيضاً، نعم أحياناً يكون ذلك في صالح

المثليين شكلياً لكن يجب على المثليين أن لا يغتروا بذلك ولا يمشوا وراءه وينسوا أن قضيتهم قائمة على الحرية الفردية، فإن دعم الطاغية قضيتهم فإنه سيفسدها ويجب عليهم رفض دعمه وفضح طغيانه وذمّه ومحاربته، فلا ينظروا إلى البناء دون النظر إلى قاعدته حتى لا ينهار السقف فوق رؤوسهم عاجلاً أم آجلاً حين يتغيّر الشخص أو يتغيّر المزاج أو تتغيّر مصلحة الطاغية فينسفهم بدون شفقة. المثلية المؤسسة على الطغيان هي حرب على المثلية. بعيداً عن العالم المعاصر الذي لا يزال مظهراً من مظاهر العالم القديم البغيض والظالم، فإن العالم الحديث صار لا يشرعن الشيء بناء على الذوق الشخصي لفرد أو بضعة أفراد، لكن يشرك الجميع في العملية ولكل فرد مؤهل قانونياً صوت واحد يدليه في صناعة القرار السياسي، مع تفاوت طبعاً في شدة الصوت بحسب التفاصيل الأخرى التي يحتاج الكثير منها إلى إصلاح لكن المبدأ سليم وتطبيقه بشكل عام سليم، والكل له صوت في التعبير والفرد المؤهل قانونياً له صوت في الانتخاب لصناعة الرأي المعمول به مباشرة أو عبر وكلاء عنه يوكلهم هو بصوته مع احتفاظه بكامل حريته في التعبير عن رأيه في أي موضوع سياسي واجتماعي وذوقي. حين يُترك كل فرد وذوقه الشخصي سيُترَك وذوقه المثلي. لن يفرض ذوقه على أحد ولن يفرض أحد ذوقه عليه.

١٣-ذوقك ليس حجة على غيرك طالما أنه لم يُكرهك على ذوقه.

هذه مقالة صعبة على المستوى النفسي البدائي، لأن النفس من شأنها الأنانية واعتبار الوجود كله منحصراً فيها، وسبب ذلك مفهوم سواء على المستوى الميتافيزيقي أو الفيزيقي. فميتافيزيقياً النفس ذات وحدة والوحدة شأن الله والله محيط بالوجود وهو أحد لا يوجد غيره ولا موجود مستقل عنه والكل فيه وبه ولا شيء معه، لذلك تتأله النفس الإنسانية وتسمع مثل "أنا ربكم الأعلى" وترى مرض "يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله" وتجد نزعات "يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله"، فهذه وغيرها ناتجة عن الأصل الإلهي للنفس. وعلى المستوى الطبيعي كذلك نفهم سبب انحصار النفس في اعتبار ذاتها كل شيء، وذلك لأن النفس تريد راحة ذاتها وكبرها وتوسعة أفقها، فإذا ماتت النفس فلا قيمة لأي شيء آخر، فحفاظها على ذاتها وكون هذه المحافظة هي أولى الأولويات إذ لا معنى لشيء إن كانت النفس تفنى وتبطل قيمتها كلياً، لأن البواعث النفسية تدور حول ما تشعر به النفس في ذاتها كالشعور بالراحة والشعور بالسعة، بالتالي إن افترضنا فناء النفس بطلت قيمة كل شيء عند هذه النفس الفانية والمعتبرة لفناء ذاتها فتبطل قيمة الأمور. لذلك تجد من الصعوبة بمكان ومن السباحة عكس التيّار محاولة إقناع النفس عقلياً لتتخلّى عن أنانيتها المطلقة وتعتبر نفوس وقيم وقيمة غيرها. فكل نفس ترى ذوقها حجّة على غيرها، حجّة دامغة مهيمنة، هذا بحسب المنطق الطبيعي. لكن المجتمع لا يقوم فقط على المنطق الطبيعي وإن كان لا يقوم مجتمع بدون مراعاة المنطق الطبيعي، والتوازن بين الاعتبارين هو التحدّي الأكبر في كل مجتمع قديم وحديث. بعض المجتمعات كالقديمة عموماً مالت إلى كفّة حفظ المجتمع على حساب تدمير النفس الفردية وسحقها بأكبر قدر ممكن وقمع نوازعها، لكن المجتمعات الحديثة تسعى إلى الحفاظ بأكبر قدر ممكن على النفس الفردية مع الحفاظ على

المجتمع، وتختلف المجتمعات الحديثة في كيفية إقامتها لهذه الموازنة. ومن أهم أسس هذه الموازنة هي قاعدة "ذوقك ليس حجّة على غيرك طالما أنه لم يُكرهك على ذوقه"، والمقصود بالحجّة هنا الحجّة القانونية المشروعة اجتماعياً وسياسياً، نعم قد ترى أنت ذوقك كحجّة عقلية على غيرك فطبعاً تعتبر العالم كله أحسن وسيكون أحسن لو سار بحسب ذوقك العالي الذي لا مثيل له، هذا يراه كل أحد بشكل عام والاستثناء ناتج عن وعي واستنارة خاصة أو نابع من شعور بالنفس بعجزها على قهر الآخرين على ذوقها الخاص فتسعى لتبديل فكرتها بتبنّي استنارة كاذبة حقيقتها هي العجز لا الاستنارة الفعلية وطريقة الحق الأعلى، أيا كان السبب فقد ترى حجّة عقلية ودينية وفلسفية وقل ما تشاء من أنواع الحجج لتبرير ذوقك وكونه حجّة على غيرك ويجب عليهم الأخذ به لكي نصل كلنا إلى الفردوس في الدنيا قبل الآخرة، وأما اجتماعياً فلا يمكن إلا في مجتمع دكتاتوري أن يكون ذوق البعض مفروضاً على البقية والبقية وهم الجمهور والعامّة سيتم سحق أذواقهم وفرديتهم على حساب فرد واحد أو بضعة أفراد يتم فرض ذوقهم على البقية أو ذوق عدد كبير على عدد أكبر أو عدد كبير على عدد كبير من الأفراد أو عدد أكبر على عدد قليل من الأفراد لكن في جميع الأحوال عدد الذين سيتم سحق ذوقهم وقيمة فرديتهم في هذه المجتمعات السافلة العدوانية سيكون كبيراً جداً. وأما في المجتمعات الديمقراطية الكريمة فعدد الذين يتم مراعاة أذواقهم هو بالضبط كل فرد في حدود نفسه وأكثرية الأفراد في الأمور الاجتماعية مع عدم الاقتراب من حريات وحقوق أساسية لا يحق للأكثرية أن تفرض ذوقها على الأقلية فيها كحرية الكلام والدين مثلاً. الموازنية الديمقراطية أعلى وأكرم وأرحم وأكثر استقراراً من الموازنة الدكتاتورية.

الاستنارة الفعلية تقضي بأن ترى النفس في عين ذاتها كفاية ولا ترى قيمتها محصورة بالتمدد القهري وبسط سيطرتها على النفوس الأخرى. النفوس الأخرى أيضاً ذات أصل إلهي، بالتالي قهرها هو قهر لهذا التجلي الإلهي فيها وبها، وهو كفر وعدوان عظيم. ثم الوحدة واحدة في الوجود، بالتالي ما تشعره في عين ذاتك من وحدة هو شيء واحد تجده كل النفوس فتوجد وحدة بين النفوس في أعمق نقطة من ذاتها وحقيقتها، بالتالي ظلمك الآخرين هو أيضاً ظلمك لنفسك. والاستنارة أيضاً تقضي باختيار الأحسن والأسلم والأدوم، وهذه الصفات تنطبق على المجتمع الذي يأخذ بقاعدة احترام الأذواق المختلفة للأفراد بأكبر قدر ممكن، وأما قهرك الآخرين فهو مؤقت ومحاط بالقلق والاضطراب وخوف العدوان والانتقام منهم عدلاً واغتيالاً لك وهكذا ستكون محاطاً بالظلمات والظلام ما دمت حياً قاهراً لغيرك فقط لأنك تريد فرض ذوقك عليهم. فانظر من أي اعتبار شئت ستجد أن التسالم الاجتماعي على اختلاف الأذواق هو الأسلم.

بناء على ذلك، قد لا يكون من ذوقك ممارسة المثلية شخصياً، لكن بما أن المثليين لا يجبرونك على ممارسة المثلية معهم ولا على ممارسة المثلية بل ولا حتى الأقرار الكلامي والاعتراف بأن المثلية أمر حسن بل أنت حر في انتقادهم كلامياً كما تشاء، فحينها لا إكراه عليك من أي وجه بسبب المثليين، فعقلياً تستطيع النقد وكلامياً تستطيع الجهر وبدنياً تستطيع الامتناع عن الفعل،

فمن كل وجه أنت حر ولا إكراه عليك بسبب المثليين، ولك كامل حقك في ممارسة غيريتك بدون إكراه، إذن هم لا يكرهونك على ذوقهم، فلا تكرههم أنت على ذوقك. هذا أعدل وأعقل وأجمل وأسلم الأحوال.

١٤-قصّة قوم لوط ليست حجّة على المثلية.

في الكتب اليهودية والمسيحية والإسلامية المقدسة تجد قصّة قوم لوط الذين كانوا حسب الشائع من المثليين وأهلكهم الله. فيأتي أتباع هذه الأديان ليجرّموا المثلية بناء على كونها معصية وسبباً لهلاك الناس. أقول: لا توجد حجّة في هذه القصّة من أي وجه لتجريم المثلية في المجتمع الحديث. لماذا؟

أوّلاً، المجتمع الحديث يقوم على التعددية الدينية والمذهبية واللادينية أي الدين ليس شيئاً يتم إكراه الناس على الإيمان به أو العمل به، وهدف المجتمع بشكل رئيس هو قضايا الجسم والمال وليس قضايا العقل والروح والغيب والآخرة. فلا مجال للاحتجاج بكتاب ديني خاص فضلاً عن فهم خاص لهذا الكتاب من بين فهوم متعددة مختلفة متباينة لتأسيس قانون يجبر الكل على الخضوع له خصوصاً فيما يتعلّق بقضايا الحرية والحقوق الأساسية التي لا يجوز كسرها أصلاً ولا قيمة لأي تشريع وقانون يكسرها. ففي هذه الأديان مثلاً توجد توجهات توجب قتل الناس بسبب كلام يقولونه أو اعتقاد يعتقدونه وكل واحد فيهم يريد أن يذبح الآخر بسبب كلمة يقولها واعتقاد يؤمن به وينشره وطقوس وشعائر ورموز يعظمها ويعمل بها وما أشبه، فهل نلغي حرية التعبير وحرية الدين وكل تفاصيل النظام السياسي الاقتصادي الحديث من أجل وجود بند يتعارض مع أي كتاب ديني وفهم مذهبي لفئة في المجتمع، يجب إلغاء النظام الحديث كله على ذلك لأنه يتعارض مع كل النزعات الطغيانية الدكتاتورية التي هي لحم ودم النظام السياسي التاريخي الذي عظّمته هذه الأديان واعترفت به بوجه أو بآخر وسهلته ولا أقل تعايشت معه بدون معارضة ولا سعي حقيقي للتغيير بل روضت العامّة على القبول به ولولا الأحرار في العصر الحديث لما تغيّر شيء ولبقي العامّة يلعقون بواقي الطعام من تحت أحذية الطغاة الذين وضعت دجاجلة الدين التيجان على رؤوسهم أو سعوا حتى لكشّ الذباب من على هذه التيجان ليرتاح طويل العمر. فليكن موقفك من الدين ما يكون، إلا أن المقطوع به في العصر الحديث هو تعدد المجتمعات دينياً ومذهبياً ولادينياً ولا مذهبياً، فلا يمكن فرض كتاب محدد على الكل وإلا سنرجع إلى عصور ذبح الإنسان للآخر لأنه أخطأ في عدد الملائكة الذين يمكن أن يقفوا على رأس الإبرة.

ثانياً، قصة قوم لوط نفسها إذا قرأناها بنسختها اليهودية أو نسختها الإسلامية سنجدها مختلفة. فأي نسخة سنأخذ؟

ثالثاً، سواء أخذنا قصة قوم لوط اليهودية أو الإسلامية، سنجد أن التفاصيل نفسها غير حاسمة في سبب إهلاك الإله لهم. لأن سبب الإهلاك لم يكن فقط المثلية بل كان أموراً متعددة أحدها المثلية، فلعل سبب الإهلاك كان اجتماع هذه الأسباب كلها التي أحدها المثلية وأما المثلية لو قامت وحدها لما استحقوا الإهلاك من الإله. بالتالي لا يمكن الحسم بأن سبب الإهلاك كان

المثلية حصراً. ففي الكتاب اليهودي تجد بعض المذاهب التفسيرية تقوم بأن العامل الحاسم في إهلاكهم أو أحد العوامل لا أقل هو عدم الإحسان في ضيافة الغرباء. وفي القرءآن نجد تصريحاً بتعدد جرائم قوم لوط ولم تقتصر على "تأتون الرجال شهوة من دون النساء" أو "أتأتون الذكران من العالمين. وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم"، بل توجد أمور مثل "تقطعون السبيل" و نهيهم للنبي لوط عن أعمال معينة كقولهم له "أولم ننهك عن العالمين"، وكذلك ذهابهم إلى لوط وإرادتهم لقضاء شهوتهم من ضيفه وعلى ما يبدو من القصة أنه لم يكن طلباً سلمياً حتى الضطر لوط إلى أن يعرض بناته ليفجر القوم بهن بدلاً من أن يخزوه في ضيفه، فالظاهر أنهم لو كانوا يطلبون سلمياً مضاجعة ضيوف لوط-وهم رسل الله وملائكته في القصة-لما عرض عليهم لوط بناته كفداء لرسل الله الذين هم ضيفه، وعلى ذلك المفهوم أنهم كانوا يريدون اغتصاب هؤلاء الرسل وطلبوا منه أن يخرج ضيوفه الذكور لهم، وهنا الطامة الكبرى والجريمة التي فعلاً يستحقون العقوبة عليها إذ يريدون إجبار الذكور على مثليتهم. ثم توجد قضية أخرى وهي أن قوم لوط في القرءآن كانوا ذكوراً يريدون الذكور فقط ولا يضاجعون النساء مطلقاً، أي ذكور المجتمع صاروا يستغنون بالذكور فقط ولا يريدون النساء، لذلك لوط لم يقل "أئنكم لتأتون الرجال شهوة" ويسكت، بل قال "لتأتون الرجال شهوة من دون النساء"، فلو قال "لتأتون الرجال شهوة" لكان من الممكن القول بأنهم يأتون الرجال شهوة وكذلك يأتون النساء شهوة، لكن لما قال " لتأتون الرجال شهوة من دون النساء" فالمعنى أنهم اقتصروا تماماً على الرجال، بالتالي صار الرجال فقط يضاجعون الرجال، وهذا معناه فعلياً فناء المجتمع ولو بعد جيل واحد لأنه لا نسل تماماً في كل المجتمع. إذن، اختلاط أسباب إهلاك قوم لوط ووجود التصريح أو التلميح في التراث اليهودي والإسلامي بذلك، وَمفهوم الاغتصاب القائم في القصة، وَانقطاع الرجال كلهم عن النساء مطلقاً، هذه العوامل الثلاثة كلها تنفي قياس المجتمع الحديث على قوم لوط. فالمجتمع الحديث لا يقوم على تلك السيئآت والمظالم الخطيرة والكبيرة التي كانت في قوم لوط، والمجتمع الحديث لا يبيح الاغتصاب واجتماع عصابة رجال عند بيت كل من عنده ضيوف ذوي جمال بارع ليخرجهم لهم ليفجروا بهم بل لا يبيح المجتمع الحديث حتى هذا التجمّع بنية الهجوم على بيت لاغتصاب من فيه فضلاً عن إباحة الاغتصاب، وكذلك المجتمع الحديث لا يقتصر الرجال فيه على الرجال فقط بل يوجد غيرية وهي الشائعة ومثلية قليلة، وحتى الرجال من المثليين ليسوا كلهم من ذوي المثلية المطلقة بل فيهم من ذوي المثلية النسبية بالتالي يأتون الرجال شهوة ويأتون النساء شهوة أيضاً. فلا مجال لقياس المجتمع الحديث على قوم لوط. وأقلّ ما يقال هو أن الاحتمال دخل على هذا القياس، وإذا دخل الاحتمال بطل الاستدلال، هكذا تعلمنا من فقهاء الشريعة الكرام.

رابعاً، ولعله أهمّ ما يبطل هذا الاحتجاج السطحي الغبي بقصة قوم لوط في هذا العصر، وهو بكل بساطة هذا: الإله هو الذي أهلك قوم لوط وليس لوط ! يعني فلنفرض أن هولندا وكندا وأميركا والمسكيك وغيرهم هي فعلاً بلاد ينطبق عليها مثل قوم لوط، سلّمنا لوجه الله بهذا. حسناً. أكملوا القصة. في القصة الله هو الذي أهلك قوم لوط، فاتركوا الله ليهلك هذه البلدان إن شاء، وما

شأنكم أنتم بتجريم المثلية أو بقتل المثليين وتعذيبهم وفعل الأفاعيل بهم، حين يرى الله أن مثال قوم لوط ينطبق فعلياً على هذه البلدان سيهلكهم كما فعل مع قوم لوط، وأما قبل ذلك فلا شأن لكم أنتم بالأمر لا من قريب ولا من بعيد. يشبه هذا الاستدلال الغبي استدلال آخر مثله في الغباء ومثله كذلك إن لم يكن أسوأ منه في العدوان قام به بعض الدواعش السفلة حين أباح قتل الأطفال بحجّة أن الله أهلك قوم نوح بالطوفان وكان في قوم نوح أطفال. حسناً، سلمنا لوجه الله مرّة أخرى أن الله أهلك قوم نوح بطوفان جرف معه الأطفال، طيب، هذا الله وفعل ما يشاء بخلقه، فمن أين لك أنت أيها الداعشي الملعون أن تتصرف كأنك الله وتقتل الأطفال بهذه الحجّة. وكذلك نقول لواعش قصّة قوم لوط كما نقول لدواعش قصة قوم نوح. الله إن أراد أن يهلك الدول التي تبيح المثلية سيفعل هو ذلك، لكن أنتم لستم الله، والله لم يفوض لوط بإهلاك قومه ولا حتى بالسعي لكي يرشح نفسه في البرلمان القوم لوطي ليجرّم اللواط، بل أقصى ما أمره به هو الخروج من الأرض حتى لا يهلكه مع قومه، فنقول لدواعش قصة قوم لوط إن كنتم فعلاً كما تقولون مع الله فالله سيخرجكم من كندا بمجرد ما يقرر أن يجعل عالي تورنتو سافلها ولا أدري لعله يأمركم بالخروج إلى روسيا حتى يعاملكم بوتين المعاملة "الإنسانية" التي تستحقونها !

الحاصل: انظر من أي وجه شئت ولن تجد حجّة حقيقية لأحد في قصّة قوم لوط في المجتمع الحديث لتجريم المثلية قانونياً، لا من قريب ولا من بعيد، لا ظاهراً ولا باطناً.

وأما إن قال أحدهم: إننا نريد أن نحافظ على مجتمعنا من أن يهلكه الله لذلك نبتعد عن الأسباب التي ستعرضنا للغضب الإلهي. فأقول: أوّلاً، يوجد عشرة آلاف سبب لحلول الغضب الإلهي على كل المجتمعات التي يتحكم فيها أصحاب هذه الأديان، ابدأوا من هذه وأولوها انعدام حرية الكلام وحرية الدين والفساد الشائع والطغيان الحاكم الذي يتأله فيه الحكام وتبررون فيه النفاق والكذب والسرقة باسم الإله. ثانياً، "ما كنّا لنهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون"، طالما أنه يوجد من يسعى في الإصلاح ولا يتعرض للأذى والقمع أي توجد حرية تعبير فلن يهلك الله أحداً لأنه حليم، فقوموا وتكلّموا وعبّروا واسعوا لاقناع الناس بالكف عن المثلية، وأنتم أحرار في ذلك. ثالثاً، المثلية موجودة الآن ومشرعة في كثير من البلدان، ولا نرى الله أهلك أحداً، ولا أظن أنه لا يعلم بذلك، فإن كان سيهلك بسبب المثلية لوجب أن يهلكهم من زمان، فلا تنسوا منذ سنوات والزواج بين المثليين حلال زلال في كثير من البلدان...بلدان يهرب إليها أصحاب هذه الأديان ليعبدوا الله بحرية ضمير وبكرامة إنسانية لم يشمّوا رائحتها في البلدان التي كانوا فيها والتي تتقي الله كثيراً ! فتأمل.

١٥-الذي يبيح الاستعباد وللصغار وللكسب لا علو أخلاقي له لتجريم المثلية بين المختارين البالغين.

مما يدعو للسخرية أن أعداء المثلية عادة ما يكونون-بل لا يكاد يوجد غيرهم-هم نفس الذين أباحوا ولا زالوا يبيحوا نظرياً وشرعياً أو لا أقل يبررون استعباد الإنسان للإنسان. تجد بعض هؤلاء من المتدينين عادةً يعتقد بشرعية الاستعباد على أسس شريعته وإن كان "المحترم" منهم

يلف ويدور لكي لا يجيب على السؤال بصراحة حين يعرض عليه اليوم ويحتج بأن الاستعباد انتهى ولذلك لا فائدة من الكلام فيه أو يزعم أن دينه جاء بإنهاء الاستعباد لكن سبحان الله بقدرة قادر لم ينتهي الاستعباد إلا على يد الكفار لا على يد أتباع دينه لمدّة أكثر من عشرة أو عشرين أو ثلاثين قرناً أو غير ذلك من لف ودوران يضطرهم إليه عدم قدرتهم على قتل معارضيهم وقطع ألسنة مخالفيهم في هذا الزمان والحمد لله. ما لا مفر منه هو أن الأديان كلّها إما أباحت الاستعباد صراحة أو أوجبته أو على الأقلّ سكتت عنه أو على الأقل لم تصرّح تصريحاً قاطعاً لكل شك ومنهياً للأمر في غضون سنوات قليلة بحكم الضرورة الاقتصادية والاجتماعية. وكذلك لا يخفى أن نفس هذه الأديان هي السبب الأكبر والعدو الأكبر لمحاربة المثليين سواء ظهر الأمر بصورة واضحة عارية كما هو حال الأديان في الشرق أو تخفّت الدوافع وراء حجج اجتماعية كما هو حال الأديان في الغرب بشكل عام، وتوجد استثناءات طبعاً لهذه القاعدة العامة. فالذين استعبدوا أي قهروا وقتلوا واغتصبوا وأجازوا كل ذلك هم أنفسهم الذين يزعمون أنهم يحاربون المثلية لأنها ستسبب مشاكل في حياة الناس. الذين جعلوا المستعبدين يعيشون أسوأ الأحوال نفسياً ومادياً بل وحتى قتلوا وعذّبوا أعداد هائلة منهم في الطريق إلى خطفهم وجرّهم إلى بلاد وحقول أربابهم الجدد وجعلوا العبيد يعيشون في أسوأ الأحوال الصحية والطبيعية والاقتصادية، هم أنفسهم الذين يأتون اليوم وكأنهم ملائكة الأمس الذين لم يكن همّهم إلا صحة الناس البدنية وسلامتهم العقلية وسعادتهم النفسية. وهذا الكلام ينطبق على أعداء المثلية في الغرب كما في الشرق، الحديث كما القديم، من أمريكا فما دونها. أعداء المثلية هم أنفسهم أصدقاء العبودية. وصديق العبودية لا حق أخلاقي له لمعاداة المثلية، إذ لا يوجد شرّ سيدعي أو يتحقق من وجوده في المثلية وبسببها إلا ويوجد مثله أو أسوأ منه بمراحل فلكية في مؤسسة العبودية البشرية. فحتى إن لم توجد مؤسسة العبودية بصورته الفجّة القديمة-وحتى هذا مشكوك فيه بل باطل من بعض الأوجه كالاستعباد السياسي والديني والاقتصادي الذي يرزح تحته العرب والمسلمين عموماً اليوم-فإن الأفكار والعقائد التي تبرر الاستعباد والنصوص التي تبيحه لا تزال مقبولة ومعظمة ومقدسة عند أنصار الاستعباد شرقاً وغرباً ولا يطعنون في هذه الأفكار ولا يردّون هذه النصوص ولا أقلّ لا يبطلون قيمة تطبيق النص المبيح للعبودية في زماننا إلا من باب العجز عن تطبيقه ولو عادت القدرة لأعادوا العبودية الفجّة وهم يضحكون ولعلهم فوق ذلك يحمدون ويسبّحون ويهللون. لذلك لا ينفعهم التملّص من سيئة وسوءة إقامة وتبرير العبودية البشرية طالما أنهم لا يزالون يعتقدون بها ويعتقدون بالمصدر الذي أقامها. من حسن الحظ أنه توجد دراسات غربية وشرقية عن حالة العبيد إذ الاستعباد لم ينتهي رسمياً إلا قبل أقل من قرنين واستمر في بعض البلاد إلى بضعة عقود مضت، فتوجد لدينا نصوص تاريخية وقانونية موثقة وكذلك صور واقعية لحالة المستعبدين من أمريكا فما دونها، فإن كانت حالة المستعبدين في أمريكا من القبح بمكان فتستطيع أن تضرب هذا بعشرة أو مائة لتعرف كيف كان حال المستعبدين في بقية العالم خصوصاً المتخلف منه (مع وجود فروق في بعض الحالات مهمة). فبشكل عام نستطيع الجزم بأن

حالة الاستعباد قبيحة جداً على كل مستوى عقلي ونفساني وبدني وإنساني وعائلي وسياسي واجتماعي وقل ما تشاء. والذين أجازوا هذا كلّه ورضوا عن فاعليه ولعلهم أيضاً يترضّون عنهم بعد علمهم بهذا ومن أجل هذا كله ولا يذمّونهم من أجل هذا الوجه من أفعالهم القبيحة على الأقل، فهؤلاء لا يحق لهم الطعن على المثليين بأي حجّة مثل إرادة المحافظة على سلامة عقول الناس ونفسياتهم وأبدانهم وعائلتهم وحالتهم السياسية والاجتماعية. الذي يحرق الشجرة لا يحق له لوم مَن أكبر جرائمه-إن وجدت-هي قطع غصن من أغصانها. الذي حرق الإنسان بالعبودية لا يحق له لوم الإنسان على نصرته للمثلية.

١٦-عند بعض الفقهاء: يجوز جماع المرأة في الدبر.

هذه الحجّة تدور على أمرين. بما المثلية الذكورية-بالمعنى الدقيق الجوهري الذي نتحدث عنه هنا والوحيد الذي يستحق النقاش أصلاً إذ ما سوى ذلك لا معنى من الأساس للمناقشة فيه لأنه مباح كلياً ولا شيء فيه ولا حجّة للتكلّم فيه مطلقاً-هي في مضاجعة ذكر لذكر في دبره، والمثلية الأنثوية هي مساحقة أنثى لأنثى في فرجها. بناء على ذلك، حين نجد في شرائع بعض المتدينين أو لا أقل أن القانون لا يجرّم مجامعة الرجل الغيري لامرأته في دبرها، فمعنى ذلك بالقياس الجلي عليه أنه أوّلاً جواز مضاجعة الذكر في دبره لأن الدبر بيولوجياً هو الدبر بشكل عام سواء في الذكر أو في الأنثى فما يمكن أن يصيب القضيب أو الشرج واحد تقريباً في الذكر والأنثى، وثانياً الجواز من باب أولى للمرأة أن تساحق المرأة لأنه لا الفرج ولا الشرج سيتضرر من المساحقة وإن افترضنا وجود ضرر فلن يكون أشدّ من الضرر الممكن من مضاجعة المرأة في شرجها والذي يبيحه هذا الفريق من الفقهاء الشرعيين والقانونيين عموماً.

بعيداً عن الأصل المهم للحرية الفردية والذي يمنع الدولة من التدخل أصلاً في ما يحدث في غرفة النوم بين الأحرار البالغين، فلنفرض أننا نريد التدخل، حسناً، إذا وجدنا دولة تبيح للرجل أن يضاجع امرأته في شرجها بقدر ما يشاء وتشاء ولا توجد عقوبة قانونية وشرعية على ذلك، بناء على ذلك يجب أن يجوز أيضاً فعل المضاجعة في الدبر بين الذكور أو فعل المساحقة بالفرج بين الإناث لأنه إما يشبه ذلك وإما هو أيسر منه، والشبيه يُحكم له بمثل أو قريب من حكم شبيهه، والأيسر يكون أولى بالقبول مما هو أعسر منه.

بما أن الجمهور الأساسي لهذه المقالة هم من الإسلاميين، فأشير إشارات سريعة إن شاء الله لفقهاء أجازوا المضاجعة الشرجية للمرأة.

ولنبدأ بمقولة منقولة على ما أذكر عن أبي حنيفة صاحب المذهب المشهور حيث يقول عن مضاجعة المرأة في دبرها بأنها "اللواطة الصغرى"، حسناً إذن من هنا-بغض النظر عن اللوم المبطّن في العبارة-يوجد إقرار بالتشابه بين المثلية بين الذكور وبين مجامعة المرأة في دبرها، وهذه أوّل فكرة قد أقرّوا بها ضمناً.

ثم في ذيل آية "نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم" تجد بحثاً طويلاً عريضاً في معنى "أنّى شئتم" فالبعض يعتبرها نهياً عن إتيان المرأة في الدبر إلا أننا إذا نظرنا في النص

نجد ذكر الحرث والحرث يكون للزرع ويقال بأن الزرع لا يكون إلا في الفرج لذلك تشير إلى الفرج حصراً، وأقول أن هذا ليس ضرورياً بل قد تحرث لقصد مادي وقد تحرث لحرث معنوي وهذا يعلمه كل أحد فليس كل من جامع امرأته قصد بذلك نبات الأولاد وإلا لم يجز بنفس هذه الآية الجماع إلا بقصد الأولاد فلا يجوز جماع امرأة حامل ولا عاقر ولا من عقيم ولا في غير وقت توقع الحمل ولو بالاحتمال الضعيف ولا جماع أي امرأة كبرت في السن ولم تعد قادرة على الإنجاب ولا يجوز عزل الرجل عن المرأة ولو بإذنها ولا أي شيء آخر غير طلب الحرث بمعنى الأولاد وهذا لا يقول به أحد لا في شرع ولا في قانون، ثم إن الحرث قد يكون معنوياً أيضاً والآية لم تحدد حرثاً محدداً دون سواه حتى يقال أنها في حرث الأولاد دون حرث المشاعر مثلاً ولنا على ذلك حجّة إن شئتم من كتاب "نواضر الأيك في معرفة النيك" للشيخ المجتهد المطلق حسب قوله جلال الدين السيوطي-وهو صاحب الدر المنثور في التفسير المنثور-حيث نقل هناك كلاماً لبعض السلف الصالح ينصح متزوجاً فيقول له "امرأتك منافرة؟ دقّها في استها!" أي إن كانت امرأة منافرة لك ومزعجة لك فالعلاج هو أن تدقّها أي تضاجعها في استها أي في دبرها ومؤخرتها، فهنا نجد حرثاً أيضاً والثمرة المرجوة هي الطمأنينية الأسرية إن شئت وكف منافرة الزوجة، ونصيحة أخرى في ذلك الكتاب القيّم لشيخ الإسلام جلال الدين السيوطي هي هذه "النيك في الاست مسمار المحبّة" فهنا نجد أيضاً حرث آخر وهو المحبّة وهو أمر معنوي في أصله فإن كان بينك وبين زوجتك محبة وأردت أن تسمّها وتثبّتها فعليك-حسب نصيحة هذا السلف الصالح-أن تنيكها في شرجها ومع كل دقّة سيندق مسمارة المحبّة بنحو أعمق حتى تعيشوا في محبة ومسالمة إلى الأبد إن شاء الله، فهذا أيضاً حرث ينتج عن إتيان النساء في أدبارهن حسب هذه النصيحة القادمة من العصور السحيقة من قبل شيوخ دين لا أظنّهم من أنصار الحركة " الماسونية" المعاصرة (حسب وساوس البعض) التي تسعى لإباحة الانحراف الجنسي، فإذن لا يوجد دليل لا من القرءآن ولا من غيره على أن الحرث لا يكون إلا للولد بل قد يكون للشعور وقد يكون لتقوية العلاقة وقد يكون مسماراً للمحبة أيضاً سواء كان الدقّ في الفرج أو في الشرج. ثم وجه آخر لإبطال الاستدلال بالآية في باب منع إتيان النساء في أدبارهن هو إذا نظرنا في أسباب النزول المقرونة بها سنجد أن الأسباب المذكورة تدور حول التوسعة على المسلمين في كيفيات الجماع لا تضييقها، يعني المقصد الأصلي هو التوسعة لا التضييق، نعم النصوص المذكورة تذكر توسعة نسبية "في صمام واحد" حسب بعضها أي في الفرج لكن النص صريح في أنها جاء بقصد التوسعة، والقصص تدور حول إما يهود كانوا يذمّون المسلمين ويشبهونهم بالبهائم لأنهم يجامعون نسائهم بأكثر من كيفية قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم (يبدو أن الكلام عن كيفية الجماع في العلن في ذلك العصر الذهبي للسلف الصالح وبحضور النبي لم يكن قضية " تابوه" و "عيب" خلافاً للسفالة التي انتشرت لاحقاً ولا زالت) وأحد النصوص هو هذا {من طريق سعيد بن أبي هلال أن عبد الله بن علي حدثه: أنه بلغه أن ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا يوماً ورجل من اليهود قريب منهم فجعل بعضهم يقول "إني لآتي امرأتي وهي

مضطجعة" ويقول الآخر "إني لآتيها وهي قائمة"، ويقول الآخر "إني لآتيها وهي باركة" فقال اليهودي "ما أنتم إلا أمثال البهائم ولكنّما نأتيها على هيئة واحدة"، فأنزل الله "نساؤكم حرث لكم.." الآية} أقول: طبعاً لم يُجرجر اليهودي إلى المحاكمة بسبب تلفظه بشتيمة على أصحاب النبي، لكن ليس هذا موضوعنا الآن، وكذلك ليس موضوعنا التنبيه على الانفتاح العفوي بين أصحاب النبي وكل واحد فيهم يحكي كيف يضاجع امرأته يبدو أن الجماعة كانوا ألطف نفوسناً ممن يزعم أنهم سلفه الصالح، حتى هذا ليس موضوعنا، موضوعنا هو وضوح قصد التوسعة في كيفيات الجماع المربوط بآية الحرث، فهذا صنف من الروايات، وصنف آخر يتحدث عن الخلاف بين القرشيين وبين الأنصار في كيفية الجماع، فكان القرشيون حسب تعبير الرواية "وكانت قريش تشرح شرحاً كثيراً" يعني لهم تفنن في المضاجعة ويتخذون وضعيات كثيرة، كانوا يتلذذون بعبارة أخرى ويأخذون راحتهم والقضية عندهم ليست مجرد إلقاء بذر في الحقل والسلام فتأمل فهذا بحد ذاته رد على الحصر الغريب في معنى الحرث عند البعض، لكن الأنصار كانوا خلافاً لذلك "تأتي نساءها مضاجعة" يعني في وضعية محددة ولعلهم تأثروا باليهود، فحصل خلاف بين قرشي وأنصارية في وضعية الجماع فاشتكوا إلى النبي (والحق يقال إنه عصر سمح ومنفتح) فأنزل الله (حتى الله مهتمّ بكيفية جماع القرشي والأنصارية والناس، الحمد لله على هذه السعة) آية "فأتوا حرثكم أنى شئتم". وفي رواية أخرى "فخلى الله بين المؤمنين وبين حاجتهم" وهي تعبير منسوب للحسن ويبدو أنه البصري الزاهد المعروف ولم ينص عليه في الكتاب، فهذا هو المقصد إذن، "فخلى الله بين المؤمنين وبين حاجتهم" باختصار السعة. وكانت قضية إتيان النساء في أدبارهن خلافية على ما يبدو من كثرة الروايات والنقاش الذي تحكيه ولم يكن أمراً مسلماً بديهياً عند الكل، ومن أدلة ذلك مثلاً هذه الرواية {عن عبدالرحمن بن سابط قال سألت حفصة بنت عبد الرحمن فقلت لها "إني أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحي أن أسألك عنه. قالت "سل ابن أخي عما بدا لك"، قال "أسألك عن إتيان النساء في أدبارهن"} أقول: بعد ذلك ستذكر الجماع في الفرج فقط والآية، لكن محل الشاهد عندي هو أن حفصة بنت عبد الرحمن هذه هي حفيدة أبي بكر صاحب النبي يعني المسألة كانت لا تزال دائرة حتى عصر التابعين ولم تكن بديهية معلومة للكل.

لذلك بعد أن يذكر السيوطي تحت القول الأول في الآية روايات كثيرة تصل حتى نسبة لعن النبي لمن يأتي الرجال والنساء في أدبارهن (إقرار آخر بالتشابه بين إتيان الرجل والمرأة في الدبر والذي ذكرناه من قبل)، فإنه يقف ويكتب "ذكر القول الثاني في الآية"، ثم يبدأ السرد:

فينسب إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه كان يقول بأن الآية نزلت في إتيان النساء في أدبارهن ويذكر السيوطي أيضاً السلسلة الذهبية حسب قول البعض في السند أي عن مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر بأن ابن عمر قال عن معنى الآية "إن شاء في قُبلها وإن شاء في دبرها" وقال "رخصة في إتيان الدبر"، وطبعاً يوجد أيضاً ذكر للحديث الجنسي الشائع في ذلك الزمان المستنير عن قضايا الجنس علناً فف ي رواية قال السيوطي عنها "بسند حسن عن ابن

عمر أن رجلاً أصاب امرأته في دبرها في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكر ذلك الناس" فالناس كلمهم علموا بأنه دقّ امرأته في استها ولعله كان يريد تسمير المحبة بينهما لا ندري لكن على العموم أصبح الخبر في السي إن إن تبع ذلك الزمان. ويذكر السيوطي أيضاً عن صاحبي آخر هو أبو سعيد الخدري أنه اعتبر الآية نازلة في الجماع في الدبر وعدّه من أصحاب القول الثاني، وكذلك نسب ل"شيخ من قريش" هو عبد الله بن علي بن السائب أنه قال في ذلك "قذر ولو كان حلالاً" إذن لم يجزم بتحريمه بل أشار بحليته لكنه اعتبره قذراً فلا ندري ماذا كان سيفعل لو عرف طرق التنظيف المعاصرة لعله كان سيقول حلالاً فقط. ثم يذكر السيوطي عن بعضهم أنه شهد بأن محمد بن المنكدر وهو فقيه جليل مشهور كان يفعله، وكذلك مالك بن أنس سأله شخص عن إتيان المرأة في الدبر فردّ عليه "الساعة غسلت رأسي منه" (هذه المرّة الكم، العاشرة؟ التي نرى فيها سلفنا الصالح يتحدث عن كيفية نيكهم نساءهم بكل رحابة صدر وإعلان، سواء كان الموضوع وضعية النيك أو محلّ الدقّ..وبعضهم كان يعبّر حتى عن شدّة حماسه له ومدى إتقانه له، كانوا "ليبراليين" على الآخر في هذا الموضوع والنصوص ليست من اختراع أبي لكنها في تراثنا العظيم وتفاسير القرءآن العظيم أيضاً). ومن اللطائف المروية للدقة في التعبير عن ذلك ما أخرجه ابن جرير عن ابن أبي مليكة أنه سأله أحد على ما يبدو عن إتيان المرأة في دبرها فقال "قد أردته من جارية لي البارحة فاعتاصت عليّ فاستعنت بدهن" فازلين (فازلين هذه من اختراعي أنا لكنها ترجمة معنوية للنص لتقريبه للقارئ المعاصر الذي قد يشتبه عليه معنى "فاستعنت بدهن"). في رواية أخرى عن عبد الله بن القاسم أنه قال {ما أدركت أحداً أقتدي به في ديني يشك في أنه حلال. يعني وطء المرأة في دبرها. ثم قرأ "نساؤكم حرث لكم" ثم قال "فأي شيء أبين من هذا"} فابن القاسم كان يرى الآية أبين شيء في تحليل الإتيان في الدبر، خلافاً للذي يزعم أن الآية أبين شيء وأوضح شيء في تحريم الإتيان في الدبر، فمن النقيض إلى النقيض نجد الفهوم، وهذا شأن الأديان وهذا شأن المذاهب والنصوص وتفاسيرها، وهو بحد ذاته دليل كاف لإبعاد مثل هذه الأمور عن التعصّب والجزم وفرض الرأي والفهم الخاص على الناس أجمعين، لأنه إذا كان واحد يروي عن النبي أنه كان يلعن الذي يأتي المرأة في الدبر وينسب للنبي أن الآية معناها الإتيان في الفرج ثم يأتي آخر ويعلن بكل فخر وأريحية أنه غسل رأسه الآن من نيك امرأته في دبرها وأن لا أحد يثق به في دينه كان يراه إلا حلالاً وأن الآية أبين وأوضح شيء في تحليل الإتيان في الدبر، فالواجب إذن ترك هذا الميدان كله لساحة الحرية الشخصية، وإبعاد شبح الدولة ومراقبة الناس لموضع وضع القضيب في الفرج أو في الشرج.

ثم ذكر السيوطي قولاً ثالثاً في الآية، الآية فتحت باباً كبيراً للخلاف بين الناس على ما يبدو، ويترأسه ابن عباس الذي رأى الآية في تجويز العزل أي أن ينيك الرجل امرأته فإذا أراد أن يقذف يخرج قضيبه ويقذف في الخارج، لا أدري أين فلم ينص ابن عباس أين يقذف فنحن في حيرة ولعله يقذف على رأس امرأته والله أعلم، لكن المهم أنه يجيز له العزل ويعتبر الآية دليلاً على ذلك، وكذلك ينسب إلى ابن عمر مثل هذا القول وسعيد بن المسيب وغيره. ولا نحتاج إلى تفصيل ذلك

إلا أني ذكرته كقول يعتبر الآية ليست لا في النيك في الفرج ولا في الشرج لكنها في العزل. والعزل بحد ذاته حجّة على ما ذكرناه سابقاً من أمور تنبني على جواز العزل ومنها أن طلب النسل ليس ضرورياً لتجويز الجماع ولا هو المقصد الوحيد للجماع. وربط ابن عباس وابن عمر وغيرهما لقوله تعالى "فأتوا حرثكم أنى شئتم" بالعزل دليل على أن الحرث ليس المقصود به النسل لأن النسل لا يكون بالعزل، بالتالي الحرث قد يكون لمقصد آخر غير إنجاب الأولاد، ولا يبقى إلا الحرث الذي سمّيناه الحرث المعنوي.

أظن هذا يكفي في هذه المسألة التي تبيّن أن تجويز إتيان النساء في أدبارهن كان قولاً لبعض كبار الصحابة وكبار أصحاب المذاهب الفقهية، فابن عمر فقيه ابن فقيه معترف بهما معاً في هذا الأمر كان يترأس القول على ما يبدو في تجويز إتيان المرأة في دبرها، ومالك بن أنس فقيه مدينة النبي ورأس المذهب المالكي الأثري الروائي والذي كان يأخذ بعمل أهل المدينة كان على ما يبدو لم يجد في مدينة النبي شيئاً يمنعه من إعلان أنه للتوّ غسل رأسه من دقّ مسمار المحبّة في امرأته.

الحاصل: وجود قول قوي ومعتبر منسوب للقرءآن ومنسوب لصحابي فقيه ومنسوب لفقيه كبير ورأس أحد أهم المذاهب الفقهية الإسلامية، وكل ذلك مأخوذ من كتاب في تفسير القرءآن معتبر ومشهور، ومأخوذ من نصوص وليست من تفسيراتنا لنصوص بنحو تأويلي غنوصي بل هو نص ظاهر يفهمه الصغار أيضاً (باستثناء موضوع "فاستعنت بدهن" الذي مثّلنا له بالفازلين المعاصر للتقريب)، كل ذلك يجعل قولنا الذي افتتحنا به "بعض الفقهاء يقول بجواز إتيان المرأة في دبرها" قوياً بنحو يجوز اعتباره والبناء عليه. وقد رأينا أنه منسوب إلى النبي وإلى فقيه كبير أيضاً تشبيه إتيان الرجل في دبره بإتيان المرأة في دبرها. فالجمع إذن بين هذه الآراء يجعل إتيان الرجل في دبره ليس أمراً بعيداً عن عقول من يرى جواز إتيان المرأة في دبرها. هذا أقل ما يقال. إن لم نقل بالمساواة المطلقة بينهما. ويكفي مثل هذا الاستنباط من عمق فقه يرى بعض أهله وجوب رمي المثليين من أعالي الجبال ! فهذه حجّتنا عليهم من كتبهم وفقههم. فقد قرّبنا لكم الطريق بأقصى ما يمكن. فاسلكوه لعلكم تفلحون.

١٧-اختلاط الأنساب غير موجود لا في مثلية الذكور ولا في مثلية الإناث.

الفكرة هي أننا إذا نظرنا إلى تعليل تحريم الزنا بالفهم الشائع لكل هذه الكلمات، فإننا نجدها تدور حول حماية الأنساب من الاختلاط. طبعاً هذا المقصد بحد ذاته يجعل الزنا قضية نسبية أي كأن صاحب هذا التعليل يقول "لو استطعنا أن نجد وسيلة لحفظ الأنساب بشكل عام في المجتمع لما كان الزنا محرّماً ولفعل من يشاء ما يشاء مع من يشاء" أو يقترب من هذا القول بحسب وجود تعليلات أخرى بالإضافة إلى اختلاط الأنساب. إذن لا إشكال في نفس المتعة الجنسية ولا بناء العلاقات الجنسية على الاختيار الحر بين الأفراد بدون الروابط الرسمية للزواج، الإشكال هو حفظ الأنساب، والطريق لحفظ الأنساب هو ضبط العلاقات الجنسية بالعقود والأنكحة الرسمية والموثقة حكومياً. وحفظ الأنساب طبعاً ليست الغرض منه التفاخر بين الناس، لا

أقلّ ليس بالمعنى السخيف لهذه العبارة، لكن المقصد الأكبر منه هو انتقال الملكية عبر الميراث للأبناء الشرعيين حسب الاعتقاد والظن الغالب طبعاً وإلا فالعلم عند الله ماذا فعلت المرأة حين كان زوجها يكدح خارج البيت خصوصاً إن كان طاغية متسلطاً، ومقاصد أخرى كرعاية الأبناء وواجباتهم ونحو ذلك حسب ما يخترعه كل مجتمع لنفسه أو يقبله على نفسه. فمدار الأمر على حفظ الأنساب. لكن بما أن الأنساب لن تختلط في المثلية مطلقاً، بالتالي لا حاجة لتقييد المتعة الجنسية فضلاً عن المحبة النفسية التي لا كلام فيها أصلاً لأنها خارج إطار التقنين والتشريع من أي وجه ولذلك لا نذكرها لا أننا نحصر المثلية في الجانب الجسماني وكأن المثليين أجسام فقط، كلا، نحن نحصر الكلام للتركيز على الجوهر القابل للتقنين والرقابة وكذلك لأنه الذي يخاصم فيه أعداء المثلية عادةً، وإلا فالحب بين الذكور أو بين الإناث وحتى عيش ذكور مع بعضهم البعض حصراً أو إناث مع إناث في بيت واحد كالرهبان والراهبات فلا نجد شيئاً ضدّه في أي مجتمع بشكل عام لذلك لا نتكلم عن الجوانب العاطفية الحرة بطبيعتها وكذلك عن الجوانب المعيشية العادية والاقتصادية لأنها أيضاً حرة ولا خلاف عليها إما مطلقاً وإما عموماً بين أنصار وخصوم المثلية. الفكرة من هذه الحجّة أن ننظر في الأسباب التي عليها يقيم خصوم المثلية علاقاتهم الغيرية والمقاصد التي يريدونها من قيودهم ثم نرى المعقول منها وغير المعقول ونرى ذلك ما يوجد وما لا يوجد في المثلية، فنحتج بالمناسب ونرد على غير المناسب حتى تكون حجّة عليهم من عند أنفسهم وهو أقوى الحجج لأنه بمثابة الإقرار على النفس ولو من وجه وبتوسّل خطوات معقولة بنفسها ومقبولة بشكل عام.

١٨-أبو نواس كان طليقاً وشعره محفوظ، هو وأمثاله قبله وبعده، وقد شاع تعشق الغلمان.

الفكرة هنا هي الإتيان بأمثلة من كل تراث للاحتجاج على أهل هذا التراث بما يظهر من مناقضة لما يدعونه اليوم. فمثلاً في الإسلاميين المعاصرين من يتوهم أن سلفهم في "العصر الذهبي للدولة الإسلامية" كان متزمتاً متحجراً متخلفاً على طريقتهم اليوم، فنأتي بأمثلة من هذا التاريخ نفسه لإظهار ما يناقض ذلك. فمثلاً، في باب المثلية، نجد أبو نواس الشاعر الكبير المشهور الذي قال عنه حتى بعض أكبر الفقهاء في عصره أنه أشعر الشعراء وأظرفهم، هذا الظريف كان يقول شعراً-وهو محفوظ لدينا إلى اليوم-في نيك الغلمان وهي مثلية، وفي نيك النساء في أدبارهن، ويتغزّل بالغلمان ويتغزّل بالمرأة عبر تشبيهها بالذكور، كل ذلك يجعله من شعراء المثلية بشكل عام، وقد شاع ذلك في ذلك "العصر الذهبي" كما هو معلوم لدى المطلعين. أبو نواس عاش حياته طليقاً بشكل عام، ويدخل على "الخلفاء" العباسيين والأمراء، ويغني كما يشاء، وشعره محفوظ مدروس، فلا أحد أحرقه حياً لأنه مثلي ولا أحد رماه من أعلى شاهق لأنه اعترف ولا لأن أصحابه المقربين منه حكوا عنه بأنه ينيك الذكور، بل عاش حتى كبر ويقال أنه قتل في ساونا ذلك الزمان حبسه أحد فيه حتى قُتل فيه لكن لا أدري مدى صحة ذلك وحتى لو صح فإن هذه ليست عقوبة "شرعية" عبر محاكم وقضاة لكنها عملية اغتيال فردية. فلو كان أمر المثلية قبيحاً مجرّماً بحد ذاته لما وجدنا لا ظاهرة تعشق الغلمان ولا شعر أبي نواس موجوداً ولا محفوظاً

فضلاً عن يُمدَح الشاعر نفسه بأنه أشعر شعراء وأظرف الناس من قبل بعض كبار الفقهاء في عصره. وعلى هذا النحو يمكن الإتيان بأمثلة تقرّب البعيد وتيسّر العسير وتلطّف الصعب وتحلّي ولو قليلاً المرّ إلى أن تلين قلوب الناس لقضية المثلية شيئاً فشيئاً ولو بعد حين. فكما تدخل الملائكة على أصحاب الجنة من كل باب كذلك علينا أن نأتي بالأفكار النافعة ونلقيها على الناس حتى تنفتح لها قلوبهم ونأتي بالأفكار من كل وجه ومكان وصنف ولون.

١٩-ترك المثليين أحرار منفتحين غير معاقبين ولا ملومين يجعلهم يتفرغون لما هو أهمّ من هذا الجانب أو غيره من المهمات في الحياة. والعكس مشغلة.

أهم مقاصد حياة الإنسان لن يكتشفها الإنسان إلا حين يتفرغ من عداء الناس له وسعيهم لإزهاق روحه وتصعيب حياته وتضييق معيشته عليه. فحتى يكف المثلي ويكف غيره عن الاشتغال بقضية المثلية يجب أن نتجاوزها ونترك المثليين وشأنهم لكي يذهبوا هم أيضاً إلى مشاغل الحياة الأولى والأكبر والأهم. فمن كان صاحب إيمان يعلم أن عبادة الله هي المقصد الأكبر، والعبادة تحتاج إلى تفرغ وعيش في سلام وأمن حتى تسلم وتكون صافية من القلب، بالتالي مما ينفع في هذا الباب هو ترك المثليين بسلام وأمان حتى يكتشفوا مقصد حياتهم الذي هو عبادة الله ويشتغلوا به بدلاً من الاشتغال ليل نهار إما بإظهار ما عليه بقوة إلى أن يقبلهم الناس أو الاشتغال بالتخفي عن الناس خوفاً على أنفسهم وغير ذلك من أعمال كلها تدور في فلك التعامل مع الناس، فبدلاً من ذلك لنتركهم بسلام حتى يتفرغوا للتعامل مع الله. ومن كان صاحب علم يعلم أن التفكير والتجربة والنظر في الطبيعة هو أعلى الأعمال، وأيضاً حتى يتفرغ العلماء من المثليين لذلك ينبغي أن نكف عن مضايقتهم وإرهاق عقولهم ونفوسهم بهمّ الاضطهاد المباشر وغير المباشر، وفي ذلك منفعة الكل. ومن كان همّه تربية الأطفال الذين يحتاجون إلى تربية، كذلك سينفع هذا القصد ترك المثليين وشأنهم حتى يتفرغوا للعمل والكسب ومن بعده السعي لتربية أولاد بالتبني أو بالكفالة أو بالمساهمة في أعمال خيرية تتعلق بالأطفال فهذا خير من محاربة المثليين في أرزاقهم وفي أجسامهم وأشخاصهم مما سيؤثر بنحو أو بآخر على هذه الأعمال الجيدة. وهكذا انظر من حيث شئت ستجد أن الأفضل للناس ترك المثليين وشأنهم بسلام وأمان إلى أن لا تصبح المثلية قضية تلفت النظر أصلاً مثلها مثل الغيرية أو لنقل إلى أن يصبح الكلام عن المثلية ككلام مالك بن أنس عن مضاجعته امرأته في دبرها قبل قليل أي يصبح شيئاً عادياً سهلاً علنياً بسيطاً لا يحتاج إلى تكلّف ولا إلى خوف.

٢٠-نسبة المثليين قليلة في المجتمع، فلا خطر واقعي على استمراره.

هذا مضى معنا لكن نفرده هنا لأنه مهم جداً ويستحق دراسة خاصة مع ذكر إحصاءآت بشكل مستمر تبيّن ذلك، حتى لا يأتي أحد ممن يستعمل حجّة فناء المجتمع بسبب المثلية ويذكر كلاماً وهمياً يظنّه معقولاً بنفسه لأنه يتعامل مع الفكرة داخل ذهنه الصغير فقط. وكما ذكرت من

قبل فإني هنا أذكر رؤوس الحجج مع شيء من الخواطر المبينة له لكن كل حجّة منها يمكن أن تكون عنواناً لبحوث كثيرة مفصّلة وموثقة أكثر.

٢١-المثلية لا تمنع من النجاح في العمل والانتاج والابداع عموماً.

قد يقول بعض خصوم المثلية بأن المثلية تمنع من النجاح وأنها علامة فشل الإنسان وضعف شخصيته وطموحه أو نحو ذلك من الانتقادات. طريق الرد على هذا الكلام يكون من جهات. منها أن نأتي بأمثلة على مثليين-سواء مثلية جزئية أو مثلية كلّية-قد نجحوا في شيء ما علمي أو عملي، فردي أو اجتماعي. ومنها أن ننبه على حقيقة أن أكثر الناس من الغيريين، وأكثر الناس كالأنعام بل هم أضل سبيلاً، وهم مجرد أجراء يعملون للعيش بأدنى مستويات الإبداع والفن، فلا يبالغ الغيريون في ربط الجنس بالابداع لأن منطقهم سينعكس عليهم بسهولة. ومنها أن نبيّن عدم الحاجة أصلاً للربط بين المثلية وبين أي نجاح أو ابداع، ولا حتى ربط الغيرية بذلك، فإنه أوّلاً يوجد اختلاف مشروع في تعريف ما هو "النجاح" في الحياة بين الناس، وثانياً الجنس قضية نفسية خاصة ولا علاقة لها بالأعمال الاجتماعية الاقتصادية بشكل رئيس فقد يكون فقيراً مهمشاً يمارس الجنس الغيري أو المثلي وقد يكون رئيساً وعالماً ونبياً أيضاً ويمارس الجنس. ومنها أن ننبه على أننا إن أردنا تفرغ الناس للعمل في أي مجال علمي واقتصادي وسياسي وغير ذلك فعلينا أن نعترف بأن الأفضل هو العمل على جعل الناس يشعرون بأمان ورضا عن مجتمعهم حتى يشتغلوا بتحسينه وتطويره، ولا أظن أن سعي المجتمع لتهميش وقمع وإذلال فضلاً عن تعذيب وحبس وقتل إنسان من أجل ميوله الجنسية التي لم يخلقها في نفسه من الأصل ولا اختيار في إيجادها كما مر، سيجعله يحب هذا المجتمع ويضحي بنفسه من أجله ويسعى لتحسينه وتطويره ظاهراً وباطناً. فإن كنتم تهتمون بالنجاح فاتركوا المثليين بسلام ليسعوا للنجاح.

٢٢-المثلية لا تمنع من الخشونة العسكرية.

الفكرة هنا هي الرد على الزعم بأن المثلية في الذكور تحديداً تعني الليونة والضعف، فتجد المجتمع الذي يقدّس الخشونة العسكرية لأنه يريد قمع شعبه طبعاً أو قمع الشعوب المجاورة وبقية العالم كالعادة، هذا المجتمع قد يميل إلى التفكير بأن الخشونة العسكرية ضرورية وبما أن تصورهم عن المثليين أنهم ضعفاء وجبناء تشبيهاً لهم بالغالب على النساء عندهم لا أقل فالنتيجة هي تجريمهم للمثلية وسعيهم لإبادتها.

الرد على مثل هذا التفكير يكون من جهات. منها إثبات الانفكاك بين المثلية والليونة العسكرية، وهذا ممكن تاريخياً بالتنبيه على الجيوش القوية التي كانت تصول وتجول في العالم وانتشرت بين جنودها أو لا أقل كان لجنودها حظ من المثلية لا بأس به كالرومان واليونان على ما أذكر. ومنها الطعن في نفس فكرة الخشونة العسكرية بالمعنى الطغياني الذي يذكره هؤلاء. ومنها إظهار وجود جنود اليوم في أقوى جيوش العالم هم من المثليين ويحاربون مثل البقية، مع ملاحظة

أن المثليين من الذكور والإناث تختلف نسب دخولهم الطوعي في الجيش أحياناً، فمثلاً في الجيش الأمريكي الحالي حسب بعض الإحصاءات تقريباً ٢ في المائة من الذكور فيه يعلنون مثليتهم لكن في المقابل ما بين ٧ إلى ٩ في المائة من الإناث يعلنون مثليتهم، لا أدري ماذا ينبني على هذا لكن الفرق كبير ويبدو أنه يستحق الدرس، ويمكن البحث في هذه الفرضية وهي أن الأنثى حين تكون مثلية قد تكون أخشن بالتالي تلتحق بالجيش بنسبة أعلى من الذكر، بناء على هذه الفرضية تكون المثلية سبباً خاصاً للخشونة العسكرية في النساء على الأقل، على العموم البحث في هذا الأمر يستحق النظر أي العلاقة ما بين المثلية والخشونة العسكرية، لكن المقطوع به أن كون الإنسان مثلياً لا يمنعه من الخشونة لا العسكرية ولا غيرها سواء كان ذكراً أو أنثى لأننا نجد قديماً وحديثاً أناس من المثليين ينضمون طوعاً للجيش ويحاربون بضراوة. جهة أخرى هي النظر إلى فئات أخرى لا ينضم أصحابها إلى الجيش ولا نجد فيهم الخشونة العسكرية ومع ذلك لا نلومهم على ذلك ولا نمنعهم من الوجود بحجّة أن طريقهم هذا يجعلهم يفقدون الخشونة العسكرية، مثلاً الشعراء والأكاديميين وعلماء الرياضيات والفيزياء، هؤلاء وغيرهم العادة إذا نظرت إليهم لن تجد أناس يريدون فصل رأسك عن جسدك لكنهم أناس يريدون أن يعلّموك كيف تبقي رأسك على جسدك وتوحّد بين ما في رأسك وما في جسدك، وأجسامهم عادة تميل إلى الضعف من شدة تركيزهم على علمهم وإعمالهم لعقولهم ورهافة حسهم ودقة فكرهم، فهل من أجل ذلك نطبق الفن والعلم لأن الفنان والعالِم لا يريد ذبح الناس في سبيل الوطن؟ لا أظن أن أحداً يقول بذلك فعلاً. حسناً فأضيفوا إلى قائمة الذين لا يريدون الخشونة العسكرية فئة أخرى هي فئة المثليين على فرض أنهم فعلاً لا توجد فيهم أي خشونة عسكرية بل هي ليونة في ليونة كالزبدة والصابونة. فانظر من أي وجه ولن تجد حجّة ظاهرة لخصوم المثلية في هذا الباب.

٢٣-الميل المثلي ينمو في الإنسان قبل الميل الغيري (علمي-نفسي) فهو طبيعي فطري.

إما أنه ينمو قبله أو على أقلّ تقدير معه، فنحن نرى من أنفسنا ومن غيرنا أننا في صغرنا لم نكن نملك هذه القيود الجنسية التي صرنا نجدها في أنفسنا بعد الكبر، لا تجاه نوعية الناس الذين نميل لهم جنسياً ولا للكيفيات الجنسية ولا أي قيد آخر بشكل عام إلا اللهم قيد اللذة والألم والأمن والخوف، بعبارة أخرى تبدأ النفس بحالة تحكم على الأشياء فيها بحسب معايير الطبيعة التي هي مبدأ اللذة ومبدأ الأمن فإن اجتمع في شيء الأمن واللذة كان الميل له وإن اجتمع في شيء الخوف والألم حصل النفور منه وإن اجتمع في شيء اللذة والخوف ترددت النفس في فعله أو سعت في فعله لكن في السر وبطرق تبعد الخوف وهكذا. لكن مع الوقت يبدأ حكام المجتمع وكباره بزرع مبادئ أخرى في النفس، أو لا أقل محاولة زرع مبادئ أخرى غريبة على النفس، ودائماً يستعملون مبادئ النفس الفطرية من أجل إدخال المبادئ الغريبة عليها، فتجدهم يستعملون مبدأ اللذة مثلاً لهدم طلب اللذة الطبيعية نفسها لكنهم يقولون "إن أطعتنا في هذا فإنك ستنال لذة لانهائية بعد أن تموت" مثلاً أو "ستحصل على لذة أكبر في الدنيا لكن بعد حين فاصبر" وهكذا يستعملون مبدأ اللذة لهدم مبدأ اللذة أو هدم الطلب الطبيعي المباشر للذة والذي

يستعملونه هم أنفسهم لكنهم لا يريدون من مستعبديهم الذين هم عامّة الناس استعماله مثلهم، وقل مثل ذلك في الأمن والخوف فمن الطبيعي أن يسعى الإنسان والناس إلى الأمن لكن الظلمة والجبابرة من الناس يريدون نشر الخوف في العامّة وجعل الخوف هو العنصر الأساسي في حياتهم شعوريا ًولاشعورياً ويتوسّلون لذلك بوسائل كثيرة من أهمها إظهار عشوائية السلطة الغاشمة حتى يتوقع كل إنسان الشر والضرر من كل وجه فيخاف دائماً ومنها تعليمهم عقائد تجعلهم يرتعبون خوفاً من كل صغير وكبير ولو كان بصغر النملة السوداء على الصخرة السوداء في الليلة الظلماء فتصبح الأمة موسوسة من الخوف من كل شيء ظاهر وخفي وأخفى وأخفى من الأخفى، إلا أنهم يزعمون بأن من يطيعهم في هذه الأمور سيحصل على الأمن في الدنيا وكذلك في الآخرة بعد الموت، فمرّة أخرى يستعملون المبدأ الفطري لهدم السعي الفطري. ومن هنا تأتي القيود الجنسية. الجنس لذّة فلابد لمحاربته بنحو فعّال من استعمال الخوف، ثم لابد من استعمال اللذة النفسانية البحتة الناتجة عن التفكير أو التخيل لشغل الناس عن اللذة الجنسية الكاملة التي تشمل الجسم والنفس والعقل وهي الناتجة عن السعي الطبيعي للجنس حين لا يتلوث بعقائد وأحكام ووساوس جهلة وجبابرة البشر.

توجد دراسات في علم النفس تذكر-على ما أذكر-قضية التطور الجنسي في الإنسان، ومنها أن المرحلة المثلية تسبق المرحلة الغيرية، أذكر أني قرأت شيئاً كهذا من قبل، فأشير إليه هنا لأن هذا موضع تحقيق هذه المسألة، وبما أني أذكر إشارات في هذه المقالة فلن أفصّل في الأمر أكثر، إلا أن أقول بأن هذه الدراسة لو أثبتت ذلك لكانت حجّة عالمية على أن فاطر النفس وخالقها قد وضع فيها مرحلة المثلية بالتالي ليست له مشكلة شخصية مع المثلية. الآن قد يقال بأن " التطور" أي تجاوز مرحلة المثلية ضروري للنمو، وهذا ننازع فيه، ويكفينا في هذا الموضع الإقرار بوجود حالة فطرية هي حالة المثلية في الإنسان، وإذا ثبت أنها سابقة في تشكيل النفس فلها الأولوية إذن، وإن كان الإنسان الذي لا يتقيّد بميوله أصلاً يجمع بين حريته الفطرية ويترك ذوقه يجري كما يشاء بدون وضع قيد مصطنع خارجي عليه، وهذا لا يعني أنه عليه أن يفعل فعلاً ما مع نوع معين من الأشخاص أو مع أي أحد، كلا ليس هذا هو المقصود، لكن المقصود هو ترك النفس على سجيتها وعدم قتلها بقيود مصطنعة من خارجها لأغراض لا قيمة لها ولم تنبع من ذات النفس. لا تشوّه نفسك بشيء من خارج نفسك يريد قهر نفسك لأغراض نفسه هو.

٢٤-المشاكل الصحية للمثلية الذكرية: في القضيب وفي الشرج. ما حلها؟

هذه الحجّة طبّية. ومدارها على البحث عن المشاكل الصحية التي قد تواجه المثليين ذكوراً وإناثاً بسبب ممارستهم المثلية، ثم النظر في حلّها وإمكان ذلك والسعي له.

بالنسبة للإناث لا أستطيع تصوّر مشكلة أساسية من العملية البسيطة للمساحقة. قد توجد أمور متعلّقة بالنظافة أو بكيفية الممارسة لكن هذا يختلف عن جوهر العملية. أما بالنسبة للذكور فجوهر العملية يتعلّق بمخاطرة عضوية مهما قلّت وذلك راجع إلى طبيعة القضيب وطبيعة الشرج، وللمرّة الثالثة أو العاشرة أذكّر أن هذا لا يعني بالضرورة أن كل المثليين الذكور سيمارسون

بـالضرورة هـذه العملية لكن هـي الأسـاس الذي عليه الخلاف وبدونـه لا شـيء يسـتحق النقاش أصلاً بشكل عام. الشرج غير الفرج، فالفرج يتوسّع بسهولة وله عضلات ويفرز سوائل تعين القضيب على الولوج فيه بل قد ينفتح إلى حد خروج ثمانية أطفال منه في بعض الحالات، لذلك لا إشكالية جوهرية متوقعة من المضاجعة الفرجية. أما الشرج فإنه لا هو يملك العضلات المهيئة للانفتاح بشكل مستمر والتعرّض للإيلاج بشكل دوري معتاد، ولا هو يملك إفرازات خاصة سائلة- باستثناء الإسهال بعد وجبة عشاء مكسيكية-لكي يسهّل على القضيب الولوج فيه. وفي المقابل القضيب عادة يتناسب مع الفرج بسبب تلك الميّزات الخاصة به فالقضيب الذي يلج في الشرج كثيراً يمكن توقع تعرّضه إلى ضعف الانتصاب أو في حال لم يكن يلبس واقياً تعرّضه لجراثيم معيّنة ناتجة من كونه يلعب في مجاري الخراء، فلو كان يلبس ثياب تقيه من الخراء فلا مجال لاتقاء قضية الانتصاب بسبب دفعه بقوة لفتح الشرج وتعرّضه للإغلاق القسري لبوابة الشرج المعمولة لكي تغلق فتحة المجاري حتى لا يحصل تسريب من المؤخرة كلما تحرك الرجل، فبوابة الشرج مصنوعة للإغلاق بينما القضيب يريد الفتح وهذا التعارض في المصالح الذي يشبه التعارض بين مصلحة مالك المصنع والعمّال حيث يريد المالك إغلاق محفظته ودفع أقل مبلغ من المال بينما يريد العمّال فتح محفظته وأخذ أكبر قدر من المال، هذا التعارض سيولّد في العلاقة المثلية الذكرية نفس الإشكالات الجوهرية التي تولّدها العلاقات العمّالية في البيئة الرأسمالية، فالرأسمالية علاقة شرجية إن شئت، ايش دخّلنا في الرأسمالية الآن؟ لنرجع للخراء الذي كنّا فيه. المهم، توجد إشكالية عضوية في عملية إيلاج القضيب في الشرج، والواقي الذكري لن يحلّ إلا جزء من مشكلة القضيب ولن تحلّ كل مشاكله الأخرى (ولا نتحدّث هنا عن مشكلة الذوق والرائحة العفنة الناتجة من فتح بوابة الجحيم الخلفية) بينما تبقى مشاكل المفعول به المنصوب بالقضيب المنتصب الفاعل المرفوع كما هي، وهذه المعضلة النحوية تشبه اختها الرأسمالية السابقة ولابد لها من حل جذري وإلا فالمعادلات الرياضية ستبقى مجهولة النتيجة ولا يمكن دعم القضية العقلية للممارسة المثلية بحجّة قوية تدعم قيمتها المركزية. بالنسبة للمثلية الذكرية، هذه المسألة هي أكبر مسألة. وليس لدي جواب عنها لأني لا أتصوّر جواباً حالياً إلا أن يقال مثلاً بأنه يجب على الذكور تقييد عملية الإيلاج الشرجي إلى مرّة كل فترة طويلة نسبياً حتى لا يتأثر القضيب ولا الشرج سلباً بسبب كثرة الممارسة الشرجية، أو أن يتم إيجاد حل طبي مخصوص وحيث أني لست مختصّاً فأقتصر على رسم صورة المسألة وجهاتها المهمّة التي يجب النظر فيها.

٢٥-المثلية الأنثوية لا ضرر فيها، وفيها نفع من نواحي منها إثارة ما لا يثيره الذكر.

تبدو لي المثلية الأنثوية ليست فقط لا ضرر فيها بل الضرر قد يكون في تركها اللهم إلا إن وجد رجل يستطيع تلبية ما سنشير إليه الآن إن شاء الله. يوجد تناقض بين إثارة الرجل وإثارة المرأة بشكل عام ولا نتكلّم عن الاستثناءآت. بشكل عام الرجل حين ينتصب قضيبه وهو ما يأخذ فترة قليلة نسبياً في الحالة السوية والمعتادة يصبح الرجل مستعداً للإيلاج والقذف بعد فترة تقل أو تكثر بحسب الظروف وكمّية العسل الحضرمي الذي بلعه الرجل قبل لقاء حبيبته. أما المرأة

فإنها بالعكس من ذلك تحتاج عادة إلى فترة لتتهيج. بعبارة أخرى، الرجل يبدأ من فوق وينزل، بينما المرأة تبدأ من تحت وتصعد، وهو ما يتسبب بالإشكالية المعروفة في عالم النيك السرّي والمعروف بسرعة القذف وهي قضية نسبية لا تحتاج إلى أينشتاين ليشرحها لك، ولا نقصد بسرعة القذف ثواني معدودة كلا ولكن نقصد أن الرجل عادة ما يكون أسرع نسبياً من المرأة في القذف ولذلك يفعل الرجال أفاعيل من أجل تحصيل القدرة على البطء في القذف بمعنى حتى تقذف المرأة أو يقذفا سوياً. فهذه إشكالية. إشكالية أخرى هي البظر، فالمرأة الحرة أو العادية تحب مداعبة البظر كما تحب الإيلاج في الفرج وتختلف النسب بين النساء في ذلك وكلامنا عن العضو كما هو، فالبظر خارج الفرج وأعلاه وإن كان يمكن إثارته بنوع ما من الداخل لكن هذا يحتاج إلى شغل كثير من الرجل ولعله في بعض الحالات يحتاج إلى رجل قضيبه معقوف مثل خطّاف القراصنة ولنقل أن تحصيل مثل هذا القضيب يحتاج إلى طلبية خاصة من حضرة الربوبية التي لم تزوّد الرجال بمثل هذا القضيب المعقوف العجيب، لذلك يميل البعض إلى استعمال أصابعه من الداخل لإثارة المنطقة المختصة مع ضجر معتاد من الرجال في هذا الباب. فالمرأة لها فرج عنده ثلاث مناطق أساسية للإثارة وهي البظر والمنطقة الخاصة من الداخل وبقية الفرج بأبعاده التي تُثار من الإيلاج الطبيعي المستقيم ويمكن إصابته بالوضعيات المختلفة. إلا أن للبظر مكانة خاصة لعلها تشبه القضيب من بعض الحالات، ومن عاشر امرأة "قذّيفة" يعرف هذا الأمر، وهي أن مداعبتها للبظر من الخارج مع شيء بسيط من لمس بقية الفرج وشيء من الإيلاج الداخلي وأحياناً بدونه يكفي لكي ترى رشاشات مطافي من تلك المنطقة السحرية. ومن رأى امرأة وهي تقذف بسبب مداعبة البظر ومدى قوّة ذلك وتكراره وتشنجاتها التي تشبه تشنجات الكهنة حين يمسّهم الجن ثم يقارن ذلك بتأثرها من الإيلاج الفرجي البسيط سيعرف أن حرمان المرأة من بظرها ولومها عليه واعتبارها "ليست أنثى" إن فعلت ذلك هو من الظلم الشنيع الذي يوقعه الرجال والمجتمع والنساء "المحافظات" على جنس النساء عموماً ويظلمون أنفسهن بذلك. نعم، البظر كان ولا يزال منطقة محرمة أو منطقة يجب قطعها في بعض المجتمعات أو منطقة يجب أن لا تُداعب إلا بنحو غير مباشر وعبر القضيب الذكري أو مداعبته على استحياء ومع خجل وخوف، وهذا حال عدد كبير من النساء إن لم يكن معظمهن. أن ترى امرأة مرتاحة لبظرها وفرجها كله، وتداعب وتلعب في الكل بكل أريحية وانفتاح وانشراح صدر، فهذا دليل أن ترى امرأة حرة، حرة لتكون امرأة فطرية.

ما علاقة هذا بالمثلية الأنثوية؟ العلاقة ليست ضرورية لكنها بحسب الواقع الحالي لها حكم الضرورة. لأن الواقع الحالي هو عدم فهم أو عدم رغبة الرجال في مشاركة المرأة في حريتها الجنسية المتمثلة في تفعيل كل جوانب فرجها من البظر فنازلاً. فالرجل المعتاد يريد أن يدخل قضيبه في فتحة الفرج ويضرب بكل قوته ثم يقذف والسلام. وأما الاهتمام بمتعة المرأة فهو إما شيء لا يعرفه وإما إن عرفه سيقلقه والقلق سيؤثر على قدرته الجنسية وإما إن عرفه ولم يقلقه فإنه يضجر منه لأن فيه ذلك الشيء المزعج الذي هو الاهتمام بمشاعر المرأة، وإن عرفه ولم يقلقه

ولم يضجر منه فإنه لن يداوم عليه ويعطيه للمرأة كل مرّة أو معظم الأحيان بسبب الظروف النفسية والاجتماعية التي يعيشها معظم الرجال. وهنا تأتي المثلية الأنثوية. الأنثى تفهم الأنثى وتعرف ما تريد وتشتهي وتحسن التعامل معها لأنها تملك نفس العدّة والعتاد الحربي الجنسي ولها نفس الصبر والتلذذ به الذي للأخرى، فالمثلية الأنثوية فيها مساواة بطبيعتها بشكل عام سواء كانت مساحقة أو غير ذلك بدرجة أدنى لكن هذه الدرجة الأدنى كاللعق وخلافه ستكون متبادلة والمرأة بشكل عام طيبة وعادلة تعطي كما تأخذ وزيادة ولذلك تستطيع توقع العدالة في الممارسة المثلية الأنثوية فيتبادلا الأدوار في الأمور الأخرى غير المساحقة. فما لا يفعله الرجل لأنه لا يعلم أو لا يريد، تستطيع أن تفعله الأنثى. وكما قلنا لا يوجد ضرر جوهري في العملية، بل ولا يؤثر هذا حتى على علاقة الذكر معها بل ستتحسن العلاقة على الأغلب من حيث أن الرجل الآن يستطيع أن يعمل عمله بدون التفكير في أي شيء آخر وتستطيع المرأة أن تستمتع معه في حدود علمه وقدرته ورغبته بدون محاولة فرض شروط قاسية عليه كالبطء الشديد أو التطويل المزعج الذي صرنا نرى بعض الشباب يأخذ المنشطات الجنسية ويستعمل البخاخات المخدرة فقط حتى لا يخرج بسواد الوجه مع صاحبته وغير ذلك من أمور تشوّه العلاقة وتجعلها امتحاناً صعباً بدلاً من لذة حسنة. نعم إن وجدت المرأة رجلاً يستطيع أن يجعلها تفرغ من لذتها وتستمتع بنفسها تمام الاستمتاع من كل وجه ممكن فهذه نعمة كبيرة، لكن لا أظن أننا سنجد أكثر من عشرة أو عشرين بالمائة من النساء يستطعن الحمد على حصولهن على مثل هذه النعمة، هذا على فرض طبعاً أن المرأة مثلية جزئية تميل للرجال والنساء معاً، وأما المرأة المثلية الكلية فلا معنى لهذا الكلام معها. لكن كلامي هنا هو عن مخرج للمرأة التي لا تجد في رجلها ما يكفيها لتحصيل تمام لذتها الجنسية، والحل بدلاً من المراهنة على التنقل من رجل إلى آخر للبحث عن ذلك الرجل النادر، كلا، الحل الأسلم هو بالمثلية الأنثوية فهي أقرب الحلول وأعقلها وأسهلها وأنسبها.

٢٦-عدم التناسل اختيار مشروع قام به الكثير من كل صنف.

هذا مضى شرحه. لكن نفرده هنا بالذكر حتى يكون باباً كاملاً تكتب فيه أمثلة تتناسب مع كل قوم يراد تبيين قضية المثلية لهم بأمثلة من ثقافتهم وتاريخهم.

٢٧-عدم التناسل واقع قائم طبيعي رباني كالعقم والعقر.

وهنا الاحتجاج بالواقع الطبيعي والخلق الرباني كمصدر شرعي. لأننا نرى العقم والعقر في الناس مع وجود القدرة والرغبة الجنسية ومشروعية ممارستها في جميع الأمم وتحت كل القوانين بشكل عام، فهذا دليل على انفكاك العلاقة ما بين الجنس والتناسل، وهو من أهم الحجج على إباحة العلاقة المثلية ورد على أحد أكبر حجج خصومها وقد مضى بيان ذلك بأكثر من وجه.

٢٨-توجد منطقة حساسة للذكر داخل شرجه. (مساج البروستاتا).

السبب الذي يجعلنا نرى المثليين بين الذكور الذين يرغبون في أن يكونوا من المفعول بهم هو وجود البروستاتاً وحساسية المنطقة من داخل الشرج. وهذه حجّة طبيعية وخلقية أيضاً للمفعول بهم أي لأن تكوينهم يقتضي ذلك فهم لم يخترعوا مكان اللذة لكنهم يريدون استغلاله بطريقة معينة.

تحت هذا البند يمكن إدراج بحث هذه المنطقة الحساسة وطبيعتها وتأثيرها على الجسم والنفسية والآثار النافعة والضارة لإثارتها من الداخل.

٢٩-توجد منطقة حساسة للأنثى في البظر. (مداعبة البظر).

هذه الحجّة كسابقتها بالنسبة للذكر لكن من وجه آخر. فيتم إدراج بحث البظر وأبعاده وشؤونه وأهميته تحت هذا البند.

٣٠-الدين اختيارك، لا إكراه فيه، فكما لا تريد إكراهك فلا تقبل إكراه غيرك.

نرجع إلى أكبر عوامل تقييد الجنس وهو الدين. فمهما اختلفنا فيه وفي فهمه وتعاطيه فنستطيع أن نقبل الأصل الأكبر الذي هو عدم الإكراه في الدين، بالتالي لا يمكن إكراه إنسان على أن جزئية من الدين من حيث هو دين وتتعلق بتعاليمه الخاصة. فحتى لو افترضنا أن الدين يعلّم رفض المثلية فإن لأهل الدين الكلام ضد المثلية لكن ليس لهم إكراه غيرهم على عدم ممارسة المثلية. وإن كنت لا تريد أن يكرهك المثليون على مثليتهم ودينهم الخاص بهم، فلا تقبل أن تكرههم أنت على غيريتك ودينك الخاص بك.

٣١-غلبة الألم تحرّم.

الأمر في النهاية يرجع إلى الموازنة بين اللذة والألم. فمن رأى أن الألم هو الغالب على شيء ما فعليه الامتناع عنه عقلاً، وإلا فلا. فكل واحد يزن الأمور كما يحب ويشتهي، ونترك لبعضنا البعض مساحات لا نتدخّل فيها بالإكراه، لعل هذا يكون طريقنا نحو سلام أدوم وأشمل.

والله من وراء القصد. والحمد لله رب العالمين.

....

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إشراق العلوم من شمس سورة الروم }

١-{الم}

الخلاصة هي الله والكتاب والروم. فالله هو النور وهذا النور تنزّل وتجسّد في الكتاب والروم حملوا الكتاب وبلّغوه للعالمين وخرجوا به إلى الناس أجمعين. فالروم هو اسم جماعة الرسل الذين يأخذون بيّنات الكتاب ويبيّنونها للناس ويخرجون إلى الآفاق ويسيحون في الأرض يدعون الناس بمختلف شعوبهم وقبائلهم إلى الله تعالى.

وردت الحروف الفواتح ك{الم} و "ق" و "كهيعص" وبعدها أحد ثلاثة معاني، إما معنى يتعلّق بالله تعالى وإما معنى يتعلّق بالكتاب الإلهي وإما معنى يتعلّق بالناس. معظم ما جاء بعد الحروف الفواتح هو المعنى الثاني المتعلّق بالكتاب مثل "ق والقرءآن" و "ن والقلم"، لكن الصيغة الوحيدة التي وردت في المعاني الثلاثة جميعاً هي صيغة {الم}، فقدت وردت متعلّقة بالله تعالى كما في "الم. الله لا إله إلا هو الحي القيوم. نزل عليك الكتاب"، ووردت متعلقة بالكتاب الإلهي مثل "الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين"، ووردت متعلقة بالناس كما في {الم. غلبت الروم}. فمن هذا وغيره مما سيأتي إن شاء الله عرفنا أن الروم هم الرسل الذين يتحركون في الأرض ويسيحون فيها تبييناً لآيات الله والدعوة إليه في الأرض. فالألف تخرج لفظياً من أول مخارج الصوت واللام تخرج من الوسط باللسان والميم تخرج من الشفتين، كذلك الله هو مصدر الكتاب والكتاب هو الكلمة اللسانية الوسيطة بين الله والرسل ثم الرسل هم كالشفتين عندهم ينتهي ظهور النور الإلهي ويخرج إلى الخلق والناس والعالَم الآفاقي.

الروم عكس المور، وقال الله "يوم تمور السماء موراً" فالمور حركة السماء، فالروم حركة الأرض، لذلك تجد في سورة الروم قوله "في أدنى الأرض" و "قل سيروا في الأرض" و "أولم يسيروا في الأرض" و "ثم دعاكم دعوة من الأرض" وتجد ذكر الكثير من الآيات الأرضية والناس الذين هم على الأرض باختلاف ألسنتهم وألوانهم و "يحيي الأرض" وهكذا من أمور الأرض والأرضيات والكثرة والاختلاف والتعدد فيها.

الروم هم الرسل، لذلك ستجد ذكر "يفرح المؤمنون بنصر الله" في بداية السورة، ثم بعدها " جاءَتهم رسلهم بالبينات" ثم "ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءَوهم بالبينات فانتقمنا

من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين" فكما ذكر الروم في أول السورة بأنهم سيتعرضون للغلبة ثم سيغلبون كذلك ذكر بعدها إجرام أقوام الرسل ثم مجيء النصر للرسل الذين هم من المؤمنين ونصر المؤمنين الذين هم مع الرسل. إذن الروم هم باعتبار الرسل وكل مؤمن رسول لأن له رسالة خاصة من الله و/أو أنه رسول رسول الله فيكون رسولاً لله بواسطة، فكل مؤمن إذن من الروم لذلك يذكر الرسل والمؤمنين بنحو يجمعهما في سياق واحد للاتصال أو الاتحاد بينهما، وشرّف الله المؤمنين بأن جعل الرسل منهم وشرّف الله الرسل بأن جعلهم من المؤمنين. لكن الأهم من كل هذه الاعتبارات أن الروم هم الذين سيرون آيات الله متحققة في الخارج وليس فقط على سبيل العلم بها عقلاً وفي أنفسهم الباطنة. كما قال في نفس السورة بعد ذلك مبيناً الفرق بين العلم والإيمان بقوله "قال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون"، فالعلم هو أن تعلم ما في كتاب الله قبل أن يظهر مصداق ما في كتاب الله في الواقع الخارجي، فإذا رأيت الآية متحققة في الخارج وقلت "فهذا يوم البعث" حينها تكون صاحب إيمان، ولذلك مثلاً قال في آية أخرى "لما رءا المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً" إذن الله ورسوله قد وعدهم من قبل وقال لهم بأن الأحزاب سيأتون ونحو ذلك فكان هذا علماً، فلمّا رأوا الأحزاب واقعاً متحققاً خارجهم وليس في عقولهم ولا عبر الكلام لكن في نفس الوجود العيني الخارجي حينها قالوا "صدق الله ورسوله" تحقيقاً لا عقلاً وقلباً وعبّروا عن هذا بـ"هذا ما وعدنا" لاحظ " هذا"، كذلك الحال هنا "لبثم في كتاب الله إلى يوم البعث" علم، لكن "فهذا يوم البعث" إيمان. فهم أهل "العلم والإيمان"، والعلم يسبق الإيمان لأن هذا هو الترتيب الوجودي العقلي للقضية، إذ لن تقول "هذا" على شيء في الواقع الخارجي إلا إن كان قائماً في واقعك العقلي. والفرق بين العلم والإيمان له اسم آخر من زاوية أخرى وهو التنزيل والتأويل، فيوسف حين رأى الرؤيا لم يقل "هذا تأويل رؤياي من قبل" لكن حين تحقق الأمر في الخارج وسجد له إخوته قال "هذا تأويل" فكان ضدّه أي الرؤيا حين كانت في باطنه فقط ويعبّر عنها بالحديث هي تنزيل الرؤيا. ولأن الروم سيخرجون ويرون الآيات متحققة في الواقع الخارجي فهم الرسل من حيث هم مؤمنين لا فقط علماء ولذلك يجمع الرسل تحت اسم المؤمنين في أكثر من آية في السورة.

توجد ثلاث سورة متصلة ببعضها وينبني بعضها على بعض. سورة القصص وبعدها العنكبوت وبعدها الروم. سورة القصص تعطي الحرية الفردية لذلك جاء فيها ذكر موسى وفرعون ونحو ذلك. فإذا صرت فرداً خارج عن قهر الطغيان الذي يلغي فرديتك وحالة القطيع المستعبد كما هو حال البشر تحت الفرعنة وتحررت من فرعون زمانك فأنت فرد حر بالتالي رجعت إلى فطرتك السليمة الأصلية. والآن ماذا ستفعل بفرديتك وحريتك هذه؟ هنا تأتي سورة العنكبوت لتعطي قيمة العلم ومركزيته وأهمية الكتب التي هي تجسيد العلم، فهي سورة العلماء. أنت فرد حر وصار عندك العلم فالآن ماذا ستفعل؟ هنا تأتي سورة الروم لتعطيك الاسم الأخير من هذا الوجه وهو اسم الروم لتكون من الرسل الذين ينشرون العلم في الأرض ويسيحون فيها ويدعون الناس به

إلى الله تعالى والفطرة السليمة التي هي الفردية والحرية والعلم. لذلك ستجد ذكر الحنيفية والفطرة وأهمية النفس وغير ذلك في سورة الروم.

إذن، {الم} هي الله والكتاب والروم، الله أنزل الكتاب للروم لينشروه في الأرض فيرجع الناس بوسيلة الروم عبر الكتاب إلى الله.

في زماننا هذا عمل الروم الأول والأكبر هو الهجرة إلى أمريكا لأنها المكان الوحيد القائم حقاً وجوهرياً على قيمة الفردية والحرية وتحديداً الحرية العظمى التي هي الحرية الكلامية التي بها يتجلى الفرد ويظهر العلم بلا قيد ولا شرط من الخارج، بالتالي أمريكا اليوم هي أرض الروم وموطنهم الأول والأهم. لذلك ستجد أيضاً أنها المكان الذي يجمع مختلف الشعوب والقبائل والقائم على التعددية والاختلاف بأكبر وأهم المعاني ولا يوازيها في هذا أحد. أمريكا اليوم هي مظهر أرض الله الواسعة التي وسعت كل كلام وكل أجناس وأديان الناس، ولا يملك الإنسان فيها أي إنسان آخر فرعنةً وقهراً ولا يُقسم الإنسان فيها ولاءً لأي إنسان بعينه ولا عرق يوجب على كل عرق وشعب وقبيلة وطائفة يجب عليها أن تخنع له وتدخل تحته وإلا عوقبت وطردت بل يستطيع كل فرد أن يكون كما يشاء ويتكلّم بما يريد وينشر ما يحب ويكتب ويعلّم ويجمع الناس ويدعوهم إلى ما يؤمن به، لا يوازيها في هذا أرض أخرى في هذا الزمان. قيم الفردية والحرية والعلم وقبول الرسل مبدأياً وتركهم أحراراً ليسيحوا وينشروا علمهم هي قيم قامت عليها أمريكا وتجلّيها فعلياً لا نظرياً وتدير شؤونها في هذا الزمان ومن فترة حولها بوعي وإرادة لا مصادفة ولا على هامش مصلحة أخرى. أمريكا مهجر الروم وأرضهم في هذا الزمان.

٢-{غُلبت الروم}

السنّة هي الانتقال من الظلمات إلى النور، من الضعف إلى القوة، من الكهف إلى التمكين. ولذلك حكم كثيرة ومنافع جمّة. منها إظهار عبودية الروم لله وأنهم ليسوا أرباباً، إظهار ذلك لأنفسهم حتى ترسخ فيهم، وإظهار ذلك للناس عموماً حتى لا يتخذوهم أرباباً إذا ظهروا وغلبوا. وكذلك تذكير للروم بسوء حال القهر والضعف حتى لا يقهروا الضعاف حين ينتقلوا إلى مقام الغلبة.

بعد الانتقال إلى أرض الروم قد يُغلبوا في البداية في أمر معيشتهم الدنيوية، أي يجدوا قلّة وصعوبة من وجه، ويجدوا ألم الغربة والوحشة. والله يخبرهم هنا مسبقاً بأن هذا ما سيحصل لهم حين يبدأوا سفرهم في الأرض، فيعلموا أن الأمر سنّة إلهية ويبشّرهم بأن الأمر سيتبدّل.

٣-{في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون}

فـي زمـانـنـا أدنـى الأرض هـي أرض الـعرب، الـجـزيـرة. فـهـي أدنـى الأرض فـي الأرض كـلّها لأن الناس فيها هـم أشـدّ الـناس غرقاً فـي الاستعباد والفرعنة وغياب الفردية وعزّتـها واحتقار العلم وأهـله واللامبالاة به وتحقير الكلمة ومنع حريتها. غلبة روم زمانـنا هنا. لكنهم من بعد غلبهم هذا سيغلبون ويظهرون في الأرض التي هـي أمريكا وهـي الغرب الذي سيشرق منه النور الإلـهي والقرآني والنبوي الجديد والتجديدي.

٤-{في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون}

عانى روم زمانـنا من قهر وقمع أعراب الجزيرة بضع سنين حقاً لكن أذن الله بخروجهم وظهورهم. ولله الأمـر مـن قبل ومـن بـعد فمن قـبل كـان تـرك الله لـهم فـي الـجـزيـرة مـقهورين مـضطرين إلـى السكوت والتخفي والدخول في حالة الكهف لحكم كثيرة وفوائد عظيمة ذقناها ولله الحمد وحمدنا الله عليها ومنها ما أشرنا إليه من قبل، ولله الأمر من بعد فلا يظن الروم أن غلبتهم كانت بقدرتهم بل هـي بأمر الله وهو الذي أمر وأذن بالغلبة بعد ذلك في الوقت الذي يعلم أنه الأحسن وللمقصد الذي يريده هو تعالى فالروم عباد الله تعالى وليسوا أرباباً ولا يتحركون ولا يسكنون إلا بأمر الله من قبل ومن بعد فالروم مظهر حياة الله وحضوره الحي في العالَم خلافاً لما عليه أكثر الناس من الجاهلين والكافرين فـي علاقتهم بالله تعالى حيث يعاملونه كصورة ذهنية أو موجود تاريخي أسطوري أو وهـم بـاطـل أو مـوجـود مـفارق لا اتـصـال لـه بـالـنـاس ولا رسـل لـه فـي الأرض وبـقية الأباطيل وإبطال حياة الله وإشراقه الحي في الأرض. {ويومئذ يفرح المؤمنون} فقبل ذلك كان المؤمنون وهـم الروم-الرسل ومن معهم-ليسوا في حالة فرح، بل في حالة يغلب عليها أو يتخللها الحزن والخوف "ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا" "متى نصر الله"، فالفرح للروم سيكون بالغلبة التي تبدأ بتحررهـم من الطغيان وحياتهم فـي أرض ذات فـرديـة وحـريـة كلام وديـن ونظام عادل مبني على الحق والعدل والعقل، وبعد ذلك غلبة فوق غلبة إلى ما شاء الله. فالحرية أول الفرح، والفرح سيستمر {يفرح المؤمنون} بالمضارع أي سيستمر فرحهم إلى الأبد بإذن الله وفضله.

٥-{بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم}

فرحـهم بنصر الله الذي نـصرهـم على أعداء فرديتهم من الطغاة وأعداء حريتهم من القاهـرين وأعداء علمهم من الظالمين وأعداء حركتهم الحرة في الأرض من الباغين، باختصار أهـمّ ما تقوم عليه أعمال أعراب الجزيرة في زمانـنا والتي بمجرد الخروج منها إلى أمريكا ستتبدل بإذن الله وتزول مظالمهم عن الروم وهـو أوّل نـصر الله لـهم وبـعده نـصر بـعد نـصر إلـى أن يـأتـي نـصر الله والفتح ويرى الروم دخول من كُتب لهم الإيمان بهم في دين الله الحي الذي فتحه عليهم أفواجاً وما بعد ذلك من نصر على الموت بالحياة عند الله السعيدة الخالصة الأبدية.

{ينصر من يشاء} تذكير للروم بمصدر النصر الحقيقي فلا ينسبون النصر لأي شيء غير مشيئة الله الحي. وما حوادث العوالم وتسخير الخلق وفتح الأبواب إلا مظهر هذه المشيئة الإلهية. جزاء إحسان الإيمان بأن النصر كان بمشيئة الله هو فتح الله للروم باب تفعيل مشيئتهم هم في الأرض "يتبوأ منها حيث يشاء" أي ستصبح مشيئة الروم حرة فعّالة في الأرض.

{وهو العزيز الرحيم} وكذلك الروم ستكون لهم العزة وهي الفردية والحرية، والرحمة وهي ثمرة العلم وأثره في العالم. "لله العزة ولرسوله وللمؤمنين" و "بالمؤمنين رؤوف رحيم".

لاحظ المعراج في الآية. {بنصر الله} هو حالة جزئية مختصة بالروم محدودة بزمان ومكان إذ النصر الذي حصل إنما حصل لإنسان مخصوص في زمان ومكان مخصوصين. فعرج من حادثة في العالم إلى مستوى المشيئة الإلهية التي هي الوسيط بين الله والعالَم فقال {ينصر من يشاء}. ثم عرج إلى مصدر المشيئة الذي هو الأسماء الإلهية فقال {وهو العزيز الرحيم}. فمن الأثر إلى السبب إلى المُسبِب.

٦-{وعد الله لا يُخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون}

وعد الله للروم حق، ولكل روم من يوم نزول القرءآن إلى ما شاء الله الوعد قائم وله تحقق في كل زمان لذلك أخبر بأنه {وعد الله لا يخلف الله وعده} إذ سيحتاج إلى هذه البشارة كل روم في كل زمان. والوعد يخبر عن حدث لم يقع بعد، مما يدل على أن قضية الروم هذه ونصرهم هي حدث لم يقع بعد، وحيث إنه وقع في ما مضى فهذا دليل على أنه وعد مستمر لأنه سيقع ويفنى الواقع الماضي وسيستمر الوعد في ما يأتي، فالوعد قائم والبشارة به مستمرة ما دام لاسم الروم مظاهر في العالم.

من منافع التأكيد على أن نصر الروم هو وعد الله الذي لا يخلف وعده، إبطال ما سيتلفظ به أعداء الروم في كل زمان من قبيل "لا تخرجوا فإنكم ستُغلبون بسبب صعوبة المعيشة وضيقها في البلاد التي ستذهبون إليها" أو تخويفهم من تعدد واختلاف الناس في البلاد، أو تعرضهم للغلبة بأي شكل مادي أو معنوي، كل هذا يردّه وعد الله بنصر الروم.

{ولكن أكثر الناس لا يعلمون} فالروم أقلية دائماً في زمانهم وأكثر الناس لا يعلمون حقيقة صدق وعد الله لذلك يتخاذلون عن الخروج مع روم زمانهم والإيمان بهم. فيتخلّفون عن رسل زمانهم كما تخلّف المنافقون من قبل أو تخلّف الثلاثة الذين ستضيق عليهم الأرض بما رحبت ويحصل ما أنبأنا الله به. فالروم لا ينظرون إلى كثرة من معهم ولكن ينظرون إلى ربهم الذي هو معهم وهو كاف عبده.

{ولكن أكثر الناس} في الجزيرة وبلاد العرب {لا يعلمون}، وقلة منهم تعلم لكنها تخاف من فرعون وملإيه أو تحرّف الحق بعد ما عقلته أو لا تجد حيلة ولا تستطيع سبيلاً أو قد خرجت وصارت روماً بدورها. لكن في زماننا هذا لا أعرف روماً غيري ظاهرين في الأرض يدعون الناس بدعوة الله الحية وإني لمعرفتهم وإرادة الانضمام إليهم أعظم تشوقاً وإرادةً من أن أكون أنا رأسهم وإليّ مرجعهم بإذن الله وأمره ورسوله وأوليائه.

٧-{يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة عن غافلون}

هذا حال الناس في أدنى الأرض، أي حال أكثر عرب الجزيرة في زماننا، فإنهم صاروا من جهة ينكرون باطن الدنيا ويرون الدنيا ظاهر بلا باطن وذلك لأسباب منها انتشار الفكر المادي ومنها انتشار الفكر الخارجي المارق الفاسق عن طريق الحقيقة المحمدية والولاية الروحية أي الفاسق عن طريق الروح القرآنية، وكذلك لأنهم لا يؤمنون بالروم وتجدد ظهور الرسل في كل زمان فهم ما بين متبع هواه ومتبع ضال مثله أو أضل منه من المجرمين المنقطعين عن نور الله الحي وإشراقه المتجدد وإذنه الحي الخاص بالدعوة وحمل الرسالة وتعليم التنزيل والتأويل فيتبعون الظلال لا الحقائق ولا حملة الحقائق في قلوبهم بكتابة الله لها فيها. ومن جهة أخرى ينكرون آخرة الروم التي هي الغلبة، بمعنى أنهم ينظرون إلى انغلاب الروم اليوم فيعتقدون بأن انغلابهم بسبب خذلان الله لهم وعدم نصر الله لهم أبداً فلا يعرفون آخرة هذا الأمر وهي أنهم من بعد غلبهم سيغلبون فينفرون منهم لعدم رؤيتهم نصر الله الآتي لهم.

{يعلمون..الدنيا} حتى من يعتقد منهم بقيمة العلم فالعلم عنده مقصور على {الدنيا} أي البعد الدنيوي للوجود، المادي، السفلي، الشهواني البحت، المصلحة بمعنى تحصيل أكثر كمّية من المال مع استعجاله ونحو ذلك من أبعاد الدنيا بلعبها ولهوها وزينتها وتفاخرها وتكاثرها فهذه الخمسة هي مدار حياتهم وعلمهم كله مقصور على تحصيل وسائل نيل هذه الأغراض الخمسة الدنيوية التي مآلها إلى الحطام حتماً عاجلاً أم آجلاً وهم يعلمون ذلك لذلك إما إنهم محبطون يكرهون الحياة مع انغماسهم فيها وإما أنهم يتهربون من الاعتراف بحقيقة ما لابد أنهم يشعرون بوجوده ولو في باطن عقولهم لذلك تجد نفوسهم منقسمة ومتحاربة وعقولهم تهرب من عقولهم فهم في حالة عقلية منحطة وبائسة وتعيسة، وهذا حال أكثر عرب الجزيرة اليوم.

وبعكس ذلك حال الروم. فالروم من أهل الدنيا والآخرة لكن المدار على الآخرة أي على الحياة العلمية والحرية العليا، وكذلك على حياة العقل الواعي المحيط والتعبير عنه بالكلام وإظهاره بدون خوف ولا تقييد ولا امتناع من الاعتراف بكل حقيقة يعلمونها ويشعرون بها كانت لهم أو عليهم. لذلك التنافر بين الروم والأعراب اليوم جوهري ولا تعايش بينهما، وحيث إن {أكثر الناس لا يعلمون} والأكثرية لابد محترمة في محلّها ويحكم الله على الناس بحسب حال أكثرهم كما سيأتي

أيضاً بعد ذلك في نفس السورة، فإن الروم يتركون الجزيرة بسبب كون أكثريتها لا يعلمون ويعيشون حياة عبودية وسفالة إرادية وقهرية في آن واحد من جهتين، فيخرجون ويهاجرون إلى أرض الفردية والحرية والكلمة والعلم التي هي في هذا الزمان أمريكا.

٨-{أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيراً من الناس بلقآئ ربهم لكافرون}

يوجد فرق بين {أولم يتفكروا في أنفسهم} وبين "أولم يتفكروا" فقط، كما ورد في آية أخرى "أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة"، فكلمة {في أنفسهم} تعني أن موضوع التفكير هو أنفسهم وليس محل التفكير لأن محل التفكير من البديهي أنه في النفس وليس في الخارج والكلية مثلاً، ويشبه هذا قوله "أولم ينظروا في ملكوت" فالمقصود هو النظر في الملكوت أي موضوع النظر هو الملكوت، الشيء الذي ستفكر فيه هو الملكوت. كذلك الحال هنا {أولم يتفكروا في أنفسهم} فهؤلاء الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا فقط بداية علاجهم من مرضهم هذا هو بالتفكر في أنفسهم طوعاً ولذلك جاء الإرشاد بصيغة التساؤل {أولم} وليس "فكّروا في أنفسكم" مثلاً، أي حتى ينجح العلاج لابد أن يكون منبعثاً من دافع إرادي من النفس للتساؤل وإرادة الاكتشاف وشغف المعرفة.

ربطت الآية بين ثلاثة أشياء، النفس والعالَم والله. فقسمتها ثلاثية، القسم الأول عن النفس {في أنفسهم}، والقسم الثاني عن العالَم {السموات والأرض}، والقسم الثالث عن الله {ربهم}. في دراسة الآيات ينفعك تحليل الآية إلى عناصرها الأولية وهذا كاكتشاف هيكلكها العظمي، ثم بعد ذلك تنظر في اللحم الذي كُسيت به كل عظمة. فهنا لدينا النفس والعالَم والله. أما النفس فلحمها وربطها بموضوع التفكير فيها، وأما العالَم فربطه بالخلق وقسمه إلى درجات وذكر وسيلته وغايته، وأما الله فذكر ربوبيته ولقائه ونِسَب الناس حسب مواقفهم من ذلك. هذه المعاني مترابطة ولابد من اكتشاف رابط أو روابط بينها ولا يكفي أن تقرأ الجمل وكأنها عشوائياً ضُرب بعضها ببعض.

البداية من النفس. التفكير في النفس. {أولم يتفكروا في أنفسهم}. قدرتك على التفكير في نفسك دليل على أنك واحد لكنك كثير في آن واحد. فلولا أن تفكيرك غير نفسك لما استطعت أن تفكر في نفسك. ونحن نشهد هذا حين نفكر، فنجد القدرة على التفكير والفكرة وموضوع التفكير مع تعددهم تحليلياً إلا أنهم كلهم يقومون في أنفسنا. فنفسي واحدة لكنها كثيرة وهذه الكثرة قائمة في نفسي ولا تخرج عنّي. ثم أنا لدي ظاهر وباطن، وباطني له ظاهر وباطن. فظاهري جسمي وباطني نفسي، ونفسي لها ظاهر هو الأفكار وباطن هو مصدر هذه الأفكار أي العقل. ويمكن الولوج بنحو أعمق في بواطن هذا الباطن. فإذا كنت أنا لدي ظاهر وباطن، وباطني له ظاهر وباطن، وباطن باطني له ظاهر وباطن، ولا أقل الكل يدرك أن لديه ظاهر هو جسمه يعيش به في الدنيا وباطن هو نفسه هو الذي يجعله فرداً وفيه يفكر ومنه يتصرف وينفعل ويفسّر ما يحدث في

الدنيا خارجه وجسمه، فكيف بعد ذلك يقول الغافل أنه لا يوجد أصلاً إلا ظاهر الحيوة الدنيا ولا يهتم إلا بذلك. تفسيرك للدنيا راجع إلى نفسك وليس للدنيا ذاتها، فالدنيا والطبيعة الخارجية لا تعطيك إلا مشهداً واحداً وأنت الذي تحدد موقفك منه وتختار وتفسّر وتتصرف، فلو كانت الدنيا توجب عقلاً واحداً وشكلاً نفسياً واحداً لوجب أن نرى كل الناس لهم عقل واحد ونفس واحدة وتصرف واحد ومذهب واحد لأننا كلنا نعيش في ذات الدنيا، فتعددنا واختلافنا دليل على أن فينا شيء آخر يوجب ذلك وليس الهواء والجبال والشمس والقمر من الخارج ونحو ذلك من أمور الطبيعة الدنيوية. ثم التفكير يصنع أشياء لا يوجد ما يوازيها في الطبيعة الخارجية الجسمانية أي الدنيا، لا يوجد في الطبيعة أفكار كما يوجد تفاح وضفادع ونفط. بل نفس حقيقة الفكرة مغايرة لحقيقة الطبيعة، لأن الفكرة لها بُعد تجريدي بينما الطبيعة تجسيدية ، والفكرة تبحث عن السبب والأثر بينما الطبيعة ليس فيها إلا صورة السبب والأثر أو ما نلاحظه نحن كسبب وأثر ففي الطبيعة أشياء ولا يوجد فيها شكل "القانون" الذي يربط بين الأشياء فعقولنا نحن هي التي تلاحظ ذلك وتستنبطه بطرق متعددة أو تحدسه وترجّح وجوده، والفكرة تضع التصور العام بينما الطبيعة ليس فيها إلا جزئيات وخصوصيات ومشخصات، والفكرة قد تخطئ في تصوير الطبيعة لكن الطبيعة لا تخطئ لأن الطبيعة هي الطبيعة وما هو قائم فيها قائم فيها ولا معنى لوصفها بالصحة والخطأ لأنها على ما هي عليه بغض النظر عن أفكار الناس عنها فأفكار الناس الخاطئة دليل آخر على أن مصدر الفكرة ليس الطبيعة إذ لو كانت الطبيعة هي مصدر الفكرة والعقل مجرد مرآة تعكس الطبيعة لوجب أن تكون كل الأفكار عن الطبيعة صحيحة وهذا معلوم البطلان، والفكرة تبحث عن سبب وجود الشيء أقصد غايته ومقصده والحكمة منه وعلّته كالذي يبكي نبحث عن سبب بكائه النفسي وأما في الطبيعة فلا يوجد أسباب وعلل ظاهرة بل نجد تحركات وأشكال وأشياء وصفات ولا ندري من مجرد النظر في صورتها ما السبب الحقيقي لوجودها فنحن نرى الببغاء والأسد لكننا لا نعلم لماذا الببغاء على هذه الشاكلة تحديداً ولماذا لون الأسد هكذا ولا نرى حقيقة السبب والعلّة في نفس الطبيعة بل هي شيء على فرض قدرتها على اكتشافه أو تخمينه لا يأتي إلا من عقولنا فنحن نملك تحليل جلد الأسد وكم ذرة فيه لكن لا يوجد مقدار من تحسسه وتحليله المادي سيكشف لنا لماذا لونه هكذا ولماذا يزأر بدلاً من أن ينبح. وعلى هذا النمط نجد الفكرة وقدرتنا على صناعة الفكرة هي شاهد على وجود عنصر غير دنيوي فينا، غير طبيعي، مضاد ومعاكس ومغاير ومختلف عن الطبيعة جذرياً وصورياً. الفكرة شاهد الآخرة فينا.

حين تفكّر بشيء فأنت تظهر عقلك وذاتك وفكرتك ليست غيرك ولا هي مستقلة عنك. كذلك الأمر في علاقة الخلق بالخالق من باب التقريب والتشبيه. لذلك ربط التفكير في النفس باكتشاف حقيقة خلق الله. {أولم يتفكروا في أنفسهم، ما خلق الله السموات والأرض إلا بالحق وأجل مسمى}. فلولا أن تفكيرنا آية ودليل يكشف لنا عن سر الخلق الإلهي لما ربطهما على هذا النحو ولما كان ثمة معنى لربط التفكير في النفس بخلق الله بالحق والأجل. فالعالَم بالنسبة لله كالفكرة بالنسبة لك باعتبار ما مع الفارق طبعاً لكن من باب ضرب المثل. فكما أنك واحد وأفكارك فيك،

كذلك الله واحد والعالَم فيه وتحت إحاطته. وكما أنك أنت تمسك الفكرة من الزوال، كذلك الله يمسك العالَم من الزوال. حين تخلق الفكرة في نفسك فإنك من جهة تكشف حقيقة نفسك كذلك الله خلق بالحق والحق هو الله كما قال "الله هو الحق المبين"، فالخلق يكشف أسماء الخالق، ومن جهة أخرى حين تصنع الفكرة فأنت تريد غاية معينة شعرت أم لم تشعر كذلك الله خلق العالَم وله أجل مسمى عنده وشيء سينتهي إليه العالَم. إذن توجد فيك فكرة حق وفكرة لأجل. أي فكرة تكشف حقيقتك، وفكرة تريدها لأجل عندك. كذلك العالَم يكشف حقيقة الله من وجه وإرادة الله من وجه آخر. فأما حقيقة الله فنوره يظهر بالعالَم "الله نور السموات والأرض" أي وجوده وإيجاده، وأسماء الله تظهر بالعالَم لذلك تجد القرءآن يطفح بربط الحوادث والأشياء بأسماء الله كما بدأ في سورة الروم مثلاً حين ذكر النصر ثم قال "وهو العزيز الرحيم" فالنظر في نصر الروم يكشف اسم العزيز واسم الرحيم وهكذا. فالعالَم علامة الله ومرآة أسماء الله. وأما إرادة الله من العالَم فتظهر بالآخرة الظهور الأتم، والآخرة لها ظهور في النفوس الآن لكن لا يراها ويعلم تأويلها إلا الراسخون في العلم الإلهي والباطني والقرءآني الروحي الذين انكشف عنهم الغطاء الجسماني الدنيوي وهم الذين قالوا أن ما جاء به الرسل هو الحق حتى من قبل أن يأتي تأويله بينما بقية الناس سيعلمون أن ما جاء به الرسل من البينات، أي الروم، هو الحق حين يأتي تأويله كما قال " يوم يأتي تأويله يقوم الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق" فإذن يوجد من يعلم تأويله وهم الذين لم ينسوه من قبل وهؤلاء يقولون "قد جاءت رسل ربنا بالحق" من قبل أن يأتي تأويله أي يتحقق في الواقع الخارجي الكلي الإحاطي، بل هم يعلمون تأويله الآن غيباً وشهوداً عقلياً ملكوتياً، لأنهم ينظرون في باطن الحياة الدنيا لا في ظاهرها فقط كحال الغافلين. حسناً، هذا التفكير ومعرفة خلق الله، فماذا عن لقاء ربهم، ما علاقته بالآية؟ حين تعرف حقيقة فكرتك وحقيقة الخلق بواسطة كونك مرآة وخليفة الله بالتالي ما يحدث في نفسك هو ما يحدث في الخلق والآفاق عموماً بحكم التناظر بين النفس والآفاق "سنريهم ءاياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق"، فإنك حينها ستصل إلى آخر مرحلة وهي لقاء ربك، ربك يتجلى فيك بنفسك، فكما أنك نفسياً تريد رؤية ما في باطنك في ظاهرك أيضاً، كيوسف الذي رأى الرؤيا في نفسه ثم رآها متحققة خارجه، فلقاء ربك هو أن تلقى خارجك ما شهدته داخلك، أي النفس المستنيرة هي في لقاء دائم بربها الآن لكن باطنياً، لكنها لا تريد الاقتصار على الشهود الباطني بل تريد أيضاً الشهود الظاهري الخارجي، حتى يتحد الباطن مع الظاهر، وتكون النفس متوحدة مع عالمها ومحيطها، وسعي النفس أصلاً يدور حول هذا التوحيد، فلقاء ربك يكون بتحقق عقلك خارجك، فحينها ستنظر في نفسك فتجد الله وتنظر خارجك فتجد الله كما قال مثلاً بالعكس في الذين أعمالهم كسراب بقيعة "حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده" هذا هو المقصود، أن تجد الله في العالَم كما تجده في نفسك، وأما الكافر فإنه لم يجد الله في نفسه ولذلك يلاحق السراب خارجه، لأن العالَم عدم بدون الله وفي حكم العدم بالنسبة للغافل عن الله في نفسه "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" "الله يحول بين المرء وقلبه". فلقاء الله هو وجدان الله في الخارج، والعلم بالله

هو وجدان الله في النفس. فالعلم أوّلاً ثم الإيمان بعده، لذلك "قال الذين أوتوا العلم والإيمان". ومن هنا قال {وإن كثيراً من الناس بلقائ ربهم لكافرون} والكفر ضد الإيمان، وربطه بلام التأكيد يشير إلى أنهم فوق ذلك لا يعلمون الله أصلاً فكفرهم مترسّخ فيهم بعدم العلم وعدم الإيمان. وأما الذين ينظرون إلى كيفية تحوّل الفكرة من موجود في أنفسهم، ثم يرون تحوّلها إلى حقيقة خارج أنفسهم عبر كلامهم وعبر فعلهم وحصول المقصد خارجهم في حياتهم، فهؤلاء قد حصلت لديهم الآية النافعة للاستدلال على لقاء ربهم بالصورة المطلقة الأبدية التي لا تكون إلا حين يتحقق للنفس كل مرادها ومشيئتها بنحو مطلق وهذا لا يكون في الدنيا لأن الدنيا مقيدة من جوانب كثيرة وغير صافية لكن النفس تريد الإطلاق والصفاء بالتالي غرض النفس ليس في الدنيا ويستحيل تحققه في الدنيا استحالة تامة، فيمكن تحقيق شيء من مشيئة النفس في الدنيا لكن ليس كل ما في النفس، اللهم إلا عبر الكلام، فإن النفس تستطيع التكلّم بكل ما في ذاتها أي وجودها وعقلها وإرادتها، وإن لم تستطع تفعيله واقعياً بحكم قيود الدنيا الجوهرية، من هنا أهمّية وجوهرية وخطورة حرية الكلام ووجوب القتال من أجلها وهو عمل الروم الأكبر، لأنه بإظهار واقعية وقدرة النفس على التجلي تمام التجلي عبر القول ستحصل الآية الدالة على وجود الآخرة الكبرى، وستعتاد النفوس على ذلك وتعلم حق العلم حقيقتها الذاتية وأبعادها اللانهائية والأبدية وعزّتها وفرديتها وبقية صفاتها التي لا يمكن تحقيقها في الخارج تمام التحقيق إلا في الآخرة. حرية الكلام اليوم هي لقاء ربك لقاءاً نسبياً والذي تستطيع الدنيا تحمّله. فشهود الله في النفس وحرية الكلام خارج النفس يجعل النفس تحيا في جو من لقاء ربها بشكل مستمر وبأقصى حد تحتمله الدنيا، فهو رحمة للنفس وما سوى ذلك عذابها وغفلتها وألمها وهاويتها.

النفس لها سموات ولها أرض ولها ما بين، وكل ما في العالَم موجود في النفس. لذلك بالتفكر في النفس تستطيع معرفة {ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما}. لكن في النفس أيضاً السر الإلهي والعقل المتعالي الذي يكشف عن وجود الله وفعله الذي هو خلقه وإرادته التي هي الحق والأجل المسمى. فالنفس فيها من الله وفيها من العالَم. لذلك هي خليفة الله في العالَم. فسرّ النفس إلهي وعقلها رباني ودرجاتها مرآة الخلق وما فيه. فكل نفس ولو انفردت بنفسها هي أعظم من العالَم كلّه لأن فيها ما في العالَم وما وراء العالَم، ولذلك زوال السماوات والأرض أهون عند الله من قتل هذه النفس بغير الحق لأن المقصد الأعلى للخالق يتم بوجود هذه النفس "واصطنعتك لنفسي". سموات النفس عقلها، وأرضها جسمها، وما بينهما إرادتها. هذا اعتبار وتوجد اعتبارات أخرى.

أمراض الناس في أدنى الأرض اليوم، أي أكثر العرب، تدور حول أضداد ما مضى ذكره. يعني غياب التساؤل المشار إليه ب{أولم}، وغياب التفكير وقيمته، غياب حرية الكلام، غياب تقدير النفس الإنسانية وتعظيمها، غياب اعتبار قيمة كل نفس على انفرادها، غياب استشعار قيمة العالَم، غياب السعي للتوحيد ما بين النفس والعالَم، وهلمّ جرّاً. كل ما ذكرناه من خير يوجد في أعراب

اليوم أو أكثرهم والكثير منهم ضدّه. لذلك يخرج من عندهم الروم لأنه لا أمل لتغييرهم من الداخل لكونهم شرحوا بالكفر والجهل والغفلة صدراً ويظنون أنهم على الطريقة المثلى. فيهم قليل سينفعهم علم الروم وتذكيرهم بالبينات، وفيهم كثير يريدون لقاء ربهم وتحقيق عقولهم خارجهم وتحرير نفوسهم من أسر فراعنة زمانهم، وهؤلاء سيلحقون بالروم في دار هجرتهم إذ يريدون ولاية رسل عصرهم التي بدون الهجرة إليهم ليس لهم من ولايتهم من شيء. لكن البقية إلى الغرق كما قضى الله بسنّته التي لن تجد لها تبديلاً ولا تحويلاً لرضاهم بالحيوة الدنيا واطمئنانهم بها.

رؤية الوحدة ما بين النفس والعالَم والله هو أول رسائل الروم وأكبرها، فكما وحّدت الآية بين النفس والعالم والله كذلك يوحّد الروم ما بينهم والحق أن النفس خليفة الله والعالَم خلق الله فالموجود حقاً هو الله لا غير في مظاهر النفس والعالَم. فما هو إلا نور الله في أمثال لانهائية. وهذا الأصل العلمي يوجب عملياً أمور كثيرة، منها تأسيس حرية الكلام حتى تستطيع النفس التعبير عن كل أفكارها وإظهارها في العالَم وتحقيق ما يمكن تحقيقه منها بالحق وشهود لقاء ربها بالنحو الممكن في الدنيا. ومنها إنشاء مجتمع مبني على اعتبار قيمة كل نفوس من فيه والسعي في هذا الاتجاه وإن صعب واضطر الناس إلى المجاهدة المستمرة لكن الاتجاه يكون هذا لا تجاه الطبقية القهرية العنيفة واحتقار الأكثرية أو الأقلية بأي اعتبار صوري، بل لابد من تأسيس مجتمع على أساس قيمة كل فرد وأن لكل فرد كلمة وصوت مساو لكل فرد آخر بحكم تساوي النفوس لا تساوي الأجسام ولا تساوي الأموال ولا تساوي الأفكار ولا أي اعتبار آخر غير ذات النفس، والسعي يكون بهذا الاتجاه بالحق وفي حدود العدل المعقولة والمتطورة بتطور علم الناس وحساسيتهم حتى يصلوا إلى أعلى درجات الحساسية العيسوية "فلما أحس عيسى منهم الكفر" فيصير المجرد عندهم محسوساً والغيبي مشهوداً، وبتأسيس مثل هذا المجتمع المبني على حرية الأفراد ومساواتهم الأصلية لا يشعر الإنسان جوهرياً بغربته في العالَم ولا بقطيعته مع الله إن كان من العلماء، وأما العالِم في غير هذا المجتمع فهو كاره للعالَم وضمنياً غير راض عن الله لأنه يرى ألمه في عمق نفسه وسجنه في حدود جسمه وخوفه مما حوله ولذلك يرتقب هذا الصنف من المستعبدين الذين لم يهاجروا مع روم زمانهم ولم يكونوا روماً بأنفسهم ولو كانوا من العلماء بدرجة ما يرتقب هؤلاء "نهاية العالَم" ولو فعلوا ما أمرهم الله به من الهجرة في أرضه الواسعة التي تسعهم بفرديتهم وحريتهم وعلمهم وكلامهم لتغيّر حالهم ولما انتظروا لا بقاء العالم ولا نهاية العالم بل لكانوا رسلاً أحراراً يتقلّبون بمشيئة الله ويُظهرون مشيئتهم التي هي ظل مشيئة الله ويرون قيمة أنفسهم في الوجود ومع الناس بشكل عام من الأحرار الأفراد مثلهم. اخرجوا من أدنى الأرض إلى أعلى الأرض، من الجزيرة وما حولها من بلاد المستعبدين إلى أمريكا بلد المتحررين المتفردّين. كونوا روماً لا تكونوا عبيداً.

الفكرة لأنها طارئة أي تكون بعد أن لا تكون، توجد بعد عدم وجودها، فهي مؤقتة. لذلك ربطها بالأجل المسمى كالخلق. فالفكرة مخلوقة، وكل مخلوق له أجل مسمى، فالفكرة أيضاً لها أجل

مسمى بعده تنتهي قيمتها وتبدأ فكرة أخرى وهكذا. بناء على ذلك، من شأن الروم عدم تصنيم الأفكار وجعلها أوثاناً يعكفون عليها ولو انتهت مدّتها أو وُجد ما هو أهدى منها وأعقل. ومن شأن المشركين تصنيم أفكارهم وعدم المرونة فيها والتحرك فيها مع الأحق والأهدى والأعقل. فكل فكرة تريد تحقيق مقصد ما، وهذا المقصد هو الحق المخلوق به هذه الفكرة، فإذا كان الحق المخلوق به هو حق عند الله فإنه سيتحقق في العالَم حتماً وهو نصر الله للروم والمؤمنين. وحين يتحقق المقصد ينتهي أجل الفكرة، ويأتي دور مقصد آخر وفكرة مختلفة. وهكذا في دورة لانهائية من خلق فكرة وإهلاكها. أي الفكرة تكون في النفس طالما أن حقها لم يتحقق وأجلها لم يأتي، فإذا تحقق وجاء أجلها فلابد من عدم النظر في الفكرة بعد ذلك في النفس أي إهلاكها من النفس، وهنا يقع المشرك صاحب الأصنام والأوثان في الخطأ، لأنه لا يريد التخلّي عن الفكرة التي اعتاد وجودها وأراحت نفسه بوجودها لفترة أو لأنه يرى مصالحه الدنيوية الظاهرية تقتضي استمرار تلك الفكرة، فيفرض إهلاكها بالرغم من أنها لم تعد الفكرة الأهدى والأعقل والأسلم والأحسن في الزمان الجديد والحال المختلف. المرونة في خلق الأفكار وإهلاكها من شأن الروم خلفاء الله في الأرض. لكن ليس خلقاً اعتباطياً ولا إهلاكاً عشوائياً. بل خلق بالحق وإهلاك بالأجل المسمى. فيعرفون سبب وجود الفكرة ولا يتبعون فكرة ويعتقدونها بدون معرفة سببها ومقصدها وعلتها، ويعرفون أجل الفكرة حين يأتي لأنه مسمى عندهم ويعرفون سمته ويدركونه حين يقع فيتخلّون عن الفكرة بسهولة، لأنهم عباد الله وليسوا عبيداً لشمس فكرة ولا لقمر صورة. فالله يتجلى في الروح العقلي، والروح العقلي بذاته يخلق الأفكار فحين يُستَعبَد لها تنقلب الموازين ويقع التصنيم والتوثين. من هنا أيضاً أهمّية حرية الكلام في المجتمع السياسي، إذ من أهمّ بل أهمّ ما يقوم عليه حال عبيد أدنى الأرض أنهم يحافظون على أفكارهم من الإهلاك عبر منع الناس من التكلّم ضدّها إذ بالكلام وحرقه وجدله تتبيّن قوة الأفكار وصلاحيتها أي يتبيّن حقّها وأجلها، فبمنع الكلمة والمعاقبة عليها وإرهاب المستضعفين من استعمالها في أمور معينة خصوصاً الأفكار المهمة التي جعلوها أوثاناً في أذهانهم وأصناماً في أجسامهم ومجتمعاتهم يحفظون بأكبر قدر ممكن وجود تلك الأفكار الباطلة والميتة. لذلك هم "أموات غير أحياء" وعيشهم في مجتمعاتهم هو عيش الموتى في المقابر، أموات يتحركون وعدم له ظل وجود، قدرتهم على الخلق منعدمة أو تكاد، فالعيش معهم وفيهم موت قبل الموت وموت أسوأ باعتبار من الموت. الذي لا يعرف حقيقة روحه العقلي وعيه المجرّد المتعالي فإنه يميل إلى تصنيم أفكاره، لأنه يرى تحقق عقله فقط بوجود الفكرة فيه، ولأنه يستشعر فقره العقلي فهو يخشى من التخلّي عن فكرة خوفاً من عدم قدرته على تكوين غيرها أو عدم معرفته لنفسه في مرآة غيرها، فيعتاد الأفكار كما يعتاد الأهل والسكن والتجارة والأموال التي يقترفها ولا يريد التخلّي عنها لما هو أعلى وأولى وأبقى. أنت تخلق الأفكار فلا تجعلها هي التي تخلقك. أنت تخلق الأفكار من أجل نفسك، فلا تجعل نفسك مستعبدك لفكرة من أفكارك. فالعقل الذي يخلق الفكرة ويعبدها يشبه طفلاً وضع لعبة مرعبة في غرفته ثم بكى بسببها وهاب الاقتراب منها. وكلامنا هنا بشكل أخص عن الفكرة الباطلة الأساس أو الحقة لكن جاء أجلها.

للخروج من هذا لابد من الخلق بوعي، أي نقول بوضوح "الحق الذي انبنت عليه هذه الفكرة هو س، وحين يتحقق ص فقد جاء أجل الفكرة" وتكون الأمور مسماة وواضحة، ونعترف ونرى خلقنا نحن للفكرة ولا نكذب على الله ولا نبالغ ولا نزّور من أجل خداع الناس ولا الكذب على أنفسنا. نفسك أعظم من فكرتك، فلا تدمّر نفسك بفكرتك. بل الفكرة وسيلة للنفس للإشعاع في العالَم، فلا تطمس نور النفس من أجل فكرة هي أصلاً موجودة لإظهار النفس وتجلّيها في الخلق. من هنا تجده يذكر كفر كثير من الناس بلقاء ربهم وهم الذين لم يتفكروا في أنفسهم ولم يعلموا بأن الله خلق بالحق وأجل مسمى، فيوجد رابط بين تصنيم الفكرة في النفس وبين اعتقاد بقاء الدنيا إلى الأبد، فأنت تتعامل مع الدنيا كما تتعامل مع أفكارك، وستميل لذلك شعرت أم لم تشعر. لأن فكرتك هي الخلق داخل نفسك، والخلق هو فكرة خارج نفسك فكرة الله.

٩-{أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.}

الآية السابقة، الثامنة، كانت سيراً في النفس. وهذه الآية عن السير في الأرض. السير في النفس بالتفكر، والسير في الأرض بالنظر. الرومي هو الذي يسير في النفس بالفكر وفي الأرض بالنظر. فيرى حقيقة العالَم بفكره ويرى حقيقة البلاد بنظره. فيجمع بين الملّة والمُلك، أو الديانة والسياسة إن شئت. لأنه يرى حقيقة وعاقبة العالَم بالسير في نفسه كما بيّنته الآية الثامنة، وهذه الآية تبيّن رؤيته لحقيقة وعاقبة الناس والبلاد والمجتمعات البشرية. فالرومي صاحب جمع يجمع بين مختلف الحقائق ولا يفرّق بينها ويأخذ بعضها ويترك بعضها وهو من فروع الوحدة الإلهية المطلقة التي يؤمن بها.

السير في الأرض خروج من أرض إلى أرض، أي من الوطن إلى الغربة، بل حقيقته أنه لا يوجد وطن أصلاً في الأرض وإنما هي أرض الله ومكوث الإنسان فيها مؤقت فكلها وطن باعتبار وكلها غربة باعتبار آخر، فيختار الأرض التي يسكنها بناء على مقصد عنده وليس بناء على أي اعتبار خارجي ككونه نشأ في مكان فيثّاقل إليه أو غير ذلك من اعتبارات عرضية وسطحية. لذلك تذكر الآية بعد السير في الأرض المقصد منه فتقول {أولم يسيروا في الأرض فينظروا} ثم يذكر رؤية آثار الأولين والسابقين والعواقب التي انتهوا إليها بسبب تكذيبهم بالمرسلين. إذن الغرض هو النظر في ما انتهت إليه الأمم بسبب مواقفها العقلية والأخلاقية والسياسية لأن الموقف من المرسلين كان يدور حول هذه الأمور ونحوها، فلمواقف كل أمّة آثار، والنظر في هذه الآثار هو واحد من أهمّ أسباب السير في الأرض. بالتالي ليس المقصود حركة الجسم من بقعة جغرافية إلى أخرى، لكن هذا وإن كان فإنه وسيلة لتحصيل النظر والعبر وهو المقصود بالقصد الأول. وعلى الحقيقة السير في الأرض بهذا المعنى لا يمكن أن يكون إلا عبر سماع أقوال المؤرخين

والنظر في التواريخ والسجلات التي تكشف عن الحوادث والمواقف، لأنه يستحيل جسمانياً أن تسير في الأرض فترى بعين حسّك كل ما تذكره الآية من قدوم رسل إلى أقوامهم بالبينات ثم كفر أقوامهم بهم ثم حلول الهلاك عليهم، فهذا لا يُرى كله بالحس إلا بمشاركة الكلام له إذ النظر الحسي يفنى لحظة بلحظة ولا يمكن معرفة مثل هذه الصور المركّبة للواقع والحوادث إلا عبر تخليد الكلام لها وذكره للمواقف والتفاصيل كما يذكر القرءآن مثلاً قصة عاد وثمود وإخوان لوط ونحو ذلك. فأحد المعاني للسير في الأرض هو السير في القرءآن لأنك بالسير فيه بتلاوته تستطيع أن تنظر {كيف كان عاقبة الذين من قبلهم}. وبدون كتاب يحكي القصة أو وجود آثار كتابية مفهومة لا يمكن العلم بيقين ولا أحياناً حتى بتخمين ما الذي حدث في هذه الأرض أو كيف انتهى الناس في مكان معين إلى حالة معينة. بالتالي يجب للاعتبار بأحوال الناس من الحرية في التكلّم عن أحوال الناس والصدق في الإخبار عن أحوالهم أو على الأقل توفّر الأقوال المختلفة حتى يستطيع الناظر من تمحيص الأخبار والنظر في الأصدق منها والأقرب للعقل. فالأرض حين تُذكر مرّة يقصد منها الأرض المادية أي البقعة الجغرافية، ومرّة يقصد بها المجتمع البشري الذي عاش في أرض محددة، ومرة يقصد بها الناس أنفسهم بغض النظر عن البقعة التي تحت أرجلهم بسبب تنقلهم مثلاً المستمر. ولابد من تحديد المقصود من الكلمة في كل موضع وقد تجتمع المعاني من زوايا متعددة. فمثلاً حين يقول {أثاروا الأرض} فهنا الأرض هي البقعة الجغرافية، {عمروها} كذلك البقعة مع الإشارة إلى نوع من الاستقرار الاجتماعي في البقعة. والرسل يأتون بشكل رئيس إلى الناس وليس إلى الأحجار والمعادن الأرضية. فالكلام موجّه إلى الناس والرسالة لهم.

{عاقبة الذين من قبلهم} فالناس إما قبلك وإما معك وإما بعدك. لا تستطيع الاعتبار بمن بعدك لأنه بشكل عام في حكم المعدوم، ولا تستطيع الاعتبار بمن معك لأنك لا تدري عاقبته بعد فقد يكون في حال سيئة ثم ينتهي إلى حال حسنة، لكن الاعتبار الأعلى يكون بمن قبلك لأنك عرفت ما كان عليه بالأخبار الباقية ونظرت في عاقبته لأنك شهدت نهايته فتنظر في العلاقة بين مواقفه من قيم الرسالة والرسل وترى آثار ذلك على عاقبته. إلا أنك تستطيع الاستفادة ممن سيأتي بعدك بتصوّره في خيالك مما يجعلك تدرك شيئاً يفيدك كأن تعدّ له وتهيئ له عالماً أحسن يعيش فيه كما كنت تتمنى لو كان الذين من قبلك هيأوا لك عالماً أحسن لتعيش أنت فيه أو نحو ذلك من الاعتبارات. وكذلك تستطيع الاعتبار بمن معك من خلال النظر في حالهم الواقعي الآن الناتج عن اختيارهم ومواقفهم من قيم الرسالة، كأن تنظر في بلاد تطبّق مثال فرعون فترى العذاب والحقارة التي يعيش فيها الناس والإهانة لكرامتهم الإنسانية فتعتبر بذلك فتحذر من قيام فرعنة في بلادك وتراقب أسبابها وتحاربها جذرياً وفكرياً أو تحارب أسبابها لو بدأت بالظهور. لكن الإشارة هنا في الآية تتعلق بالاعتبار الأكمل بخصوص الذين كفروا وظلموا الرسل وكفروا البيّنات التي جاءوا بها.

بربط الآية بما قبلها نعرف أن الكلام متعلّق بقوم قدّموا القوة والإثارة والعمارة المادية الدنيوية على القوة والإثارة والعمارة النفسية. أي ركّزوا كل همّهم على ظاهر الحيوة الدنيا، لا على باطن الحياة الدنيا ولا على الآخرة الكبرى. لذلك قال {ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} كما قال في الآية التي قبلها "أولم يتفكروا في أنفسهم". هذه الأنفس هي التي ظلموها، لأنهم لم يهتموا بها وكان تركيزهم كله مقتصر على تعبيد الناس وتسخير أنفسهم من أجل مزيد من القوة والإثارة والعمارة الدنيوية حصراً، فأدى ذلك إلى إضعاف نفوسهم وضعف عقولهم وخراب قلوبهم، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى هلاك الإنسان الذي هو الأساس والمرجع في كل بناء ظاهري، وبهلاك الباني يهلك البناء بطرق مختلفة من الهلاك بحسب الطرق المختلفة في إهلاك الباني أي الإنسان لذلك تعددت قصص المرسلين بسبب تعدد طرق إهلاك الإنسان لنفسه وهلاكه الظاهري الناتج عنه.

{أشد منهم قوة} أي القوة العسكرية. {أثاروا الأرض} الثروة الزراعية. {عمروها} القدرة الصناعية. وهذه هي الاهتمامات الثلاثة الدنيوية لكل مجتمع، بغض النظر عن موقفه من النفس وقوتها وإثارتها وعمرانها ومركزيتها أو هامشيتها وفرديتها أو سحقها. لابد لكل مجتمع من قوة وإثارة وعمارة. لكن الفرق بين الأمة التي تؤمن بالرسل والأمة التي لا تؤمن بالرسل هو الموقف من النفس ومكان النفس في المجتمع. فمثلاً، من أجل القوة العسكرية قد يتم تسخير العامّة وتحقيرهم واستعبادهم من أجل إقناع قلّة من الناس للانخراط في السلك العسكري عبر جعلهم أرباب لبقية المجتمع وفوقهم وأعلى منهم فيعوّضون القهر والصعوبة العسكرية بحس الاستعلاء والامتيازات المصاحبة لها، فتكون النتيجة خلق مجتمع عامّة الناس فيهم لا كرامة لهم ولا حرية لديهم وفرديتهم مكبوتة وأنفاسهم تحت أحذية الضباط مخنوقة. مثلاً، من أجل الثروة الزراعية قد يتم نشر فكرة أن الناس قيمتهم تدور فقط مع ما يحسنون انتاجه زراعياً ومالياً، فبدلاً من أن يكون المال في خدمة الإنسان يمسي الإنسان في خدمةالمال، فينطمس نور النفس وعظمتها وأولوياتها وتغرق النفوس في كآبة العدمية وتهوي في سحيق استشعارها أنها مجرد رقم يمكن استبداله بسهولة أو آلة يمكن الإتيان بخير منها بيسر، نعم، لفترة ما على الأقل ستزدهر الثروة الزراعية والمالية في البلاد لكن عاجلاً أم آجلاً كقوم شعيب مثلاً سيهلكون وستتغيّر الأمور وستبدأ تنشأ حركات تمرد عنيفة تريد إزالة النظام الاقتصادي القائم هذا كله وستجدهم يتحدثون عن أهمية الحرية والفرد والإنسان وغير ذلك لقلع جذور الاقتصاد القائم وكل ما يعتمد عليه وسيتحزب الناس ويعادي بعضهم بعضاً عداوة مصيرية وينظرون إلى بعضهم كمالك يريد استعباد من تحته أو عامل يريد إبادة مالك الأرض والمعمل والشركة ونحو ذلك، وسيصبح المجتمع ساحة معركة بدلاً من أن يكون نظاماً لإظهار حرية النفس وفرادتها بتنظيم شؤون الجسم وأغراضه لتفريغ النفس لأعمالها الذاتية مثل التفكير والتعبير. وعلى هذه الشاكلة إعطاء الأولوية للقوة العسكرية والثروة المالية والقدرة الصناعية بدلاً من إعطاء النفس وحريتها وحقوقها الأولوية سيؤدي إلى الهلاك عاجلاً أم آجلاً ولابد من رضوخ المجتمع للتغييرات وإلا فالعنف سيقع والعذاب سيتصاعد والحرب

ستشتعل، والنظر فقط في المائتين سنة الماضية ولما يحدث الآن كفيل بكشف ذلك لمن يريد السير في الأرض للنظر.

{جاءتهم رسلهم بالبينات} من الكفر اعتبار الرسل كالديناصورات وجودا وانقرضوا. القرءآن كله يبطل تحت هذا الاعتقاد، ولا قيمة للقرءآن كله بعد ذلك. لأن الرسل محور كل قصص وأمثال القرءآن، فبدونهم يسقط القرءآن عن الاعتبار. وتخيّل الرسل ككائنات خرافية خارقة، أو الاعتقاد بأن وجود رسل يعني بطلان القرءآن لأن كتب جديدة بمعنى وحي خاص سيأتي ويلغي القرءآن، هذا وغيره كله أباطيل صنعها منافقون وكفرة بالرسل من الأصل على طريقة آل فرعون الذين قالوا "لن يبعث الله من بعده رسولا"، فنهاية الرسل في القرءآن لن تجدها مذكورة إلا وهي مقرونة بالفراعنة، وهذا معقول بنفسه لأن الفراعنة يبنون دينهم الأفضل وطريقتهم المثلى في اعتقادهم على أنهم خلف الرسل أو الآباء الأولين الذين قالوا كل ما يمكن قوله من الحق ومن يأتي بغير ذلك فقد جاء بما لم يأتي في الملّة الآخرة وهلمّ جراً. إن لم تشهد في الآفاق وفي نفسك حقيقة وصدق {جاءتهم رسلهم بالبينات} في عصرك فأنت كافر أو جاهل أو القرءآن باطل. فاختر أحبهم إليك. الحق أنه لكل أرض رسل، ولكل أمة رسول ليس بالضرورة واحداً لكن قد يكونوا أكثرمن واحد مثل "أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون" فكانوا ثلاثة، وهذا لا يعني أن كل رسول من الثلاثة جاء معه كتاب مختلف عن الآخر، فقد يكون من المرسلين ولا يأتي بكتاب مسطور أصلاً بل يتحدّث بكلام يبلغه الناس ويبينه لهم بلسانهم بغض النظر عن حاله بعد ذلك. المهم القيمة والفكرة التي يتم التعبير عنها وتبليغها. بل الحقيقة أن كل كلمة رسول، كل فكرة رسول، وكل إنسان من الروم رسول لأنه طالب كلام الله والمطلوب لكلام الله والداعي في الأرض إلى الله بكلام الله وأمره وحقه وإذنه. كلام الله هو كل كلمة حق تقوم على بينة ومبنية على الفطرة، فكما أن كل علم في الناس هو تجلي علم الله وكل قوة لدى الناس هي إمداد من قوة الله إذ لا قوة إلا بالله، كذلك كل كلام الناس هو في حقيقته كلام الله ومن إمداد كلام الله لذلك تجد في القرءآن الذي هو كلام الله كلاماً ينطق به الكفار أيضاً ولو كان "أنا ربكم الأعلى" حقيقة ذلك راجعة إلى ما ذكرناه. إلا أن كلام الله الذي يؤتاه الرسل بالمعنى الخاص هو الحق القائم على بينة والمبني على الفطرة لأنه كلام للإنسان بالتالي لابد أن يبيّن لعقله حجّته ولابد أن يوافق فطرته ليقبله ويكمله وينفعه. من هنا ستجد في سورة الروم ذكر {رسلهم بالبينات} و كذلك آية الفطرة "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم". فإن كان الكلام في ذاته أو بحسب تفسيره باطلاً أو لا بينة عليه أو يخالف الفطرة الإنسانية فهو ليس كلام الله ولو جاء معه جيش من الملائكة المقربين- حاشاهم. "كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض"، وينفع روح الناس الحق وينفع عقولهم البينة وينفع نفوسهم الفطرة، وما سوى ذلك يضرهم. فأن لا تميّز الحق من الباطل بنفسك ضرر لك ومن أمثال ذلك فرعون الذي يجعل صدور الرأي منه لأنه منه فهو الحق وهو الرشاد فتجد في بلاد المستعبدين المحاربين للرسل-مهما تسموا-تعظيم للتقليد والخضوع للأب أو للأمير أو للحكام والقاضي وغير ذلك ولا يتعرّض له أحد

بكلام ولو قال ما قال ويعاقبون على ذلك وبالضد من ذلك في بلاد الروم والأحرار تجد الكلمة حرة لنقد وجدل حتى الله تعالى "يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها" و "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" فضلاً عمن دونه. وأن لا تعتمد على البينة بل تعتمد على قوة شخصية أو منصب أو نسب المتكلّم لأنه قريبك أو لأنه أنت حتى فهو ضلال وضرر من نوع آخر، ولذلك تجد في بلاد الروم ومن أطاع الروم وأخذ عنهم اقرار بالبينة وتعظيم لها وفتح الأبواب لظهورها والسعي بشدة لتحصيلها، وهذا لا يعني أن هوى النفس الأمّارة لا يتدخل لكن هذا هو الموقف الرسمي والاتجاه الأساسي المعترف به والذي لا يقوى على الحديث ضده إلا من يموه على الناس بأنه يتبعه عادةً. وكذلك كل فكرة تناقض فطرة الإنسان ككسر فرديته أو قمع حريته الكلامية أو عدم اعتبار إرادته أو رفض كرامته الإلهية أو منعه مما يلذ له نفسياً وجسمانياً مما يخصّه ولا عدوان فيه مباشر حسي على غيره، هذا وغيره كله مما يناقض الفطرة ولو جاء به مَن جاء، فهو ليس من الله قطعاً لأن الله رب الإنسان ورب الإنسان ينفعه ويربيّه ليصل إلى كماله لا ليبقيه مذلولاً حقيراً مهاناً متألماً، ولا يدعي مثل ذلك أصلاً إلا الظلمة الذين يريدون استغلال الناس لمصلحتهم هم ولذتهم هم ثم يلقون بكفرهم هذا على الله تعالى ورسله افتراءً عليه وعلى رسله ولا رسول حي لهم يتبعونه وإنما يتبعون أهواءهم بغير علم من الله ويشرعون بقياسات أذهانهم المبنية على سفاهتهم ما يشتهون ولو ظلموا واعتدوا وقهروا من بالمشرق والمغرب لوجدتهم يرتاحون لذلك ولا يطرف لهم جفن ويحسبون أنهم مهتدون. الإنسان أعظم من الأديان وأعظم حتى من القرءآن، والقرءآن إنما جاء من أجل الإنسان لينفعه، فمن زعم أنه يكسر الإنسان حتى من أجل القرءآن-حاشاه-فإنه الكاذب لا القرءآن، وهو المبطل الظالم لا القرءآن. {فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}.

ستجد حين تسير في الأرض أناس لا ينظرون في عواقب الأقوام ولا يعرفون أخبارهم وآثارهم. من أجل هؤلاء عليك بإقامة مجالس تخصصها للنظر في التواريخ والاعتبار بها. "فاقصص القصص لعلكم يتفكرون". واربط القصة بهم وركّز على الفكرة التي فيها ولا تجعلها حكايات للتسلية لكن قصص للعبرة وإثارة الفكرة. وركّز على القصص التي تكشف عواقب من يفعل مثل فعل من تراهم من الناس إن كانوا يسيرون باتجاه معين، أو يعتقدون بصلاحية ونفع فكرة قد تبين بالنظر في التواريخ وآثار الماضين أنها لا تؤدي مطلقاً أو غالباً إلا إلى الضرر والشر والظلم، واقصص عليهم هذه وأخرج العبر لهم منها. ونبّه الناس على تواريخهم هم الشخصية، حتى ينظروا في أنفسهم فيروا كيف أنهم لو كانوا يعلمون بعض الأمور لغيّروا مسلكهم الشخصي فيعتبروا من ذلك إلى الدائرة الأوسع الاجتماعية، أو كيف أنهم كانوا يعتقدون بفكرة معينة ثم تبين لهم بعد تحققها أنها كانت شر لهم وهم يحسبونها خيرا لهم أو كان الخير الأعظم في غيرها مما رفضوه لأسباب مخصوصة وهمية وبيّن لهم سبب ذلك وكيف كان بامكانهم اكتشاف وهميتها فيما مضى ثم حدد لهم المعايير التي يستطيعون فيها تجنب ما يقومون به اليوم مما يشبه ما قاموا به بالأمس ولم يعتبروا بأنفسهم. الذي لا يعتبر بتاريخ نفسه كيف سيعتبر بتاريخ غيره. من إظهار قيمة تاريخ الذات تستطيع تأسيس قيمة تاريخ الغير.

{كانوا أشد..عمروها أكثر} حين تقيس الأضعف على الأقوى سيعتبر الأضعف بالأقوى. لأن القياس إما قياس أضعف بأقوى وإما قياس مثل بمثل وإما قياس أقوى بأضعف. فإن قست الأضعف بالأقوى وحذّرت الأضعف من مصير الأقوى كان ذلك أدعى للقبول وهو أقوى قياس وإنذار وهو الذي أشارت له الآية. ثم تحته في الفعالية قياس المثل بالمثل. ثم تحته وقد يبطل أثره بالكلية إن غابت العلة المشتركة هو قياس الأقوى بالأضعف لأن الأقوى بكل بساطة سيرد عليك " نعم ذاك هلك لأنه كان أضعف مني وأما أنا فلن أهلك لأني أقوى منه ولن يضرني ما تشير إليه بسبب توفر قوة لدي لم تكن عند من تقيسني به" وهو رد قوي جداً كما ترى. من تطبيقات ذلك على عرب أدنى الأرض في زماننا أنك تجدهم كلهم أقاموا إما فرعنة ظاهرة وإما فرعنة مبطنة تحت لباس عسكري قومي والمحصلة واحدة فالدولة إما بيد أسرة يرجع لها العسكر وإما بيد العسكر أنفسهم. فمن إنذارهم أن تشير لهم إلى دول كانت أقوى منهم من كل وجه عسكري ومالي وصناعي وعالمي بل وديني أيضاً بتعريفهم هم، كالدول الأموية والعباسية والفاطمية والصفوية والزيدية والعثمانية وغيرهم من فروع الممالك التي قامت وسطهم ثم تنبههم إلى أنهم يقيمون نفس الأمر الآن بل بنحو أضعف من جهات كثيرة، فتحذرهم وتنذرهم من هلاكهم وإهلاكهم لقومهم معهم وتعذيبهم لهم فهو من باب إنذار الأضعف بالإشارة إلى الأقوى الذي هلك وهم على شاكلته بل أسوأ منه في الضعف والخفة والسخف، فالذين كانوا يملكون البلاد في ثلاث قارات هلكوا أمام أعينكم وتعرفون أخبارهم، وهلك عن قريب من كان مثلكم تماماً ولم يحكي لكم التاريخ عنهم بل كنتم تعيشون وسطهم وأنتم منهم أو قريب منهم، فمن أين تظنون أنكم ستبقون وتقوون وهذا هو الحال والعوامل المؤدية إلى الهلاك هي هي باقية وفعالة، والكفر بكل قيم الرسل الكبرى قائم فيكم والظلم يغطّيكم كالليل إذا يغشى. فهنا نجد قياس الأضعف بالأقوى وقياس المثل بالمثل. وعلى هذا النمط حين تخرج إلى الناس ابحث عن من هم أقوى منهم أو من هو مثلهم عموماً حتى تستعمل ذلك كمثال لتقريب الفكرة لهم وإظهار العاقبة لهم.

{فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}. كونه افتتح الآية بنفي ظلم الله لهم دليل على أنه سيوجد من الناس مَن يرمي الله تعالى بأنه الذي يظلم الناس، أي سينسب إهلاك الأقوام أو حتى ينسب كفر الأقوام بالرسل وبيناتهم إلى الله، وهو منطق الجبرية الكفرة الذين ينسبون ظلمهم هم إلى الله تعالى، وستجد الكثير من المستعبدين يفعلون ذلك لأنه ليست لديهم الجرأة لنسبة الظلم إلى مصدره الحقيقي أمام أعينهم وهم أربابهم وحكامهم فبدلاً من ذلك يتجرأون على مَن ألحدوا به من قبل ولو خفية فينسبون إلى الله تعالى أنه الذي ظلمهم ويظلمهم بخلقهم أو بتركه الظلمة يتحكمون بهم أو بعاقبة مجتمعاتهم السيئة أيا كانت وهكذا بدلاً من تحمّل المسؤولية الفردية والفعل في العالم اعتادوا على ذهنية العبيد التي تتجرأ على الحليم وتخضع لمن يُنزل بهم العذاب الأليم ولأن الله حليم وليس شخصاً أمامهم يذيقهم الحديد والنار والعصا والكرباج على طريقة سادتهم وكبراءهم الذين يقمعونهم ليل نهار ولو نطقوا بحرف خارج الطريق، لذلك تجدهم

يتجرأون على الله وينسبون له الظلم بدلاً من نسبته لأربابهم ولأشخاصهم. لذلك إبادة الظالمين من أهم وأولى أعمال الروم وهو قام به النبي والذين قاتلوا معه حين رجعوا إلى فراعنة مكة وقطعوا دابرهم، كذلك يجب أن يكونوا الحال في كل عصر، يجب على الروم الخروج لقتال كل بلد يتحكم في رقاب الناس فيها الطغاة وتحرير الناس منهم واجب إنساني وشرعي ورباني عليهم، "مالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا" الولي النصير لهؤلاء هم الروم الذين نصرهم الله وسينصرهم ويجعلهم الغالبين. الناس هم الناس في كل مكان بدليل "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله"، بالتالي ما يظهره المستعبدين من أمراض وأقوال ناشئة من مرضهم الذي هو استعبادهم إنما هو عرض طارئ لا يجب مؤاخذتهم عليه كثيراً لكن يتبيّن مقام كل إنسان حين يتحرر ويتفرد. من هنا يجب السعي لقطع دابر وقطع أيدي الطاغين في كل مكان، ومعيار البلد المقهور عدم حرية الكلام ووجود وراثة للحكم وعدم إقامة الدولة على انتخاب الناس الصحيح وتحكّم الجنود والعساكر بالدولة. فأي مكان توجد فيه هذه الأمور أو بعضها هو مكان يجب على روم كل عصر ومن يطيعهم تغييره، ولا ينتظرون أي عدوان خاص من هؤلاء عليهم لأن هؤلاء يعتدون على أقوامهم وأي نظام قام على قهر جازت إزالته بقهر مع اتقاء إيذاء الأقوام من غير المقاتلين والمجبورين على القتال بأكبر قدر ممكن. إبادة الطغاة من تسبيح وتقديس الله. ألا ترى أن المظلوم يشتم ربه ويذمّه بسبب الحال الذي هو عليه وينكر خيرية العالم ونوره بسبب الظلام الذي يعم حياته بسبب الطغيان الواقع عليه، فحين تسعى لإزالة السبب الذي جعله على هذه الشاكلة فأنت تعينه على تسبيح الله وتقديسه. محاربة الطغاة ساعة خير من عبادة سبعين سنة.

١٠-{ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون}

{ثم} أي قد يبقى الظلمة الذين رفضوا الرسل فترة لكن هلاكهم حتمي ولو بعد حين. مما يعني أن ظهور العاقبة ليس بالضرورة أن يكون فورياً، ويمكن للعقل اكتشاف وجود عناصر الهلاك وعلامات العاقبة من النظر في صورة الأمر وحقائق ما يقوم عليه وهي البصيرة والنظر بنور الله ومعرفة السنن التي أقام الله عليها العالم والمفصّلة في كتابه أيضاً.

{كان عاقبة} أي قضى الله من قبل ظهور العاقبة أن العاقبة ستكون هكذا، فهي من مستوى السنن التي وضعها الله لحكم العالَم وحوادث الناس إذ لا تتبدل ولا تتحول مما يعني أنها ليست من الطبيعة إذ ما في الطبيعة يتبدل ويتحول، كالقرءآن له حقيقة علوية لا تتبدل ولا تتحول لكن له صورة يمكن تبديلها وتحويلها كألفاظه العربية التي يمكن تحريفها بالنطق وبالكتابة وبالفهم ويدخلها الريب وأما حقيقته العلوية فلا ريب فيها. كذلك الأكوان وكذلك الإنسان. يوجد مستوى تكويني ما فوق التغيرات الطبيعية والبشرية، وهو المستوى الذي فيه السنن الإلهية. فمن عرفها

هنا ورأى تنزلها وإشعاعها عرف عاقبة ما سيحدث قبل حدوثه وإتيان تأويله. لا يوجد صغير ولا كبير يقوم به إنسان إلا وهو خاضع لسنة من سنن الله، فهو مسؤول عن فعله لكن العاقبة حتمية، فالذي يختار وضع النار على جلد وجهه مسؤول عن حرق نفسه ولكن الحرق نفسه مقضي من قبل بحكم العلاقة بين النار وجلد الوجه الطبيعي. لذلك من يعرف النار ويعرف طبيعة الجلد يستطيع حتى من قبل رؤية الوجه يتشوه ويحترق أن يخبر بعاقبة هذا الفعل الظالم الذي يوقعه الإنسان على نفسه. هذا مثل بسيط لكن أصله هو نفس الأصل المنطبق والحاكم على كل الصور الأكثر تعقيداً وتركيباً. عرفها من عرفها وجهلها من جهلها. ومن هنا تجد في كتاب الله بيان الأعمال وعاقبتها، العمل الصالح والعمل الفاسد. لأن كتاب الله العربي هو تنزيل وترجمان لكتاب الله الكوني وتيسير له بلسان قوم النبي.

ما سبب العاقبة البالغة السوء إذ "السوأى" مثل الحسنى في "الأسماء الحسنى" أي البالغة النهاية في الحسن؟ الكلام هنا عن أسوأ السوء الذي هو {أن كذّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون}. فالبينات آيات الله، فكل من جاء بالبينات وآيات الله فهو رسول بغض النظر عن مصدر أخذه لهذه البينات وآيات الله، وللرسل درجات يفضل بعضهم فيها بعضاً كما قال الله "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض"، وأحد أسباب التفضيل مصدر أخذ الرسالة، فمن أخذ الرسالة بدون واسطة بينه وبين الله أعلى ممن أخذها بواسطة، ومن أخذها بواسطة واحدة أفضل ممن أخذها بثلاث وسائط، وهكذا، وتوجد أسباب أخرى للتفضيل تتعلّق بسعة الرسالة ومستواها، وكذلك تتعلّق بقلب الرسول ومقامه عند الله ودرجته. فقد تكون الرسالة ذات بيان لحادثة جزئية فقط مثلاً تجد لوط تختص رسالته بمعاني محدودة كقطع السبيل وإتيان الرجال شهوة من دون النساء لكن لا يتحدّث لوط عن الأصنام كإبراهيم أو الكيل والميزان كشعيب، لكن محمد الذي هو خاتم النبيين يأتي بكل هذه الجزئيات مع ذكر السنن الكلية أيضاً. وهذا لا يضر الرسول الجزئي في شيء لكن الكلام عن التفاضل بين الرسل حتى لا يظن شخص أن الرسول لا يأتي إلا كمحمد بكل جزئية وكل كلية وبعين الكلمة الإلهية، كلا، لأن بعض الرسل جاء وتكلّم بكلام من عند نفسه لكن كلامه هذا هو صورة وحي الله ليس بمعنى الوحي القرآني لكن بمعنى كونه تجليات للوحي الذي أوتيه الرسول، فحين يتحدث نوح مع قومه ويجادلهم فإن كلامه معهم هو كلام رسول وإن كان الحوار ذاته كلام نوح "قال نوح" وهكذا.

{كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون}. للسيئات دركات كما أن للحسنات درجات. أسوأ سيئة وهي أسفل دركة هي التكذيب بآيات الله والاستهزاء بها لذلك سمّاها {السوأى}. لماذا؟ لأن النفس لها درجات ولكل درجة دركة تقابلها، وأعلى ما في النفس هو سرّها الإلهي، وتفعيل سرّها الإلهي يكون بسماع كلام لله الحي وأخذه منه، فلمّا كذّبت نفوس بآيات الله دل ذلك على انطماس عينها الإلهية، لكن لمّا زادت على ذلك بالاستهزاء بها دل على سقوط النفس تماماً عن أي بُعد غيبي

وروحي ورباني بالتالي هوت إلى ضد درجتها العليا فصارت في الدركة السفلى التي هي {السوأى}. الاستهزاء دليل استحكام الرفض بحيث لم يبق أصلاً مجال للتغيير والقبول.
كون عاقبة الذين كذبوا بآيات الله هي من فعل الله دليل على إخراجها من سلطة الإنسان، بمعنى أن عاقبتهم هذه ستكون من فعل الله بهم بغض النظر عن فعل الرسل بهم إلا فيما يتعلق بالعدوان على الناس فهذا يفعله الله بالرسل "يعذبهم الله بأيديكم وينصركم عليهم". فالتكذيب بآيات الله مع عدم الاعتداء على الناس نفوساً وأموالاً يجعل العاقبة مختصة بفعل الله دنيا أو آخرة، لكن وجود اعتداء على الناس يجعل العاقبة بفعل الله مباشرة أو بفعل الله بأيدي الروم. وهنا أشارت الآية إلى الصنف الأول، أي كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون، فلم يذكر غير التكذيب والاستهزاء وليسا عدواناً على النفس والمال لكن موقف من الله ورسالته، لذلك ذكر فعل الله بهم "فما كان الله ليظلمهم". بالتالي الناس أحرار في التكذيب والاستهزاء في الدنيا، وهو حرية كلامهم ودينهم، لكن الله هو الذي سيحاسبهم على ذلك، مما يوجب على الرسل عدم التدخّل في الأمر بأكثر من الإتيان بالبينات والبلاغ المبين والإنذار أي بالكلام. فسترى حين تخرج وتسير في الأرض أناساً يكذبون بآيات الله ويستهزءون بها، لا تجزع ولا تفزع ولا تغيّر ما أنت عليه من السير والدعوة إلى الله، فالله أنبأك بهذا من قبل وأنبأك بالأمر كله من أوله إلى آخره وظاهره وباطنه.

١٢-{الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون}

كما أنك تخلق الفكرة ثم يأتي أجلها ثم تخلق فكرة أخرى، كذلك الله يخلق أقواماً ويتركهم حتى يظهر آخر ما هو كامن فيهم فإذا جاءت عاقبتهم وأهلكهم ولم تسمع لهم ركزا جاء بقوم آخرين وهكذا تدور دورة الحياة الإنسانية. الشيء الوحيد الذي يستمر ويبقى هم رسل الله ومن اتبعهم، كنوح ومن معه الذين بقوا لأنهم مع نوح وجاء الطوفان وأهلك القوم، وهكذا مع كل رسول ستجد الله يذكر نجاته ومن معه من المؤمنين وهلاك قومهم. فيوجد عنصر مستمر باقي وعناصر فاسدة هالكة في الناس. الباقون هم الرسل، الهالكون أهل الجهل. ويبدأ الله الخلق ثم يعيده مرة بعد مرة إلى أن يبلغ الناس أقصى ما يمكن مما قضاه الله لهم ويتم نورهم ويأتي أجل الدنيا ثم تأتي دورة الآخرة الأبدية، فيتم الخلق بالزوجين أي الدنيا الفانية والآخرة الباقية، فكما خلق الليل والنهار والذكر والأنثى وكل الأضداد كذلك خلق الدنيا الفانية والآخرة الباقية. ولأن الرسل فيهم عنصر الآخرة ونورها وهم حملة الكلمة الباقية فإنهم يبقون ومن كان معهم يبقى ببقائهم وهم يبقون بإبقاء الله لهم. فلا يزال الخلق ينتقلون من طور إلى طور أعلى منه إلى أن يبلغ الناس غايتهم التي قال الله فيها للملائكة "إني أعلم ما لا تعلمون" ثم بعد ذلك ينتقل الأمر من طور إلى طور أدنى منه حتى يصلوا إلى "إن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا" فيأتي أجل الدنيا كما أن الإنسان ينمو من الضعف إلى القوة ثم يرجع إلى الضعف والشيبة فالموت ولذلك ستجد ذكر هذا الأمر في سورة الروم. بناء على ذلك، لابد من تحديد عناصر البقاء هذه والأخذ بها والمحافظة عليها وحمايتها، وتحديد عناصر

الفناء والسعي في إبطالها ومحاربة ظهورها. مثلاً، قال الله أنه لا يهلك قوم إن كان فيهم " مصلحون" بالتالي فتح أبواب الإصلاح وترك مجال الإصلاح مفتوحاً لمن يرى أنه مصلح بسلام وإيجاد وسائل لإحداث الإصلاحات التي يراها الناس بسلام ونظام هو من عناصر البقاء، وبعكس ذلك إغلاق بوابات الإصلاح ومحاربة المصلحين والمتكلّمين بالإصلاح كالرسل وجعل الإصلاح ممكناً بالعنف فقط سبب تحكم البعض بمقاليد القوة في المجتمع واحتكارها هو من الخطأ ومن عناصر الفناء. ولذلك انظر في أي مكان يفتح بوابات الإصلاح التي على رأسها حرية الكلام ووضع اجراءات لانتخاب القرارات التي يُراد تطبيقها في المجتمع مع ترك الناس عامة أحرارا لهم حق عرض ما يرون من فساد لمحاربته وعرض ما يريدون من إصلاحات وتجربتها وستجد أن هذه البلاد أكثر استقراراً وبقاءً وأمناً وسعادة نسبية من غيرها، والعكس بالعكس. وعلى هذا النمط انظر في بقية عوامل البقاء والفناء واعمل على وضع أوتاد راسخة لجبالها في البلاد حتى تستقر ولا تميد البلاد بأهلها. ومدار البقاء على ترك أبواب تعبير العقل عن فكره مفتوحة ووضع آليات منظمة سلمية لتحديد إرادة أكثر الناس لتطبيقها وتجربتها، وانظر في كل عوامل الفناء وستجدها تناقض هذين الأمرين ولا تستقيم بدون مناقضتهما. فهذا هو الأساس. ثم على هذا الأساس ينبني عامل البقاء الأعلى الذي هو التصديق بآيات الله طواعية بدون إكراه، وتعظيم شعائر الله حباً وإيماناً لا عن خوف وتقية من البشر وقهرهم وإرادة الاندماج في قطيع بهائمهم.

حين يترك الروم بلادهم الأولى ويسيحوا في الأرض سيجدوا أنهم تخلّوا عن أهلهم ومسكنهم وتجارتهم وأموالهم أي الثمانية التي ذكرها الله في آية "قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله"، كلها أو بعضها لابد من تغيّره ولو مؤقتاً. أي سيعيشوا تجربة فناء عالَمهم الأول وبداية عالَم جديد، فحتى يطمئنهم الله هم ومن اتبعهم قال {الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون}، فالذي بدأ خلق عالمكم الأول سيخلق لكم عالماً ثانياً جديداً وهو أهون عليه، وإن كنتم قد وجدتم شيء من الاستقرار والأمن والأهل والمال وقد بدأتم معيشتكم في بلدكم الأول وأنتم لا تعلمون ما تعلمونه اليوم ولا تقدرون على ما تقدرون عليه اليوم، فمن باب أولى أن تؤمنوا وتتوكلوا على الله بأنه سيدبر لكم لا أقل مثل ما كنتم عليه أو خير منه وقد صرتم رسلاً له ودعاة إليه. وتذكروا دائماً أنكم {ثم إليه ترجعون} فبقائكم في الدنيا أصلاً مؤقت على أية حال، فعيشوا حياة مسافر لا حياة مواطن فإن الدنيا ليست موطنكم وأنتم تعلمون ذلك إذ تعلمون أن " كل نفس ذائقة الموت" وأنتم تذوقون شيئاً من الموت بالليل والنهار بمنامكم فلا داعي للخوف إذن من الموت لا الموت بمعنى ترك الأهل والمال والسكن الأول وقد قرنه الله بالموت في قوله "اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم"، ولا بمعنى ترك الدنيا الحتمي بحكم "لكل أجل كتاب".

إن قيل: لكننا نرى الذين أساؤا يعيشون قبل انتقام الله منهم. فالجواب {الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون} فالذي يظهر لك أنه نجا في الدنيا حسابه في الآخرة. وليس عليك شيء من ذلك أصلاً لأن حسابه على الله الذي كذب بآياته واستهزأ بها. وأما إن اعتدى عليك فعليك السعي للانتصار منه "وانتصروا من بعد ما ظلموا" ولا تحيله على الآخرة خصوصاً في الأمور الكبيرة التي تخص الناس عامة، وحين يعمّ الظلم يجب الانتصار من الظلم ولا مغفرة فيه عن عجز، وإنما تصلح المغفرة حين يعمّ العدل والإحسان ويكون الاستثناء هو الظلم فقد تغفر وتغفر عن قوة وقدرة لا عن عجز وتخاذل وكسل واحتقار للنفس. فإن سعيت في الانتصار ممن ظلمك ثم عاجله الأجل في عينك ولا ترى أنك انتصفت منه فتعمل على الانتصاف منه بكل سبيل ولو بذكر ظلمه لك وتخليده في الأرض بكتابته وحكايته للناس، ولو بالدعاء عليه بعد موته، ثم يشفي صدرك علمك بأن الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون. وأما استعمال مثل هذه الآيات لتخدير الناس المستعبدين عادةً، فإن الظلمة لا يحيلون أحداً على الآخرة بل ينتصفون منهم ولو بالظلم والشهوة في الدنيا والآن ولكنهم يعلّمون عبيدهم والخاضعين لهم الإحالة على المنطق الجبري أو الإحالة على الآخرة وحساب الله حتى يعتادوا على الذل والقهر وعدم التحرر وإقامة القسط. إبادة الدنيا كلها من أجل الانتصاف من الظالم أجمل وأهون من البقاء على الظلم. ولا يغرّنك ما يخدّرك به ويسحرك به كهنة وسحرة الظلمة من فكرة الموازين ويجب تحمل الضرر الأدنى والخاص من أجل الخير الأعلى والعام، فهذا كلّه في أحسن الأحوال كلمات حق يراد بها باطل وظلم، والحق الواقع هو أن الظلم عمّك أنت وغيرك فالضرر ليس خاصاً أصلاً بل هو عام وجذري هذا أولاً، وثانياً أنت تنتصر ممن ظلمك كما تقتضي فطرتك وكما أمرك ربك وإن حاسبك الله-ولن يحاسبك-على انتصارك ممن ظلمك فاقرأ عليه "وانتصروا من بعد ما ظُلموا". من استعمل عقيدة الآخرة لتذليل الناس في الدنيا فهو كافر. ومن استعمل عقيدة الآخرة من أجل تبرير كسله وتخاذله فهو كافر. وكل ما سيقع عليه يستحقه وما ظلمه الله ولكنه ظلم نفسه، وإن كان يستحق النصرة والشفقة بسبب الظلم الواقع عليه فإنه بعد تبريره وتحريفه الآثم هذا يستحق اللعنة لا غير.

١٣-{ويوم تقوم الساعة يُبلس المجرمون}

الساعة الصغرى قيام الروم في الأرض وإظهار كلمتهم وقوتهم، لأنهم يقومون بإظهار تأويل القرءآن وتأويل الأكوان وتأويل الإنسان وتأويل أسماء الرحمن، وبظهور التأويل وكشف الحقائق س"يُبلس المجرمون"، والإبلاس فيه معنى السكوت واليأس والغمّ، والجرم هو القطع، فالمجرم المنقطع عن نور الله سيسكت لظهور حجّة الرسل وييأس من تغيّر حاله إن كان كفره متأصلاً فيه وسيعيش في غمّ ينزل خاصّة حين يقوم الرسل في الأرض ويظهرون الدعوة كقذف الله للرعب في قلوب الذين كفروا نصرة لرسوله.

قبل قيام الساعة كان المجرمون يقولون ما يشاؤون من أباطيل وليس من يرد عليهم حق الرد، يدعون الدعاوي العريضة على الله وعلى الحق وليس من يحتج عليهم حق الاحتجاج، يطغون ويؤذون الناس والمسلمين والأولياء وليس من يدفعهم ويقوم في وجوههم، كل هذا سيبطله قيام الروم الجدد.

١٤-{ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين}

من تأويلات هذه الآية أن المنافقين من بين المسلمين الذين يزعمون أن العلماء والأولياء الأولين هم شيوخهم وأساتذهم وسادتهم الذين تعلّموا منهم، سيظهر بالحجج البينة بطلان ذلك أي لم يكن لهم من شركائهم شفعاء بل أولئك الأسلاف الصالحين قولاً وفعلاً ضد ما عليه المنافقين المعاصرين. ثم سيظهر أيضاً أنهم كانوا بشركائهم كافرين على التحقيق وإن أظهروا باللفظ أحياناً أنهم بهم مؤمنين ولهم متبعين ومحبين، سينكشف كفرهم حتى بهؤلاء للناس. فالواقع أنهم كانوا أفراداً يقولون ويفعلون ما يشتهون بحسب ما يرون هم لكنهم كانوا يتمسحون لخداع الناس بعباءة الأسلاف ويزعمون أن الأسلاف الصالحين معهم، ثم هم في الواقع لا يؤمنون حتى بأولئك الأسلاف بل هم ملاحدة في واقع الحال وطغاة لا يعرفون شيئاً إلا الطغيان ولا يريدون غيره، والشركاء ذريعة فقط استعملوها لأنهم استطاعوا تحريفها ورسمها بصورة أضلّتهم عامّة المسلمين وكذبوا على الناس وسحروا أعينهم واسترهبوهم حتى لا يروا الأمر كما هو وحتى تعميهم عاطفة التعظيم لأولياء الله والصالحين من معرفة كذب الدجالين الطاغين هؤلاء. فالحق أن الطغاة دائماً أفراد لا يؤمنون إلا بشهوتهم ولا يعتقدون إلا بأنفسهم، ويستعملون في سبيل ذلك كل شيء كان شركاء ماضين أو سماويين أو ما كان وحتى الكذب والافتراء على رب العالمين. فحين يقوم الروم ويظهروا هذه الحقائق سينكشف ويتعرى هؤلاء ويظهروا على ما هم عليه وهو أنهم أفراد طغاة لا سند لهم إلا الكذب والعنف، وحينها سينقلب عليهم الناس ويفعلون بهم الأفاعيل المناسبة لهم ويقتصّون منهم على ظلمهم وبغيهم وظلامهم وإضلالهم.

١٥-{ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرّقون}

فالإبلاس أولاً وبعده التفرّق. لأنه سيظهر كما قلنا حقيقة كل فريق وفرد، وسيتم الحكم على كل واحد بحسب حقيقة حاله كفرد وعمله المشهود الآن وكلامه المنطوق الآن، وخداع الانتساب إلى الماضين والموتى والمعدومين وتمويهات ذلك كلها ستبطل، وسيتحاكم كل قول ببرهانه الحاضر الآن وكل عمل بحسب صورته وفعله الآن. فيتفرّق الكل عن الكل ويتميّز الكل عن الكل حتى يبقى كل فرد على فرديته الأصلية "جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة"، وسيصبح التعامل مع الفرد بسبب ما هو عليه لا بانتسابه إلى نسب أو طائفة أو قوم أو ملة أو أي شيء آخر غير نفسه هو وكل ما كانوا يحجبون فرديتهم الأصلية وراءه ويختبئون وراءه من حجب وحصون وألفاظ ستزول ويبقى كل واحد عارياً مشهوداً أمام الكل على ما هو عليه.

١٦-{فأما الذين ءآمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون}

الإيمان يجعلهم في روضة، والعمل الصالح يجعلهم يحبرون. فالروضة أرض لها ماء ونبات، ويحبرون فيه معنى سماع الصوت الحسن وفيه معنى الحبر الذي منه الأحبار أي الكتابة وفيه معنى السرور والطرب، وكل ذلك صحيح. أما الإيمان فإنه علم وشهود والعلم ماء وشهود المعلوم في الخارج هو النبات لأن النبات ظهور الشيء بالماء من تحت الأرض أي الخفاء إلى الخارج فهو رمز الشهود والعلم حياته كالماء حياة النبات. ويتفرع على ذلك سماع الصوت الحسن الشامل لمعاني سماع كلام الله وكلام أهل الله وكذلك سماع مدح المؤمنون له وشكره على ما هو عليه وما يقوم به، وفيه معنى فيض الله عليهم ليكتبوا وينشروا علمهم وكلامهم بحرية كاملة، وهذا كله سيجعلهم في حال سرور وطرب وفرح بالله وبرحمته والحال الطيبة التي هم عليها بعد الظلام والقهر الذي كانوا يرزحون تحته.

١٧-{وأما الذين كفروا وكذّبوا بآياتنا ولقآء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون}

محضرون اليوم إذ سيحاسبهم الناس على كل قول يعلنونه بالرد عليه بالكلام ولن يسكتوا عليهم بعد الآن، وسيذمّونهم بحرية تامة على كل فعل يفعلونه وكل خُلق يظهرونه، وكذلك إن اعتدوا على أحد ظلماً أي اعتدوا على أحد بسبب قوله أو دينه أو نسبه أو لونه أو أي شيء من هذه المظالم التي هي شائعة عند المنافقين ودينهم المزور سيردّ الناس عليهم ذلك بالعقوبات العادلة والصارمة بعد أن كان الناس يسكتون عن ذلك ولا فعلون شيئاً إما خوفاً وإما جهلاً، فالخوف سيزول بقيام الروم لأنهم سيبيدون أسباب الخوف ويقطعون رأس الخوف وكل من يريد الطغيان على الناس ونشر الخوف الآثم، وكذلك سيزول بقيام الروم الجهل لأنهم سيكشفون كل شيء ويبينون كل شيء وينشرون العلم في كل مكان والكتب وستقام المجالس في الأرض وتعمر المساجد والأماكن كلها بالحوار والجدل والكلام عن كل شيء بدون قيد خارجي أو شرط موضوعي بل في كل مكان مناسب وعام بنحو منضبط يضمن كلام الكل وكذلك في كل مكان خاص وبيت خاص سيجتمع الناس بدون تقية ولا خوف ولا وجل وسيقيمون جماعات وطوائف من كل لون وشكل دفاعاً عن ما يعتقدون أنه الحق والأحق وكل هذا سيجعل الذين كانوا يعتمدون على خنوع الناس تحت أرجلهم {في العذاب محضرون} من كل وجه.

١٨-{فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون}

فمن أراد أن يكون في الفريق الأول أي الذين ءآمنوا وعملوا الصالحات فليعرف هذه الحقيقة التي هي {سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون}، التسبيح متعلّق بالحين، لكن الحمد كما سيأتي

في الآية التالية متعلّق بال"في" و ال"حين". الحين زمان، الفي مكان. الصباح والمساء مظهر تغيّر الزمان وقسمته، لكن الله تعالى على الزمان فلا صباح لديه ولا مساء لأنه ما وراء الزمان، فهو واحد أحد لا يتعدد ولا ينقسم ولا يتغيّر في حقيقته المتعالية.
حين تمسي وحين تصبح تذكّر التسبيح. أي حين تتغيّر تذكر الذي لا يتغيّر. فالعالَم باعتبار علامة معكوسة لله تعالى، فكل ما عليه العالَم فالله بخلاف ذلك ومن هذا الوجه العالَم مرآة عكسية لله. فحين تشهد العالم أنت تشهد الله باعتبار ما، أي ما أثبته العالم فهو منفي عن الله، وما نفاه العالم فهو ثابت لله. فثبت للعالم الحدود والله لا محدود، ونفى العالم الإطلاق والله مطلق. أثبت العالم التغيّر والأضداد، والله ثابت الحقيقة في ذاته ووحدته الذاتية القهارية لا يضادها شيء لأنه لا يوجد غيره ولا ما هو خارج عنه ليضاده.

الجمع بين الله والعالَم فعمل واحد يقوم به الإنسان يدل على جمع الإنسان بين الحقيقة الإلهية والصورة العالمية، وهذا العمل هو التسبيح. ف{سبحان الله} يكشف عن وجود سر فيك مسبَّح ومنزّه عن تغيرات الزمان أيضاً ولولا هذا السرّ لما استطعت أن تسبّح الله ولا أن تعقل أصلاً ما معنى تسبيح الله فضلاً عن ممارسته وتحقيقه. لكن كونك مقيّد ب{حين} له أضداد {تمسون..تصبحون} دليل على صورتك العالمية واشتمالك على المتغيرات. فأنت الثابت المتغيّر، المطلق المقيد، المُسَبَّح النزيه والسابح الشبيه.

من آثار القيامة الصغرى والبلاد التي قامت فيها هذه القيامة الصغرى أنها لا تنفي شيئاً من حيثيات الإنسان وأبعاده، بل كل حقيقة ثابتة للإنسان سيُعتَرَف بها ويتم تفعيلها من أعمقها غيباً إلى أبرزها حِسّاً. كل ميل ولذة وشهوة ومتعة وقدرة ورغبة وكل شيء سيتم إثباته وتقريره والسعي لتحقيقه وتفعيله. لن يُكفَر بالإنسان بعد الآن، ولا بشيء من الإنسان، لن يُقمَع شيء فيه ولن يواري ولن يداري ولن يحابي ولن يخاف من أحد ولا من شيء إلا الله وحتى الله لن يخافه إلا إن ظلم وإن ظلم سيتوب عن قريب لأنه سيجد الله يوفقه أو سيجد صالحاً يأمره وينهاه أو سيجد فاسداً يعظه بمثاله، وكل شيء سيظهر ويتجلى بدون أي قيد صناعي كالذي كان من قبل أيام دولة الأعراب المنافقين والكلاب الطاغين. القوة ستكون سمة الإنسان، مزيد من القوة، مزيد من فعالية القوة، القوة في كل أمر باطن وظاهر، والله سيزيدهم قوة إلى قوتهم. الروم سيجتاحون العالَم ويضعون تحت أقدامهم كل طاغية ودجال ويجعلون الأعزة المعتدين أذلة مُهانين وسيكون بني إسرائيل المسلمين أهل الله وحملة القرءآن العظيم هم الأعزّة والظاهرين وكل مسلم مسالم من الناس أجمعين. ستنتشر الحرية والمعرفة في الأرض حين يقوم الروم بالواجب والفرض. وهو التسبيح العملي مساء وصباح بالنسبة للمجاهدين في سبيل تحرير الناس وتركهم للتوجه لرب الناس.

١٨-{وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون}

التسبيح فيه معنى نفي الباطل والسوء، وأما الحمد فهو إثبات معنى الحق والحسن، فالحمد يكون لثبوت صفة كمال والتسبيح لنفي صفة نقص. ولولا التسبيح لما انتفت النقائص أو توهم النقائص في الله تعالى، لذلك التسبيح تطهير القلب وبعده الحمد الذي هو أثر تجلي نور الله في القلب والعالَم "وأشرقت الأرض بنور ربها". فله الحمد في السموات والأرض لأنه نور السموات والأرض، وحين تشهد القلوب هذا النور ستحمده وإن كان الحمد ثابت له بنفس وجود المكان متمثلاً بالسموات والأرض وبنفس وجود الزمان متمثلاً بالعشي والظهر. فالأكوان تحمد الله بغض النظر عن حمد الإنسان. والإنسان حين يحمد الله فإنه يتوافق ويتناغم ويتغنّى مع الأكوان. "إنا أرسلنا معه الجبال يسبّحن بالعشي والإشراق. والطير محشورة كل له أواب"، فحين يتوجّه الإنسان إلى الله يجعل الله الأكوان تتوجه إلى الإنسان وتأتم به وذلك حين يحقق خلافته لله.

مَن يستطيع أن يحمد الله على وجود السموات والأرض، وعلى وجود العشي والظهر، أي على وجود المكان والزمان، إلا إنسان حر مستنير. "إن العبيد لأنجاس مناكيد" المستعبدون لا يحمدون، ولا يستطيعون، وكل ألفاظهم مشوبة بالنجس والنكد بالضرورة إن كانوا مقهورين وبأسوأ من ذلك إن شرحوا بعبوديتهم للبشر والطغاة والجهل صدراً. لذلك لابد لتحقيق حمد الله في الناس من رفع أسباب العبودية عنهم، لابد من رفع القيود المكانية والزمانية الباطلة والآثمة التي تجعل الناس غير أحرار في التصرف في المكان والزمان مادام تصرفهم ليس فيه عدوان بأضيق معاني العدوان المباشر الحقيقي وليس على طريقة "خوف الفتنة" و "سد الذريعة" و " رعاية المصلحة العامة" التي يتذرّع بها المجرمون الطاغون عادةً، فضلاً عن أن القيود التي يمكن أن توضع ستكون قيوداً وضعها الناس بإرادتهم بأحسن السبل الممكنة عندهم وسيشارك في صنعها أكبر عدد منهم بحسب شروطهم التي أيضاً هم الذين سيحددونها. لكن الواجب السعي باتجاه تحرير الإنسان مكانياً وزمانياً، حتى يتبوأ من الأرض حيث يشاء ويفعل بحياته ووقته ما يشاء، ويكون كل قيد موضوع على أحد بهذا الخصوص أسوأ من أكل الميتة والخنزير من حيث البحث عن شروط ضرورته وتقييده بها والسعي لإزالتها بأي سبيل. أي ستصبح الحرية هي القيمة الكبرى والمركزية، والعلم أعظم وسيلة، وكل تفصيل صغر أم كبر لابد أن يخضع للوازم الحرية الفردية والعلم البيّن، فإن جاز جاز وإلا فلا. هذا الكلام الذي قد يبدو عامّاً من وجه إلا أنه ليس عامّاً مبهماً وله تجلي واضح ومفصّل تفصيلاً في كل مسألة إلا أننا هنا نبيّن الأصول والمفاتيح، والتفاصيل تتجلى في المسائل الجزئية بعد ذلك. فالمقصد الأعظم هو جعل الإنسان يرى الحمد القائم في المكان والزمان، وحتى يكون حامداً على حياته وشاكراً لما هو عليه. فما يوصل إلى هذا سيكون طريق الحق، وما يبعد عنه فهو طريق الظلم والظلام. فإن أردت تقييم ما أنت عليه فاسأل نفسك هذا السؤال: هل تحمد الله على كل ما أنت عليه نفساً وما أنت فيه مكاناً وزماناً؟ فإن قلت نعم من عمق قلبك لا الحمد بالمعنى التقوي السطحي الذي يعتاد العبيد على التلفظ به من باب العادة أو من باب تسكين ألم النجاسة والنكد الذي يجدونه أو من باب اتقاء

غضب وهمي لله وكأنهم يقولون لله "نحن نعيش وضعاً مأساوياً وسنقول لك الحمد لله حتى لا تجعلنا بعد الموت أيضاً نعيش وضعاً مأساوياً فيكفي البلاء والقرف والمزبلة التي اسمها حياة التي نعيشها الآن" كلا ليس هذا الحمد المتكدّر والنكد، لكن الحمد الصافي الخالص الذي ينطق به قلبك قبل أن ينطق به لسانك، وتجد نوره وانشراح صدرك له وتدمع عينك بسببه وأنت في خلوتك ولو لم تتلفظ به لشهودك حسن المكان والزمان بتجلي الله فيه بأسمائه الحسنى وجماله الأسنى وانعكاس ذلك في نفسك بما تشهده فيها من عزّة وراحة واستنارة وقيمة بفضل الله ورحمته وحريتك من الخلق وعبوديتك الخالصة الطوعية للحق، هذا الحمد حين يصدر منك فأنت على الصراط المستقيم والحياة الطيبة.

لاحظ السعة والانطلاق الذي في التسبيح والحمد. التسبيح متعلق بالصباح والمساء والحمد متعلق بالسماوات والأرض والعشي والظهر، ما معنى ذلك؟ معناه أنك خارج بيتك ولك اتصال بما هو خارج بيتك أو بالأحرى خارج سجنك وقبرك، لأنك إن كنت في قبر فلن ترى صباح ومساء وعشي وظهر، ولن ترى سماء ولا أرض. لكنك إن كنت في الخارج حراً طليقاً في الطبيعة فستشهد ذلك بجلاء وترى حقيقته وتتأملها. وهذا بحد ذاته رمز على حالة الحرية الجديدة هذه. الخروج من المضايق والعيش وراء الجدران والمشي جنب الحائط والإيواء إلى الكهف وهلمّ جرّاً من مظاهر الخوف والقهر وكره العالَم وبغض الطبيعة. كل هذا سيزول. وستكون الطبيعة مكاناً وزماناً هي المسجد الأكبر، وهي الآية الحية، والكلمة الربانية القائمة. نظرك في الزمان ومظاهره سيكون تسبيحاً وحمداً، ونظرك في المكان سيكون حمداً، وعملك فيهما سيكون شكراً، وقراءتهما ستكون صلاتك، والحركة أو السكون فيهما ستكون سياحتك، وقيامك في العالَم سيكون عمرتك وإعمارك له.

التسبيح غيب والحمد شهادة. فالتسبيح سماعي والحمد بصري. وكل ذلك ذكر لله.

تعلّق التسبيح بالصباح والمساء لأن التسبيح يدور بين الإثبات والنفي، الكمال أو النقص، ولا يوجد شيء ثالث ما بين ثبوت الكمال أو نفيه. فالله إما منزّه في ذاته عن الزمان وإما ليس كذلك، إما واحد وإما منقسم ومتعدد، وهكذا عقلاً لا يمكن إلا هذا أو ذاك. فدار التسبيح ما بين الصباح والمساء كما دار معناه بين إثبات الكمال أو إثبات النقص ولا وسط بينهما.

أما الحمد فدار بين السماوات والأرض من جهة، وبين العشي والظهر من جهة أخرى. لماذا؟ أما بين السماء والأرض لأن صفة الكمال إما أن تكون مجرَّدة وإما أن تكون مجسَّدة، أي إما سماوية وإما أرضية، إما كلية وإما جزئية، إما متعالية وإما نازلة. وأما بين العشي والظهر لأن الوقت إما أن يكون الظهر الذي هو أعلى ظهور للشمس وقمّة ظهورها ونقطتها العليا في الإشراق والإضاءة باختصار قمّة صعود الشمس، وإما عشي والعشي له درجات نهارية ودركات ليلية لكن كلها

ينطبق عليها اسم العشي من حيث عشو العين لغياب الضوء الكامل للشمس سواء كان غياب الضوء ناتج عن دركات غروب الشمس من بعد الظهيرة إلى السحر وإما ناتج عن درجات طلوع الشمس من الفجر إلى ما قبل الظهيرة، فكلها عشي من حيث الحقيقة، وتبقى نقطة الظهور الكامل للشمس هي الظهر. كذلك صفة الكمال أي صفة كمال لها ظهور مطلق ولها درجات ودركات. مثلاً، العلم ظهوره المطلق في العلم الإلهي "وهو بكل شيء عليم"، لكن له درجات في الإشراق كدرجة العلم النبوي "رب زدني علما" لاحظ هنا زيادة في إشراق العلم صعوداً، لكن توجد دركات في العلم كقوله "ننكسه في الخلق" و قال "ثم رددناه أسفل سافلين" وقال "ليكي لا يعلم من بعد علم شيئاً" الذي هو أرذل العمر فقد كان فيه العلم ثم بدأ بالتناقص والغروب دركة فدركة حتى يصل إلى الدرك الأسفل الذي هو "لا يعلم..شيئاً". فالعلم له نقطة واحدة هي الظهيرة وهو العلم المطلق، وله درجات في الازدياد وله دركات في النقص، ودرجات زيادته لا تبلغ أبداً النقطة المطلقة إذ "فوق كل ذي علم عليم" إلى مالانهاية لأن علم الله لا حد له، لكنه قد يبلغ أسفل نقطة من العدم وذلك حين تنعدم الصفة تماماً كانعدام صفة العلم أو صفة الحياة بالموت أو صفة القدرة بالعجز أو صفة القوة بالضعف وهلمّ جرّاً في بقية صفات الكمال. الحمد يكون {عشياً} وذلك بالحمد على وجود النور أي صفة الكمال ولو ذرة منها أو الحمد على غياب صفة الكمال في الصالحين لأنها تقلل التكليف وترفع المسؤولية من قبيل "ليس على الأعمى حرج" فالأعمى المؤمن يحمد الله على عماه كما يحمده البصير المؤمن على بصره، ويحمد الأعمى على عماه لأنه رفع عنه الحرج وتكاليف الشريعة والطريقة المتعلقة بالبصر وهو من التيسير وكفاية الله المؤمنين القتال، وغير ذلك من اعتبارات يحمد فيها المؤمن على غياب صفة الكمال في بعض الحالات، وهو من قبيل "الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور" فالحمد أيضاً على الظلمات فتأمل، فالحمد على العشي بكل درجاته ودركاته مختص بالمؤمنين لذلك ثبت لهم اسم الحامدين لأنهم حمدوا على كل وجود وعدم لصفات الكمال، وكذلك يكون على وجود صفة الكمال المطلق في الحق تعالى وكونه جعل اسمه تعالى المثل الأعلى للناس إذ بذلك يكون الصعود والمعراج إلى مالانهاية في النعيم والاقتراب منه ممكن إلى ما لا نهاية، ومن هنا سنجد في سورة الروم ذكر كون المثل الأعلى لله، إذ لو كان المثل الأعلى لغير الله لأمكن بلوغه والاتحاد به وحينها ينتفي الازدياد والمزيد وينحدّ النعيم ولو بعد حين، لكن لما كان المثل الأعلى لله والحمد يقع في الظهر أيضاً دل على النعيم اللانهائى وإمكان التحسين والتجميل والتعظيم مطلقاً أبداً كما قال في نعيم أصحاب الجنة "عطاء غير مجذوذ" -لاحظ أن "مجذوذ" بدون نقاط هي "محدود"، فيتضمن معنى: عطاء غير محدود. وهو كامن في "عطاء غير مجذوذ" لأن الجذ حد. "لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد".

١٩-{يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون}

"أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها" و "الله ولي الذين ءآمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور" و "الله نور..والله بكل شيء عليم". إذن الحياة والنور والعلم شيء واحد، والموت والظلمات والجهل شيء واحد، أي حالة إنسانية نفسية والكلام هنا عن النفوس وليس الأجسام في هذا التأويل لأنه المعتبر والقرءآن جاء ل"ينذر مَن كان حياً" والحي هنا هو الذي شرحه في أول يس "إنما تنذر مَن اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب" فمتبع الذكر وخاش الرحمن بالغيب هو الحي الذي جاء القرءآن لإنذاره ومن سوى ذلك فقد "حق القول على الكافرين" أي هو كافر بالتالي ميت وفي الظلمات وجاهل. الكلام إذن عن إحياء نفوس الناس بنور العلم وحياة الروح وعقل القرءآن، باختصار بالقرءآن إذ "فذكّر بالقرءآن" وحين نستعمل اسم القرءآن فنحن نقصد الحياة والعلم والعقل والنور والروح والقيامة النفسية وبقية الصفات النورانية والكمالية.

الناس ما بين حي وميت نفسياً. الحي فيه عناصر موت، والميت فيه عناصر حياة. وما عليه أكثر الناس هو الذي سيشكّل حال البلد الذي يعيشون فيه فالله يحكم على الكل بما عليه حال الأكثرية وهذا كثير في القرءان كقول الرسول "إن قومي اتخذوا هذا القرءآن مهجورا" ومن المعلوم أن ليس كل فرد فرد من قومه اتخذ هذا القرءآن مهجورا ولكن أكثر قومه فعلوا ذلك إذ ءامن مع النبي قليل وهاجروا معه وهاجروا إليه إلا أن العبارة هنا "إن قومي اتخذوا" وليس "إن أكثر قومي اتخذوا"، فاستعمل الاسم بدون قيد لأنه ينطبق على الأكثرية، فعرفنا من هنا وغيره من المواضع أن الأكثرية حاكمة وهي التي تحدد حال الكل عند الله وعلى هذا الأساس تنزل الأحكام التكوينية والتشريعية بشكل عام، والاستثناء ما سوى ذلك وهو أن تُراعى حالة فرد فرد. بناء على ذلك، وبناء على أن اسم "الأرض" ينطبق كما قلنا على الناس الذين يعيشون على أرض وليس فقط على بقعة الأرض، نعرف أن البقعة التي يعيش عليها أناس أكثرهم أموات نفسياً هي أرض ميتة وإحياء هذه الأرض يكون بتحويل هؤلاء الناس إلى أكثرية أحياء. فكيف نفعل ذلك؟ هذا ما تجيب عنه الآية. {يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون}.

مَن كان غالب أمره قائم على مقتضيات العلم ومركز حياته العلم فهو الجدير باسم {الحي}، ومَن كان غالب أمره قائم على مقتضيات الجهل ومركز حياته الغفلة فهو الجدير باسم {الميت}. والفرق بينهما بيّن وليس أمراً إجمالياً مبهماً وقد بيّنت السورة من أولها ذلك. فمثلاً حين ذكرت الذين " يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا" فهؤلاء هم الأموات، فالذي يعلم ظاهر الدنيا فقط ميت، فما بالك بالذي لا يعلم حتى هذا الظاهر فهو ميت الأموات. إذن العلم هو المعيار في التمييز بين الحي والميت. مَن كان عالماً بأمر فهو حي فيه، وإلا فهو ميت عنه. فمن كان عنده علم ظاهر الدنيا فهو ميت بالنسبة لباطن الدنيا والآخرة، ففي الحكم الحق المبني على ما هو باق لا على ما هو فان وعلى ما هو أعلى لا ما هو أدنى سيُحكم على هذا الشخص أنه ميت. لذلك قال "أومن كان ميتاً فأحييناه" لأنه تحوّل من ميت عن علم الآخرة إلى حي فيها. هذا فرق. بيان آخر في آية أخرى

مضت وهي "وأما الذين كفروا وكذّبوا بآياتنا ولقاءُ الآخرة" فهذه ثلاث علامات للموت النفسي، فالكفر فيه معنى تغطية الحق ورفضه بعد معرفته وجحده بعد الاستيقان منه مما يدل على أن العقل ليس أولى أولويات هذا الشخص أي تعقل الحق وقبوله كائناً ما كان ليس هو أولى أولوياته وهذه علامة الموت بالتالي العاقل أي الذي يجعل عقله وتعقله هو أولى أولوياته ومركز عملياته وأساس قبوله ورفضه للأمور هو الحي. التكذيب بآيات الله موت، بالتالي رؤية العالَم كآية الله وقبول آيات الله البينات التي يأتي بها الرسل أي القرءآن هنا هو حياة. الكفر بلقاء الله في الآخرة موت، بالتالي الإيمان بلقاء الله في الآخرة حياة. هذا فرق آخر. فرق ثالث "أولم يتفكروا في أنفسهم" فالتفكر حياة، عدم التفكر موت. فرق رابع "أولم يسيروا في الأرض فينظروا" فالسير والنظر حياة، وعدم السير وعدم النظر موت. وعلى هذا القياس تستطيع تحديد عناصر الحياة وعناصر الموت المقصودة هنا والتي يمكن تلخيصها باعتبار في جملة واحدة، النفس التي ترى أن قراءة القرءآن هي أهم عمل عندها وتجعل بقية أعمالها تدور في فلك قراءة القرءآن فإما أن تكون أعمال خادمة لتفريغه لقراءة القرءآن مثل طلب المعاش وإما أن تكون أعمال نابعة من قراءته القرءآن مثل تبليغ الحق، فهذه النفس حية. وأما الموت فله سبل كثيرة كلها تدور في فلك عدم جعل العقل هو المركز، عدم جعل التعلّم هو المركز، عدم جعل الله وذكره هو المركز، عدم جعل السعي الأخروي هو المركز، جعل الشهوة أو الهوى أو الحمية الجاهلية أو اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر في الأموال والأولاد هو المركز وأساس الحياة ومقصدها الأعظم الذي يدور عليه التفكير والسعي، هذه كلها سبل الموت ودركات الجحيم النفسي وأمواج بحار الظلمات.

بناء على ما سبق نقرأ {يخرج الحي من الميت} فكل إنسان لأن فيه فطرة الله التي هي الدين القيم يملك قيمة ذاتية وفيه جوهر الحياة وإرادتها والاستعداد النفسي لها، ولذلك من شأن المعلّمين والمزكّين أن يعملوا على تنبيه الإنسان الميت على ذلك عبر إخراج عناصر الحياة منه، أي تنبيهه على فطرته وتجلياتها وأهمية العلم والعقل حتى في حياته هو من حيث يشعر أو لا يشعر، وضرب الأمثال له على الآخرة من أمور دنياه وظاهر الحيوة الدنيا التي يدور في فلكها ويسجن نفسه فيها. فكل ميت فيه حي كامن يريد الخروج وهو النفس الحية الفطرية الإلهية. والعكس صحيح أيضاً. {يخرج الميت من الحي} فكل إنسان مهما كان حيا لا يزال فيه عناصر شر وظلمات وظلم وجهل، وقد تكون لديه أفكار ستؤدي أو تؤدي إلى الشر والظلم فلابد من تنبيهه عليها وإخراجها منه عبر التجادل معه والحوار وتحليله وتأويله حتى يعي وجودها ويصل إلى جذورها ويقلعها من هنا، ولولا الميت الذي في الحي لما عصى آدم ربه فغوى ولما استغفر محمد ولما قتل موسى نفساً. فكل حي فيه ميت، وكل ميت فيه حي. فإن أخرجنا الحي من الميت سيصبح لديه رجاء تحويل نفسه إلى نفس حية لأنه رأى ما هو كامن فيه واستعداده له وإرادته ولو بغفلة منه له، وإن أخرجنا الميت من الحي سيحذر وسيتطهر وسيزداد وعيه وتمسكه بعوامل الحياة وأسبابها ويعرف كيف يكتشف عناصر الموت وتزداد رهافته في ذلك وحساسيته لها فتزداد حياته وقوتها بإذن الله. ومع تكرار هذه العملية مع كل فرد، مع الوقت بإذن الله سيتحوّل أكثر

الناس في مكان ما إلى أكثرية أحياء مما يعني تحقق آية {ويحيي الأرض بعد موتها}. فتصبح الأرض الآن مثال على الجنّة إذ تشيع فيها رياض الجنة وقصورها التي هي حلق الذكر وبيوت العلم، وما سوى ذلك من أمثال الجنة التي تأويلها العلم وشؤونه المختلفة كالأنهار التي هي علوم وكالظلال التي هي علماء وهكذا بكل تفصيل وتأويل ليس هذا محل ذكره تفصيلاً. فإذا كان للجنّة ظهور على الأرض ومثال تتجلى فيه فهو القرءآن وأهل القرءآن والبلاد التي أكثر أهلها هم أهل القرءآن. أو إن شئت فهو العلم وأهل العلم والبلاد التي أكثر أهلها هم أهل العلم. وإن شئت فهو العقل وأهل العقل والبلاد التي أكثر أهلها أهل العقل. وإن شئت فهو الذكر وأهل ذكر الله والبلاد التي أكثر أهلها أهل ذكر الله. وهكذا كل صفة من صفات النور والحياة والروح والألوهية والرحمة والعلم هي جنّة من الجنّات، والجنّات كثيرة ولها درجات. والدرجة التي تحكيها هذه الآية هي درجة الحياة، لذلك الكلام فيها كله عن الحياة، لأن الحياة أوّل المقامات وأساس باقي الصفات. والحياة جوهرها هو تحوّل النفس إلى نفس تعي الآخرة وباطن الأمور وتذكر الله أي نفس لها بُعد باطني لا ظاهري فقط. فكل نفس لها حياة ظاهرة وعلم بشيء من أمر الظاهر الدنيوي مهما ضعف وقلّ. لكن أن تصبح النفس لها حياة باطنة وباطنية وعلم بالأمر الباطني للدنيا من أول درجات الباطن إلى أعلاها الذي هو "الباطن" سبحانه وتعالى، فهذه هي الحياة التي يتحدّث عنها القرءآن في "أومن كان ميتا فأحييناه" وجاء القرءان والرسول ورسله من أجل نفخها في الناس والأرض. عمل الروم اليوم هو إكمال عملية الإحياء الباطني هذا ببثّ علم التأويل بدرجاته المختلفة، وكل رومي له درجة عند الله ومن الله يقوم بها وينفخ الروح بحسبها ويبثّ التأويل من نهرها.

قد ذكرنا أن الحياة جوهرياً هي الرؤية الباطنية للعالَم الذي هو كتاب الله التكويني والقرءآن المشهود لا القرءآن المقروء الذي هو هذا العربي الذي ندرسه. فبعد أن ذكر {وكذلك تخرجون} في الآية هنا دل على حصول الخروج من قبر الموت والجهل إلى بقر الحياة والعقل أي بقر وشق ظاهر العالَم للنظر في باطنه ووجهه الإلهي ودلالته على الله وأمر الآخرة وحقيقة النفس وعوالم الباطن باختصار رؤية العالَم كآية. فهذا التحوّل قد حصل الآن بعد {وكذلك تخرجون}، لذلك الآية التي بعدها فوراً بدأت تذكر آيات الله في العالَم، وهي مظاهر كونية لكنها مذكورة كآية وفيها أبعاد عقلية وعلمية لا يشهدها الحس من حيث هو حس فقط ويربط العالَم بالله واسمه وفعله وأمره وقصده من العالم. أي صار العالَم محسوساً ومعقولاً معاً، بالعقل الباطني للمتألهين. فذكر "ومن ءاياته" وعدد هنا سبع آيات بالنص على أنها من آياته مبتدئاً بكلمة "من ءاياته" وإن كان قد ذكر آيات أخرى غير هذه ما بين ذلك وفي بقية السورة. فالعالَم بعد الخروج الإحيائي تحوّل من صورة إلى آية. وهذه علامة الحياة الباطنية المقصودة بالقرءآن.

عملية الإحياء يجب أن تبدأ بالأفراد، وتعاملها يكون على أساس فردي كأصل. {يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي}. وهذا خلافاً للنزعة الجماهيرية التعميمية ومخاطبة الناس من حيث

هـم قـطيع وجـمهور، فـهذا فـرع واسـتثناء أقـصد الـخطاب الـجماهـيري. الإحـياء خـطاب فـردي لا خطاب جماهـيري. وهـذا من أهـم الفروق بين الرسـل وورثة الرسـل وبين أهـل الجـهل والطغاة الذين يهمهم كمية بهائمهم لأنهم يريدون لأغراض الدنيا حصراً ويريدون أسرهم عندهم من أجل عرض الـحيوة الـدنيا. اعرف الـدجّال المتدين من هـذا: لا يـتعامـل مـعك عـلى أسـاس فـرديتك والـنظر فـي شـأنك أنت كأنك العالَم كله ولا يوجد غيرك باعتبار ما. فالنبي مثل الطبيب يعالج على أساس فردي. والـدجال مثل الطاغية يخاطب الحشود ويخرج عليها في زينته ليبهر أنظارهم ويطمس عيون عقولهم ويشتتهم بتهييج عواطفهم. تذكر هذا جيداً واحكم به وافرق بين الدعاة على أساسه. نعم هذا لا يعني أنه لن يكون للعالِم والرسول خطاب لعموم الناس أيضاً مثل صلاة الجمعة، لكن هذا استثناء وليس الأصل. والحق أنه لن ينفع هذا الاستثناء أيضاً إلا مع أناس قد تم التعامل معهم على أساس فردي وصاروا أحياءً وفهموا الأمور الأصلية والأسس وبعد ذلك يكون خطابهم العام معقولاً بدرجة ما ونافعاً إلى حد ما. وإلا فانظر حولك وفي نفسك كم مرّة تغيّر فيك شـيء حقيقي وجذري بسبب خطاب كنت فيه واحدا من جمهور عريض. التغيير النفسي مبني على النظر في خصوصيات كل فرد، ومن هنا يُروى في الحديث الحق "لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس" نعم هذا نظر نبوة، الهمّ هو بالرجل الواحد، وليس بكثرة الأتباع الصوريين وأسرى الدنيا. لكن بالعكس من ذلك تجد فرعون يستحقر القلة "إن هؤلاء لشرذمة قليلون" ولو كان فيهم موسى كليم الله. النظر إلى الكمّية في التعامل مع الناس هو كفر بهم وبالحق وفرعنة، هذا هو الأصل. وأما الحكم على قوم بحسب حال أكثرهم فإن هذه مسألة أخرى متعلقة بإرادة استخلاص كيفية قوم عبر النظر في الحال الكيفي لأكثرهم إذ لابد من التعامل معهم واتخاذ موقف منهم عام ولا يمكن أن يكون إلا موقفاً واحداً بالضرورة إذ العمل لا يكون إلا واحداً في بعض الحالات فحيث تضطر إلى إصدار حكم واحد على عدد كثير من الناس فليس أمامك إلا أن تبني موقفك منهم بحسب حال أكثرهم أو بحسب حال أقلهم والعقل يقضي بترجيح الأكثرية لأن بينهم مساواة إنسانية جوهرية فلم يبق إلا ترجيح حال الأكثرية مع مراعاة الأقلية بأكبر قدر ممكن لا يضر بالعمل ومقصده ككل. إلا أن هذا ليس موضوعنا هنا. الموضوع هنا هو الإحياء. هل الأصل التعامل مع الفرد كفرد أو التعامل مع الحشد؟ هل تتكلّم فقط مع العامّة بدون مراعاة الفروق الفردية بينهم، فتكلّم الكل بكلام واحد ولا تراعي حال كل شخص، أو تكلّم كل واحد بما يناسبه وبحسب عقله وحاجته وتجعل هذا قدر استطاعتك هو الأصل، ثم يكون كلامك في الأمور العامّة مع العامّة والتي يستطيع كل واحد فيهم أن يأخذ من كلامك ما يعقله وبحسب حاله. التغيير الحقيقي والجذري لن يكون إلا بالنظر الفردي. فالأصل هو الفرد والفرع هو الحشد. لذلك {يخرج الحي} ثم {يحيي الأرض بعد موتها}. فذكر الفرد حياً وميتاً، ثم ذكر الأرض التي هي تجمع أفراد. هذا الترتيب يحتاج إلى جهد أكبر وعمل أعظم لكنه العمل الأحسن والأكبر إنسانية والأكثر فائدة على المدى الطويل بل والقصير. فإن فرد مستنير أنفع من حشد أعجبه كلامك ولم يبلع أو يهضم منه شيئاً أو حرّفه وهو يظن أنه فهمه أو لم يتحوّل هو نفسه إلى رسول

ليرسل رسالتك ويصبح هو نفسه صاحب رسالة خاصة نابعة من فطرته الإلهية. الطريقة فردية والسياسة جماعية. من هنا الطريقة إنسانية لكن السياسة من ساس الخيل أي هي تصرف مع دواب أي تصرف مع إنسان من حيث هو حيوان لا من حيث هو إنسان لأنها بطبيعة الحال تطمس فرديته وفطرته وحقيقته الخاصة به وتجهل حالته المخصوصة وظروفه وشؤونه المختلفة. أحيوا الفرد تحيى الأمّة.

٢٠-{ومن ءايته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون}

{من ءايته} هي آية واحدة حسب الخط وآيات حسب القراءة وكلاهما حق. فهي آية واحدة في الحقيقة وآيات كثيرة في الصور والمظاهر. الكل آية، فإذا نظرت من حيث الكلّية قلت "آيته" وإذا نظرت من حيث جزئيات هذه الكلّية وتفاصيلها قلت "آياته". فللإنسان عينين واحدة ينظر بها إلى الكلّية وواحدة ينظر بها إلى الجزئية، فإن خسر أحدهما صار أعوراً دجالاً.

{خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون} الفعل خلق، الأصل تراب، النتيجة بشر ينتشرون. فما معنى "من تراب"؟ نحن نرى الجسم يتحلل بعد الموت ويصبح تراباً ويختلط بتراب الأرض فلا يتميّز عنه، فحسب الظاهر رجوعنا إلى التراب دليل على خروجنا من التراب. فالتراب عبارة عن البساطة والأصل البسيط غير المركّب والمعقّد الذي هو "أنتم بشر تنتشرون". فالسؤال: كيف انتقلنا من البسيط إلى المركّب؟ حسب الظاهر لا يمكن للبسيط أن يتحوّل إلى مركّب بنفس فعل البسيط لأنه بسيط ولا يستطيع أن يُخرج من ذاته أكثر مما هو فيها وما هو عليه، فلأنه بسيط لا يمكن أن يكون السبب الحقيقي للمركّب الذي من عناصره أو عنصره الأساسي هو هذا البسيط. "أنتم بشر" البشرية بالإضافة إلى التركيب يوجد فيها عنصر الحياة الظاهر في الإرادة والظاهر في التوليد المعبّر عنه ب"أنتم تنتشرون" فمعنى الانتشار يتضمّن العمل بالإرادة مثل " إذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض" فالانتشار هنا وهو التفرّق والتشتت في الحركة والانتقال ناتج عن إرادة البشر التحرّك والتفرق والتشتت، ويتضمن كذلك التوليد أي البشر ينتشرون بالتوالد فيخرج منهم بشر آخر فيفترق الوالد عن المولود بنفس عملية الولادة ويحصل الانتقال والتغاير في الذوات والحركات. فكيف تحوّل التراب إلى بشر ينتشرون، كيف تحول البسيط غير المريد وغير المتوالد إلى مركّب مريد ومتوالد؟ العبارة القرءآنية الرمزية الطبيعية تنحلّ إلى هذه الفكرة. وهنا يأتي دور العقل. فقد عرفنا أن الخروج من الموت إلى الحياة يعني بداية الحياة العقلية والفكر والنظر. والعقل يقضي باستحالة تحوّل البسيط غير المريد وغير المتوالد إلى مركب مريد ومتوالد إلا بعامل خارج عن البسيط وفاعل فيه. كأن نرى خشباً ملقياً في الغابة، ثم فجأة نرى بعض هذا الخشب صار طاولة وبعضه صار كرسياً وبعضه صار رماداً، فهنا سنعلم أن الخشب ذاته لم يغيّر شكله إلى طاولة وإلى كرسي إذ هذا يحتاج إلى هندسة والهندسة ليست من شأن الخشب في ذاته بل هي عمل عقلي فنعلم أنه لابد من وجود عامل أو شيء من

خارج ذات الخشب قد فعل فعله العقلي واليدوي وتصرّف في الخشب، وكذلك بالنسبة للرماد فإنه تحليل وتحويل الخشب من صلابته إلى رماد مفتت دليل على وجود قوة من خارج الخشب قد أثّرت فيه وفككته، وحين نرى هذا الاختلاف في التغير في الخشب الذي كان واحداً بسيطاً وصار بعضه بشكل طاولة وبعضه بشكل كرسي وبعضه بشكل رماد سنعلم أن العوامل التي أثّرت فيه من خارجه غير ذات الخشب حتى لو جهلنا تلك العوامل على التفصيل. أما تحوّل التراب إلى بشر ينتشرون فإنه أكبر وأعقد من تحول الخشب إلى كرسي، لأنه تغيير ليس فقط شكلي بل جوهري أيضاً، إذ إفاضة الإرادة على غير المريد، وإفاضة قوة التوليد على الجامد، ووجود العقل المفكّر الناظر في الكليات والحقائق في غير المفكّر على هذا النحو، فهذا أكبر وأعظم من ذلك. فإذا نظرنا في الطبيعة لم نجد فيها شيئاً يفيد الإرادة والحياة المولّدة والعقل الذي نجده في أنفسنا كبشر ينتشرون. فمن هنا نعلم أن مصدر هذه الحياة النفسية ليس التراب ذاته ولا الطبيعة كلها لأنها مثل التراب من هذا الوجه، فلابد أن يكون شيئاً مما فوق الطبيعة، فوق لأنه تصرّف فيها وحوّل بسيطها إلى مركّب وجامدها إلى متوالد وعاجزها إلى مريد وغافلها إلى عاقل. الانتقال في الأطوار ما بين التراب إلى البشرية هو بحد ذاته دليل على وجود عامل مما وراء الطبيعة وفاعل مما فوق الطبيعة يتصرف في الطبيعة. وهذا الفاعل هو المعبّر عنه بكلمة {خلقكم}. ولاحظ أن الخلق دائماً من شي وليس من لاشيء، {خلقكم من تراب} وليس خلقكم من عدم. الخلق من شيء هو الدليل الأكبر على وجود الخالق المغاير لهذا الشيء والفاعل فيه. هذا كلّه كلام على ظاهر المثل، لكننا علمنا أن العبرة هي الأمر النفسي والباطني أي تأويل المثل وباطنه، فما هو؟

النفس لها تراب وهو بساطتها الأولية، الفطرة. فطرتها ترابها. والتراب هو الوعي المجرّد، لأنه بسيط لا يريد شيئاً بعينه ولا يولّد فكرة بعينها، فالوعي لا مريد ولا مفكّر، وهو وراء كل إرادة وفكر. الوعي ثابت لا يتحرّك بذاته، فهو سكون تام وثبات مطلق في عين ذاته. شاهد وعيك الذي هو حقيقتك الذاتية وسترى ذلك. وهي حالة الصمت والسكوت الذاتي القائم بذاتك. هذا ترابك. بعد ذلك تجد حركة وحياة تتشكّل بالوعي، والوعي يأخذ شكلاً إرادياً وهيئة فكرية، فتجد إرادات وأفكار في نفسك. فكيف صار الوعي إرادة مخصوصة وفكراً معيناً؟ الواسطة في ذلك هي كلمة الله. فالله يخلق ذلك فيك بكلمته، وهي هنا القرءآن. فإذا قرأت القرءآن ستجد فيك إرادة وفكراً، وستجد قوة إرادية وفكرية فيك، لذلك القرءآن فيه أمر يخاطب الإرادة وخبر يخاطب الفكر، أو يخلق الإرادة والفكر. النفس في أصل فطرتها لا تفكّر ولا تريد، بل هي وعي مجرد قائم مشاهد حصراً. لذلك لا ينتفع بالقرءآن مثلاً من كان له إرادة وفكرة في نفسه قبل قراءة القرءآن، لأنه ليس على الفطرة، لا يزال فيه شيء يعارض ما يأتي به القرءآن، فتجد ظواهر مثل "إن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين" أو "ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد" وهكذا كل معارضة للرسالة منشأها وجود تكوين إرادي وهيكل فكري قائم في النفس من قبل. فكيف تأخذ الرسالة بصفاء؟ الطريق هو الرجوع إلى التراب. أي الرجوع إلى الفطرة والنفس الطاهرة والوعي المجرّد الخالي

من الإرادة والفكرة بذاته ومشاهدة والقيام به. وبعد حلّ كل إرادة وكل فكرة، حينها سيأتي الله بكلامه النفسي الذي سيخاطب نفسك من عمق قلبك وبكلامه الآفاقي الذي سيخاطب نفسك من ظاهر جسمك وستجد نفسك بشراً تنتشر أي ستقوم فيك صورة إرادية وفكرية هي صورة خليفة الله وعوالم الله، فتصبح ذا إرادة من إرادة الله وفكراً من علم الله وعقلاً بقوة نور الله وسينتشر نورك هذا الذي هو من نور الله في الأرض "وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس". فالآية تشرح طريق التنوير من التجريد إلى التجسيد، من الوعي إلى النبي.

٢١-{ومن ءاياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون}

الآية السابقة تحكي التحوّل النفسي من الوعي إلى النبي، فالآن بعد أن صرت صاحب علم وحامل كلام الله في نفسك ماذا تريد؟ الآن الانتقال من الفردية إلى الزوجية، أي إلى بدء التجمّع مع أناس آخرين يريدون التعلّم منك أو أن تجتمعوا للتدارس معاً فيفيد بعضكم من بعض. لذلك ذكر هنا الآية التالية وهي {خلق لكم} لاحظ الأولى كانت "خلقكم" وهنا {خلق لكم}، فأولاً تستنير أنت في نفسك ثم سترى كيف يصنع الأشياء ويسخّر الخلق ويمدّك وينصرك بالمؤمنين. {خلق لكم من أنفسكم أزواجاً} فمن أنفسكم أي من الناس مثلكم ومن هو على شاكلتكم مثل "لا تقتلوا أنفسكم" المقصود نفسك أنت ونفسك غيرك من الناس الذين هم مثلاً من المؤمنين مثلكم وينتمون إليكم مثل "أولي الأمر منكم". فالأزواج هنا هم الناس الذين لديهم نفوس حية مثلنا، وليس النفوس الميتة، لذلك قال بأن الزواج من مؤمنة ومؤمن خير من مشركة ومشرك ولو أعجبتكم وأعجبكم أي أعجبكم ظاهر جسمهم ومالهم، فجعل الأولوية لاعتبار النفس لا المظهر. من هنا تجد كلمة أزواج بدون نقاط تصبح أرواح، وهو كذلك، الزوج المقصود به الروح، روحه، باطنه. فلما صرتم أنتم أصحاب روح إلهية وقرآنية بحكم التحوّل من تراب إلى بشر كما مضى، جاء الوقت للانضمام إلى غيركم من الأرواح الأزواج. لماذا؟ {لتسكنوا إليها} فالنفس الروحانية غير ساكنة ما دامت في الطبيعة لأنها لا تجد نفساً مثلها تتكلّم معها وتفهمها وتعيش معها على الاستقامة على الطريقة واتباع الشريعة، حين تنظر إلى الطبيعة لا تجد عقلاً، فينحبس الكلام في ذاتها ولا تستطيع إخراجه لعقل مثلها، فتكون غير ساكنة بل مضطربة وقلقة ومنزعجة. لذلك خلق الله من رحمته للنفس العاقلة الربانية {أزواجاً لتسكنوا إليها}، ولاحظ أن نفس التعبير فيه عقل، أي ذكر الظاهرة التي هي وجود الأزواج ثم ذكر التعليل والسبب الذي من أجله خلق الله هذه الظاهرة وهو لتسكنوا إليها، فهذا من الربط بين المظهر والظاهر أو الصورة والعقل، أو الحس والغيب، كما فعل في الآية السابقة "خلقكم من تراب" فربط فعل الله الذي هو الخلق وذات الله المشار إليها بالضمير من "خلقكم" مع المظهر الطبيعي الذي هو التراب والبشرية والانتشار، مع وجود روابط عقلية مثل "ثم" الدالة على الزمن أو الأثر المربوط بسبب وكلاهما أي الزمن والعلاقة السببية هما من الشؤون العقلية لا الحسّية فالحسّ لا يعطي زمناً ولا سببية وإنما العقل هو الذي يلاحظ ذلك

ويضعه ويكتشفه أو حتى يأتفكه ويخترعه ولو كان زوراً فهو عمل عقلي لا إدراك حسي. كذلك الحال هنا نجد الظاهرة الطبيعية مع الفعل الإلهي والتعليل العقلي في آية واحدة، فالظاهرة هي وجود أنفس الأزواج والسكن والمودة والرحمة، والفعل الإلهي هو {خلقكم..جعل بينكم}، والتعليل العقلي في اللام من {لتسكنوا} و {إن في ذلك لآيات}. وهذه من مظاهر الحياة النفسية التي تشهد وتوحّد بين الظاهرة الطبيعية والفعل الإلهي والتعليل العقلي فتصبح الرؤية كلية تشمل الغيب المتعالي الذي هو الله والغيب النسبي الذي هو العقل والشهادة التي هي الطبيعة. والعقل من الله والطبيعة من الله.

{وجعل بينكم مودة ورحمة} لم يأمرنا بالمودة والرحمة، لكنه يذكر خبراً وحقيقة واقعية وهي أن بينكم وبين أزواجكم توجد مودة ورحمة. فالزواج هنا ليس المقصود به العلاقة الاجتماعية المعروفة التي تُقرن عادةً من قِبَل المحرّفين بهذا الموضع وهم في ضلال بعيد وخلاف مع الآية نصاً وروحاً. وبكل بساطة نحن نرى أزواجاً على الطريقة الاجتماعية المعروفة لكن ليس بينهم لا مودة ولا رحمة، وليس فقط لا يسكن إليها بل يرى السكن كل السكن في الفرار منها فراره من الأسد أو المجذوم. القرءآن لم ينزل من أجل هراء الماديين وسياسة المنافقين. فاحذر وتأمل.

النفس الحية سيخلق الله لها أزواجاً لتسكن إليها وسترى حقيقة أن بينها وبينهم مودة ورحمة. وختم الآية ب{إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} لأن المقصد هنا هو التفكير. أي النفس تريد نفساً عاقلة مثلها لكي يتفكروا سوياً، فيعاون بعضهم بعضاً في التفكير، ويتبادلا الأفكار، فيقذف هذا بكلمته فكرته ويعطيها لصاحبه، وصاحبه يفكّر ويقذف كلمته في سمع الآخر ليلقّح عقله بها، وهكذا يتفكرون معاً. لذلك كل نفس زوج كل نفس في هذه العلاقة. أي هو ذكر حين يقذف الفكرة للآخر، وهو أنثى حين يقذف الآخر فيه فكرته. فهو زواج روحاني كل نفس فيه هي ذكر وأنثى فكل نفس خنثى في العلاقة الفكرية التي صورتها المادية هي الجماع. وليس المقصود هنا إلا النفس المخلوقة لك، فالله هو الذي سيدبّر أمر النفس المستنيرة ويجمعها بأنصارها ومن اتبعها من المؤمنين بها، {خلقكم لكم} هو الذي خلق وليس أنتم الذين خلقتم. القوم الذين يتفكرون هم قوم خلق الله بعضهم لبعض، ليسكن بعضهم إلى بعض، والله جعل بينهم مودة ورحمة. وفي ذلك آيات كثيرة لهم.

من الآيات، تعدد النفوس ذات العقول مع وجود السكن والمودة والرحمة وهي كلها صفات تدل على الوحدة أي وجود نوع من الوحدة والتوحيد بين النفوس، لذلك تجد نفسك تميل لمن يشبهك وتنفر ممن يخالفك فأنت تسكن إلى شكلك وجنسك ومن تجد فيه قيمة من قيمك ومرآة لحقيقتك وقابلية لفعلك وقولك، أي لابد من نوع من الوحدة حتى يتحقق السكن والمودة والرحمة. فمن جهة توجد كثرة بين النفوس بدليل أنك أنت نفس وله عقلك وزوجك نفس وله عقله وهكذا كل نفس لها عقلها ولذلك تصبحون قوماً يتفكرون والقوم كثير. إلا أنه توجد بينكم من جهة أخرى وحدة فعقلك ينعكس

في عقلهم وعقلهم ينعكس في عقلك وتفهمون بعضكم بعضاً وتجد الفكرة في عقلك وقبل النطق بها قد تجد أحد أزواجك وأصحابك الروحانيين ينطق بها، وهكذا إلى آخر مظاهر وجود الوحدة العقلية سواء في الأحكام وكيفية التفكير والقوانين المنطقية بين العقول المختلفة أو مظاهر السكن والرحمة والمودة الشعورية والتعاملية بينكم. فكيف اجتمعت الوحدة مع الكثرة؟ هذه هي الآية. فكونكم كثير في النفوس مع وجود وحدة في العقول آية على وجود العالَم الأخروي العلوي، لأن الدنيا تفرّق وتشتت بين الناس بحكم اختلاف أجسامهم وتضارب مصالحهم ومن يحوز شيئاً مادياً ويستهلكه فإنه لا ينفع بذلك إلا جسمه هو الذي استهلك فلا تستطيع أن تأكل تفاحة مثلاً فيشبع جارك بل إذا أكلتها أنت سيجوع هو بالنسبة لهذه التفاحة، فالدنيا تفرّق وفيها مزاحمة، لكننا نجد في الحياة العقلية النفسية ضد هذا، بل الفكرة الواحدة قد تكون في ألف عقل بدون أن يخسرها أي واحد منهم بل قد تزيد الفكرة بتعميقها والإضافة إليها وتنتشر مرة أخرى في الألف عقل وتزيد في الكل بدون أن يخسرها أحدهم، وكذلك نجد عقلنا لا يختلف جوهرياً من حيث هو عقل ومفكر مع العقول الأخرى، مما يدل على وجود شيء ما وراء الجسم وطبيعته يجمعنا كلنا "خلقكم من نفس واحدة"، فدلّ ذلك على وجود عالَم وحدة أخروي يجمع النفوس مخالف ومضاد لعالم الكثرة الدنيوي المفرّق للنفوس، فالنفوس تجتمع بالعقل وتفترق بالجسم. لذلك السكن والمودة والرحمة في جانب الجمع العقلي، وضد ذلك من مشاعر وعواطف وانفعالات ناتج عن ملاحظة الافتراق الجسمي والامتياز المادي والتعارض الطبيعي. فكلما مالت النفوس إلى عقلها كلما ارتفعت في درجات السكن والمودة والرحمة، وكلما هبطت النفوس إلى جسمها كلما انحطّت في دركات النفور والبغض والإيلام. فهي آية على الآخرة بجنّتها ونارها وأعرافها. وهي كذلك آية على الله تعالى. فكما أننا نشهد الوحدة في الكثرة، كذلك الله تعالى هو الواحد الأحد لكن كل مظاهر العوالم هي تجليات أسمائه الحسنى، فهو واحد من حيث هويته وكثير من حيث أسمائه، إلا أنه لا يوجد غيره فهو أحد وأحديته تتعالى عن الوحدة والكثرة التي هي اعتبارنا العقلي لحقيقته العلية.

السكون فيه معنى الثبات وفيه معنى الصمت. النفس العاقلة تسكن إلى النفس العاقلة بالمعنيين. فالثبوت بمعنى أنها لا تطلب شيئاً في الطبيعة غير هذه النفس العاقلة، لأن كل ما في الطبيعة هو أدوات وآلالات وأسباب لتفرغ النفس من شأن جسمها حتى تنظر في شأن عقلها وعلمها " فإذا فرغت فانصب. وإلى ربك فارغب". بالتالي النفس لا تسكن إلى الطبيعة بل تستعمل الطبيعة. وحيث أنه لا يوجد في الطبيعة إلا الإنسان وغير الإنسان، وغير الإنسان لا تسكن إليه النفس، فلا يبقى للسكن إليه إلا الإنسان، لأنه مظهر الروح في الطبيعة بالتالي تبحث النفس العاقلة عنه وتسكن إليه لأنه مطلوبها وتصبر معه مادامت في قيد الطبيعة. بعد أن تجد العاقل سترى معنى السكن الثاني وهو الصمت، أي ستجد المفكّرين معاً يصمتون حين يتكلّم أحدهم ويستمعون له، لأن كلامه مظهر عقله وتجلي روحه، وهذا مطلوبهم وغذاء نفوسهم وسبب لسعادتهم.

المودة هـي المحبّة الثابتة والظاهرة. فالمحبّة المتغيرة ليست مودة، والمحبة الكامنة غير المعبّر عنها ليست مودة. بل لابد من اجتماع الثبات والظهور في المحبة حتى تكون مودة. لذلك من أسماء الله الودود، لأن حبّه ثابت وظاهر لمن يودّه. المودة موجودة بين المفكّرين الروحانيين. أما المحبّة نفسها فلأن النفس العاقلة تحب من تتكلّم معه ويتكلّم معها، ولوجود المشاكلة في الجوهر العقلي والاتحاد في الروح. والثبات في المحبة ينتج عن تقدير الله لهذه النفوس بالاجتماع معاً والترابط في الصحبة والرفقة، وكذلك لأنهم حين يجدون أنفسهم في الطبيعة يتعلّقون ببعضهم البعض ولا يرون قيمة أعلى من حفظ رابطتهم هذه فيحصل الثبات الذي ضده التغيّر الناتج عن الانتهاء من الشيء أو وجود شيء أفضل منه، بينما النفوس العاقلة لا ترى نهاية لقيمة الرابطة بينها ما دامت حية وكذلك لا ترى أفضل منها إذ لا يوجد أفضل من العقلاء في الطبيعة. ظهور المحبة سيكون بكيفية الكلام مع بعضهم البعض والرفق والأدب والتذلل لبعضهم بعضاً عن محبة ورقة كما قال " أذلة على المؤمنين"، وستكون أيضاً في معاملاتهم واهتمامهم ببعضهم البعض وتعاونهم على قضاء أمورهم معاً ومواساة بعضهم بعضاً بالنفس والمال والإيثار "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة"، وستكون أيضاً بالمشاركة الحرة المجانية لأفكارهم وكلامهم وكتبهم مع بعضهم البعض، وغير ذلك من مظاهر المحبة.

الرحمة ضد العذاب، فهي الوقاية من الألم قبل حلوله ورفع الألم بعد وقوعه والمواساة في الألم بعد نهايته لتطييب النفس منه. الألم النفسي يدور حول الجهل والضعف العقلي والخوف من المجهول. المفكرون الروحانيون يقون أنفسهم من ذلك بطرق كثيرة منها الاجتماع في أوقات معلومة والمداومة عليها للتدارس والقراءة والتحاور حتى يقون أنفسهم من وقوع الجهل بهم بأكبر قدر ممكن، وكذلك يرفعون الألم بعد وقوعه عبر التلطف في الجدل والنظر لرفع الجهل عن بعضهم بعضاً ولتقوية نظر بعضهم بعضاً في الأمور، وكذلك يواسون بعضهم بعضاً عبر التذكير بمحدوديتهم وأن الخطأ وارد من البشر ونحو ذلك من أمور تطيّب النفس حين تغلط وتضل بجهالة. هذا لون من ألوان الرحمة بين المفكرين الربانيين.

٢٢-{ومن ءاياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين}

حين يخرج الروم للهجرة والسياحة الدعوية في الأرض، يذكّرهم الله هنا بحقيقة أن السموات والأرض التي يعيشون فيها هي من خلقه هو، أي حين تترك بلدتك الأولى لا تظن أنك قد خرجت إلى مكان غريب عنك لأن الذي خلق هذا المكان الذي تتحرك فيه بسماواته وأرضه هو الله الذي خلقك وأمرك بالخروج والدعوة. والناس الذين ستراهم في آفاق الأرض أو في أم القرى التي تجمع مختلف الألسنة والألوان-وهي من جميع الجهات الرئيسية أمريكا اليوم كما كان الحجاز بالأمس أمس النبي الأول-هم أيضاً من خلق الله، فلا تخف ولا تشمئز من اختلاف الألسنة

والألوان ولا تعتبر ذلك مشكلة أصلاً فإن اختلاف ألسنة الناس وألوانهم هو من جهة مثل خلق السموات والأرض هي أمر رباني كوني طبيعي فكما أنك تقبل اختلاف النجوم والكواكب في السماء كمّاً وكيفاً وأثراً وتقبل اختلاف النباتات والحيوانات في الأرض فكذلك اقبل اختلاف ألسنة الناس وألوانهم. من المتوقع أن يحدث للنفس الخارجة من بلدها الذي اعتادت عليه وحشة وغربة وشعور بفقدان قوة التملّك والسيطرة والهيمنة الذي كانت تجده في بلدها الأول والذي فيه أهلها وعشيرتها وأملاكها وعادتها وذكرياتها، كل ذلك يجعل المكان مألوفاً للنفس، وحين تخرج وتترك كل ذلك ستشعر بعدم التملّك وانكسار العادة وفقدان الذكريات بالتالي ستشعر بنوع فراغ في ذاتها وهذا الفراغ قد يرعبها ويجعلها تكره نفس فكرة الخروج ومن هنا يثّاقل الناس إلى الأرض التي نشأوها فيها ويرون الخروج عن ديارهم كقتل أنفسهم، هذا داء. الدواء هو {من ءاياته خلق السموات والأرض}، فمن جهة بلدك الأول هو بقعة على الأرض والأرض كلها خلق الله فأنت لم تزل في خلق الله وأرضه هو تعالى فتعامل على هذا الأساس فهو الذي يملك كل شيء والأهل الذين فقدتهم سيعوضك كما عوّض أيوب إن خرجت في سبيله وكسر العادة أمر حسن في نفسه لأنه يجعلك حياً متجدداً ويجعلك تكوّن عادات أحسن بناء على عقلك الجديد الأرقى وكذلك الحال في الذكريات المربوطة بالأمكنة، ومن جهة أخرى الذي يسّر لك تكوين معيشة في أرض هو نفسه الذي سيعتني بك ويدبّر أمرك في الأرض الجديدة أو الأراضي الجديدة التي ستعبرها وتعمرها. الداء الآخر، العنصرية والعصبية وكره المختلف، وينشأ ذلك عادةً من النشوء في بيئة مغلقة ذات فئات معينة من الناس أو فئة واحدة غالباً في الدائرة الصغرى ذات لسان واحد ولون واحد، فحين تخرج إلى أرض ذات تعددية في الأقوام ذوي الألسنة والألوان المختلفة قد يصيبك داء كره المختلف بأشكاله فاحذر ذلك وتعامل معهم على أنهم آيات الله مثلك أنت فإنك بالنسبة لغيرك صاحب لسان مختلف ولون مختلف عنه أيضاً، فأنت وغيرك في ذلك من آيات الله، فمن جهة لا هو ولا أنت اختار لونه ولا لسانه الأول فلا تلوم إنساناً على شيء لم يختره، ومن جهة أخرى هذا التعدد الكيفي والاختلاف هو شيء مقدس بحد ذاته لأنه من آيات الله فكما أنك تجد بعض الآيات ذات لسان معنوي مختلف عن الآيات الأخرى في القرءآن العربي فآية الكرسي ليست مثل "تبت يدا أبي لهب وتب" وكذلك تجد ألوان مختلفة في القرءآن كالقصص والأحكام وغير ذلك من ألوان الآيات وأمثاله، كذلك ستجد في الإنسان ألسنة مختلفة وألوان مختلفة، بالتالي فهي فائدة وزيادة خير لا شرّ ولا مكروه، على العكس تماماً عدم وجود اختلاف الألسنة والألوان هو الذي يمكن أن يقال عنه من باب أولى أنه شر بل شرور، الإنسان في المكان المختلف والمتعدد أكثر فرديةً وأكثر إنسانيةً عادةً من الإنسان في المكان المتوحد اللسان واللون. من قَبِلَ وأحبّ آيات الله ارتفع، ومن رفضها وأبغضها هوى واتّضع.

في آية الخلق من تراب تكلّم على الفرد في ذاته، في الآية بعدها عن الأزواج تكلّم على الفرد مع أمثاله وأشباهه، في هذه الآية عن الاختلاف تكلّم على الفرد مع المختلفين معه والمغايرين له. تأمل التسلسل من الأبسط إلى الأعقد، من الفرد في نفسه ومع مثله ومع المختلف عنه.

{إن في ذلك لآيات للعالمين} لماذا العالِمين تحديداً؟ قال "تلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون". العالِم هو الذي يعقل الأمثال. الأمثال من مستوى الخلق والاختلاف، أي هي مأخوذة من هذا المستوى الوجودي، فانظر الأمثال وستجدها مأخوذة إما من {خلق السموات والأرض} كالشمس والقمر والليل والنهار والدواب والأشجار ونحو ذلك، وإما مأخوذة من {اختلاف ألسنتكم وألوانكم} أي الناس بمختلف أصنافهم كفرعون وموسى وأبي لهب وامرأته ومريم وعيسى ونحو ذلك. كل ما في العالَم أمثال مضروبة، والمثل المضروب قد يكون تكوينياً وقد يكون عربياً، المَثَل التكويني كالشمس وعيسى، والمثل العربي هو هذا المزبور في الكتاب أمامك، فالخلق كله بما فيه من موجودات وأناسي كثيراً هو أمثال في الحقيقة يضربها الله بكلمته التكوينية كما ضرب لنا أمثال وبسّر لنا أمثال الكون بكلمته العربية المحمدية "إنما يسّرناه بلسانك". الأمثال صور مختلفة تؤدي إلى حقائق متحدة، والحقائق كلها ترجع إلى حقيقة واحدة هي الحق سبحانه وتعالى "الله هو الحق المبين" "سنريهم ءاياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق". بالتالي الأمثال كلها تجليات الحق. العالِم هو الذي يرى الأمثال كأمثال بدلاً من أن يراها كصور لا معنى لها أو جوامد لا أبعاد فيها. وبعد أن يرى الأمثال على ما هي عليه حقاً أي على أنها أمثال لها ظاهر وباطن وتنزيل وتأويل، بعدها يأخذ العالِم الأمثال بعين التأويل حتى يصل إلى الأول سبحانه الذي منه بدأ كل شيء وإليه يعود كل معنى، فيعبر من جسر الأمثال إلى سر الأمثال الذي هو "إليه يرجع الأمر كله" و "إلى ربك المنتهى"، بالتالي يعبر من الكثرة إلى الوحدة. لذلك هي آيات {للعالِمين} أي خلق السموات والأرض وهم أمثال مختلفة إذ السماء غير الأرض والسماء الأولى غير السماء الثانية وما في كل سماء من موجودات يختلف عن غيره كالشمس غير الشعرى، والناس ذوي الألسنة والألوان المختلفة كذلك أمثال. العالِم يحب هذا الاختلاف في الآفاق والأنفس، في الطبيعة والبشر، في الأكوان والإنسان، لأنه يريد أن يعبر إلى الله من كل جسر، ويصل إلى الحق من كل خلق، ويعرج من كل تنزيل إلى كل الأول سبحانه، ويشهد الشهيد في كل مشهود.

الجاهل يضيع مع كثرة الأمثال، لذلك يتعصّب لبعضها ويكره بعضها، كالذي يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، من هنا تجده يعظّم بعض الأرض دون بعض ولو على حساب دينه ويقول " لا تنفروا في الحر" و "غرّ هؤلاء دينهم" لمن يرى أن الأرض لله ويجب على أهل الله الجهاد لإعلاء كلمة الله أي لحرية الكلام للكل حتى لا يُكرَه أحد على الدين وقبول كلام أحد ولا يُكره على رفض دين وكلام أحد بل يقبل طوعاً ويرفض طوعاً "من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"، وكذلك يتعّصب هؤلاء لبعض الناس فقط كالتعصّب لذوي اللسان العربي ضد أي لسان آخر أو التعصّب لذوي البشرة البيضاء ضد أي بشرة أخرى أو التعصّب لمن يتكلّم بلسان الظاهر مع بغض من يتكلّم بلسان الباطن وهلمّ جرّاً في بقية أنواع اختلاف الألسنة والألوان، هؤلاء جهال ومنشأ جهلهم عدم معرفتهم بأنفسهم إذ لو عرفوا أن نفوسهم ما وراء كل خلق ولسان ولون لما قيّدوا أنفسهم وسفهوها بحصرها بخلق أو لسان أو لون من دون غيره، وكذلك يجهلون الحكمة الإلهية من الخلق

وأنه أمثال مضروبة لمعرفة الله وتجليات الأسماء الإلهية، وفي تعصّبهم هذا ظلم عظيم أيضاً لأنفسهم ولمن يتعصبون ضدهم وكأن هؤلاء اختاروا ألسنتهم وألوانهم حتى يُلاموا على ذلك ويستحقوا سوء المعاملة أو النفرة منهم، مع ظلم حقيقة الإنسانية والفطرة الإلهية المتجلية في كل الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، وغير ذلك من أبعاد الجهل والظلم.

بناء على ذلك، العالمون وكل بلد يكون العلم رأس أمره لابد أن يكون أقصى البلاد اختلافاً وتغيراً وتلوناً وتعدداً، وكلما زاد ذلك كلما كان أحسن وأعظم وأرفع. والعكس تماماً هو حال الجهلة الظلمة الذين يميلون إلى توحيد الأشياء فيريدون شيئاً واحداً وشخصاً واحداً ولوناً واحداً ولساناً واحداً وهكذا يتم الكفر بالأشياء والكفر بحكمة الله واختزال الأمور وتسخيفها باسم تبسيطها وإعدامها باسم توحيدها وقتلها باسم ضبطها وقمعها باسم حفظها. تاريخياً، لم يوجد مكان بُني على مبدأ الاختلاف إلا الحجاز، مكان جمع من كل لسان ولون ووحد مع حفظ الاختلافات، لكن حصل ما حصل عبر الزمن وجاء دور مكان أعلى وطور أرقى في ذلك وهي أمريكا المعاصرة، فإنها أخذت ذلك ورفعته وارتفعت به إلى آفاق أعلى وأجمل وأوسع وأفسح وأكثر انضباطاً بعقل وحكمة وتوازن يختل أحياناً لكن يعود من قريب إلى ما هو أقوى وأرسخ. الحجاز كان طفلاً في مبدأ العلم والاختلاف، لكن أمريكا بلغت بالمبدأ طور الرجولة، ولولا الحجاز والإشعاع النوراني الذي خرج منها لما قامت أمريكا إذ لما كان تغيير وتنوير أوروبي الذي من فروعه الشمس الأمريكية العالية التي تحرق أحياناً لكنها تضيء دائماً. ارتفعت الإنسانية بسبب أمريكا إلى درجة لم تعد الحياة تحتها مقبولة عند الأحرار العقلاء، ومرجع ذلك إلى تعظيم الفردية وتعظيم الاختلاف مع حفظ الحرية القوية وضبط أمور العامّة بغير استعباد العامّة وتقوية الحكومة بدون تأليهها وتعظيم كتابهم أي دستورهم بدون تصنيمه واحترامه مع اتباعه وليس احترامه لفظياً فقط. لذلك ستجد فيها سماوات العقل مرتفعة وأرض الحس مُثبتة، وستجد فيها حفظ كيان وحرية الناس من مختلف الألسنة والألوان، والخطأ فيها موجود لكنه غير مجحود ولا معبود ولم يأت قبلها ولا يوجد الآن من يوازيها في إقامة مبدأ الاختلاف بكل ألسنته وألوانه لذلك هي رأس البلاد اليوم.

٢٣-{ومن ءاياته منامكم بالليل والنهار وابتغاَؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون}

في الآيات الثلاثة الماضية كان الكلام عن الإنسان وهو في حالة يقظة، فالانتشار في "فإذا أنتم بشر تنتشرون" إنما يكون في اليقظة مثل "فانتشروا في الأرض"، والسكون للأزواج يكون أيضاً في اليقظة، ومشاهدة الخلق واختلاف الألسنة والألوان والاعتبار بذلك يكون في اليقظة، فبدأ الله إذن باليقظة لأنها أولى وأعلى، ثم ذكر هنا ضد اليقظة وهي آية النوم فقال {ومن آياته منامكم} فما مضى كان عن يقظتكم والآن عن منامكم.

لماذا {لقوم يسمعون}؟ الأذن لا تنغلق بنفسها كالعين بالجفن، فالأذن مفتوحة دائماً وتستقبل بدون إذن السامع، كذلك الحال في النوم الإنسان فيه في حالة استقبال منفتحة تماماً بدون إذنه ولا

تصرفه عادةً، فحالته حالة السامع جوهرياً من حيث الاستقبال وتقبّل ما يحدث له، بغض النظر عن كون المُتلقَّى هو شيء مُبصَر أو مسموع أو غير ذلك، فالعبرة بالجوهر، والجوهر في السماع هو التقبّل المنفتح غير الإرادي لفاعل من الخارج. كذلك المنام هو إسلام تام من النفس.

{منامكم بالليل والنهار} يدل على وجود مستويين من الوجود للنفس. مستوى اليقظة وهو محدود بالزمان والمكان كالليل والنهار، لكن مستوى النوم ما وراء الزمان والمكان هذين وهو انتقال إلى مستوى آخر من الوجود بالنسبة للنفس يختلف كيفياً عن مستوى اليقظة الطبيعي. فالزمان في النوم إما معدوم كما في النوم العميق، وإما سريع جداً بالنسبة لزمان اليقظة كأن ترى رؤيا وتشعر في الرؤيا بأنها طويلة جداً لكن بالنسبة لزمان اليقظة تكون تلك المدة ثوان معدودة، فالمقطوع به أن زمان النوم غير زمان اليقظة بالنسبة للنفس. وكذلك المكان، في النوم إما تصبح النفس في اللامكان حين تنعدم، وإما في مكان لا يتقيّد بقوانين المكان الطبيعي لا في الحركة ولا في التشكّل ولا في أي شيء غير وجود صور تشبه الصور الطبيعية ولو من بعيد لكن الجانب الصوري موجود في المنام بشكل عام. الوجدان في المنام غير الوجدان في اليقظة، فتفكيرك وشعورك حين تنام إما منعدم وإما له كيفية مختلفة عن اليقظة كأن تعتقد بما لن تعتقد بمثله لو استيقظت أو ترى إمكان شيء في المنام لكنك تعتقد استحالته في اليقظة وهكذا. فالمنام يكشف عن وجود مستوى عدمي، ومستوى غير طبيعي، واليقظة تكشف عن المستوى الطبيعي. إذن للنفس ثلاث حالات تمر بها ما بين اليقظة والمنام، وهي العدم وما فوق الطبيعة والطبيعة. وهي في حالة إسلام تام في حالتي العدم إذ لا تختار الانعدام بل تجد نفسها أو تصير إلى العدم في لحظة وبغتة وهي لا تشعر كإتيان القيامة، وما فوق الطبيعة أيضاً لا تختار ما يحدث لها ولا تجد قوة عادةً للتصرّف في نفسها معه بل هي قابلة أي مسلمة تمام التسليم لما يحدث ولا قدرة لها هناك على شيء. فإذا استيقظت وجدت من نفسها أنها ذات اختيار وقدرة ووجود. فالمنام جاء ليكشف للنفس عن حقيقتها العدمية الأصلية والفقر الذاتي لله تعالى، حتى لا تحسب أن ما تجده في اليقظة من وجود وقدرة واختيار نابع من ذاتها إذ لو كان ذاتياً لها وهي غير مدينة بذلك لأحد لما فقدت وجودها وقدرتها واختيارها في المنام إذ الذاتي للشيء لا يفقده الشيء إذ هو مساوق تمام المساوقة له لأنه ذاتي له، فلما تبيّن في المنام أن لا وجود النفس ولا قدرتها ولا اختيارها من السمات الذاتية لها، صار ذلك آية على وجود مفيض لهذه الصفات العرضية للنفس وهو الله تعالى الذي الوجود والقدرة والاختيار فيه ذاتي وسمة من سمات حقيقته والنفس بيده ومفتقرة إليه وجوداً وقدرةً واختياراً. لذلك جاء بعد ذكر المنام {وابتغاؤكم من فضله} لأن تحوّلكم من المنام إلى اليقظة يجعلكم ذوي وجود حتى تبتغوا لأن المعدوم لا يبتغي شيئاً، والابتغاء يشير إلى قدرة إذ العجز المطلق لا ابتغاء فيه، واختيار الفضل دون سواه أي ما ينفع ويكمّل النفس بدلاً مما يضرها وينقصها ويؤلمها دليل على الاختيار والعقل المتصرف العملي، فالتحوّل من حالة المنام حيث لا ابتغاء من فضله إلى حالة اليقظة هو بحد ذاته آية من آيات الله. فينبغي للمؤمن المتعقل للآيات أن يكون في يقظته مع ربّه كما هو في منامه معه، أي يتذكر أن وجوده من فيض إيجاد الله له،

وقدرته من فيض تمكين الله له، واختياره من فيض تخيير الله له وهدايته له، فينبني على ذلك الشكر على هذه النعم بأن يتبع الرسل ويجعل وجوده فداء سبيل الله وقدرته في العمل بأمر الله واختياره محدود بشرع الله. فالمنام يعلّم الحقيقة، والحقيقة تفتح العقل، والعقل يوجب الشكر، والشكر يقتضي اتباع الرسل اتباعاً كاملاً في الوجود والقدرة والاختيار. "جاهدوا في الله حق جهاده".

الذي ينام قهراً غير الذي ينام طوعاً. المقهور على النوم لا نية له ولا قصد من النوم وإنما يُجبَر عليه بحكم التعب أو نيته فيه محصورة بالراحة لليقظة من جديد بالتالي لا نية له في نفس النوم. أما الذي ينام طوعاً وهو العاقل المؤمن فهو الذي له قصد في النوم يتمثّل في {ابتغاؤكم من فضله}. لذلك قالت الآية {مناكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله} فالمنام هو العمل والابتغاء من فضله هو القصد. أي يبتغون من فضله بواسطة المنام بالليل والنهار. وما هو الفضل المُبتغى بوسيلة المنام بالليل والنهار؟ فضل كثيرة، منه فضل تذكّر الحقيقة، ومنه فضل العودة إلى العدم الأصلي، ومنه فضل الرؤيا الصالحة، ومنه فضل القوة والنشاط، وفضل كثير. فالمؤمن دائماً في فضل الله، يقظةً ومناماً. "وكان فضل الله عليك عظيماً" لأنه استوعب نفسك من كل جهاتك.

٢٤-{ومن ءاياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزّل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون}

العقل عقل لأنه يعقل أي يربط ويوحّد ويجمع. وفي هذه الآية آيات عقلية.

منها، عقل الفاعل بالفعل بالمفعول به بالمفعول لأجله. فالفاعل هو الله الذي {يريكم..ينزّل..فيحيي}. والفعل هو ما نجده من برق وإنزال الماء وإحياء الأرض، والمفعول به هو البرق الذي به يفعل الخوف والطمع وكذلك السماء التي بها ينزل الماء وكذلك الماء الذي به يفعل إحياء الأرض بعد موتها. والمفعول لأجله هو شعور الخوف والطمع وحياة الأرض بعد موتها وكون كل ذلك آية لقوم يعقلون. العقل يعمل بترتيب وتقسيم وتفصيل الأمور، فله مرحلة فرقان يفرق بها ويحلل وله مرحلة قرآن يجمع بها ويوحّد ويؤول. وفي الآية هنا توحيد بين الله والأكوان والإنسان والقرءآن كما ترى ذلك كل ذلك في آية واحدة برابط واحد في سلك منتظم يبدأ من الله وينتهى عند الإنسان الذي يرجع من نفسه إلى الله مرة أخرى بشهود الله في الأكوان وفي نفسه بواسطة القرءآن الذي يذكّره بفعل الله في الأكوان.

ومنها، تسلسل نموّ العقل القرءآني في الإنسان. المرحلة الأولى البرق. البرق علامة قرنها الله بإحياء الأرض لكن بوسائط ومراحل متوسطة، لكن العقل يجمع بين أول الشيء وآخره بغض النظر عن الوسائط بينهما، فيتذكر الآخر بظهور الأول المقترن به عادةً. كذلك هنا البرق يدل على

الغيث والغيث يدل على خروج النبات وخروج النبات يدل على غذاء الإنسان والحيوان وهو المطلوب بالنسبة لمن يطمع في العيش، أو البرق يدل على المطر والمطر يدل على هلاك الحرث والفيضانات ونحو ذلك من آثار مدمرة بحسب حال المستقبل للماء النازل من السماء وينتهي الأمر إلى الموت المكروه فينشأ الخوف في من يكره الموت. إذن، لاحظ أن النهاية دائماً في مشاعر الإنسان وفكره عن الأمور. أنت تتفعل مع العالَم وحوادثه بحسب ما أنت عليه وما تريده أنت، وليس بحسب ما العالَم عليه في ذاته. النفس لا يهمها ما هي حقيقة العالم في نفس الأمر لكنها يهمها ما تجده هي في نفسها وعلى هذا الأساس تفسّر كل أمر. {يركم البرق خوفاً وطمعاً} البرق في حد ذاته ظاهرة واحدة، لكن أثرها في النفس قد يكون خوفاً وقد يكون طمعاً، والخوف ضد الطمع، فلما كان البرق ينشئ في النفس الشيء وضده أو يحتمل إنشاء الشيء وضده وهو مستحيل من سبب واحد لذات السبب إلا لو توسّط شيء آخر ما بين السبب والأثر، دل على ذلك أن ما في نفس الإنسان المستقبل للسبب الذي هو هنا البرق هو ما يفصل ويحدد الانفعال ويختار ضمناً حصول التأثير المسمى بالخوف أو بالطمع. البرق إذن ليس سبباً تاماً لا للخوف ولا للطمع، لكنه يحتمل الاثنين الضدين معاً، والفاصل بينهما هو الإنسان. كذلك هو الأمر في العقل في التفاعل مع الكلمة والكلام والحوادث كلها الآفاقية والنفسية. كلمة واحدة تلقيها على عشرة أشخاص قد تنشئ فيهم عشرة آراء وانفعالات، وتجمع هذه الانفعالات ما بين الشيء وضدّه، والشعور وضدّه، والرأي وضدّه. فالكلمة لا تخلق العقل لكنها تثيره أو تفتح له باباً للتفكير والتأثر، إلا أن الفعل الذي هو الفكر والشعور ناشئ من العقل نفسه وبحسب ما هو عليه. وهذا من أهم أسس تكوين طريقة ومجتمع يفتح آفاق وأبواب نمو العقل وتعبير العقل عن ذاته وسعادة الإنسان بهذا النمو والتعبير، لأنه لا إكراه حقيقي على العقل بسبب كلمة يتلقاها وهو الذي يحدد في عمق ذاته وفي قيود نفسه كيف سينفعل رأياً وشعوراً بسببها، فالكلمة للعقل كالبرق للنفس قد تنشئ الخوف أو الطمع بل قد لا تنشئ لا خوفاً ولا طمعاً كالإنسان الذي لا يبالي بنزول الغيث والمطر أصلاً لعدم تأثره بذلك على الوجهين واطمئنانه لحاله على الحالتين.

البرق هو الوحي في التأويل. وهو قوّة يجدها العقل في ذاته حين يُلقى إليه نور الوحي كالبرق الظاهري في السرعة والدقة بل وأخفى منه وما البرق الظاهري إلا مَثل على البرق الباطني العقلي. ينزل برق الوحي على العقل وبعده ستجد {ينزل من السماء ماء} أي ستجد أفكاراً فيك وهذه الأفكار ستتنزل في صورة كلام مائي حي يتناسب مع حالك وما أنت بحاجة إليه الآن. وبعده ستجد {فيحيي به الأرض بعد موتها} سواء كانت أرض نفسك التي تريد المعلومة والتعبير عنها، أو أرض عملك التي أرادت توجيهاً وإرشاداً إلهياً لتحصيل مقاصدها في العالم وتحقيق رسالتها ورؤيتها. الترتيب هنا مشهود عند من ذاقه. وبهذا الاعتبار البرق يسبب الخوف والطمع معاً من وجهين مختلفين، أي حين يأتي برق الوحي للعقل تشعر النفس بالخوف من مسؤولية تحمّل هذا الوحي كما خاف موسى من مسؤولية الرسالة فقال "إني أخاف" و "إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى" وكان يخاف من تحميل الله مسؤولية رفض فرعون لرسالته

عليه هو فقال الله "إنني معكما أسمع وأرى" أي أسمع ما ستقوله لفرعون كما أمرتك كالقول اللين ومضمون القول الذي أرسلتك به وأرى ما سيقوم به فرعون، فلم يكن موسى يخاف على نفسه من فرعون لكن يخاف على نفسه عند الله ومسؤوليته الرسولية، فالبرق يسبب الخوف بهذا الاعتبار، لكنه يسبب الطمع أيضاً في ذات الوقت من جهة أخرى، طمع حصول الوحي والكلمة الإلهية في العقل، وطمع المزيد من العلم، وطمع "قل رب زدني علماً"، وطمع تقريب الله له حتى قد يصل الطمع إلى حد "رب أرني أنظر إليك" بعد التكليم، لأن شعور النفس بالتفات الله إليها عبر البرق الذي اصطفاها به وخصّها به يجعلها تشعر بخصوصيتها عند ربها فتطمع في المزيد من القرب والإحسان منه.

البرق يسبق إنزال الماء، لكن البرق ليس وسيلة إنزال الماء، أي يوجد اتصال وانفصال بين الظاهرتين، أي يوجد اقتران بينهما لكن بدون سببية، بدليل أنه فصل بين {يريكم البرق} و {ينزل من السماء} بحرف الواو، لكن جمع بين إنزال الماء وإحياء الأرض بحرف الفاء لأن إحياء الأرض يكون بوسيلة الماء {فيحيي به الأرض} لأنه سيحيي الأرض {به} أي بالماء كان الجمع بالفاء للدلالة على السببية، أما البرق والإنزال فبالواو للدلالة على الاقتران فقط. فالبرق وحي للتنبيه على وحي. البرق وحي بمعنى تنبيه وإنذار وإيقاظ للعقل ليقنت ويتجه صوب الأعلى سبحانه لأنه سيقرئه شيئاً جديداً. وبعد حصول الالتفات والقنوت العقلي والتوجّه بالوجه نحو الفاطر المعلّم سبحانه يأتي إنزال الماء من السماء، وعلى هذا العتبار يكون الماء هو الكلام النازل على العقل من سماء الغيب، بالتالي العقل هو الأرض الذي سيحيى بعد موته بكلمة الله النازلة عليه. إذن، يوجد وحي إعداد ووحي إمداد، وحي الإعداد هو البرق، ووحي الإمداد هو كلمة الحق. البرق يعدّ النفس بالخوف والطمع، ولولا الخوف والطمع لما قبلت النفس كلمة الحق، لذلك من لا تجد فيه خوفاً وطمعاً بهذا المعنى ستجده يتكبّر على أهل الله ولا يُقبل تمام الإقبال ومع التسليم لكلامهم وإرشادهم له.

العقل ينبني على رؤية وشعور وشهود وقابلية تغيّر وتسليم بالحق. فالرؤية تجعله يستقبل ما في الوجود، والشعور يجعله يهتمّ به وينمّيه، والشهود يجعله يتأكد من صحة فكره حين يشهده خارجه، وقابلية التغيّر تجعله دائم التعلّم، والتسليم بالحق عصب حياته لأن العقل ليس له في الحقيقة إلا التسليم بالحق ليحيى ويتسع ويصبح مرآة الوجود. فالرؤية في {يريكم} و الشعور في {خوفاً} و الشعود في شهود {ينزل..فيحيي}، والتغيّر في {فيحيي الأرض بعد موتها}، والتسليم بالحق أساس ذلك كله إذ لو رفض الحق لبقي ميتاً.

الغاية من اليقظة فرديةً كانت أو جماعية أو أممية ومن المنام سواء كان عدمياً أو رؤيوياً، الغاية من كل ذلك هي العقل. صيرورة النفس عقلاً وارتفاعها في درجات العقل. لذلك الآية هنا خُتمت ب{لقوم يعقلون} بعد ينتشرون ويتفكرون ويسمعون. الغرض من الانتشار تحصيل الفكر، والغرض من التفكير تحصيل القابلية للحق مع التسليم له، والغرض من القابلية حصول العقلانية.

٢٥-{ومن ءاياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون}

بعد أن ذكر العقل المضروب مثل تكونه بإنزال الماء من السماء ذكر القيام بالأمر والدعوة للخروج. قارن هذا بما ورد في سورة النحل، حيث ذكر في الآية ٦٤ إنزال الكتاب فقال "وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" ثم بعدها مباشرة ذكر إنزال الماء من السماء لإحياء الأرض فقال "والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون"، فالربط بينهما باعتبار يكون هكذا: إنزال الكتاب المتلو على الأسماع مثله مثل إنزال الماء من السماء لإحياء الأرض، فالسماء هو العالَم الأعلى والماء هو الكتاب النازل والأرض هي القلوب وتقبّل الأرض هي الأسماع لذلك هو "آية لقوم يسمعون" هنا. فإذا جمعنا هذا المعنى مع الآية محل النظر عرفنا أن العقل المتكوّن من الآية السابقة هو العقل القرآني، بالتالي الآن مرحلة الدعوة العامّة، أي بدأ بإحياء الفرد ثم الأزواج ثم الجماعة وذكر تكوين العقل الرباني ثم الآن جاءت مرحلة الدعوة العامّة لذلك قال {ومن ءآياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون}. فالمعنى هكذا: العقل الحي الرباني له أمر سماوي وله أمر أرضي، هو للدقة هو أمر واحد يتجلى بحسب الموضع الذي ينزل فيه فيكون سماوياً في السماء وأرضياً في الأرض وإن كان أمراً واحداً في الحقيقة {بأمره} وليس "بأمريه" أو "بأوامره". والسماء مثل العقل، والأرض مثل الجسم، فالتعليم يكون للعقل بالعلم وللجسم بالحكم، فإن قام الناس بالإيمان بحسب العلم العقلي وبالعمل الصالح بحسب الحكم الشرعي حينها يكون الشقّ الأول قد تحقق وهو {تقوم السماء والأرض بأمره}، وبعد فترة من رسوخ هذا القيام فيهم وتكثّر عدد الناس حتى يصبحوا أكثرية في مكان ما حينها يتحقق {ثم} أي بعد فترة {ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون} وهو النفير العام الذي يقوم به الرسول لإقامة الدعوة في الأرض، وهي دعوة {من الأرض} لأن آدم خليفة في الأرض وليس خليفة في السماء، فلابد من إقامة الجانب الأرضي وهو الجانب الظاهري والاجتماعي السياسي للدين والذي أكبر قواعده رفع كل إكراه عن الدين وفي الدين حتى يكون "الدين كله لله" فلا يُكره إنسان إنساناً في الدين مطلقاً ولو كان دين الشرك إذ هو دين "لكم دينكم ولي دين" وقد قال "لا إكراه في الدين" فجنس الدين لا إكراه فيه كان ما كان، وكذلك فلا يُكره إنسان إنساناً على القول والكلام والبيان بل لكل إنسان قول ما يشاء، وكذلك كل إنسان مسلّط على نفسه وماله ما لم يعتدي على غيره مباشرة بغير إذنه فلكل فرد الاختيار في أمر نفسه وماله بأقصى ما يمكن مما لا عدوان فيه على غيره بغير إذنه، وعلى هذه القواعد الثلاثة تقوم الدعوة الإلهية في الأرض وشكلها يكون بحسب ما يتشاور الناس بينهم في تفاصيله لكن قواعده الكبرى هي الثلاثة المذكورة قبل قليل، وما سوى ذلك من التفاصيل سيدور في فلكها ويتأسس عليها. عدو الدين هم الطغاة المُكرهين، يُكرهون الناس في كل أمر عقلي وجسماني، شخصي وسياسي. الدين الحق وإقامة دعوته هو بزوال هذا الطغيان والإكراه عن العقل والجسم، الشخص والسياسة. فكيف

يحصل ذلك؟ الآية هنا تبيّن الطريق. أوّلاً {أن تقوم السماء والأرض بأمره} فعلى كل إنسان ذكر أو أنثى أن يأخذ كتاب الله الذي هو الماء النازل من سماء الغيب إلى أرض الشهادة، ويتعلمه ويتدبره ويتفكر فيه ويتعقله، حتى تصبح سماء عقله مؤمنة بعلومه وأرض جسمه متقيدة بأحكامه. ثانياً {ثم} أي لابد من الصبر والمصابرة والمرابطة على هذه الحالة إلى فترة ما يعلمها الله ورسله، فإذا جاء الوقت المعلوم سيعلن رسل العصر الدعوة للنفير في سبيل الله وهي ثالثاً {إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون} الدعوة ستكون من الأرض أي سيقوم بها إنسان من الأرض هو رسول لله فالله هو الداعي لكن دعوته من الأرض وليست من السماء أي ستصدر من الأرض، من الجسم، من إنسان طبيعي، لها ظاهر مادي. وحين يحصل ذلك سيخرج الناس، فمن كان في كهف ستره سيخرج، ومن كان خائفاً سيبرز، ومن كان منعزلاً سيجتمع، وهكذا حتى تقوم الدعوة الإلهية في الأرض كلها، أرض بعد أرض، حتى تشمل الأرض كلها فتكون الأرض لله بأن يكون الدين لله، لا للناس ولإكراه الناس.

لذلك جاء في الآية التالية ما يبيّن حالة تحرر كل الناس من الناس وزوال الإكراه الذي هو سعي إنسان لتملّك إنسان آخر، سواء تملّك عقله أو جسمه، فقال..

٢٦-{وله من في السماوات والأرض كلٌ له قانتون}

هذا هو حال الناس حين يتحرر الناس من الناس، وتقوم الأرض على قاعدة الفردية المطلقة. فكل فرد مملوك مباشرة لله، لا يملكه إنسان آخر. عقله لله، أي هو حر من الخلق، وجسمه لله أي هو حر من الخلق، وقنوته لله أي قنوته ليس للبشر. سعي إنسان لتملك عقل أو جسم إنسان آخر هو سعي مباشر لمحاربة الله في ملكه. تحرير الإنسان من الإنسان هو تقديس لله في ملكه وتوحيده في مالكيته. كل إنسان يملك نفسه فقط بتمليك الله له إياها كما قال موسى "رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي" وهنا استثناء في هارون لأن الله قال "وهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا" فبهذا الوهب وهو طوعي من هارون إيماناً وحباً دخل في دعاء موسى، لكن الأصل هو أن الملك من الناس هو من يملك نفسه ولا يملك إلا من يهب له نفسه "وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها" لكن باستثناء هذا التراضي كل ملكية أخرى غير مؤسسة على العدل كرد العدوان بالقصاص مثلاً أو أي عقوبة أخرى مشروعة بسبب ظلم حصل، هو اعتداء مباشر على ملك الله ومالكيته وهو ظلم عظيم وكفر كبير. الحرية ليست فقط فضيلة إنسانية لكنها أيضاً خاصّية ربانية. فدفاع الإنسان عن حريته هو أو حرية غيره من الناس هو دفاع أيضاً عن ملكية الله وحقوقه العلية. لذلك قال "إن تنصروا الله" تنصره في ماذا؟ هل الله يحتاج إلى نصر؟ تنصروه في تحرير عباده من طغيان عبيده، كفرعون الذي قال "وقومهما لنا عابدون"، هذا هو نصر الله.

حين ينقلب الزمان من الطغيان إلى الحرية نرى آية أخرى، وحين يتحرر الإنسان ويؤمن سيصبح له تصور جديد للكمال بعد أن كان مُستعبده هو المنظر الأكمل في نظره على طريقة الذين نظروا إلى قارون فقالوا "يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون"، ولبيان هذين الأمرين قال بعدها...

٢٧-{وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه، وله المثَل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم}

فحين ينقلب الزمان نشهد آية {وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه}، كالروم حين يهاجرون ويسيرون في الأرض للتحرر والتحرير فإن الله يبشرهم هنا بأنه سيعيد لهم خلق عالمهم ونظامهم من جديد الذي فقدوه بعد الهجرة والسير في الأرض، وهو أهون عليه ستظهر أيضاً بأنها أهون عليكم أنتم فنحن نعرف الله بما يظهره الله فينا كما في قوله "وحصّل ما في الصدور. إن ربهم بهم يومئذ لخبير" فقد كان خبيراً قبل ذلك اليوم أيضاً لكن المعنى أن الناس في ذلك الوقت سيشهدون أنه خبير حين يكشف لهم عن ما سيكشفه من علمه الحضوري فيهم "وما كنّا غائبين"، كذلك هنا {وهو أهون عليه} ستظهر في أن تأسيس حياة جديدة في دار الهجرة ستكون أهون من حياتكم الأولى من أكثر من وجه، لا أقل منها كونكم تبنون حياة جديدة على عقلية جديدة ونشيطة وبنية ربانية من البداية وتختارون علاقاتكم وأصحابكم وأعمالكم بنحو أعقل وأوعى مما كنتم تبنون عليه أمركم في البلد القديم المهجور حيث بُنيت أموركم عادةً على الصدفة والاتفاق والعشوائية والعادات والتقاليد المفروضة عليكم، وأما الآن فأنتم بالخيار في كل شيء إذ عقلكم وجسمكم وقنوتكم قد تحرر من الخلق إلى الحق بالتالي عاد إلى أنفسكم من جديد والخيار لكم وحدكم في كيفية إقامة كل ذلك، وكذلك هو أهون عليه لأنه سيعتني بكم الآن عناية خاصة إذ صرتم عباده حصراً وقنوتكم له وحده اختياراً وحباً وطوعاً وتيسيره لمن هذا حاله أكبر بحسب عادةً كرمه تعالى ولطفه بعباده الصالحين كيوسف ما بين غيابات الجب وعزة مصر.

بعد التحرر وتأسيس حياة معيشية جديدة مستقرة نسبياً، ماذا ستفعلون أيها الروم؟ يقول {وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم}. لتعرف معنى المثل الأعلى قارن بآية أخرى "للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى" إذن "لله" هنا المعني بها الذين يؤمنون بالآخرة وهو تجلي الله في الأرض فهؤلاء هم الذين لهم المثل الأعلى لأنهم من الذين يؤمنون بالآخرة، وقد مرّ معنا في سورة الروم كونهم ممن يؤمن بباطن الحياة الدنيا والآخرة. وعاد الأمر هنا. فالمثل الأعلى للرومي هو الله العزيز الحكيم، أي عزته من عزة الله وحكمته من حكمة الله والمثل الأعلى الذي يصبو إليه ويسعى باتجاهه هو الله عبر وسيلة العلم "رب زدني علما" بالمطلق ولم يقيد العلم لأن الازدياد من العلم هو الطريق الوحيد للاقتراب من الله تعالى وإن كان سعياً لانهائياً لأن العلم لا حد له والعليم سبحانه غير محدود، فالطريق هو الترقي العقلي إلى ما لا نهاية فهو مثل أعلى مفتوح الطرف وليس بمثل أعلى محدود يمكن الاتحاد به والفراغ

منه. فالمثل الأعلى هو الله ويتجلى في الذين يؤمنون بالآخرة فهم المثل الأعلى في الأرض. وعلى سنت الله يرسم الرومي سماوات عمله العقلي وأرض عمله الجسمي، فيقوم بالعزة ويتأسس على الحكمة. والعزة هي الحرية، والحكمة هي العلم والعمل وهذا اعتبار آخر.

٢٨-{ضرب لكم مثلاً من أنفسكم، هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم، كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون}

ملك اليمين هنا مَثَل مضروب لقوم كانوا يملكون بالقوة البشر، كقريش أيام النبي الذين نزل القرءان بلسانهم ليبين لهم. كل ما يحدث في العالَم هو مثَل ويصح أن يكون مثلاً لحقائق إلهية، مهما كان خبيثاً وسيئاً. هذه حقيقة يقتضيها العالَم لأن العالَم الظاهري حتماً وكان ما كان مثال للعالم الباطني. بالتالي الاستفادة من صورة واقعة لتأويلها بنحو خاص لتقريب فكرة لا يعني تبرير وجود نفس الصورة واستمرارها، ولو كان مثلاً يريد الله استعباد البشر للبشر واتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً من دونه لما ذمّ ذلك خلال كتابه ولما نهى عن اتخاذ الأسرى ولما أمر بفك الرقاب وعتقها وغير ذلك من علامات وآيات وأحكام. فهو استغلال لصورة واقعة لتقريب فكرة، وفي هذا نفسه فائدة تعليمية وهي أن نستفيد علمياً ورمزياً حتى من الخبائث والمظالم التي نجدها حولنا مع السعي لتغييرها حتى لا يبقى في وجداننا ولا في العالم شيئاً إلا وقد استفدنا منه علماً وتأويلاً عقلياً نافعاً.

بناء على ذلك نقرأ {ضرب لكم مثلاً من أنفسكم} لاحظ {من أنفسكم} التي تشير إلى أناس بأعيانهم وهم المخاطبين أول مرة بالآية، هذا تأويل ويوجد غيره سيأتي بعد هذه الفقرة إن شاء الله لكن نكمل النظر بحسب هذا التأويل. {هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم} المعنى هكذا: أنت سيد وتحت يدك عبد، فهل المال بينك وبينه مقسوم بالسوية وهل تصرفك وتصرفه في المال الذي تملكه أنت على نحو واحد، أم لا؟ الجواب: لا لأن السيد هو الذي يملك كل المال والعبد لا مال له بل هو نفسه مملوك للسيد، هذه القاعدة هي التي يعتقد بها كفار مكة وكثير من عرب ذلك الزمان. بناء على ذلك يحتج عليهم الله فيقول: إذا كنتم أنتم لا ترون بأن عبدكم يملك مالاً ولا يملك نفسه بل أنتم تملكون نفسه وماله، فكيف جاز عندكم الاعتقاد بأن الله تعالى يشاركه مخلوق من مخلوقاته وإله من الآلهة التي تعتقدون بها من دونه وهم دونه بإقراركم أنهم مجرد وسائط إليه، كيف جاز أن يكون هؤلاء لهم أنفس حرة مستقلة عن الله تملك نفسها ولا يملكها الله أو يكون لهم مال أو قوة أو قدرة مستقلة عن الله وهي متساوية مع تلك القوة التي لله. فقد جعلتكم أنفسكم مع عبيدكم من الناس مثلكم أعلى وأكمل في المالكية من الله مع عبيده ومع من تحته ومع خلقه ومن الآلهة الذين هم دونه في المرتبة مع تبعيتهم له باعتقادكم. فالخلل الأساسي هنا هو أنكم جعلتكم أنفسكم أعلى من الله نفسه.

تأويل آخر وهو الأعلى: الروح تملك الجسم. فالجسم مملوك ليمين الروح التي هي الإرادة، أي اليمين هي الإرادة، والروح بعقلها وإرادتها هي المالكة للجسم المصرفة له. ومجموع ذلك هو النفس. لذلك قال {ضرب لكم مثلاً من أنفسكم}، أي الآن بعد أن تحررتم وأسستم حياة جديدة وصار مثلكم الأعلى هو الله، الآن تطهرت نفوسكم من كل وجه خارجي وداخلي، فتعالوا انظروا فيها فسنضربكم لكم مثلاً منها حتى تذكروا الله في أنفسكم دوماً وتصير أنفسكم آية له. {هل لكم} الخطاب للروح، {من ما ملكت أيمانكم} أي الجسم {من شركاء في ما رزقناكم} فيوجد رزق للروح وهو العلم ورزق للجسم وهو الطعام ونحوه، {فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم} الأحرار الأحياء من العلماء المستنيرين يميّزون بين رزق الروح وزرق الجسم، ويقدّمون رزق الروح على رزق الجسم وكل أمر الروح له أولوية مطلقة على كل أمر الجسم، فلا يجعلون الأمر سواء بين الروح والجسم، ولا يخافون من أمراض الروح ومشاكله كما يخافون من أمراض الجسم ومشاكله. لذلك مثلاً جاء في آية "قل إن كان أباؤكم وأبناؤكم" ذكر العلاقات الجسمانية والمالية ثم قال " أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله" فجعل تقديم الله ورسوله والجهاد أولى من كل علاقة جسمانية ومالية، وهو تقديم الروح على الجسم بأجلى صوره وأصدقها. الروح هنا هو الروح العقلي، أو العقل بعبارة أخرى، أسماء مختلفة لشيء واحد لحيثياته المختلفة. لذلك ختم الآية بقوله {كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون} فذكر العقل. أي الذين يعقلون عليهم أن يبقوا دائماً على التمييز بين العقل والجسم (الجسم هنا يشمل البدن والمال)، فيجعلون الجسم مملوكاً للعقل بيمين الإرادة الشرعية، ولا يساوون أبداً بينهما ولا يقدّمون المملوك أي الجسم على المالك أي العقل. هذا أهمّ ما يجب حفظه بعد التحرر وإقامة الحياة الجديدة.

فمن لم يفعل ذلك بل قدّم الجسم على العقل فما حاله؟ هذا ما تجيب عنه الآية التالية...

٢٩-{بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم، فمَن يهدي من أضلّ الله، وما لهم من ناصرين}

إذن الكلام في الآية قبلها يشير إلى اتباع العلم بدلاً من الهوى، وهو ما بيناه. فالهوى ضد العلم، والعقل في العقل فالهوى من الجسم وشهواته المنفصلة عن العقل كحال قوم لوط مثلاً الذين جعلوا الحق هو شهوته وإرادتهم تابعة لشهوتهم لا غير لذلك يقعون في ظلم الإكراه والغصب دائماً كما فعلوا مع ضيف لوط أو حاولوا على الأقل وكما نهوا لوط عن العالمين وهو إكراه آخر، وهكذا لابد من اقتران الظلم بعدم العلم.

{فمن يهدي من أضل الله} فكيف تعرف مَن أضله الله ومن هداه الله؟ انظر إلى اتباعه العلم. فمن اتبع العلم فقد هداه الله، ومن رفض العلم فقد أضله الله.

{وما لهم من ناصرين} فالمنصور من نصر العلم، والمخذول من خذل العلم.

فما المخرج من هذه الظلمات كلها؟ الجواب في الآية التالية...

٣٠-{فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرت الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون. منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين. من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.}

{فأقم} الفاء تابعة لما قبلها، أي إن لم ترد أن تكون من الذين ظلموا الذين حكت عنهم الآية السابقة، {فأقم}. ماذا؟ {وجهك} وهو التوجّه الكامل بكل لا تنظر إلى سواه ولا يكن عندك غرض إلا إياه. وهذا في دار الهجرة. أي حين تتحرر وتجد أنك تستطيع أن تتبع العلم وتستطيع أن تتبع الهوى، في السماويات العقلية أو الأرضيات الجسمية، فاحذر من اتباع الهوى فقط لأنك متحرر هناك من قهر البشر وتستطيع اختيار ما تشاء من مسالك لوجود حرية الدين وحرية الكلام وحرية الاختيار غير العدواني، فاحذر من اختيار الهوى على العلم والعقل، واحذر من ترك الدين، بل اجعل الدين هو وجهتك لا غيرك {فأقم وجهك للدين حنيفاً} حنيفاً أي مائلاً عن كل ما سوى الدين، مخالفاً لكل ما سوى الدين، معرضاً عن كل ما سوى الدين، إذ إنما أخرجوكم من دياركم لأنكم قلتم ربنا الله فأخرجوكم من أجل دينكم وقاتلوكم في دينكم وأنتم فعلتم ما فعلتم من أجل دينكم، فلا تتخلوا عن دينكم إذا خرجتكم إلى أرض الحرية بل اجعلوه كل همكم وهو وجهتكم ووجهكم موجّه نحوه مائلاً منحرفاً عن ما سواه وعن ما لا يخدمه ويؤسس له ويفسح له مجال نموه وتحققه.

لماذا كل هذا الاهتمام بالدين؟ لأنه {فطرت الله التي فطر الناس عليها} أي لأنه حقيقة فطرتك وجوهرك نفسك، وهو الشيء الوحيد الذي ستجد نفسك فيه وترتفع نفسك به، وتشهد الله في ذاتك بسببه، فهو فطرة الله، فإذا ذهبت إلى ما سوى الدين الإلهي من مسالك ومشارب فإنك ستتبع فطرة بشر مثلك وستجعل البشر يشكّلون هويتك بدلاً من أن تكون على الفطرة الإلهية. الذي فطر السماء والأرض وفطر الملائكة هو الذي فطرك أنت، بالتالي إن أقمت أمرك على هذه الفطرة الإلهية ستجد نفسك متوافقاً مع الأكوان كلها غيبها وشهادتها، علويها وسفليها.

كيف تعرف أنك وصلت إلى فطرتك؟ حين تصل إلى حقيقتك التي لا تتبدل ولا يمكن تبديلها، كل ما يمكن أن يتبدل فهو ليس من خلق الله {لا تبديل لخلق الله}، أي جوهرك لا يمكن أن يتبدل، جوهرك العلوي، كما أن سنت الله لا تتبدل كذلك فطرتك لا تتبدل، فغص في ذاتك حتى تصل إلى حقيقة لا تتبدل، وحتى تعرف عن نفسك الأصول التي لا تتبدل وإنما تسعى لتحقيقها بأشكال وألوان مختلفة، فلا تتشتت مع الأشكال وابحث عن الجوهر الثابت فيك، ومن هنا انطلق وستجد أنك وصلت إلى حقيقة نفسك وفطرتك الإلهية الثابتة الدائمة. فإذا وصلت إلى هذه ستصل إلى جوهر {ذلك الدين القيّم} الذي له القيمة والذي يقوم على كل شيء والذي يقوّم كل شيء. فمبادئ الدين الحق في ذاتك أنت. وإذا فسّرت ذاتك ستعرف تفسير الدين النازل من خارجك. وحينها

سيكون فرقانك من نفسك، وبيانك من عقلك، وشيخك هو روحك. وتدخل بذلك في زمرة القلة المستنيرة. المخالفة لما عليه أكثر الناس {ولكن أكثر الناس لا يعلمون} بالتالي لا تستوحش من قلة عدد من هو على مثل هذا الطريق الفطري، فأكثر الناس يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا كما في أوائل السورة وجاء هنا مرة أخرى وذكّرك بأن أكثر الناس لا يعلمون الفطرة، فالفطرة في باطنك كما أن وعد الله في باطن الدنيا.

{ولكن أكثر الناس لا يعلمون} إذن في أرض الحرية لا يُعطى أكثر الناس السلطة لتحديد دين وكلام والحقوق الأساسية للفرد، فلابد من تحرير الفرد من سلطة الأكثرية في هذه الأمور الجوهرية على الأقل، لأن أكثر الناس لا يعلمون وحين لا يعلمون سيجهلون وحين يجهلون سيظلمون ولا حرية مع الظلم فيعود الطغيان من جديد لكن هذه المرة على يد ثمود بدلاً من على يد فرعون أي على يد "تسعة رهط" بدلاً من "أنا ربكم الأعلى"، ولا يهم الواحد أو الكثير فالظلم ظلم. ولا ينبغي لفرد أن يرضى ولا أن يقيم أي اعتبار لطغيان فرد عليه أو أفراد ولو كانوا الأمة كلها وهو واحد فهو أمّة وحده طالما أنه حر ويأبى العبودية للبشر قلوا أم كثروا.

كيف تقيم وجهك للدين وكيف تكون حنيفاً؟ أمران هنا. إقامة الوجه عمل إيجابي أي فعل، والحنيفية عمل سلبي أي انتهاء عن شيء. سنجد في الآيتين الأمر والنهي كلاهما. ثلاثة أوامر ونهي. فتعالوا ننظر.

الأمر الأول {منيبين إليه}. الإنابة عمل القلب، والقلب يعقل ويفقه، فالإنابة إلى الله تعني سعي القلب دائماً باتجاه ذكر الله وتعقل كلامه والتفقه في أمره.

الأمر الثاني {واتقوه}. الإنابة تجعل النفس ربانية، التقوى تجعل النفس في العبودية، فتتقي تخيل الاتحاد به والتأله فلا تقول لأحد أن يتخذ رباً من دون الله وأنك إله من دونه، إذ الإنابة إليه قد تؤدي بالبعض إلى هذا الخطر، فالتقوى مسافة، والمسافة بين العبد والرب، ويعني فيما يعني عدم رؤية نفسك رباً للناس.

الأمر الثالث {وأقيموا الصلاة}. فالإنابة عروج النفس إلى الذات الإلهية، والتقوى خضوع النفس تحت القهر الإلهي، والصلاة رؤية النفس لذاتها كخليفة ما بين الذات والقهر، وهذا محل الخلافة، فالخليفة في مقام اللطف والرحمة، تحت الواحدية وفوق العدمية، لذلك هي الصلاة من المصلّي الذي هو الثاني في السباق، فيكون الإنسان هنا مصلياً لله تعالى المتجلّي به. وكذلك إقامة الصلاة تتعلق بدراسة وقراءة القرءآن وإقامته في الأرض علماً بالتعليم وحكماً بالعمل والتنفيذ، والدعوة إلى إقامة القرءآن أي دعوة الناس لذلك. لذلك جاء بعدها النهي.

النهي {ولا تكونوا من المشركين} الذين أشركوا في الإنابة فأنابوا إلى غير الله، وأشركوا في التقوى فاتقوا غير الله، وأشركوا في الصلاة فصلوا لغير الله. فما علامة هؤلاء؟ {من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون}، ثلاثة بثلاث. لما أشركوا في الإنابة فرّقوا دينهم، ولما أشركوا في التقوى كانوا شيعاً، ولما أشركوا في الصلاة صار كل حزب بما لديهم فرحون.

فمظهر الإنابة وحدة الدين، ومظهر التقوى وحدة الأمة، ومظهر إقامة الصلاة كون الأمة حزباً واحداً هو حزب الله الذين هم الغالبون وهم الروم "وهم من بعد غلبهم سيغلبون" "حزب الله هم الغالبون".

الفِرَق والشيع والأحزاب، ثلاثة أقسام تتعلّق بثلاثة جوانب.

الفرق تختلف في الله تعالى، أي في ذات الله، وهي توازي "فأقم وجهك للدين حنيفاً"، فكل فرقة تصوّر الله وتعتقد فيه اعتقاداً يخالف الأخرى، والحق في الله أنه النور الوجودي المطلق اللامحدود بحد والمتعالي والمتجلي مطلقاً الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فكل من قيّد الله وجعله دون ذلك الإطلاق المطلق الحقيقي فلابد أن يقع في التكثير والكثرة والاختلاف في الله.

الشيع من الشيعة وتتعلق بالأئمة كما قال في نوح "وإن من شيعته لإبراهيم" وقال في موسى "هذا من شيعته وهذا من عدوه" فالتشيع مبني على اتباع الإنسان للإنسان والانتماء إليه، فالتفرق في الله والتشيع في الإنسان، وهذه توازي "فطرت الله التي فطر الناس عليها"، والمعنى أن المتشيعين بالسوء هؤلاء أي المشركين منهم هم الذين لا يرون فطرت الله في كل الناس بل يرون فطرت الله في بعض الناس ويتخذون هذا البعض إماماً من دون الناس ومن دون بقية الأئمة ولا يرون في الناس صلاحية ذاتية فطرية إلهية لذلك يتشيعون لمن يعتقدون فيهم الفطرة الإلهية، وخلاف ذلك أن ترى كل إنسان فرد هو إمام إلهي بالقوة وإن لم يحقق ذلك بالفعل لغرض راجع له هو واختياره وليس إلى نفس نقص فطرته فإن فطرت الله قائمة في كل الناس حتماً وقطعاً "لا تبديل لخلق الله"، بالتالي لا يتشيع كل فرد إلا لنفسه وإلا لمن يرى أن تشيعه له إنما هو وسيلة لتعزيز تشيعه لنفسه وتكميل تحقيق فطرته كما فعل موسى مع معلمه حين قال له "هل أتبعك على أن تعلمنِ مما علمت رشداً" فلم يتبعه لمجرد الاتباع وإلا لصار تشيعاً شركياً بل اتبعه ليتعلم منه بالتالي ليكمل فطرته فيستقل عنه لذلك افترق عنه بعد ذلك، فالاتباع للتعليم ومساواة المعلّم هو تشيع المرسلين والمؤمنين لكن الاتباع لغير ذلك هو تشيع المشركين وهو المنهي عنه هنا وهو الذي سيؤدي إلى صيرورة الأمة شيعاً. وهذه توازي "واتقوه" لذلك جاء في آيات الصراط المستقيم من سورة الأنعام "وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون".

الأحزاب توازي "ذلك الدين القيم" والمعنى أن الدين لم يعد عندهم واحداً بل كل واحد يأخذ بعضاً من الدين ويجعله كأنه الدين كله وبديلاً عن الدين فيجعل نفسه حزباً يفرح بهذا الجزء من الدين الذي أخذه. كالذي يأخذ آيات الجهاد ويبني عليها حزبه، وآخر يأخذ آيات العلم وتزكية النفس ويبني عليها حزبه ويدع آيات الجهاد، وثالث يأخذ آيات التوحيد ويبني عليها حزبه ويدع آيات الحيض والدَّين، وهلمّ جراً. فالتحزب مبني على جعل الدين نفسه أجزاءً وعضين وأقساماً فيأخذ بعضها ويدع بعضها ويفرح بما عنده ولا يبالي بما لم يختاره، وهذه توازي "وأقيموا الصلاة"، لأن قراءة ودراسة القرءآن كله وأخذه كوحدة واحدة سيمنع من التحزب.

حين يخرج الروم إلى أرض الاختلاف والحرية والتعددية سيجدون فرقاً وشيعاً وأحزاباً كثيرة، فعليهم أن لا ينضموا إلى أية واحدة منها، بل يكونوا أفراداً أحراراً يتبعون الحق والعدل ولا يدخلون مع فرقة ضد فرقة ولا مع شيعة ضد شيعة ولا مع حزب ضد حزب، بل الروم هم الأمة الواحدة التي تعلو على كل فرقة وشيعة وحزب. لأنها ترى الله أحداً مطلقاً فكيف تفترق فيه وهي ترى كل عقيدة في الله لها وجه حق مع تقيدها بالتالي لا تنحصر فيها ولا ترفضها كلية. ولأنها ترى فطرة الله في كل إنسان فكيف تتشيع لإنسان واحد من دون الناس وتنسى نفسها وتسفه نفسها تعظيماً لشخص واحد أو بضعة أشخاص من الناس. ولأنها ترى الأخذ بالرؤية العلمية الشاملة في كل موضوع واتباع الأمور بنحو كامل متكامل بأكبر قدر ممكن وأوسع رؤية ممكنة فكيف تتحزب لوجهة نظر أو بعض العلم أو بعض الحق دون بعضه الآخر. فمن يرى الله مطلقاً والإنسان فرداً مستخلفاً والحق واسعاً واجباً، فهو الرومي الذي هو أمة وحده وهو الأمة الواحدة.

٣٣-{وإذا مسّ الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يُشركون. ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون.}

هذه توازي "منيبين إليه" في الآية السابقة وفيه بيان للإنابة. فالإنابة هنا هي دعاء الله وحده، بغض النظر عن الحالة الظاهرة للنفس أي سواء كانت النفس في ضر أو في رحمة (مما يعني أن الرحمة هي النفع والضر هو العذاب)، فالمدعو عند المنيب هو الله وحده. أي النظر إلى كون الله هو السبب الوحيد الحق الفعّال باستقلال في الكون ولا شيء من دونه يفعل شيئاً ولا يغلبه شيء من خلقه. فالإنابة توحيد الأفعال في الله تعالى، كان ما كان حال النفس من نفع وضر.

وغير المنيب قال له {فتمتعوا فسوف تعلمون} أي تمتعوا في الدنيا بهذه الرحمة التي نالت ظواهركم لكنكم خسرتم التوحيد الأفعالي الذي هو الرحمة الباطنة، وسوف تعلمون حين تقوم القيامة وتنقلب الموازين ويصبح الباطن ظاهراً وله الحكم الغالب يوم تُبلى السرائر ويندرج الجسم في حكم القلب حينها ستعلمون بطلان ما تعلّقت به قلوبكم من الأسباب السرابية. بالتالي المشرك يُترَك في الدنيا على شركه ويُترَك ليتمتع في الدنيا بشركه والرحمة الظاهرة التي آتاه الله إياه، ولا يتعرض له مؤمن بشيء في ذلك بسبب شركه حصراً.

٣٤-{أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلّم بما كانوا به يشركون}

هذه توازي "واتقوه وأقيموا الصلاة" لأن السلطان الذي يتكلّم هو الذي يبيّن الشريعة التي فيها التقوى أي الأمر والنهي، وكذلك هو القرءآن الذي به تكون الصلاة. فالسلطان هو القرءآن وهو الإنسان الذي يبيّن القرءآن أيضاً. فمن حيث هو إنسان يوازي "شيعاً" أي هل هذا الإنسان الذي اتبعتموه قد آتاه الله سلطاناً من دون الناس حتى تقبلوا كلامه وتتشيعوا له من دون الناس؟ ومن

حيث هو قرءآن يوازي "كل حزب" أي هل هذا الموضوع الذي تحزبتم له وأقمتم حزبكم حوله هو بعض القرءآن أم كل القرءآن فإن كان بعضه فلم كفرتم باقي القرءآن وإن كان كله فأنتم لستم حزباً من الأحزاب لكنكم حزب الله الجامع لكل المعاني الحقة في كل الأحزاب المبضّعة لمواضيع الكتاب. فلابد من سلطان مُنزَل لبيان الأمر والنهي، ولبيان المُتَّبَع من الناس. فمثلاً في الاتباع قال "اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون" فإن وجدنا أناساً يتشيعون لشخص يسأل الناس أجراً وجزاءً وشكوراً ويأمر الناس باتخاذه رباً من دون الله ولا يعلمهم كل ما في علمه ويضن عليهم بالغيب الذي عنده ونحو ذلك من أمور فحينها نعلم أن هذه شيعة ضلالة وهذا إمام من أئمة الكفر والنار، وعلى هذا النمط لابد من النظر في السلطان المُنزَل المتكلّم أي القرءآن حتى نرى البرهان الذي هو سلطان بحد ذاته على كل أمور التقوى والصلاة.

المعنى إذن: الروم دعوتهم في الله هي الوحدة الإلهية في نفسه وفي أسمائه وفي أفعاله. ودعوتهم في الشريعة مأخوذة من كتاب الله. ودعوتهم في الإمامة مأخوذة من كتاب الله. وعلى هذا الأساس يتكلمون. فمن خرج عن هذه الأصول الثلاثة كان من المشركين أصحاب الفرق والشيع والأحزاب.

٣٦-{وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدّمت أيديهم إذا هم يقنطون. أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون. فآت ذا القربى حقه وابن المسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون. وما ءاتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما ءاتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون}

المصيبة سيئة وسببها ما قدّمت يداك أنت، لكن الرحمة قد تكون نعمة معجّلة لعمل سابق أو قد تكون من محض الفضل الإلهي. والآية تتحدث عن حال النفوس في هذا العالَم وكيفية التعامل مع الحوادث. والنفس ما بين حادثة رحمة وحادثة سيئة، وكلاهما من علوم الذوق {إذا أذقنا}، أي هي شيء تذوقه وتدركه وجدانياً مباشرةً وليس أمراً ذهنياً تتخيله ولا تفكر فيه، فالرحمة رحمة لأنك تجدها نافعة لذيذة في نفسك، والمصيبة سيئة لأنك تجدها سيئة في نفسك، ومدار الكلام على ما تجده في نفسك مباشرة وهو المرجع الأخير في الحكم على الشيء وهذا لا يعني أنه لا يمكن تحويل الأثر الناتج عن حادثة ما كأن تعيد تفسيرها فيختلف تأثيرها فيك لكن الأثر الأول قد وقع في نفسك وانتهى الأمر بالتالي هو على ما هو عليه وهذا الأثر الجديد الناتج عن التفسير الجديد هو أثر جديد بالتالي له حكم جديد فلا ينقض هذا ما قدّمناه.

الآن، كيف تفسّر الحوادث؟ قد مضى أمر الإنابة والتقوى والصلاة، فهذا فيما يتعلّق بالمعاملة الدينية، فماذا عن المعاملة الدنيوية، أي عن كيفية التعامل مع الحوادث الدنيوية والنظر إليها. الآية

هنا تتحدث عن هذا الشق الدنيوي من المعاملة. وفي الدنيا أنت ما بين حسنة وسيئة. الآية تبيّن كيف تنظر للحسنة وكيف تنظر للسيئة، ثم تبيّن كيف تتعامل مع الحسنة وكيف تتعامل مع السيئة.

لا تنظر إلى الحسنة كشيء تفرح به من أجل نفسه لكن كشيء يدل على رحمة الله بك، أي انظر إلى يد الله في الأمر لا فقط إلى الأمر، فانظر إلى رحمته بك لا فقط إلى صورة الرحمة. هذا بالنسبة للحسنة.

بالنسبة للسيئة فانظر أولاً أنك أنت السبب في إتيانها بما قدّمت يداك، أي ابحث عن مسؤوليتك الشخصية في حصولها وما الذي يمكنك القيام به لعدم حصولها بعد الآن وما الذي كان بالإمكان القيام به في الماضي لعدم حصول هذا الأمر الآن، وبهذه الطريقة ستكون في حالة تحسّن مستمر، فابحث عن مسؤوليتك أنت ولو من وراء ألف سبب وسبب وكن هكذا دائماً حتى تكون فعالاً مسؤؤلاً قوياً في كل أمر ولا ترى نفسك كورقة في مهب الريح تفعل فيك الأمور ولا تفعل شيئاً ولا قرار لك. وثانياً لا تقنط وتيأس ويصيبك الاحباط وتظن أنه لا مجال لتغيير ما حدث من سوء بل دائماً يوجد وسيلة للتغيير ولو في نفسك ونيتك وهو تغيير كاف لنعيم النفس ومصير الآخرة كحد أدنى، بالتالي لا يوجد سيئة إلا ويمكن تغييرها والاستقالة منها بوجه أو بآخر بالتوبة والتصحيح والإصلاح.

الحسنة والسيئة في هذه الآيات بحسب ما جاء بعدها تشير إلى الرزق. فالحسنة هي بسط الرزق والسيئة هي قبض الرزق. فحين تجد من الرزق ما يكفيك وينعمك فهي حسنة، وحين تجد من الرزق ما لا يكفيك ويضيق عليك فهي سيئة. الرزق منه رزق العقل وهو الأقوال ورزق البدن وهو المال. والمعنى الظاهر للآية في رزق المال، والمعنى الباطن في رزق الأقوال.

في رزق المال، اعلم أن الله هو الذي سيقدّر لك ما يكفيك ولن يبتليك بشيء لا ينفعك ولن تتحمله. وإن حصل لك ضيق في الرزق فاعلم أن الله يكفّر عنك به شيئاً سبق أن فعلته من سوء فابحث عن ذلك وتب منه واعلم أنه خير لك. هذا في حالة الضيق. وفي حالة البسط اعلم أن تكليفك هو أن تنفق على نفسك ثم ما زاد عن حاجتك يجب أن تنفقه على من يحتاج ذلك من ذوي قرباك والمسكين وابن السبيل، وإياك أن تأخذ هذا المال الزائد عن حاجتك وتقرضه بالربا. فالآيات تشير إلى أن البسط هو ما يكفيك ويزيد عن حاجتك، والقبض هو أن يكون لك يما يكفيك فقط بالحد الأدنى للمعيشة وإلا لو توفّر لك أقلّ من الحد الأدنى فلن يكون رزقاً بل ستموت. إذن القبض ليس قبض أصل الرزق وإلا حصل الموت، بل القبض أن يكون لك الكفاف المحض والحد الأدنى مع صعوبة العيش من حيث الحاجة للتفكير والتقدير في المال وأخذ أمور ذات جودة أقل ونحو ذلك من أسباب سلب الراحة الفكرية والبدنية، فالبسط بعكس ذلك حين تتوفّر الراحة الفكرية بسعة المال فلا تحتاج إلى كثير من التفكير في كميته وكذلك تتوفر الراحة البدنية بالحصول على ما يريح من أمور المعيشة المختلفة، ثم فوق ذلك يزيد عن حاجتك ويفيض المال حتى تستطيع أن

تنفقه على غيرك. إذن هنا ثلاث درجات في البسط. الأولى توفر الراحة البدنية لك، الثانية توفر الراحة الفكرية لك، الثالثة توفر القدرة على الإنفاق على غيرك. والقبض بعكس ذلك يأتي أولاً بعدم قدرتك على الإنفاق على غيرك، ثم يسلبك راحة فكرك بحيث تحتاج إلى التفكير في المال كسباً وإنفاقاً بشكل مستمر أو دوري، ثم يسلبك راحة بدنك بحيث تحتاج إلى اختيار الأردأ والأقبح من الأشياء حتى تعيش به. والله يخبرنا هنا أنه {يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له} وليس عبيده، بل "عباده"، فالكلام هنا بشكل رئيس عن الصالحين، فهؤلاء الله يدبّر أمورهم كالروم مثلاً وهم محل الكلام كما مضى. فالله هو الذي سيدبّر لهؤلاء أمور رزقهم بحيث يبسط لهم حين يكون البسط خيراً لهم ويقدر لهم حين يكون القبض خيراً لهم، وسيرون ذلك في حياتهم لو أبصروا بعين الظاهر والباطن "لقوم يؤمنون" والإيمان كما مر رؤية الآية في الواقع. فحتى ترى ذلك عليك أن لا تعمي عينك عبر الفرح بالبسط والقنوط من القبض، أي لا تجعل البسط هو الحالة الوحيدة التي يجب أن تكون عليها وإلا ستقنط وتسخط، وهذا أمر قد يصعب على النفس لكن الإيمان به يسهّل الله على النفس ذلك حتى تحبّ قبض الرزق في حالات وتكره بسط الرزق فيها. المهم أن تكون عينك على الله وتدبيره، لا على صورة القبض والبسط في الرزق.

في حال بسط لك الرزق إلى حد أنك وجدت راحة بدنك وراحة فكرك وصرت تستطيع الإنفاق على غيرك، هنا تأتي الآيتين لتبين لك كيف تنفق وعلى مَن.

{فآتِ ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل}. ذو القربى هم الذين خرجوا معك من أهلك وأقاربك إيماناً بدعوتك وأصابته ضائقة مالية بسبب ذلك فهؤلاء أولى الناس بالزائد من مالك. ثم أتباعك من المؤمنين المساكين وهو من السكون أي الذي لا يستطيع التحرك طلباً للرزق بنفسه لكنه يسكن ويثبت في حدود معينة لا يستطيع التحرك منها ومع ذلك يقوم بالذكر والفكر والعبادة في حدود مكانه وداخل قلبه، فهذا قلبه متوجه إلى الله والنور ويتلقى الإشراق الإلهي ويجلس معك ويستمع لك لكنه لا يستطيع التحرك لطلب رزقه، فهو التلميذ العاجز، فأعطه من فائض مالك. ثم من سافر لكي يزورك ويتعلم منك فهذا ما سافر إلا لكي يتعلم منك وجاء إليك للعلم فارحمه فهو ابن السبيل وهو في غربة مؤقتة من أجل التعلم منك فأعطه من مالك. هذا تأويل.

{ذلك خير للذين يريدون وجه الله} أي لا تعطيهم المال على أمل أن يردّوه لك، بل تعطيهم لا تتوقع لا جزاءً ولا شكوراً منهم. {وأولئك هم المفلحون} لأن أجرك على الله وفي الآخرة التي هي الفلاح الدائم والنعيم المقيم. وستجد أثر ذلك عادةً في قلبك الآن ومن فتوح العلم والحكمة والأنوار. فهو "خير" كما قال الله، ومَن أراد وجه الله سيشرق عليه الله بوجهه.

{وما ءاتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله، وما ءاتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون} هنا تحذير وإنذار لأصحاب الأموال الفائضة عن حاجتهم أي مَن هم في حالة بسط الرزق. قد يطمعون بمضاعفة هذه الأموال عبر جعلها تربوا في أموال الناس أي إعطائهم المال قرضاً على أن يعيدوه لك بفائدة فيزداد مالك بدون أن تعمل شيئاً. لكن هنا مسألة مهمة وفرق كبير. فرق بين أن تعطي مالك لشخص يستثمره لك فيرده لك مع زيادة إن ربح

ويضيع منك إن خسر، وبين أن تعطي ذا القربى والمسكين وابن السبيل وهم أناس يستهلكون المال ولا يعرفون مصدراً له وتأمرهم بتدبير أمرهم لإعطائك مالك وزيادة عليه ولا يهمك كيف سيفعلون ذلك. أي فرق بين أن تعطي المال لمستثمر ولمستهلك. السياق هنا عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل يشير إلى حالة المستهلك. لذلك أرشد إلى الزكاة لا إلى الربا. أي إرادة وجه الله بإعطاء المال لا إرادة زيادة المال. فما علاقة إعطاء المال لذي القربى والمسكين وابن السبيل بوجه الله؟ العلاقة ما مضى. فالقرءآن كل واحد والكلام عن العلم، فالمعنى أن ذوي القربى والمسكين وابن السبيل كما بينا في التأويل السابق هم أناس خرجوا معك أو هم معك أو قد جاؤوا إليك من أجل العلم والدين، فهم يعملون لله ويريدون وجه الله بصحبتك والأخذ عنك والسفر إليك، فإعطائهم المال هو تيسير لمعاش أجسامهم حتى يتفرغوا لأمر دينهم وتعينهم على ذلك. استغلال الحاجة المالية لهؤلاء هو السفالة الكبرى التي تحذر منها الآية. فالرومي لم يخرج لجمع المال ولكن للدين والعلم الإلهي وكلام الله. بالتالي حتى أمواله يجب تسخيرها لهذا الغرض الديني العلمي، لذلك حين يبسط الله لك الرزق في دار هجرتك أو في الأرض عموماً أيها الرومي فاعلم أن هذا لأن الله يريدك أن تنفق على عباده الذين يريدون تعلم دينه، لا لكي تستغل ضعفهم ليزداد مالك ولا لكي تجمع الأموال من أجل التكاثر في الأموال على طريقة كفار الدنيا وجهلة أبناءها. فكما جعلك الله وسيلة لإفاضة علمه كذلك جعلك خليفة لإنفاق ماله. فهي نعمة عظيمة عليك فلا تفسدها بالربا بل اشكرها بالزكاة.

بناء على ذلك، على حملة كتاب الله تنظيم أمر معيشتهم بشكل جماعي في أي أرض يحلّون بها. يجتمعون ويعمل منهم على الكسب من يستطيع أن يعمل، ومن لا يستطيع يسخّر وقته بشكل أكثف في العمل العلمي والعبادي. ويعطي من بُسط له رزقه من قُدر عليه رزقه. ففي أمر العلم فردية لكن في أمر المعاش جماعية. وهكذا تكون الأمور أولى بالاستقامة بإذن الله ورحمته.

جاء في سورة الإسراء "آتِ ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذّر تبذيراً. إن المبذّرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربّه كفورا". فإذا جمعنا هذه مع أختها هنا سنجد أن التبذير هو إعطاء مالك لغير هؤلاء الثلاثة. بالتالي على العالِم أن ينظر في ذي القربى منه وهم العلماء أو المسكين وهو المتعلّم الحابس نفسه عليه للتعلم أو ابن السبيل وهو المسافر له ليتعلّم منه، فعلى هؤلاء الثلاثة عليه أن ينفق ماله، وما خرج عن ذلك هو تبذير، والمعنى معقول بنفسه لأن إعطاء المال لمن هو ليس عالِما ولا متعلماً دائماً أو مؤقتاً يعني إعطاء المال لإنسان لا يحيا للعلم وهذا الإنسان هالك فإعطائه المال إهلاك له وهو التبذير كبذر البذرة في أرض غير صالحة للنبات كذلك المال في غير أهل العلم هو تبذير لأن هؤلاء غير صالحين لإنبات العلم والروح والإشراق المعنوي على العالَم الإنساني والطبيعي ولا قيمة لحياتهم في هذه اللحظة بالنسبة لأهل العلم بمعنى أن لا قيمة تبرر إعطائهم المال المحدود بل غيرهم أولى به. ومن هنا ذكر {إخوان الشياطين} لأن الإنسان الذي لا يحيا للعلم فهو من إخوان الشياطين، إذ غير العلم جهل والجهل شيطنة. ثم

ذكّر ب{كان الشيطان لربّه كفورا} وهو إبليس الذي لم يسجد لآدم، فعصى أمر ربّه وضد ذلك العلم بالشريعة التي هي أمر الله، والشيطان غفل عن مقام الله ولذلك عصاه وجهل حقيقة علاقة الله بالعالَم والخلق لذلك قال مثلاً "رب بما أغويتني" والغفلة والجهل بالله هما ضد الطريقة التي هي ذكر الله، وإبليس جهل حقيقة الإنسان وأنه روح ونفس وجسم بل رآه كطين فقط كذلك الجهلة من البشر الذين يرون أنفسهم كأجسام فقط وينكرون روحهم وينكرون الروح أصلاً والباطن والتأويل والغيب في الإنسان بالتالي ينكرون العلم إما مطلقاً وإما بدرجاته العليا، وعلى هذا النمط إذا نظرنا في الشيطان الذي كان لربه كفوراً سنرى نموذج البشر الذين لا يحيون للعلم وبالعلم وفي فلك العلم لذلك قرنهم بالمال والتبذير وخالف بينهم وبين ذي القربى والمسكين وابن السبيل مما يدل على أن هؤلاء أمثال على المتعلمين وقد مضى تأويل ذلك. إذن، بما أن المال محدود فأولى الناس به أهل العلم الذين هم في دائرة صاحب المال العالِم هنا، وهم عقلاً ثلاثة وفي الآية هم ثلاثة يتطابقون عقلاً مع ورودهم نصّاً، إذ عقلاً الأولى هو العالِم مثله ثم بعد ذلك المتعلّم الملازم له ثم بعد ذلك المتعلّم غير الملازم له، فالأول أولى لأنه مثله في الرسوخ والثاني أولى لأنه يشترك مع الثالث في التعلّم فلابد من مرجّح وهو هنا اللزوم ثم يبقى الثالث للدرجة الأخيرة. وكذلك الآية ذكرتهم هكذا: ذا القربى والمسكين وابن السبيل. والقرءآن صورة العقل الأعلى.

٤٠-{الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء، سبحانه وتعالى عما يُشركون}

حقيقة وسؤال وجواب. هذا مضمون الآية من الناحية الكلّية.

أما الحقيقة فقوله {الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم} هذه الأفعال الأربعة هي الكليات التي كل فعل يظهر في الوجود لابد أن يرجع إليها، وكل سبب في الكون إنما هو سبب أثره أحد هذه الأربعة. فهي أركان بيت الكون. حصر فعل الخلق والرزق والإماتة والإحياء بالله تعالى هو من توحيد الأفعال على سبيل التفصيل مع الإجمال، وأما على سبيل التفصيل مع التفصيل فيتضمن بيان كل رزق مثلاً حسي ومعنوي ونحو ذلك كما في آيات "فارزقوهم"، وكذلك في الخلق حين يظهر فعل الخلق على يد البشر مثل "أخلق لكم" و "تخلقون إفكاً"، وهكذا في الإماتة والإحياء "أنا أحيي وأميت" و "من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً". فالآية إذن بصدد بيان جوهر الفعل، وجوهر الفعل راجع إلى فعل الله حصراً، فكل خلق ورزق وإماتة وإحياء هو فعل الله على الحقيقة لا غير إذ لا غير له يستطيع أن يفعل شيئاً من ذلك بدون إذنه وفي حدود تمليكه. ومن هنا ذكر القرءآن وجود مَلك للموت "قل يتوفاكم ملك الموت" فنعلم قياساً على ذلك وجود ملك للخلق وملك للرزق وملك للموت وملك للحياة، لكن هؤلاء الأربعة يرجعون إلى الله تعالى وفعلهم إنما هو مظهر لفعل الله لا غير "ويفعلون ما يؤمرون" "لا يسبقونه بالقول" "تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر". بالتالي الإنابة القلبية يجب أن تكون لله تعالى وحده، وكل ما

يريده الإنسان من خلق ورزق وموت وحياة يجب أن يسأله من الله تعالى ولا يرى غيراً له في الوجود. والغير يكون سبباً من الأسباب عادةً الظاهرة في الكون سواء سبب جعله الله سبباً أو سبب يتوهم المتوسّل به أنه سبب وليس كذلك، وعلى الوجهين المؤمن الموحد يسأل الله وقلبه منيب إلى الله حصراً لأنه يعلم أن الفاعل الوحيد هو الله. لذلك قال {هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء} فلو كان لموجود دون الله سواء كان عيسى الذي أشرك به من أشرك بالرغم من أنه يخلق ويحيي الموتى أو كان غير عيسى ممن لم يملكه الله من ذلك شيئاً، لو كان لموجود فعل حقيقي راجع لنفسه وذاته لكان الجواب الصادق على هذا السؤال التقريري هو "نعم يوجد من شركائنا من يفعل من ذلكم من شيء كعيسى الذي يخلق من الطين ويحيي الموتى". والسؤال لم يقل: هل من شركائكم من يفعل من ذلكم بغير إذن الله من شيء. حتى يخرج بهذا القيد عيسى ومن شابهه في التمكين الإلهي أو حتى يخرج الذين أمرهم الله بأن يرزقوا أولي القربى واليتامى والمساكين إذا حضروا القسمة المالية "فارزقوهم" قال الله وهو فعل الرزق، فعلى أي مستوى وجودي كان إن كان لفاعل محدود فعل حقيقي منسوب له نسبة حقيقية لبطلت الآية. وهي حق. فالمعنى أن الفعل على الحقيقة هو فعل الله لا غير، وهو توحيد الأفعال. فأي فعل برز في الوجود من خلق ورزق وإماتة وإحياء عين القلب ترى فعل الله وإن كانت عين القالب ترى فعل عبد الله. ولعين القلب أحكام ولعين القالب أحكام. عين القلب تحكم بالطريقة، وعين القالب تحكم بالشريعة. ولا تناقض بينهما ولكل منهما حدّه في هذه الدنيا. فالعبد الصالح في قصة موسى نسب الفعل إلى إرادة الله بينما موسى نسبه إلى العبد الصالح. والفراق بين أهل القلب وأهل القالب يبدو أنه حتمي بدرجة أو بأخرى ما دامت الدنيا دنيا. من اعتقد وجود فاعلية لغير الله فهو مشرك، سواء كان شركاً مهلكاً كاعتقاد وجود رب وإله من دون الله، أو كان شركاً مغفوراً بإذن الله ورحمته كشرك نسبة الفعل إلى سبب ظاهر مكنه الله من الظهور بصورة الفعل كعيسى والمؤمن في قسمة الرزق مثلاً وهو مغفور بإذن الله وفضله لأنه من مظاهر اسم الله الظاهر والفرق بين الظاهر والمظاهر أدقّ من الشعرة وأحد من السيف والله أرحم وأرأف بعباده من مؤاخذتهم على ضعف أعينهم إذ "ليس على الأعمى حرج" و "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها" و "يعفو عن كثير". والجواب الحق على السؤال هو {سبحانه وتعالى عما يشركون}. ما الفرق بينهما؟ أن تعتقد وجود موجود يوازي الله في وجوده وفعله شرك ينبغي قول "سبحانه" منه، لكن أن تعتقد بأن ما يظهر من الأفعال الأربعة في الكون هو كل وجميع وأقصى ما في قدرة الله وفعله أو تعتقد بأن كل ما يظهر من أفعال في الكون على يد العباد والعبيد هو عين فعل الله بالمساواة التامة من كل وجه ولا تتقي الله في ذلك وتنسب الفعل إلى مظهره مع تنزيه الله عنه فعلى الوجهين هو شرك ينبغي قوله "تعالى" منه. فالله مُسبَّح عن الشريك في ألوهيته، ومتعالي على الكون وما يظهر فيه بصورة خلقه. فعله واحد وكامل، نقض الواحدية يقتضي التسبيح، ونقض الكمال يقتضي التعالي. " سبحانه وتعالى عما يشركون".

جاءت هذه الآية بعد أن ذكر مسألة الرزق في المقطع السابق، وأمر فيها بإيتاء ذي القربى والزكاة وذكر فعل الربا، أي ذكر فعل الخير وفعل الشر في الرزق، فحتى لا يتوهم موهم أن الفاعل هو الإنسان على الحقيقة فيضلّ عن توحيد الأفعال فتبطل إنابته، فتح هنا باب تحقيق مسألة الأفعال الإلهية بتوحيدها المطلق في ذات الله سبحانه وتعالى. ففاعل الزكاة وفاعل الربا كثير في الظاهر لكن حقيقة فعلهم هي فعل الله الذي يرزق لا غير. فعل الحق واحد وفعل الخلق كثير وفعل الحق هو أصل فعل الخلق. فعل الخلق خير وشر لكن فعل الحق حق. عينك حولاء وهو واحد، وبالنسبة لك زكاة وربا لكن بالنسبة له فعل واحد. فمن نظر من عين المظاهر ضل، ومن نظر من عين الظاهر اهتدى. عين المظاهر شركية وغير الظاهر توحيدية. لذلك الإنابة عمل القلب، فالقلب موحد وإن كان القالب مشركاً.

ثم عاد بعد أن قرر توحيد الأفعال الإلهية إلى مقام التفريق مرة أخرى فقال...

٤١-{ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون}

هنا نجد أن الناس هم مظهر الله تعالى. فلا يوجد غير الله. والموجودات كلها هي الله على الحقيقة. ولا يعقل غير ذلك. ولولا أنهم تجليات الله لما أمكنهم أصلاً إقامة عمل فضلاً عن التأثير في الكون بإحداث الفساد ولما خاطبهم بتغيير فعلهم والاعتبار بأثره للرجوع إليه. فما ثم إلا الله وهو المحيط وكل ما سوى ذلك إنما هو الله يكلّم الله. وفي هذه الآية كلام الله مع مظهر من مظاهره الذي هو الناس. فيقول {ظهر الفساد} لأن الناس هم أصلاً ظهور الله، وظهور المظاهر أفسد باعتبار الوحدة المطلقة للحق تعالى ولولا حدوث هذا الفساد ولو توهماً وتخيلاً وحولاً لما كان ثمة شرك ولما احتاج الناس إلى الرسل الموحدين، فظهور الناس فساد، لذلك نتج عنهم فساد آخر في الطبيعة التي هي آية كل فساد باطني وفيها آية كل صلاح باطني أيضاً، {في البر والبحر} في الكثيف واللطيف، في الثابت والمتحرك، في الجوهر والعرض، أي في الطبيعة كلها. {بما كسبت أيدي الناس} فنسب الكسب لأيدي الناس بالرغم من حصر الفعل في الله في الآية السابقة، بالتالي كسب أيدي الناس هو مظهر فعل الله لا غير، لذلك {ليذيقهم بعض الذي عملوا} فنسب العمل لهم بالرغم من قوله في آية أخرى "والله خلقكم وما تعملون"، وهم قد عملوا ذوقاً أي يجدون ذوقاً أنهم عملوا ويرون شهوداً ووجداناً أن العمل نابع منهم، فلا يوجد حقيقة غير فكرة الانفصال عن الله هي التي توهم الناس أن الله بعيد عنهم ومنفصل عنهم والحق أنهم لو نظروا في أيديهم سيجدون الله (حتى كلمة "الله" في خطها العربي تشبه الأصابع !) فقدرتك وهي يدك على الحقيقة ويدك الصورية كلاهما مظهر فعل الله. لهذا ظهر عنها فساد إن كسبت أيدي الناس الفساد، ويظهر عنها صلاح إن كسبت أيدي الناس الصلاح. بمجرد ما يختلّ ميزان التوحيد الأفعالي سيظهر الفساد في البر والبحر. من هنا أنزل الله الميزان الشرعي حتى لا نخلق ولا

نرزق ولا نميت ولا نحيي إلا في الحدود التي أمرنا الله بها، فإن فعلنا ذلك كان فعلنا صلاحاً وأدى إلى صلاح البر والبحر. والآية هنا في المشركين تحديداً.

لاحظ أنه قال {بما كسبت أيدي الناس}، فلماذا لم يقل "بما اكتسبت أيدي الناس"، بناء على ما ورد في خواتيم البقرة "لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت"، أي "كسبت" تشير إلى خير، و"اكتسبت" تشير إلى شر وفساد. فلما كانت الآية هنا تتحدث عن فساد كان اللازم حسب ذلك الإتيان بكلمة "اكتسبت أيدي الناس". فما معنى ذلك؟

جواب: لما كان كل فعل على الحقيقة-وهو سياق الآيات-هو فعل الله، وكل فعل الله خير، بالتالي حتى فعل الشر من الناس والفساد هو في حقيقته وجوهره خير لأن الله "بيده الخير" وليس الخير والشر إذ كل أمره خير وبالنسبة له لا يوجد إلا الخير. فأشار إلى كسب أيدي الناس بلفظة تدل على الخير تنبيهاً على التفريق بين ظاهر الفعل وحقيقته، فظاهره فساد لكن حقيقته خير، فقال جمعاً بين الاعتبارين {بما كسبت أيدي الناس} مع التنبيه على أنه فساد وينبغي الرجوع عنه. فما هو خير لله قد يكون شراً للإنسان، وعلى الإنسان الرجوع إلى خيره هو بغض النظر عن طبيعة الأمر بالنسبة لله تعالى.

جواب آخر: لما بيّن الله للناس العلاقة بين فعلهم وبين العالَم والتأثير فيه، وكانت هذه مناسبة لدعوتهم للرجوع إليه، كان فعلهم هذا بالرغم من فساده خير لهم مثل "لا تحسبوه شر لكم بل هو خير لكم" بالرغم من تسميته بالإفك والوعيد عليه بالعذاب الأليم والنهي عن الرجوع إلى مثله أبداً، لكنه كان خيراً من وجوه منها نزول كلام الله وبيان أحكام نافعة والاعتبار وتمييز المؤمن من المنافق وغير ذلك من خير كثير. فقد يكون الشيء الواحد خيراً وشراً باعتبارات مختلفة. والعين الصحيحة تميّز كل ذلك وترى التداخل بينه وتحسن الاختيار فيه. كذلك الحال هنا. فما كسبته أيدي الناس مما أدى إلى ظهور الفساد في البر والبحر هو شر من حيث الفساد لكنه خير من حيث نزول الآيات وكونه فرصة للناس للرجوع إلى الله ومراجعة الحق والعدل والصلاح. كل ما أدى إلى خير فهو خير وإن كان شراً طالما أنه أدى إلى خير وكانت العاقبة خيراً.

جواب ثالث: لما كان الناس خلفاء الله فطرياً، والفطرة التوحيد، والتوحيد فسد بظهور الكون، كان الناس يسعون لاشعورياً لإفساد الكون حتى يبطل ويعود التوحيد ظاهراً قاهراً "لمن الملك اليوم لله الواحد القهار". فسمّى سعيهم هذا لإفساد الكون كسباً لا اكتساباً لأن نيته الأصلية العميقة خير. لكن بقية الآية تبيّن مسلكاً مختلفاً وهو إبقاء الكون قائماً مع ظهور نور التوحيد في بيت الكون "في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والأصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله" البيوت مكان والغدو والأصال زمان ففي حدود المكان والزمان وهما الطبيعة ظاهرها وباطنها يوجد رجال يعلنون اسم الله ويذكرونه ويمجدونه ويظهرون وحدته وعلوه ولا يلهيهم تغير وتبدل وتفاعل مظاهر الكون مع بعضها البعض وتداخل أسبابها عن وحدة الحق المطلقة القهارية. فلم تغلبهم ظلمة الكون بل أناروا بنور توحيدهم الكون.

في بلاد الروم ينبغي أن يكون الفساد والصلاح موضوعاً للنظر دائماً. والفساد يُسمّى فساداً، وينبغي السعي في إصلاحه والرجوع عن أسبابه. ولا يُعطى إنسان ولا جماعة سلطة لمنع تسمية الشيء باسم الفساد أو الصلاح لأن الذين يرتكبون بأيديهم أسباب الفساد سيمنعوا الناس من تسمية فعلهم فساداً فيزداد الفساد ويعم الجميع ويمتنع الرجوع عنه والجهاد في سبيل إصلاحه. فالمشكلة ليست في وجود الفساد {ظهر الفساد} بل المشكلة في عدم الرجوع عنه {لعلهم يرجعون}، فطالما أن باب الرجوع مفتوح وكل ما يؤدي إليه ممهد ومضمون فلن يغلب الفساد الناس أبداً. توثيق تجارب الناس مع الفساد {ليذيقهم بعض الذي عملوا} أيضاً مهم، حتى لا يحتاج الناس إلى إعادة تذوق كل فساد لمعرفة ضرره وقبحه وشناعته، بالتالي توثيق التجارب وانفعالات الناس في كل الأمور والقضايا التي يمرون بها والحوادث التي تقع عليهم بسبب أعمالهم أمر حسن وخير عظيم ينبغي الاهتمام به حتى يكون مرجعاً وحجة في حال اقترح شخص عملاً يشبه عمل مضى أنتج فساداً أو بدأ أناس بعمل شيء يؤدي كما أدى في الماضي إلى فساد ذاق الناس منه الويلات والأمرّين. ومن هنا قال بعدها...

٤٢-{قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين}

السير في الأرض عمل الروم. والسير في الأرض يشمل كما بينا من قبل قراءة التواريخ والوثائق التي فيها أحوال الناس إذ منها يعرف الناس من كان قبلهم وعقائدهم وما آلوا إليه وسبب ذلك كله.

الآية تبيّن أن {أكثرهم مشركين} وليس كلهم. ومن كان مشركاً منهم أهلكه الله. بالتالي من بقي الآن من الناس ليسوا من المشركين أو ليسوا ممن الشرك غالب عليهم أو ليسوا ممن أغلقوا وسائل إصلاح ما هم عليه من شرك. بالتالي الأرض اليوم كلها مقدسة بدرجة أو بأخرى. لذلك أمر بالسير فيها، فهي مقدسة لأن الله طهرها من المشركين المستحقين للهلاك، فلم يبق عليها أحداً منهم، "هل تسمع لهم ركزاً" وكانت عاقبتهم أن دمرهم الله وقومهم أجمعين، بالتالي من لم يدمره الله ليس مشركاً شرك الهلاك وإلا لما بقي. من هنا قال {كيف كان عاقبة الذين من قبل} مما يدل على أنهم هلكوا وفنوا فلم يبقَ إلا أثرهم في الأرض سواء البقعة أو الصفحة "جعلناهم أحاديث". فلن تجد في الأرض اليوم إلا موحداً بدرجة أو بأخرى من درجات العلم بالوحدة الإلهية أو أرضاً يستطيع أهل الوحدة تبليغ التوحيد فيها أو أرضاً يقول أهلها بالوحدة بألفاظهم وإن جهلوا حقيقتها. فالوحدة الإلهية هي الظاهرة في الأرض اليوم، وما كان من قبل انتهى. فماذا نفعل الآن؟ تفعل هذا...

٤٣-{فأقم وجهك للدين القيّم من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله يومئذ يصدعون}

من أشرك فني، فمن يوحد سيبقى، {فأقم وجهك} أي لا تجعل همّك ولا اهتمامك ولا شغلك إلا بالدين وللدين وفي الدين القيّم، كالذي يجري يتخذ وجهة معينة ولا يلتفت، كذلك أنت {أقم وجهك للدين القيّم} إلى متى؟ ما بقيت في الدنيا، {من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله} فما دام الإنسان في الدنيا فلديه فسحة للعمل، وتبطل بالموت.

في أرض الحرية ستجد أناساً يشتغلون بالدين وأناساً قد أشركوا بأن جعلوا همّهم الأكبر غير الدين. أما أنت {فأقم وجهك للدين القيم}. وفي الدنيا لا تطلب الامتياز ولا تعتزل عن المشركين ومن لهم شغل بغير الدين فتطلب مفارقتهم مفارقة كلية من كل وجه، كلا بل تخالط وتدعو وتأمر وتنهى وتذكّر وتجادل وتعيش وتكسب وتبيع وتشتري وغير ذلك، لأن اليوم الذي سيحدث فيه التصدع ويمتاز فيه صاحب الدين القيم من غير هو اليوم الآخر لا الدنيا، ففي الدنيا لا يتصدعون بل في الآخرة {يومئذ يصدعون} وذلك حين يأتي {يوم لا مردّ له من الله}.

٤٤-{من كفر فعليه كفره، ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون}

في الدنيا، من كفر فعليه كفره لذلك لا يهمك أنت إن كفر أو آمن، وهي الحرية الدينية في المجتمع، أي لكل إنسان أن يؤمن أو يكفر كما يشاء، وينبغي أن لا يقوم المجتمع على أساس التمييز الديني بين الكافر والمؤمن، بل يقوم على أمر الدنيا الذي هو المعاش وترك الأفراد أحراراً في دينهم وكلامهم وجدلهم. فالآية هنا تذكّر بهذه الحقيقة {من كفر فعليه كفره} أي ليس لك ولا عليك من كفره أي شيء، فلا تستطيع حتى أن تحتج بأن كفره يضرك بالتالي تريد تقييده اجتماعياً من الظهور بكفره، كلا، كفره عليه لا عليك، فليس عليك من ذلك شيء بالتالي ليس لك أي حق ضده. في أرض الحرية الدين حر من تدخل الناس، وكل أحد يظهر الدين الذي يريده. والحساب على الله في الآخرة. {من كفر فعليه كفره، ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون} فالأول كفره عليه في الدنيا كما أن الآخر يمهد لنفسه في الدنيا ما يريده في الآخرة من الخير. فالدنيا في أرض الحرية مكان لظهور أعظم أعمال الإيمان وأقبح أعمال الكفر على السواء، هكذا تعرف مدى رقي وحرية وربانية الحكم في هذه الأرض، كلما استطاع الناس إظهار كفر أكبر وإيمان أكبر على السواء كلما كانت أرضاً أعظم وأرقى والناس فيها أعمق إنسانيةً وتحقيقاً لحكمة الله من الدنيا وابتلاء الناس فيها. لا يتقيّد ظهور الكفر إلا بتقييد ظهور الإيمان، لذلك ستجد أن البلاد التي تحارب ظهور الكفر أو ما تعتقد هي أنه كفر هي نفسها البلاد التي ستحارب ظهور الإيمان وما هو إيمان في نفس الأمر أيضاً وهو الغالب حسب عادة الظلمة الذي يحجون بإرادة حفظ الدين الحق لتبرير ظلمهم وتسلطهم الآثم على الناس في أديانهم وبيانهم كما قال فرعون "ذروني أقتل موسى" محتجاً بأنه يخاف أن يبدّل موسى دين الناس الذي هو الطريقة المثلى بزعمه. أعظم أرض هي الأرض التي يكفر بها أكبر كفر بالله والتي في المقابل تترك الرسل والأولياء لإظهار أكبر إيمان بالله. هذه الأرض هي وريثة آية {من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً

فلأنفسهم يمهدون} إذ يكون الإيمان والكفر يراد بهما وجه الله والدار الآخرة كل بحسب ما يدين ربه به وما يؤمن به. لذلك قال بعدها...

٤٥-{ليجزي الذين ءامنوا وعملوا الصالحات من فضله، إنه لا يحب الكافرين}

فالذي يجزي المؤمن هو الله من فضله، والمؤمن في الدنيا لا ينتظر لا المجتمع ولا الدولة ولا طائفته ولا أي أحد من البشر ولا الطبيعة كلها لكي تجزيه على إيمانه وعمله الصالح بل إنما ينتظر ذلك إن انتظره من الله تعالى وفضله لا غير. لذلك لا يؤمن بالدولة الدينية-بالمعنى الشائع-إلا الكفار والمنافقين والملاعين والظالمين. ويستحيل أن تجد دولة دينية لا ينطبق عليها وعلى رؤوسها هذه الأوصاف ولو بعد حين وغالباً ليس بعد حين بل فوراً بل حتى من قبل ظهورها. لأن الذين يريد بدينه جزاءً في الدنيا قوة ومال ومنصب ومنفعة ونحو ذلك فهو مشرك يطلب الجزاء من غير فضل الله تعالى له وحسابه له في الآخرة، فلا شك أنه شاك أو كافر ملحد من الأساس يتوسل بالدين للدنيا. وأما المؤمن الحق فهو كما قال الله هنا {ليجزي الذين ءآمنوا وعملوا الصالحات من فضله} وهذا هو الجزاء الذين ينتظره الذين "لأنفسهم يمهدون" في الدنيا بعمل الصالحات وترك الكفر وسبله.

لكن رفع الإكراه في الدين في الدنيا وترك كل أحد في المجتمع لكي يظهر كفره وإيمانه كما يشاء وبدون قيد من المجتمع والدولة عليه، لا يعني لا عند الله ولا عند رسله وأوليائه أن المؤمن يستوي مع الكافر. بل {إنه لا يحب الكافرين}. فالكافر الذي عليه كفره متروك في الدنيا ويجب تركه ليظهر كفره بقوله كما يشاء وبفعله في حدود نفسه وماله وما تُرك للعامّة في الأرض المشتركة والوسائل المشتركة ما يشاء من الكفر، لكن هذا لا يعني أن الله يحبه بسبب ذلك أو يؤمن الرسل والروم أن الله يحبه لذلك. بل {إنه لا يحب الكافرين}. فالحرية الاجتماعية لا تعني النسبية الإيمانية. هو حر ليكفر لكن كفره باطل والله لا يحبه. لا يوجد تناقض بين الأمرين. الدنيا ليست الآخرة، والحساب ليس في الدنيا، بالتالي يُترَك الكافر ليظهر كفره في الدنيا لأن حسابه على الله ونبلغه نحن الآن كرسل الله ما هي قيمته عند الله إن استمر على كفره، وسنسمي نحن عمله كفراً وسنذكره به ولن نقول عن الكفر أنه إيمان أو أننا لا نعرف ما هو الشيء هل هو كفر أم هل هو إيمان كلا فالله قد أعطانا كتابه وكشف لنا الحق وبيّن لنا الأمور حتى نعرف الإيمان من الكفر ونسمي كل واحد باسمه بقدر استطاعتنا وتوفيقه لنا. من الضلال في بلاد الحرية أن يكف المؤمنون عن تسمية الكفر كفراً فقط لأنه مقبول اجتماعياً إظهار الكفر، أو تسمية الإيمان إيماناً لأن الشائع وأكثر الناس لا يعلمون ولا يريدون الدين والإيمان، هذا بحد ذاته من النفاق والرياء والشرك والمعصية، لأنه يدل على كفر المؤمن بفرديته وتفرده ووجود إظهار فرديته ورأيه وكلامه حتى في وجه أكثرية المجتمع من حوله ولا يخاف لومة لائم لأنه لا يخاف ذبحة ذابح في مجتمع الحرية بسبب كلامه فلا يبقى عليه إلا تحمل اللوم وهو أمر نفسي لا يخافه أو تحمّل ابتعاد الناس عنه وعدم تعاملهم معه

وهو لا يبالي وسينصره الله في الأمرين بتعزيز نفسه وبإمداده بأنصاره طالما أنه ينطق بالحق كما يراه حيث لا إكراه. الكفر كفر ولو كنت حراً في إظهاره، والإيمان إيمان ولو كفر به الكل إلا واحداً بمفرده. والمرجع النهائي هو الله الذي يفصل بين الناس في الآخرة. الدنيا تقوم على الحرية والآخرة على الحساب. فمن جعل الحساب في الدنيا فقد استعجل وكفر وطغى، ومن اعتقد الحرية في الآخرة فهو أعمى وسيبدو له من الله ما لم يكن يحتسب.

ضرب بعد ذلك مثال على هذه المعاني فقال..

٤٦-{ومن ءاياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون.}

الرياح مثال على الرسل. لذلك جاء في الآية بعدها "ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً"، وجاء بعد هذه الآية ذكر الرياح مرة أخرى "الله الذي يرسل الرياح". فذكر الرياح قبل الرسل وبعدها وكون الرياح مرسلة، فبيّن بذلك تأويل المثل.

بعد أن قرر في الآيات السابقة حرية الناس في الدين وأن التمييز بين الحق والباطل قائم حتى في أرض حرية الدين، سيرد سؤال هو: وكيف سيعرف الناس الحق من الباطل في بلد كل أحد فيها حر ليقول ما يشاء وينشر الدين الذي يشاء، ألن يخلط هذا الحابل بالنابل ويؤدي إلى تشويش عظيم، أو هل معنى هذا أن الله سيترك الناس بغير هداة؟ للرد على ذلك ذكر الرياح كمثال طبيعي على حقيقة الرسالة فإن كان الله لا يترك السفن في البحر فإنه لن يترك الإنسان في الدنيا ولن يترك الذهن في بحر ظلمات الأهواء والآراء المتناقضة بغير هادي من لدنه، وهم الرسل الذي هم رياح سفن المؤمنين في الدنيا. فانظر في المثل.

{أن يُرسل الرياح} بالجمع، أي هي رياح كثيرة، وكذلك الرسل كثر في الأرض دائماً، فما بقيت الرياح في السماء بقي الرسل في الأرض.

{مُبشِّرات} أوّل وظائف الرياح. تبشّر بما سيأتي من الماء النازل من السماء. كذلك وجود الرسول بين الناس وظهوره عبر حركته وحركة الرسول هي عكس "ليثبتوك" أي حتى لا يظهر ويتحرك ويتكلم على الناس ويفيدهم، فوجود الرسول وحركته مبشّرة بالفتوحات والإشراقات الإلهية والعلمية على الناس. وكذلك الرسول يبشّر الناس بأن الله سيفتح لهم ويعلمهم ويهديهم ويرحمهم وسيكون ذلك أيضاً على يد الرسول نفسه ومن خلال نفسه وذاته التي وجودها بحد ذاتها إشراق للنور الإلهي على الأرض. "وسراجاً منيراً".

{وليذيقكم من رحمته} الرسول رحمة "وما أرسلناك إلا رحمة" من وجوه كثيرة منها أن الله يرحم النفوس المؤمنة المتشوقة للقاء الله في الآخرة عبر إرسال تجلي من تجليات نوره لهم وهم في الدنيا وهو الرسول الذي رضاه رضا الله "الله ورسوله أحق أن يرضوه" بالمفرد، وطاعته طاعة الله "من يطع الرسول فقد أطاع الله"، ويده يد الله "يد الله فوق أيديهم"، وحضوره باختصار هو حضور الله "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله"، فرحمة الفرقة عن الله هي الاجتماع برسول الله، فهذا ذوق. وجه آخر أن الرسول رحمة من حيث بيان العلم والحكم الإلهي في كل أمر فيرحم الناس ببيان الحق والأحق وطرق دار السلام والجنة بدلاً من الضياع والتشتت مع الأهواء السفلية والآراء الذهنية الوهمية.

{ولتجري الفلك فيه بأمره} الفلك هم المؤمنون، وجريانهم في بحر الدنيا هو بأمر الله المنكشف عبر رسله كما قال "جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا". فحتى يكون جريان ظاهر وباطن المؤمنين في الدنيا بأمر الله يبعث الله الرسل.

{ولتبتغوا من فضله} من معاني ذلك الدعاء المستجاب للرسل، كما قال "اسألوا الله من فضله"، فالمعنى أن الرسول موجود ليكون وسيلة لتحصيل الدعاء المستجاب والاستغفار المستجاب هو من الدعاء المستجاب كما قال "واستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً" وقالوا " تعالوا يستغفر لكم رسول الله".

{ولعلكم تشكرون} كما قال موسى لقومه "اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء"، فحتى يحيا الناس حالة الشكر جعل الله الرسل في الأرض، والشكر ضد الكفر، والكفر ستر فالشكر انكشاف، أي بوجود الرسل يحيا الناس حالة انفتاح وانكشاف القلوب على الله واستقبال نوره واستشعار حضوره، فيشكرون الله على ما أنعم عليهم من هذه الحياة الطيبة بصحبة رسله.

هذه خمس أصول تفسّر بعث الله للرسل. ثم بيّن عكس هذه الخمسة عبر حالة الكفر بالرسل في الآية التالية.

في مثل الرياح وجريان الفلك يوجد حجّة طبيعية على وجود الحق والأحق، وذلك كرد آخر على النسبية الباطلة التي قد تنتشر في أرض الحرية الدينية والفكرية والتعبيرية. فكما أن الفلك تجري باتجاه معين ولها غرض معين وكل ما يؤدي بها إلى الوصول إلى غير هذه الوجهة ولا يحصّل ذلك الغرض هو ضرر وسوء بالنسبة للسفينة، كذلك الحال في الإنسان فإن له وجهة يريدها وله غرض يطلبه فكل فكرة وقيمة لا توصله إلى ذلك فهي خاطئة وضارة بالنسبة له وفي الحقيقة. الإنسان يريد السعادة ويريد البقاء، كل فكرة عن الوجود لا تؤدي إلى ذلك تحرف مسار الإنسان عن مراده، وكل فكرة توصله إلى ذلك أو على الأقل تدعي أنها توصله إلى ذلك حتى

يتبين بالتجربة الحال فإنها أحسن من غيرها، بالتالي يوجد فكرة أحسن من فكرة بالنسبة للفرد، وعلى ذلك للفرد ميزان يحكم به على الأفكار ويختار بعضها ويرفض بعضها بناء عليه، وعلى ذلك تبطل تلك الصورة من النسبية الساذجة. ولا يهم أن يقال "لكن هذا اختيار بالنسبة لهذا الفرد وقد يختار غيره غير ذلك" نقول: نعم ونحن يهمنا الفرد ووجود ميزان عنده يزن به بغض النظر عن ما يفعله غيره، ثم إن السفينة التي تدفعها الرياح باتجاه مقصدها الأصلي تذهب وحدها هناك وإن دفعت نفس الرياح سفينة أخرى باتجاه غير مقصدها الأصلي، المهم أن تصل إلى مقصدك. كذلك الإنسان يريد البقاء والسعادة، وأكبر قدر منهما في الدنيا، والقدر المطلق منهما بعد الدنيا، وهو فرد ويريد البقاء والسعادة لنفسه أولاً وقبل أي شيء وكل شيء ولو في المحصلة النهائية لكن المهم أنه يسعى نحو البقاء والسعادة لنفسه كفرد. وعلى هذا الأساس تجب محاكمة الأمور بدءاً من ما يريد كل فرد من وجدانه أن يجده من معاني السعادة إلى البقاء الذي لا اختلاف عليه في الجملة لأنه ببساطة أطول عمر في الدنيا لأن الدنيا حتماً محدودة ولو بعد ألف سنة-حسب المنظور الآن على الأقل وما سبق-لكن ما بعد الدنيا لا يُحد بمعنى أن الإنسان يريد البقاء أي الوجود المستمر في أكبر سعادة ممكنة ما بقيت نفسه. فهو ميزان في وجدان كل إنسان، بغض النظر عن التفاصيل التي قد تختلف ذهنياً لكن كل فرد يعرف وجدانياً أنه سعيد أم لا وهل يريد استمرار الحالة التي هو فيها أم لا فإن أراد استمرارها دل على حسنها عنده، وكذلك يعرف أنه باقي أم لا بكل بساطة لأنه إن كان واعياً فهو موجود وإن لم يكن واعياً فهو معدوم بغض النظر عن مكان ودرجة وطبيعة الوجود الذي سيكون فيه.

٤٧-{ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم، فجاءوهم بالبينات، فانتقمنا من الذين أجرموا، وكان حقاً علينا نصر المؤمنين}

في أول السورة ذكر الروم ثم قال حين يغلب الروم "ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله"، وهنا ذكر الله الرسل ثم ختم بذكر نصر المؤمنين فالرسل هم المؤمنين هنا وهم الروم هناك، كما أن المؤمنين الذين هم أتباع الرسل داخلين فيهم كما أنهم داخلين في الروم. فالروم اسم يجمع الرسل والمؤمنين، وحين يُذكروا بالتفصيل يكون الرسل هم الأئمة والمؤمنين هم أتباعهم "قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني" فالرسول يدعو ومن اتبعه من المؤمنين يدعو فهو داخل في اسم الرسالة ضمناً وتبعاً فهو رسول رسول الله.

{ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً} فأنت لست بدعاً من الرسل. طالما أن الله هو الذي أرسل من قبلك فهي سنّت الله، وسنّت الله لا تتبدل ولا تتحول، بالتالي إرسال الرسل تتراً هو من سنّت الله التي لا تتبدل ولا تتحوّل، وأنت أيها الرسول محمد مظهر من مظاهر هذه السنّة كما أن الرسل من قبلك مظاهر لهذه السنّة الإلهية، والسنّة باقية لا تبطل ما بقي الله وبقي هذا العالَم.

{إلى قومهم} لأن الأقوام يختلفون اختلف الرسل، "بلسان قومه ليبين لهم"، فاختلفت ألسنة الرسل لاختلاف ألسنة أقوامهم، فكلما اختلفت الأقوام اختلفت الرسل، بالتالي كلما وجد الأقوام كلما وجد الرسل، وحيث أن الأقوام باقية إلى اليوم وهي ذات أحوال وألسنة وشؤون مختلفة فالرسل لابد من وجودهم بدرجة أو بأخرى من درجات الرسالة والفضل لكنهم مستمرون حتماً يبعثهم الله مصداقاً لسنّته في ذلك.

{فجاَءوهم بالبينات} البينات تشمل معنى المبشرات "بشيراً ونذيراً"، وتشمل معنى الرحمة "وهدى رحمة"، ومعنى الأمر الهادي "فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة"، ومعنى الفضل الإلهي "وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً"، وداعية الشكر "اعملوا آل داود شكرا" و "قالا الحمد لله الذي فضلنا".

{فانتقمنا من الذين أجرموا} كما قال موسى "إن هؤلاء قوم مجرمون" حين رفضوا أن يعتزلوه إن لم يؤمنوا له أي رفضوا تركه ودينه ومن اتبعه أحراراً ليدينوا بما يشاؤون ولكنهم أرادوا إكراههم كما فعلت أقوام بعض الرسل كشعيب، هؤلاء الذين أجرموا سينتقم الله منهم، بأيدي المؤمنين وبغير أيديهم، كما انتقم الله بأيدي محمد رسوله والذين معه فقال "يعذبهم الله بأيديكم". بالتالي من شأن الرسل بعد محمد خصوصاً أن يحرّضوا المؤمنين على قتال المجرمين الطاغين على الناس في أديانهم وبيانهم، وانتظار الانتقام الإلهي المستقل عن فعل المؤمنين لم يعد خياراً للمستطيعين كما قال الله "ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا" فهؤلاء سألوا الله لكن الله كلّف المؤمنين بإخراجهم من الظلم الذي هم فيه، وظلمهم كان ظلمهم في دينهم أي لم يكونوا يعيشون حالة الحرية الدينية والكلامية فيخافون من إظهار دينهم بالكلام والدعوة والممارسة والصلاة وغير ذلك باختصار لا حرية دين ولا حرية تبيين، فأمر الله الرسول والمؤمنين بالقتال لكفّ طغيان الطاغين عليهم بالقتال والعنف فإن الطغيان على الدين والتبيين لا يكون إلا بالعنف فلا يزول إلا بالعنف عرفاً وشرعاً.

{وكان حقاً علينا نصر المؤمنين} الذين سينتقم الله بهم، أي الذين سيقاتلون لتحرير الناس في دينهم وكلامهم نصر الله معهم وسينصرهم الله وكان حقاً على الله نصرهم.

٤٨-{الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون}

الريح مكتوبة في الآية التي قبل هذه هكذا "الرياح" لكنها هنا خطها "الريح" ونطقها الرياح، لماذا؟ الرياح خير والريح شر مثل "لئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً" و "الريح العقيم". فلما كانت

الآية التي قبل هذه كلها في الخير إذ الأمور الخمسة المذكورة كلها خير كانت كتابتها ولفظها " الرياح". لكن حين يكون للريح الواحدة وجه خير ووجه شر من وجهين مختلفين، فإنه يكتبها بوجه وينطقها بوجه آخر حتى يجمع بالإشارة إلى المعنيين. كذلك حال في القرءآن مثلاً وهو الرياح وهو الريح لأنه الروح-والرياح والريح أمثلة على الروح ورموز عليه-فإن القرءآن "شفاء ورحمة للمؤمنين" لكنه "لا يزيد الظالمين إلا خساراً" و "ليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً". فالمعاني النازلة من القرءآن رحمة للبعض وعذاب للبعض، فهو رياح للمؤمنين وريح للكافرين.

{الله الذي يرسل الرياح} الرسل لأنهم الأحياء بالروح والذين تفعّل فيهم الجانب الروحاني. {فتثير سحاباً} السحاب هو الكتاب الذي يأتي به الرسول، وبالكتاب يثير الرسول سحاب الأفكار في عقول السامعين. {فيبسطه في السماء كيف يشاء} يبسط الله الكتاب في سماء الغيب وسماء قلب الرسول كيف يشاء الله فالرسول لا يتكلّم إلا بحسب ما يأخذه من الله ولا يبالي ما هي قيود البشر في الكلام وحدودهم فهو يتكلّم بحسب ما بسطه الله في سماء قلبه. وكذلك بعد سماع كلام الرسول يبسط الله هذه الكلمة في قلب السامع كيف يشاء الله وهو بحسب ما قدّره من خير للسامع والذي يرجع أيضاً إلى استعداد السامع ودرجته وقابليته. {ويجعله كسفاً} قطعاً، فالكتاب مقطع إلى سور وآيات. وكذلك بعد دخول الكلمة إلى السامع يبدأ رأيه بالتقطع والتشكيك والتردد ويراجع نفسه وما يراه ويعتقده. {فترى الودق يخرج من خلاله} من خلال مقاطع الكتاب تنزل المعاني إذ من ارتباط الحرف بالحرف يخرج المعنى وكذلك من ارتباط الكلمة بالكلمة يخرج معنى وكذلك من ارتباط الآية بالآية يخرج معنى وهكذا. والسامع أيضاً حين تتعدد الأفكار في سماء عقله وتتضارب وتتفاعل مع كلمات الرسل يخرج من خلال ذلك التلاقح والتفاعل الفكر والهمة والقلق والبواعث المختلفة. {فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون} يصيب الله بالروح القرءآني من يشاء من عباده الأولياء الصالحين فيستبشر المؤمنين بالفتح والتنزيل القرءآني. وكذلك السامع إذا شعر بأنه أصابته حقيقة وفكرة صائبة بسبب كلام الرسل إذا هم يستبشرون أي تتغيّر بشرتهم فرحاً وتأثراً بحسن كلام الرسل فيقبلون عليه بسبب التأثير الذي حدث لهم في بشرتهم كما قال في الذين يسمعون ذكر الله "تقشعر جلودهم" فكلام الرسل لا ينحصر في العقل بل ينزل إلى الجسم أيضاً حتى يصل إلى أقصى حدود الجسم وهو البشرة فيؤثر فيها فتتغيّر بحسب حال السامع ومدى إيمانه وشرح الله صدره للإسلام لحسن إرادته وسلامة قصده.

٤٩-{وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين}

العبد إذا تُرك ونفسه فهو فقر محض، فهو مبلس بطبعه أو بائس وساكت ومتحير. لكن الاستبشار والحياة والنمو والحركة العقلية كلها من آثار إنزال الله للماء وكلام الرسل مع الناس. فالآية تذكير بالأصل وتذكير بالسبب الذي غيّر الأصل حتى يتعلّق الناس به ويعرفوا قيمته ويحفظوه وينصروه.

فالعبد يائس ويتحوّل إلى راج، وساكت ويتحول إلى متكلم، ومتحير ويتحول إلى موقن، وذلك بوسيلة الرسل، فلولا ما أنزله الله على الناس بوسيلة الرسل ومن قِبَلِ الرسل وعبرهم لبقوا على إبلاسهم والذي من معانيه أيضاً التمرد على الله أي لكانوا في حالة قطيعة ومضادة لخلافتهم الإلهية بالتالي في حالة تمرد على الله إذ يعيشون حياة غير التي أرادها الله منهم فبالرسل عادوا خلفاء من جديد وفعّلوا خلافتهم الكامنة فيهم حين بعثهم الرسل بكلامهم وبيانهم وبيناتهم. لذلك...

٥٠-{فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير}

رحمت الله التي هي الرسل المضروب لها المثل بالرياح هنا مع ما يليها من إنزال الماء. الأرض هي الناس الذين يسمعون للرسل وهم الموتى النفوس اليوم فأحياهم الله بروح الرسل وكلامهم، وهذا فوق ذلك آية للإحياء الأكبر لكل الموتى في القيامة الكبرى. فبعث كل رسول هو قيامة صغرى، ودعوة التأويل وكشف بواطن الأمور وهي علم النفس الروحي هي قيامة صغرى بل هي القيامة المعتبرة لأن ما بعدها إنما ينبني عليها إذ "الدنيا مزرعة الآخرة" فمن زرع الجنّة بالعلم واتباع الرسل في الدنيا سيحصد الجنّة في الآخرة فانظر إلى السبب الذي بيدك وليس إلى الأثر الذي ليس بيدك وإنما ينبني على ما تقدّمه يدك اليوم.

قدرة الله على كل شيء لا تعني عدم وجود أسباب ووسائل ونظام للكون. فالآيات كما ترى كلها في الأسباب والوسائل ونظام للكون ومع ذلك ختمها بأن الله على كل شيء قدير. وهذا ينسف الخرافة العدمية، والتي هي قاعدة من قواعد الكفر بالرسل والرسالة والعلم والتأويل، أقصد الخرافة العدمية القائلة بأن قدرة الله على كل شيء تعني وتقتضي عدم وجود أسباب ولا وسائل ولا نظام للكون، وكأن أي سببية أو نظام كوني أي كأن أي سنّة هي انتقاص من قدرة الله المطلقة. هذا قول الذين كفروا والجاهلين. العقل يتخيّل احتمالات لا نهاية لها لكل حدث ومن كل نقطة، فحقيقة انتظام الكون على سنة واحدة لا تبديل لها ولا تحويل هو الشاهد الأكبر على وجود إرادة واحدة وقدرة فاعلة ضبطت المنحلّ ورسمت المسار أي وضعت الصراط المستقيم للكون "إن ربي على صراط مستقيم". فوضى الكون، وأي خرق للسنة هو فوضى وشاهد فوضى، من أسباب الكفر بالخالق لا الإيمان به. لماذا نقول "أي خرق للسنة هو فوضى"؟ لأننا إذا شهدنا خرقاً واحداً للسنة لأمكن لعقلنا بكل بساطة وله كل الأحقية أن يقول "هذا شاهد على خرق السنة وأنا لم أعش منذ الأزل وإلى الأبد في هذا الكون حتى أعرف عدد مرات خرق السنة، فبما أني شهدت خرقاً واحداً للسنة فهو دليل على وجود خرق، ووجود الخرق مع جهلي بعدد مرات الخرق يجعني مرتاباً في عدد المرات فلعلها كثيرة جداً إلى حد يجعل الاعتقاد بوجود السنة من الأصل غير مبرر، فدخل الاحتمال على وجود السنة من الأصل فبطل الاستدلال بالسنة، بالتالي نفس

افتراض وجود سنة تم خرقها هو افتراض غير مبرر لأن افتراض وجود السنة بحد ذاته تم إبطاله" هذا أقل ما يقال وهو حق لا يستطيع جاهل من منكري سنّت الله ردّها.

وحجّة أخرى: يستطيع العاقل بكل بساطة أن يقول "إن كان الله يستطيع أن يخرق أي سنة وأي علاقة بين أي سبب وأثر فلم لا يرحمنا كلنا ويخرج كل السنن ويجعل أي سبب موصل إلى أي أثر والسلام؟ لماذا هذا البخل بالرحمة والضن بها على الناس؟ فلماذا يجعل العدل والإحسان سبب نيل رضاه بدلاً من جعل الظلم والعدوان أيضاً سبب لنيل رضاه؟ لماذا يجعل استغفار الرسول سبباً لوجدان الله تواباً رحيماً بدلاً من أن يفتح الأمر ويوسّع رحمته علينا ويجعل حتى لعن الرسول سبباً لوجدان الله تواباً رحيماً؟ ولم الذهاب بعيداً، الآية التي بعد هذه تقول "ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلّوا من بعده يكفرون" لماذا هذا الربط اليقيني بين رؤيتهم لاصفرار الريح والظلّ من بعده يكفرون؟ لماذا لا تكون الرؤية سبباً للإيمان بعده؟"

وهلمّ جراً في سلسلة من الهراء لانهاية لها تجعل القرءآن كله من أوله إلى آخره باطلاً والعلم فاسداً والإيمان كفراً واليقين هزواً والاعتقاد بحكمة الله لغواً، كل هذا باسم "الله على كل شيء قدير" وهو أمر لن تجده في كتاب الله من أوله إلى آخره. لن تجد الله يذكر إطلاق القدرة إلا وستجد قبلها أو أثناء الآية أو بعدها ذكر لنظام الكون وسنّته فيه وهو احتمال من الاحتمالات اللانهائية عقلاً ومع ذلك يحدد الله ظهور القدرة المطلقة عبر صورة محددة واحتمال مخصوص. فإطلاق القدرة الإلهية يظهر في انتظام السنّة الكونية. وبدون الانتظام يفسد النظام ويبطل الإسلام ويلغو الكلام.

٥١-{ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلّوا من بعده يكفرون}

الإنسان لا حكم بما يراه بعين رأسه لكن بما يراه بعين عقله. فالرأي هو الرؤية بالنسبة للإنسان. لذلك نفس المرأى الظاهري والشكل الطبيعي والحدث الكوني إذا رآه عشرة قد ينفعلوا له بعشرة انفعالات مختلفة من النقيض إلى النقيض بالرغم من أن العشرة يرون بعين حسّية واحدة مشتركة وكلهم يصف الصورة والتخطيط بنحو موحد بشكل عام. بل الرأي يؤثر حتى على رؤية العين الحسية، فيجعله يركز على شيء دون شيء، أو يقدّم شيئاً على شيء، أو لا يرى شيئاً بالكلية لأنه لا يريد أن يراه ولا يعتقد بوجوده من الأساس. وهي الحكمة التي علّمها سليمان ملكة سبأ في قصّة العرش، لأنها كانت تتبع الحسوس المضروب مثله بعبادة الشمس، فعلّمها سليمان أنها في الواقع لا تتبع إلا المعقول لا المحسوس بدليل أنها رأت عرشها حساً ومع ذلك أنكرته ولم تجزم بأنه عرشها بالرغم من كونه في الواقع وفي نفس الأمر عرشها إلا أن الذي جعلها تشكّ استبعادها بحسب رأيها لانتقال عرشها بهذا النحو. الخلاصة، الإنسان يرى برأيه ورأيه يحدّ رؤيته.

من هنا قال {ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلّموا من بعده يكفرون} فرؤية الريح مصفراً ينذر بالعذاب والهلاك لن يجعلهم يغيّرون رأيهم في الرسالة ويؤمنون بها، كما فعل القوم الذين رأوا سحابة الهلاك فقالوا "هذا عارض ممطرنا" بالرغم من أنها أنها ما استعجلوا به من العذاب. وكذلك قول الله في الذين لو عرجوا في السماء لقالوا "إنما سكّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون". وغير ذلك آيات كثيرة تشير إلى أن رؤية صورة طبيعية لا تعني بالضرورة حصول فكرة عقلية وهمّة إيمانية. أي باطن النفس لا يتغيّر فقط بسبب الصورة الطبيعية. وهذا لأكثر من سبب من أبسطها أن الصورة الطبيعية تحتمل تفسيرات عقلية كثيرة وقد تكون متناقضة ومتضادة ومتضاربة ومحتملة ومشكوكة بحسب ما في عقول ونفوس الناظرين. فالذي يقرأ آيات الرياح السابقة قد يقول: فلماذا حين يأتي الرسل ويتكلّمون لا يؤمن كل الناس بهم؟ الجواب: لأن الرسل وكلامهم شيء خارج السامعين والرسول منفصل عنهم وهو بالنسبة لهم ظاهرة طبيعية وإنسانية مستقلة عنهم، بالتالي لا يتصرّف الرسول من داخل قلوبهم لأنهم يكفرون ولو ءامنوا فتلك قضية أخرى لكن الكلام عن الكفار الذين لم يسلموا بعد ويؤمنوا ويحبوا الرسول فهؤلاء الرسول لا يكرههم ولا يتصرف بهم تصرفاً قلبياً يغيّرهم ويرفع درجتهم إذ هو ليس وكيلاً ولا حفيظاً عليهم ولا هو عليهم بجبّار باختصار لا يفعل فيهم باستقلال عن إرادتهم. فلم يبق إلا أن الرسول ظاهرة طبيعية مثل طلوع الشمس وكلامه مثل نزول المطر، بالنسبة للسامع والرائي قد لا يؤمن ولا يتغيّر لأن له تفسيره الخاص وإرادته الخاصة المغايرة لمقتضى الإيمان وقبول الرسالة، فهذا لن ينفعه لا إرسال الرياح ولا إرسال الريح ولو رأى الهلاك أمامه بشبرين لما تغيّر بل ولو أراه الله آياته كلها لكذّب وأبى كفرعون والوهابية عادةً. لذلك قال بعدها لرسوله...

٥٢-{فإنك لا تسمع الموتى ولا تُسمع الصمّ الدعاء إذا ولوا مدبرين. وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم إن تُسمع إلا مَن يؤمن بآياتنا فهم مُسلمون}

وهو ظاهر بحسب ما قدّمناه. فلا سماع الرسول ولا رؤيته ستهدي أحداً، مما يدل على أن رؤية الرسول بحد ذاتها وسيلة للهداية بشرط وجود الاستعداد من الرائي، فليس فقط سماع الرسول بل رؤيته أيضاً سبب للهداية، لكنه سبب قاصر لا يفعل بنفسه بدون الحال النفسي للمتلقي للرؤية والكلمة، لذلك قال {إلا مَن يؤمن بآياتنا فهم مسلمون} فالإيمان عقل والإسلام إرادة، والنفس ما بين العقل والإرادة، فمن كان عقله مؤمناً بآيات الله وإرادته مسلمة لله وعنده استعداد وقابلية لذلك من قبل حتى رؤيته وسماعه الرسول، هذا هو الذي سينفعه الرسول، لأن الرسول لا يُكره أحداً في عقل أو إرادة. فالرسول لا يغيّر الناس، لكن ينفع فئة من الناس.

من الواضح أيضاً أن قوله {فإنك لا تسمع الموتى} ليس المقصود به الموتى بأجسامهم لكن هم نفس الموتى الذين في الآيات قبلها مثل "إن ذلك لمحيي الموتى" وهو المثل المضروب هنا. فمن السخف الاعتقاد بأن الله يخبر الرسول أنه لا يستطيع أن يُسمع الموتى المدفونين في مقبرة البقيع

(الظريف في الأمر أن حتى هذا السخف غير صحيح لأنه حسب الخبر يسمع هذا الصنف من الموتى ! فتأمل عمق ضلال الظاهريين الذين يعلمون ظاهراً من كلام القرءان وهم عن باطنه هم غافلون)، لكن الكلام متصل، فالكلام عن الرسول والرياح شيء واحد وسياق واحد، والمقصود موتى القلوب وموتى النفوس وموتى الروح أي موتى الباطن من أحياء البدن، هؤلاء لا يسمعهم ولا يهديهم إذ العمى هم عمي القلوب "لكن تعمى القلوب التي في الصدور". فالكلام متصل كما ترى والأمثال مقرونة بتأويلها والله يهدي من يشاء إلى الصراط المستقيم في فهم كلامه.

توجد طبقة من الإيمان والإسلام تتكوّن في الإنسان قبل لقاء الرسول وهي مستقلة عن وجود وفعل الرسول. هذه الطبقة الفطرية من الإيمان والإسلام هي التي على أساسها ينتفع الإنسان بالرسول وكلامه. لذلك قال {إن تُسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون}، وإلا فمن المستحيل الاعتقاد بأن الحكيم يقول: لن يؤمن بآياتنا إلا من يؤمن بآياتنا ! ولن يسلم إلا من يسلم ! فهذا كلام لا معنى له. فالمعنى أنه يوجد إيمان وإسلام سابق على الرسول، وهو "فطرت الله" التي وصفها بأنها "ذلك الدين القيم". دين الله في كل إنسان سابق ومستقل عن الرسل. لذلك حين يختلف الناس في الرسل يجب التحاكم إلى هذا الدين الفطري. وحين يشك إنسان في رسالة يجب أن يحاكمها إلى هذا الدين الفطري. الدين الفطري أساس الدين الشرعي بل شرعية الدين الشرعي تعتمد على توافقه وبنائه على الدين الفطري لا مناقضته له. أي مناقضة للدين الفطري تبطل الدين القادم من الخارج، لأن الفرد يعرف ما في ذاته ويشك في ما هو غير ذاته، وما في ذاته هو الدين الإلهي الفطري وما هو غير ذاته هو الدين الرسولي اللساني، واليقين لا يُنقض بالشك.

٥٤-{الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة، يخلق ما يشاء وهو العليم القدير}

بالنسبة للجسم، الآية تذكر أطواره الثلاثة الكبرى الطفولة والرجولة والشيخوخة التي هي طفولة مع نهاية الحياة كما أن الطفولة طفولة مع بداية الحياة والرجولة في الوسط التي هي قمّة النمو الجسماني. فالجسم وسيلة مؤقتة للنفس. والنفس تريد ما في جوهرها وهو البقاء، لكن الجسم غير باق، بالتالي إرادة البقاء هذه التي في النفس ليست من الجسم لأن الجسم لا يقتضيها بحسب حقيقته. النفس تريد النمو المستمر والتوسع، لكن الجسم ليس كذلك بل هو دائرة من الضعف إلى الضعف والموت، بالتالي إرادة النفس التوسع هذه ليست من الجسم ولم يعلّمها الجسم إياه ولا الطبيعة الخارجية لأنها كالجسم في حقيقتها إذ الجسم الطبيعي من الطبيعة ويأخذ خصائصها الجوهرية. وهذا من الأدوية الفكرية الموصوفة كعلاج للذين لا يؤمنون ويسلمون بفطرتهم ممن وصفتهم الآية السابقة، أي الذين يختارون التركيز على أجسامهم دون نفوسهم، بالتالي ينكرون العلم النبوي والتأويل الباطني والأمر الروحي الإلهي والشأن الأخروي. جاء هنا

وذكّرهم بحقيقة أجسامهم التي حصروا أنفسهم فيها، لعلهم حين ينظرون في فناء الجسم يطلبون بقاء الروح ويتذكرون حقيقة نفوسهم الخالدة بجوهرها.

تحوّل الجسم من ضعف إلى قوة ثم فقدانه القوة دليل على أن القوة ليست وصفاً ذاتياً للجسم، وإلا فالذاتي لا يخسر ذاتياته، ففيها دليل على أن القوة عارضة طارئة عليه من غيره، وهو الذي {يخلق ما يشاء وهو العليم القدير}، فذكر المبدأ الأعلى للخلق والعلم والقدرة حين ذكر تجلي من تجلياته المحدودة الذي هو الجسم المخلوق في أطوار والذي صفاته تعلو وتنخفض مع الزمن، فلا الجسم حدد لنفسه هذه الأطوار بل حددها له غيره وهو الخالق الذي {يخلق ما يشاء} ولا الجسم حدد لنفسه مقدار القدرة التي ستكون فيه ولا حدد لنفسه مدى العلم الذي سيكون فيه. كل هذا يدل على وجود مصدر أعلى غيبي لأننا لا نراه يخلق ويعلم ويقدر.

مرة أخرى لاحظ أنه ذكر {يخلق ما يشاء} فأطلق المشيئة بالرغم من كون المخلوق هو مظهر محدود وتعيّن خاص للمشيئة. يستطيع أن يخلق ما يشاء، لكنه شاء هذا الخلق المحدد أي من ضعف إلى قوة إلى ضعف وشيبة، وكان باستطاعته أن يجعله ضعف مستمر أو قوة مستمرة أو غير ذلك من التركيبات والاحتمالات اللانهائية مثل أن يكون ضعف ثم قوة ثم ضعف ثم قوة ثم ضعف ثم قوة ثم ضعف وشيبة ثم قوة وهكذا إلى ما لا نهاية من الاحتمالات الكمية والكيفية. من بين هذه الاحتمالات كلها شاء أن يخلق هذا الاحتمال. بالتالي المشيئة المطلقة ذاتياً لا تظهر إلا موحّدة صورياً. وتوحيدها الصوري هو آية إطلاقها الذاتي، لأن إطلاقها معقول وتوحيدها مشهود، فلما عقلنا الإطلاق وشهدنا التقييد والتوحيد عرفنا وجود شيء غيبي قيّد المطلق وهو الإرادة الإلهية بالأمر الإلهي "إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون"، فهذا الأمر الإلهي هو الذي أخرج المقيّد من المطلق وأظهره موحّداً. بالتالي الاعتقاد بأن فوضى القدرة والمشيئة الإلهية هي الدليل على وجودها وحقيقتها وعلو مقام الله هو من الجهل العظيم ووسائل الكفر كما بينا من قبل، والآية هنا شاهد آخر على ذلك المعنى.

في العلم، النفس أيضاً تبدأ من ضعف وهو عدم العلم "أخرجكم من بطونكم أمهاتكم لا تعلمون شيئاً". لكن العلم خلافاً للجسم يمكن أن يستمر إلى ما لانهاية في النمو، "رب زدني علماً". نعم قد ورد في أخرى "لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً" وهو من الضعف أيضاً بعد ذلك، لكن هذا يقع على مستوى الجسم وبسببه، وأما النفس الروحانية فيبقى معها علمها إلى ما لانهاية كما قال " ثم رددناه أسفل سافلين. إلا الذين ءآمنوا وعملوا الصالحات" فعلى أحد تأويلات هذه الآية، الرد إلى أرذل العمر أي عدم العلم بعد العلم لا ينطبق على الذين ءآمنوا وعملوا الصالحات، بل يحفظ الله عليهم علمهم في نفوسهم ويزيدهم منه إلى الأبد، كما في الشهداء ومن باب أولى الصديقين والأنبياء. إلا أنه يوجد تناظر أيضاً بين النفس والجسم باعتبار ما، أي من الجهل إلى العلم إلى الجهل مرة أخرى كذلك الجسم من الضعف إلى القوة إلى الضعف مرة أخرى. وهذا التناظر

الأصلي شاهد آخر على مبدأ التأويل الباطني المشتق من التنزيل الظاهري. وفيه تأكيد على ما سبقها من ايات حيث جعلت الموتى والصم والعمي كأمثال على الموت والصمم والعمى الباطني القلبي لا الظاهري الجسماني.

وجود التغيّر في العالَم دليل وجود الثابت في الوجود. هذا مفاد {الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة} فالله هو الثابت في الوجود، والثابت هو الذي يحرّك ويغيّر المتغيرات والمتحركات والمتبدلات والمتطورات. وبيان ذلك: التغيّر يحدث في الوجود، فنحن نرى شيئاً ثم يتغيّر ثم يتغيّر مرة أخرى وهكذا، لكن هذه التغيرات كلها موجودة ومتحققة بدليل شهودنا لنا ووجداننا للتغيير، فالذي أحدث التغيرات لا يمكن أن يكون المتغيّر نفسه لأنه لم يكن ثم كان ثم انعدم مرة أخرى فلو كان المتغيّر نفسه هو المحدث لنفسه فكيف أوجد نفسه حين كان معدوماً وكيف حدد كيفية ظهوره حين لم يتحدد أصلاً وقبل تحدده وتحققه، ثم كيف أعدم نفسه بعد تحققه وثبوته النسبي، كل هذا غير معقول ولا مشهود حتى من أنفسنا، فنحن لم نختر هذه السلسلة من التطورات لأجسامنا ولا لنفوسنا، لا من حيث القوة والضعف للجسم ولا من حيث العلم والجهل للنفس، نحن لم نختر ذلك وأنا لم يستشيرني أحد في ذلك على الأقل ولا أدري عنك لكن أظنك مثلي في هذه القضية، وإذا كان هذا حالنا فمن باب أولى أن يكون حال النبات والحيوان والمعادن والأشياء كلها المتغيرة على هذه الشاكلة لأن ظاهرة المتغيرات واحدة في جوهرها بغض النظر عن تفاصيلها والاختلافات بينها في الشؤون الأخرى، كلامنا عن جوهر التغيّر في المتغيرات بشتى أنواعها وأنواع تغيرها. العقل يوجب افتراض ثابت وراء المتغيرات. والآية تضع اسماً على كل ذلك فتقول {الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة}، فالثابت هو الله والمتغيرات هي المخلوقات والتغيّر هنا مثلاً هو من الضعف إلى القوة إلى الضعف والشيبة، وقس ذلك على بقية المتغيرات بأنواعها وأنواعه. فالله ليس الثابت المنفصل عن المتغيرات، بل هو الثابت المغيّر للمتغيرات والمتجلي في المتغيرات بدليل تجلي صفة القوة في المتغيرات هنا {من بعد ضعف قوة} والقوة سمة الله تعالى "لا قوة إلا بالله" و الله هو "القوي"، فالقوي اسمه والقوة سمته وهذه السمة الذاتية له تجلت في الخلق بالقوة النسبية التي يجدها الخلق فيهم جسماً ونفساً لكن التجلي لا يعني حصول المتجلى به على الصفة بنحو لا يمكن فصلها عنه وغروب شمسها عن ذاته بل يمكن غروبها بدليل {ثم جعل من بعد قوة ضعف وشيبة} وهكذا في كل صفة إلهية أخرى تجدها في الخلق، وجودها في الخلق فرع لأصل وظل لشخص وشعاع لشمس وعارية لمالك والأمثال كثيرة والمعنى واحد. من هنا نأخذ مبدأ من مبادئ التأويل: كل ما في الخلق من كمال نسبي تأويله ما في الحق من كمال مطلق ذاتي. فحين نشهد التغيرات نحن نشهد آيات الله، تجليات أسماء الله. والله يعلّمنا عن ذاته برؤية خلقه. ويعلّمنا عن أنفسنا برؤية ذاته وخلقه. لذلك " نسوا الله فأنساهم أنفسهم".

لاحظ تركيب الآية: {الله} المصدر الثابت. {الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة} التغيّر والمتغيرات. {يخلق ما يشاء} فعل المصدر الثابت. {وهو العليم القدير} التأويل النهائي للتغير هو الكشف عن الأسماء الإلهية المطلقة. فبدأ بالله وانتهى بالله، وما في الوسط فعل الله وتجلي الله ومشيئة الله. وهذا معنى: ما في الوجود إلا الله. لأنك ما بين ذاته واسمه وفعله ومشيئته وتجليه وصفته وآيته.

النظر للعالَم بدون الله هو غرق في بحر المتغيرات. سيصبح المصدر في حكم العدم لعدم شهودك له، والمآل عدماً لعدم علمك به، وسبب التغيّر مجهول، وسبب كيفية التغيّر مجهولة، وسبب كون المتغيرات على هذه الشاكلة دون غيرها من المعقولات مجهولة، وانتهاء الجسم إلى الموت والنفس إلى الجهل عدمية سلبية مجهولة المقصد معدومة الفائدة. فالنظر للعالَم بدون الله هو عدمية مغرقة في العدمية. لكن لأن الإنسان حر في النظر للعالَم كما يشاء، ستجد في أرض الحرية كلا الفريقين من الناس، الفريق الذي ينظر للعالَم بعين الله والفريق الذي ينظر للعالَم بعين العدم. الذين ينظرون بعين العدم سيعيشون بدون العلم وبدون الإيمان، وسيقطعون صلتهم بالله والرسل، وسيعيشون كأنه لا توجد إلا الدنيا، وعن هؤلاء وردت الآيات التي بعد هذه.

٥٥-{ويوم تقوم الساعة يُقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون}

الجرم هو القطع، أي الذين قطعوا صلتهم بالله والرسل والعلم الحق. العقل يقضي بوجود الشيء وضده، ونحن نرى ذلك في كل مكان، وضد الدنيا الآخرة فالعقل يقضي بوجود الآخرة كضد للدنيا.

الزمن دليل وجود شيء ما وراء صورة المادة. فالزمن تغيّر المادة. كما رأينا في الآية السابقة تغيّر الجسم من ضعف إلى قوة إلى ضعف، فهذا التغيّر يحدث في الزمن وبدون الزمن لا تغير. والزمن شيء نفسي غيبي وليس مادي وإن كانت المادة تكشف عنه بحدوث التغيرات فيها. لذلك يتغيّر استشعارنا للزمن بحسب حال نفوسنا، فقد تشعر بالساعة كيوم واليوم كساعة، بحسب مدى سعادتك وبسطك وملائمة ما أنت فيه لما في نفسك وغير ذلك من اعتبارات. والزمن يصبح أبطأ كلما ركّزت على جسمك، لذلك مثلاً حين تتألم وهو أشد تركيز على الجسم وغياب للاعتبارات العقلية إلى حد كبير كلما ازداد الألم كلما شعرت ببطء الزمن حتى تصبح الدقائق كأنها أيام. إذن كلما ركزت على جسمك كلما كان الزمن أبطأ، وكلما ركّزت على نفسك وكنت في سعادة وبسط كلما كان الزمن أسرع، أقصد من حيث استشعارك له لا من حيث كمّية التي يمكن قياسها بآلة منفصلة، فالساعة ستين دقيقة سواء كنت في الفردوس أو في جهنم أقصد نفسياً، لكن نفسياً لن يشعر الفردوسي بالساعة كشعور الجهنمي بها. هذه العلاقة النفسية بالزمن دليل على وجود اعتبارات غير جسمانية بحتة في حياة الإنسان. وكل لحظة وجود جديد متجدد، والنفس

تحيا في الآن، والماضي بالنسبة لها عدم، وكل ما هو قائم فيها فهو قائم الآن حتى لو كان ذكرى عن الماضي فهو حاضر الآن بغض النظر عن مصدره الأول. من هنا {يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة} حين تقوم الساعة، لأن قيام الساعة سيبدّل العالَم ويصبح باطنه ظاهره، وستصبح الدولة والظهور للنفس على الجسم كما أن الدنيا ظهور الجسم على النفس. فستظهر قلة الدنيا على حقيقتها وأنها لم تكن إلا ساعة أو أقل بالنسبة للأبدية التي ستنكشف في الآخرة وتستشعرها النفوس الحية اليوم. فالنفس الحية تفكّر بمنطق الأبدية، والنفس الميتة في الجسم الدنيوي تفكّر بمنطق اللحظة الحالية. {كذلك كانوا يؤفكون} في الدنيا كانوا يفكّرون فقط لموت نفوسهم بالجهل باللحظة الحالية، وظنوا أنهم لن يحولوا ولن يزولوا وستستمر هذه اللحظة الدنيوية ولن يحصل تبدّل في العالَم، فبدلاً من الاعتبار بتبدّل جسمهم من ضعف إلى قوة إلى ضعف ليعرفوا مبدأ التبدل في العالَم، وبدلاً من النظر في وجود الضعف وضده القوة وكذلك كل الأضداد في الطبيعة فيعرفوا مبدأ وجود الأضداد بالتالي يعرفوا وجود الآخرة التي هي ضد الدنيا، وبدلاً من النظر العقلي في الثابت والمتغير، والنظر في المحدود كعلامة على وجود اللامحدود، كل هذا لم يفعلوه، بل كانوا يؤفكون أي يكذبون على أنفسهم ويخترعون البهتان العظيم الذي هو الاعتقاد باستمرار الدنيا على ما هي عليه وأن اللحظة الحالية ستستمر كما قال صاحب الجنتين "ما أظن أن تبيد هذه أبداً"، وبنوا على ذلك ما بنوا حتى قامت الساعة وانتهت دولة الدنيا الجسمانية وجاءت مملكة الآخرة النفسية والروحية.

{ويوم تقوم الساعة} حين يتعلّم الجاهل من الرسول ويقوم روحياً من موت الجهل إلى حياة العلم والقرءآن ورؤية باطن العالَم، {يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة} سيشعر الذين كانوا منقطعين عن الرسل من بل بحياة جديدة وولادة جديدة تماماً وسيشعروا بأنهم ولدوا من جديد فكأنهم لم يلبثوا في الدنيا بعد قيامتهم المعنوية إلا ساعة وهي الساعة الحالية التي جاءت بعد القيام، وما مضى من عمرهم سيعتبرونه في حكم المعدوم أو غير المعقول الذي لا يعرفون صاحبه وسينظرون إلى أنفسهم الماضية كأنها نفوس غريبة عنهم ويستغربون ما كان يصدر منهم حينها. {كذلك كانوا يؤفكون} كذلك سيكتشفون كل الإفك الذي أُلقي إليهم والمكر بالليل والنهار الذي تعرضوا له على أيدي سادتهم وكبراءهم حين كانوا ضالين وجاهلين.

٥٦-{وقال الذين أوتوا العلم والإيمان، لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون}

يوم تقوم الساعة لا اعتبار للشخص من حيث هو شخص لكن الاعتبار فقط لما أوتيه من علم وإيمان. فالعلاقات في أرض الحرية وعند الأحرار ويوم تقوم ساعة الدعوة الباطنية وكذلك في الآخرة الكبرى، في كل ذلك المعتبر في الإنسان هو علمه وإيمانه وهنا سيجد قيمته، أي الاعتبار ليس للشخص لأن كل الأشخاص سواسية من حيث الإنسانية، فالاعتبار لغير الشخصية، ويوم

تقوم الساعة الاعتبار للعلم والإيمان لأن ما سوى ذلك هو المال والمال وسيلة للعلم والإيمان كما مضى في آيات الإنفاق. نعم في أرض الحرية اليوم ستجد أناس يعظّمون المال وأناس يعظّمون العلم وأناس يعظمون الإيمان، لكن عند أهل الدعوة الباطنية ستجد الاعتبار فقط للعلم والإيمان والمال خادم ووسيلة ولا يتقيّم الإنسان بناء عليه فقط لأن أهل الدعوة الباطنية اليوم هم مظهر الآخرة الكبرى غداً. لذلك {قال الذين أوتوا العلم والإيمان} ولم يسمّيهم باسم شخصي معين ولم يحددهم بغير كونهم أصحاب علم وإيمان. من هنا تجد أهل الله يهاجرون ولو بترك أهلهم ومالهم كما في آية المحبة "قل إن كان آباؤكم"، لأن العلاقات المعتبرة في الآخرة الكبرى وبالتالي العلاقات التي يجب اعتبارها اليوم هي المبنية على العلم والإيمان، لا الجسم والأموال، فالجسم دولة الكافرين ولا يعتبره المقياس الأكبر إلا الكافرين الجاهلين، والمال خادم ووسيلة فلا يُطلب لذاته ولا يعكف عاقل عليه لنفسه، فإذا صار الله ورسوله وجهاد في سبيله في طرف والعلاقات الجسمانية والأموال في طرف فأولي العلم والإيمان يختارون طرف الله ورسوله وهم حزب الله الغالبون وأصحاب طرف تقديم الجسم والمال هم حزب الشيطان الخاسرون. الأب من يعلّمك عن الله والأم من يعلّمك عن العالَم، والابن من يتعلّم منك، والأخ من يتعلّم مثلك، والزوج من يتعلّم معك "أسلمت مع سليمان" والعشيرة من هم على مثل حالكم في الاجتماع للعلم وبالعلم، ومالك علمك، وتجارتك تعلمك وتعليمك، ومسكنك الحقيقة. هؤلاء حزب الله وحزب الله هم الغالبون.

في هذه الآية، العلم ما في كتاب الله، والإيمان رؤية ما في كتاب الله متحقق في الواقع. لذلك ستجد جملتين، الأولى توازي "العلم" والأخرى توازي "الإيمان"، بهذا الترتيب، لأنه لا إيمان إلا بناء على علم إذ لا يمكن أن تشهد ما في كتاب الله في الواقع إلا إن كنت تعلم أصلاً ما في كتاب الله، وهذا بديهي. الجملة الأولى العلمية هي {لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث}، الجملة الأخرى الإيمانية {فهذا يوم البعث}، لم يعرفوا أن هذا هو يوم البعث لماذا؟ {لكنكم كنتم لا تعلمون} أي لم تعلموا ما في كتاب الله عن يوم البعث، بالتالي لم تعرفوا أن {هذا} هو يوم البعث، هو أمر بديهي. فالأولوية إذن للعلم بما في كتاب الله اليوم والآن.

حين يحيي الرسل النفوس من موت الجهلة والغفلة إلى حياة العلم والعقل والقرءآن، سيذكّرون أتباعهم بهذه الحقيقة وهي {لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث} أي سيعلّمونهم باطن آيات البعث التي في كتاب الله، حتى يشهدوا كل آيات الآخرة بكل تفاصيلها الآن، سيشهدونها في نفوسهم الآن عبر تأويلها العلمي والباطني. وأول ما سيذكرونهم به حقيقة البعث ذاتها، لأنهم قد بُعثوا الآن من موت جهلهم "أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات" "أخرج قومك من الظلمات إلى النور" فهو بعث إذن، أمره بأن يخرجهم من الموت إلى الحياة، من الظلمات إلى النور، من الجهل إلى العلم. فلما شهدوا حقيقة البعث في نفوسهم الآن سيقولون لهم {فهذا يوم البعث} كل حالة للنفس هي يوم، "يوما عبوساً قمطريرا" والعبوس حالة نفس لا زمن مجرد، بل الزمن المجرد "اليوم" سيصبح نفسياً عند الأحياء

بالروح والعقل، فالمهم سيصبح أيام نفوسهم لا أيام ساعاتهم ودقائقهم. كل حالة نفس هي يوم، وتختلف الأيام باختلاف شؤون النفس وتقلباتها، كما قال الله عن نفسه "كل يوم هو في شأن"، فالله ليس كل أربعة وعشرين ساعة في شأن، بل كل يوم أي كل لحظة وكل آن وكل وقت. شؤون النفس أيامها. وهذا زمنها الجديد الذي ستشعر به حال بعثها. لذلك ستجد أيام مثل الجمعة والتغابن وغير ذلك وكلها مشهودة للنفس الحية الآن في باطنها وستراها في بواطن الناس أيضاً. وستحكم على كل شيء في الدنيا بحسب حقيقته الأخروية، وستسمي الأشياء بأسمائها عند الله وفي ميزان الحق والقسط الذي هو كتاب الله وما آتاها الله من الفهم فيه. والبدء بيوم البعث لأن البعث أول حقيقة قرآنية أخروية ستشهدها النفس حين تتحوّل من الجهل إلى العلم. {فهذا يوم البعث}. فلماذا لم يعرفوا ذلك من قبل وقد كانوا يتلون كتاب الله؟ لأنكم {كنتم لا تعلمون} كما قال في الأمثال "تلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون"، العلم بمفتاح التأويل وحقيقة باطن القرءآن لم يكن متحققاً بالتالي لم يعلموا حقيقة يوم البعث في كتاب الله. وهكذا في كل أمور الآخرة الأخرى الواردة في كتاب الله. وكتاب الله هنا هو التكويني والتنزيلي، وكلامنا في هذا التأويل عن التنزيلي، وما التكويني إلا أصل للتنزيلي، والتنزيلي وسيلة لتحصيل العلم بالتكويني.

٥٧-{فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يُستعتبون}

يوم القيامة الصغرى وظهور تأويل القرءآن لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يُستعتبون، لماذا؟ لأن الناس حينها بين ظالم وعاقل، فالظالم سيظهر كمظهر لحزب الشيطان وأحد أسمائه كفرعون وهامان وقارون ونحو ذلك، والعاقل سيظهر كمظهر لحزب الله وأحد أسمائه كمحمد وعيسى ولقمان ونحو ذلك، هذا من أسماء الأنفس وسيظهر أيضاً كأسماء من أسماء الآفاق كأن يكون أحدهم كلامه كالشجرة الطيبة وآخر كلامه كالشجرة الخبيثة، أو هذا كأنهار الجنّة وذلك كحميم النار، ونحو ذلك. باختصار، سيكون لكل واحد في كل آن اسم من الأسماء الواردة في كتاب الله وهو مظهر هذا الاسم ومَثل من أمثاله. بالتالي، لا مكان لمعذرة ولا لاستعتاب. فالعلم نفى المعذرة، والإيمان نفى الاستعتاب. العلم سيظهر وسيعرف كل واحد بحكم "سيريكم آياته فتعرفونها" الأمثال المضروبة والعمل الذي إن عمله الواحد صار داخلاً في مثل من الأمثال، فلا معذرة ستنفع حينها. وحين يتجلى الإنسان بسبب عمله بمثل من الأمثال وينطبق عليه الاسم القرآني، فلا مجال للاستعتاب، لأن الإيمان يعني أن نقول "هذا" كذا، كأن نقول "هذا فرعون هذه الأمة" أو "هذا كمثل هارون من موسى" ونحو ذلك، حين نقول "هذا" كذا من أسماء كتاب الله فالحقيقة الواقعية هي أنه كذلك، فما قيمة استعتابه حينها؟ هو كذلك ويريد أن يثبت على هذه الصفة، نعم باب التوبة مفتوح ما دام في الدنيا، لكن الأمثال لا تنطبق عادة على شخص ببيان من الرسل إلا حين لا يبقى مجال في نفس الشخص للتراجع بل استحكم فيه المثل وهو قدره الحقيقي، فالعتب هو اللوم وفيه معنى طلب الانتقال من مكان إلى مكان فالمعنى الاستعتاب هو

لوم شخص على كونه على شاكلة معينة والغرض من العتاب ضمنياً أو تصريحاً هو إرادة جعل الشخص يتحوّل من حال إلى حال كأن تعاتب من انطبق عليه مثل فرعون لأنك تريده أن يترك فرعنته ويصبح كموسى فأنت تلومه على فرعنة هو يريدها وتحققت فيها وصدق عليه المثل على لسان رسل العصر، على الأغلب هذا لن ينفعه، كما أن الله حين قال لموسى "اذهب إلى فرعون" بقي فرعون على فرعنته ولم ينفعه لا كلام موسى اللين ولا رؤية آيات الله كلها ولم يبق أمامه إلا الغرق. العلم بالأمثال المضروبة ينفي المعذرة، وتحقق الإيمان بشهود الشخص كمظهر للمثل المضروب ينفي الاستعتاب. بالتالي {فيومئذ} أي يوم البعث وما بعده، فالفاء ترتبط الآية بما قبلها وما قبلها عن يوم البعث وظهور حجّة الذين أوتوا العلم والإيمان، {لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يُستعتبون} لأن ظلمهم يجعل معذرتهم واستعتابهم باطلاً وفي حكم الباطل قبل أن نقاش فيه، كأن يريد السارق وهو سارق الآن ومصر على السرقة ويشتمل على بواعث السرقة ولن يغيرها لكن مع ذلك يريدنا أن نعذره بأن يحتج مثلاً بقضاء الله الذي قدّر عليه السرقة أو بأنه يحتاج إلى السرقة (وهو قادر على السرقة فهو قادر على الكسب الحلال عادة، وكلامنا ليس في المضطر مطلقاً فذلك له شأن آخر)، وكذلك لا معنى لاستعتابه أي طلبه أن نرضى عنه وهو سارق لأننا لا نرضى عن السارق من حيث هو سارق ومصر على الاستمرار في السرقة. قيام الظلم يبطل العذر والعتب. وهكذا الحال بل أشد منه في أمر تحقق الإنسان بالأمثال القرآنية وهي الأمثال الكونية الربانية التي لا مفر لإنسان منها ولا مخرج له عن التلبس بها عرف أم لم يعرف، طوعاً أم كرهاً. وحيث لا جهل فلا معذرة، وحيث لا إكراه فلا استعتاب، فلما كان الإنسان مدرك بالعقل وحر الإرادة في الدخول في الأمثال القرآنية والتحقق بأعمال أصحابها فلا معذرة ولا استعتاب نافع يومئذ. لذلك قال بعدها...

٥٨-{ولقد ضربنا للناس في هذا القرءآن من كل مَثَل، ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مُبطلون}

فالنصف الأول يكشف عن أحد أهم أعمال القرآن وسر قوته العلمية وهو أنه فيه {من كل مَثَل}. هذه الصيغة عجيبة لأنها بحسب صورتها يبدو أنها تجمع بين الأضداد. فمن جهة في القرءآن {كل مثل} وهذه تدل على الكلية والشمولية، فلا يوجد مثل من الأمثال إلا وهو في القرءآن. لكن من جهة أخرى في القرءآن {من كل مثل} وال"من" هذه تدل على البعضية وعدم الشمولية، أي ليس في القرءآن كل الأمثال مطلقاً بل بعض الأمثال فقط، كما قال في آية أخرى مصداقاً لهذا المعنى عن الرسل "منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك" فدل على عدم الإحاطة بكل الأمثال الممكنة إذ يوجد من الرسل من لم يقصصهم عليه وهكذا أيضاً في الأمثال الآفاقية ففي القرءآن ذكر الشمس والقمر والشعرى مثلاً لكن لا يوجد ذكر كل نجم وكل مظهر من المظاهر السماوية الطبيعية، وكذلك لا يوجد ذكر كل الحيوانات في الأرض فيوجد ذكر الحوت والبقر لكن لا يوجد ذكر الدلفين والكنغر، وكذلك الحال في النبات والمعادن وغير ذلك، فيوجد ذكر لبعض الأمثال

دون بعض. فكيف الجمع بين المعنيين حسب النص {من كل مثل}؟ الجواب: في القرءآن كل الأمثال الكلية وبعض المظاهر الجزئية، لأن المظاهر الجزئية لانهاية لها لكن الأمثال الكلية محصورة عقلاً، ويكفي ذكر بعض المظاهر الجزئية ليعرج العقل منها إلى الأمثال الكلية وحينها سيستغني العقل بمعرفته بالأمثال الكلية وحقيقتها وسيستطيع أن يرى العقل بعد ذلك الأمثال الجزئية بنفسه بشهودها في الآفاق والأنفس وسيضرب الله له أمثالاً جديدة تناسبه وبلسانه وبلسان قومه كما ضرب الأمثال في هذا القرءآن العربي المحمدي. كتبسيط للأمر، الشجاعة حقيقة واحدة لكن مظاهر الشجاعة لا حصر لها ولها تجليات مستمرة، لكن يكفي أن نضرب بعض الأمثلة على الشجاعة لإيصال معناها وجوهرها للسامع، وبعد ذلك حين ينال عقله هذه الحقيقة سيستطيع هو أن يدرك مظاهر أخرى للشجاعة وأمثلة أخرى غير التي قصصناها عليه ويسرناها له أول مرة. بالتالي هذه الصيغة {من كل مثل} هي أكمل صيغة ولا يمكن غيرها أصلاً. إذ لو كان في القرءآن {كل مثل} بدون ال"من" التبعيضية لوجب أن يكون القرءآن أكثر من مليون مليون صفحة ولا تزال صفحاته تُكتَب إلى الآن وإلى يوم يقوم الناس لرب العالمين. فلا يوجد مثل للنفس الإنسانية إلا وهو في القرءآن من حيث الأمثال الكلية، لكن من حيث الأمثال الجزئية المشتقة من الكلية {من كل مثل} فهذه محصورة ومعدودة وهي كافية لإيصال العاقل بإذن الله إلى حقيقة الأمثال الكلية. فالخلل يدخل على القراء حين لا يعتقدون بوجود الأمثال الكلية كلها في القرءآن فيطلبونها خارجه، وخلل آخر يدخل على الذين لا يكتفون بالأمثال الجزئية المضروبة في القرءان للوصول إلى أمثاله الكلية، وخلل ثالث يدخل في الذين يكفرون بأي مثل غير وارد في القرءآن فقط لأنه جزئية ومظهر لم ينص عليه القرءآن وكأن القرءان لم يقل "منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك" وهؤلاء من مظاهر مثل اليهود الذين لا يؤمنون إلا بما فتح ربهم عليهم في كتابهم ويكفرون بما وراءه وهو الحق من ربهم ومصدق لما معهم أي يكون مثلاً غير منصوص عليه في كتابهم لكن المثل نفسه حق ويوجد في كتابنا من حيث الأمثال الكلية المعقولة ما يدل على صدقه بل هذا المثل الجديد وغير المنصوص عليه مصدّق للأمثال المضروبة في القرءآن وهو تجل من تجلياتها ومع ذلك يكفرون به فهذا أمر مرفوض عند الرسل. هذا أمر مهم جداً للروم تحديداً، لأنهم حين يخرجون في الأرض سيرون الألوان والألسنة المختلفة ومن ذلك سيرون أمثال عند مختلف الناس مختلفة عن الأمثال الجزئية في القرءان، فيجب عليهم أن يعقلوا روح هذه الأمثال وجوهرها الفكري ولا يكفروا بها فقط لأنها غير منصوصة بظاهرها في القرءآن العربي. نعم، {لقد ضربنا للناس في هذا القرءآن من كل مثل} فلا يوجد مثل للناس ويمكن للناس أن يتحلّوا به وينطبق عليهم ويدل على درجات ومقامات وأنواع نفوسهم عقلاً وإرادة وسلوكاً إلا وهو في هذا القرءآن، لاحظ "هذا القرءآن" فالكلام عن القرءآن العربي المحمدي الذي نقرأه الآن، وليس الكلام عن "ذلك" القرءآن ولا "القرءآن" مطلقاً، فالقرءآن له أكثر من درجة من الوجود، له درجة "ذلك الكتاب" هناك في الأعلى في أم الكتاب حيث "لا ريب فيه"، لكن يوجد "هذا القرءآن" الذي هو العربي المحمدي الظاهر باللسان العربي المشهود في المصاحف وهذا يدخل الناس

الريب بسببه بدليل "إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا" فالريب يدخل في درجة الكتاب حين ينزل على عبدنا أي على مظهر محدود من مظاهر الخلق وهو هذا العبد العربي المعروف، وعلى هذا النمط للقرءآن وجودات ودرجات ولكل درجة حقيقتها وقيمتها ولوازمها وأحكامها، والخلط بين الدرجات من علمات العشى أو العمى والجهل والظلم فتنبّه واحذر. فنعيد، نعم في هذا القرءآن من كل مثل لكن ليس كل مثل، وأي مثل يصدّق الأمثال القرآنية فهو حق ويجب قبوله وعدم إنكاره لعدم النص عليه في صورة هذا القرءآن العربي. الجمع بين تعقّل الكليات مع عدم الجمود على الجزئيات هو الفارق بين الرسول العقول والظلوم الجهول.

بعد معرفة أمثال القرءآن سينطق الرسل بها ويعلمونها الناس ويسمّون الناس بها، وحينها سيرد النصف الآخر من الآية القائلة {ولئن جئتهم بآية} إذن سيجئ بالآية من من هذا القرءآن أي من كل مثل مضروب فيه وسيجيئهم يسمي الأمور بهذه الأسماء ويضرب للناس هذه الأمثال القرآنية، {ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا} وهم الذين قال عنهم في آية أخرى ذكر فيها ضرب الأمثال في القرءآن أيضاً "فأبى أكثر الناس إلا كفورا" الكفر التغطية والستر للباطن وعدم تعقل معنى المثل فيكفره جهلاً به أو رفضاً له، وهنا الأمر كذلك {الذين كفروا} حين يأتيهم الرسل بآية من القرءآن فيها مثل ويسمي الأمور بها بأسماء الله حينها سيقولون للرسل {إن أنتم إلا مبطلون} دقق جيداً في كلمة "أنتم"، بداية الجملة بالمفرد ونهايتها بالجمع، لاحظ في بدايتها {لئن جئتهم} الخطاب للمفرد "جئتهم" وليس "لئن جئتوهم" بالجمع، فالذي سيجئ هنا واحد، لكن نهايتها بالجمع وسيقول الذين كفروا للذي جاء بالآية "إن أنتم إلا مبطلون" فقالوا "أنتم" فخاطبوا جمعاً ولم يخاطبوا شخصاً واحداً، كيف؟ هذا مثل قول موسى وهارون "إنا رسول رب العالمين" ولم يقولا هنا "إنا رسولا رب العالمين" كما ورد في آية أخرى "إنا رسولا ربك". فمرّة عبّر موسى وهارون عن نفسهما بضمير مفرد ومرة بضمير المثنى، مما يدل على أن الرسل كلهم حقيقة واحدة من وجه وإن كانوا مظاهر متعددة من وجه آخر وكلاهما حق، كما أن الله أحد لكن له أسماء حسنى. والقرآن آية واحدة لكنها آيات كثيرة أيضاً. اختلف الاعتبار فاختلف التعبير. كذلك الحال هنا. الذي سيجئ بالآية هو رسول القرءآن، الذي سيقرأ الأمثال القرءآنية ويجئ بها للناس ويضربها للناس ويبينها بلسان قومه، فهو رسول واحد من وجه لكنهم رسل كثير من وجه آخر إذ كل قارئ للقرءآن عاقل له مبلغ له مأذون له بذلك من الله فهو رسول من رسل الله بدرجة ما، فلما كان هؤلاء كثر والناس خصوصاً الذين كفروا لن يروا الحقيقة الجامعة للرسل التي تكشف عن وحدتهم الروحية بل سيرونهم من حيث كثرهم الطبيعية سيكون جوابهم "إن أنتم إلا مبطلون" بالتكثير والجمع.

{إن أنتم إلا مبطلون} أي هذه الأمثال التي تضربونها لنا باطلة لا تنطبق علينا، أو هي باطلة لم يضربها الله، أو هي باطلة لن يتحقق مضمونها في الآخرة ولا ستكون عاقبتنا في الدنيا كما تضربون لنا كأن يقول الرسل لشخص "هذا فرعون هذه الأمة" ثم يزعم هذا الشخص أنه لن

يغرق كما قال الله ويدعي أن هذه نبوءة باطلة. كل ذلك سيواجَه به رسل أمثال القرءآن. فلماذا لا يعقل هؤلاء أمثال القرءآن ويدعون أن الرسل مبطلون وقولهم باطل وهو غير متحقق ولن يتحقق؟ الجواب في الآية التالية...

٥٩-{كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون}

رجعنا إلى نفس {لا يعلمون} التي قالها الذين أوتوا العلم والإيمان في يوم البعث "ولكنكم كنتم لا تعلمون". وهم الذين لا يعلمون روح الأمثال وعقلها وحقيقتها الربانية والكونية والنفسية. قلوبهم لا يعقلون بها ولا يفقهون بها، فهو لا يستعملون قدرتهم القلبية على التعقل ليعقلوا أمثال القرءآن ولا قدرتهم على التفقه للتفقه في أمثال القرءان التي يجيئهم بها رسل عصرهم، بل هم في الحقيقة ينكرون قلوبهم الروحانية هذه لأنهم يعلمون ظاهراً من الحيوة دنيا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وانحصروا في المحسوس وجسماني والمادي واللحظة الطبيعية، كل ذلك طبع على قلوبهم تلك فجعلهم يكفرونها وبالتالي يكفرون بالقرءآن. الإنسان لا يكفر بالقرءآن إلا بعد أن يكفر بالإنسان. كفره بالقرءآن أثر من آثار كفره بنفسه. فحين ترى الذين يقولون لرسل عصرهم "إن أنتم إلا مبطلون" حين يأتونهم بأمثال القرءان، فاعلم أنه {كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون} فاعتبر بهم جيداً وانظر فيهم واتقي ما هم عليه.

حسناً، سينكر ويرفض ويكفر بعض الناس بأمثال القرءآن، فما تكليف الرسل في هذه الحالة؟ ماذا يفعلون حين يكفر الناس بالأمثال التي يضربونها لهم ويبشرونهم وينذرونهم بها دنيا وآخرة وعند الله؟ هل يسعون لإكراههم على التحوّل مما هم عليه؟ هل يقاتلونهم بالعدوان إن لم يقاتلهم الذين كفروا بل اكتفوا بأن ردوا عليهم بالقول "إن أنتم إلا مبطلون" وإن كان في هذا القول كفر ورفض واتهام للرسل في أشخاصهم وعقولهم ونيتهم أيضاً فهل يواجهونهم بالعنف؟ هل يحزنون عليهم ويقتلون أنفسهم بسبب عدم إيمان الناس بهم حزناً وكمداً على ضلال الناس؟ أم ماذا على الرسل بعد البلاغ المبين لأمثال القرءآن المبين؟ الجواب على ذلك في آخر آية من سورة الروم التي هي سورة أصحاب روح العلوم ودقائق الفهوم...

٦٠-{فاصبر، إن وعد الله حق، ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون}

أمر ونهي. هذا هو تكليف الرسل. تكليف الروم في كل زمان ومكان بعد تبليغ القرءآن وأمثاله للناس وتبيينه لهم وتسميتهم به.

الأمر، {فاصبر}. إذن لا عنف، لا عدوان، لا حزن عليهم، لا شفقة، لا شيء من كل مظاهر تعنيف الآخر أو تعنيف النفس بسبب كفر الآخر وجهله. الناس أحرار في الدنيا للكفر بما يشاؤون وقول

ما يشاؤون حتى إن كان قولهم شتماً وسباً وطعناً وكفراً بالرسل وكتاب رب الرسل، أئمة وأتباعاً. التكليف يرجع على الرسل أنفسهم وذلك بالصبر، الصبر تكليف على الرسول وليس على المرسل إليه. المرسل إليه قد أخبرنا الله هنا أنه كفر ورفض وأنكر الرسالة وطعن في الرسول "إن أنتم إلا مبطلون". لكن عاد التكليف على الرسول لأن الناس أحرار في قول ما يشاؤون، أحرار يعني لا يجوز معاقبتهم من قبل الناس رسل أو غيرهم فقط لأنهم قالوا شيئاً مهما كان ما قالوه باطل وشنيع وقبيح ولو في حق رسل الله بل وفي الله ذاته جل وعلا كالذين قالوا "إن الله فقير" فإنه لم يأمر الرسول بالعدوان عليهم بسبب ذلك بل رد عليهم القول بالقول. إذن، الصبر هو الأمر والتكليف الشرعي لمواجهة الكافرين وقائلي الكفر والطعن في المرسلين.

لماذا الصبر؟ لأن {إن وعد الله حق}. الأمثال القرءآنية تكشف عن وعد الله، وعده لمظاهر أمثال الحسن كحزب الله ووعده لمظاهر أمثال السوء كحزب الشيطان، في الدنيا وعد وفي الآخرة وعد وعند الله وعد. وعد الله حق وقد كشف لك في أمثاله التي ضربها للناس في هذا القرءآن عن هذا الوعد الحق. أي هو حق في نفس الأمر وسيتحقق وستظهر حقيقته وإن لم تكن ظاهرة الآن لعيان الحس ولذلك يستطيع البعض الكفر بها وإنكارها واتهام الرسل بأنهم "مبطلون"، لكنها حق وستحقق فلا تستعجلوا ظهورها لأنها أتت وانتهى الأمر "أتى أمر الله فلا تستعجلوه". فلم يبق إلا الصبر، لأن الكون له درجات ويتنزل الأمر الإلهي من السماء إلى الأرض وهذا التنزل يحتاج إلى زمان ليتم لذلك سيظهر الأمر بعد حين "لتعلمن نبأه بعد حين"، فالصبر كالصبار له باطن لطيف وظاهر خشن، فباطن الصبر العلم بأن وعد الله حق وشهود حقيقة الأمثال القرآنية في مراتبها ودرجاتها العليا ووجهها الغيبي النفسي فحتى إن لم تظهر للحس للكل بعد فإن الروم يعقلون حقيقتها في مراتبها الغيبية فهي باطنياً واقعة وقد أتت وانتهى الأمر، ويعلمون أنها ستتنزل وتظهر للكل بنحو لا يستطيع لا كافر ولا منافق أن يردها بعد حصولها "أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون"، فهم يصبرون ظاهراً وهو الوجه الخشن للصبر لأنه متعلق بالزمان والزمان خشونة مزعجة للنفس لأن النفس من حيث روحانيتها آنية وفورية وليس فيها تدرّج الزمان المتعلق بالخلق والعالَم الظاهر. فلأن للرسل أجسام فلابد من الصبر والصبر سيكون خشناً ومزعجاً من وجه من حيث جسمانيتهم، لذلك ستجد في آيات أخرى أنه أمر الرسول بأمر روحاني هو التسبيح بحمد ربه في مخلتف الأزمنة لعله يرضى ولا يؤذيه قول القائلين الكافرين الذين ينكرون صدق رسالته وتحقق وعده وأمثاله، فدلّه على تقوية وجهه الروحاني حتى يغلب وجهه الجسماني المحبوس في الزمان والمكان والمحسوس. أما هنا فاكتفى ببيان عقلي {إن وعد الله حق} هذه الحقيقة العقلية سبب من أسباب الصبر والقيام بالصبر، فتذكّر هذه الحقيقة مهم كلما شعر الرومي بضعف صبره وقلته وتفلته منه وإرادته استعجال ظهور آيات الله للكل.

النهي، {لا يستخفنّك الذين لا يوقنون}. الاستخفاف فيه معنى الضعف والحماقة والرقة والسذاجة. أي لا تجعل الذين لا يوقنون يجعلونك خفيفاً في عقلك وفي إرادتك بحيث تنكر ما عقلته من حقائق كحقيقة {إن وعد الله حق}، ولا في إرادتك فيجعلونها ضعيفة رقيقة يمكن التلاعب

بها بسهولة. اليقين الثبوت في العلم والاستقرار العقلي، فالذين لا يوقنون بحقيقة الآخرة وباطن القرءان سيسعون لاستخفاف الرسل، فمن جهة سيسخرون منهم ويستهزءون بهم ويعتبرونهم سخفاء بسبب دينهم وعقلهم وكلامهم وأمثالهم، ومن جهة سيسعون لجعل الرسل ينكرون عقلهم وطريقهم هذا بحجة أنه طريق سخيف وباطل ولا ثبوت له في الواقع ونحو ذلك. هذا وغيره كله داخل في نهي {لا يستخفنّك}.

ما الدافع للالتزام بهذا النهي؟ الجواب: لأن الذين يستخفّون هم قوم {لا يوقنون} أصلاً. هم قوم هلكى ضاعوا في بحار ظلمات التغيرات والمحسوسات، لا استقرار لهم ولا يقين عندهم بشيء أصلاً، هم قوم لا يوقنون بشيء لأنه لا يقين لهم في واقع الأمر، فكل أمرهم ما بين العدميات والمشكوكات والنسبيات والمظنونات واللاأدريات، فهم قوم لا يوقنون بالتالي هم أسخف السخفاء، فكيف تجعل السخيف يستخفك، فهو أولى الناس بسخفه والاستخفاف به لأنه لا يوقن بشيء ولا يقين عنده بشيء على التحقيق ولا يعلم حقيقة نفسه ولا حقيقة الكون ولا حقيقة شيء بل وقد تجده يعترف بذلك بصراحة ويعلنه بقوة أنه لا يقين أصلاً بشيء وإنما الدنيا كلها من عدم إلى عدم والنفس من عدم إلى عدم والأمر مجهول والوجود غير معقول المعنى وغير معقول العلة ولا يقين بشيء. فمن كان هذا حاله كيف يستوي هو ومن يعلم أن {وعد الله حق} فهو يعلم الله ويعلم وعد الله ويعلم أن وعد الله حق، ويعلم الأمثال التي هي مضمون وعد الله بالتالي يعلم حقائق النفوس وأسبابها ومآلها دنيا وآخرة ومقامها عند الله بكشف الله وبيانه وكلمته العليا.

إذن، شعار الروم هو الصبر. لأنهم أهل الذكر. أهل القرءآن. أهل الأمثال. أهل وعد الله الحق. فمن كان من الروم فهو من الغالبين، ومن نصر الروم فهو من المنصورين، وهؤلاء هم حزب الله رب العالمين. "ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين. إنهم لهم المنصورون. وإن جندنا لهم الغالبون". والحمد لله رب العالمين.

....

بسم الله الرحمن الرحيم

خلافة الأنبياء

في تأويل سورة الإسراء

سورة الروم سورة الجماعة، سورة الإسراء سورة الخليفة الحي الذي أوتي التأويل المحمدي للقرءآن.

١-{سبحان الذين أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من ءآياتنا إنه هو السميع البصير}

أدنى الأرض اليوم هي بلاد العرب لأنها الأدنى من حيث حرية الكلام والدين فالناس فيها أشد الناس تعرضاً للقهر والاستعباد كبني إسرائيل تحت آل فرعون كما كان حالهم في الجاهلية الأولى حيث قال الله "إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً" فجعل عرب مكة مثل بني إسرائيل ونظام حكمهم مثل فرعون ومحمد مثل موسى، لذلك ورد في الحديث "أبو جهل فرعون هذه الأمة" و قال النبي لعلي "أنت مني بمنزلة هارون من موسى" وقال لما طلب منه المسلمون ذات أنواء بأنهم مثل بني إسرائيل الذين قالوا لموسى "اجعل لها إلهاً كما لهم آلهة" ونحو ذلك من النظائر. فبني إسرائيل هم مَثَل على العرب، والإمام صاحب القرءآن في الزمان هو مثل محمد، ثم تدور الأمثال على ذلك. فالمسجد الأقصا هنا ضد المسجد الحرام في المعنى، بالتالي الحرام هو الأدنى، بالتالي هم مثل "في أدنى الأرض" التي في سورة الروم، أي المسجد الحرام الأدنى هو الذي في أرض العرب اليوم، بالتالي المسجد الأقصا هو آخر مسجد معروف للناس وذلك على الحقيقة التاريخية أيضاً أمريكا إذ هي آخر أرض عرفها الناس عموماً في الأرض، وهي فوق ذلك وأهم من ذلك ضد حال العرب إذ أمريكا فيها أقصا درجة من الحرية الكلامية والدينية فهي البيئة المناسبة لظهور الرسالة وإشراق الكلام الإلهي وحياة المؤمنين. وبهذا المفتاح نقرأ السورة.

{سبحان الذي أسرى بعبده} هو إنسان لا يريد إلا عبادة الله وحده، لا يريد أن يكون عبداً لبشر، لا يريد أن تكون إرادته مقيدة قهراً بإرادة غيره من البشر ولا غيرهم، ولا يريد أن يكون عقله مقيداً في فكره ونطقه بغيره ممن حوله، ويريد أن يسعى في أمر دينه وضميره بحرية وفردية. إلا أن هذا العبد سيكون في بلاد العرب في أول أمره في هذا الزمان، والظلمات محيطة به من كل وجه لأن بلاد الجزيرة العربية اليوم هي ذات أفحش وأسوأ نوع من الطغيان الديني والسياسي على السواء، ومع ذلك هذا العبد حرسه الله واعتنى به حتى خلّصه من كل هذه الظلمات لذلك قال {سبحان} وهو من التنزيه والتعجب والتعظيم، فالذي ينظر إلى الفتن والظلمات التي كانت حول

هذا العبد ومع ذلك كيف خلّصه الله منها واصطفاه وعلّمه من لدنه علماً إذ كانت له الدنيا وعنده الحسيات وحوله ظلمات المنافقين الوهابيين والطغاة الأعراب النجديين ومع ذلك خلّصه الله بل وزيادة على ذلك أخرجه من عندهم بسلام كما أخرج موسى من مصر فرعون إذ قال له "أسر بعبادي ليلاً". فهذا العبد سيسري به ربه ليلاً، أي في وقت الليل سيكون خروجه من أرض المسجد الحرام إلى أرض المسجد الأقصا وهي اليوم أمريكا، وكذلك سيسافر به في مدّة كانت في الماضي تعتبر مسيرة أيام بل شهور طويلة لكن الله سيحمله في البر والبحر السماوي- والهواء يسمّى بحراً-في وقت قليل نسبياً ويبدو إعجازياً للناس في الماضي الذين كانوا يسافرون على الأقدام والدواب وهي الطائرة اليوم التي تقطع في ساعة ما كان الناس في الماضي يقطعونه في أسابيع أو شهور. فسبحان من فعل ذلك بعبده. وأيضاً {ليلاً} لأن حال الناس في هذا الزمان ليلي إذ ليس لله خليفة رباني ظاهر بكلامه معلّم لكلمته بإذنه وبإمداد حي من نوره ونور نبيه، ولا دعوة ظاهرة لله في الأرض ولا تأويل حي لكتابه بإذن منه وتعليم من لدنه، فالناس ما بين مفتون ومغمور وخائف ومخدوع ومكذوب عليه وقلة عاقلة حصّنت نفسها في كهوف الستر والتقية في بلاد المسجد الحرام وما عداها. فالحال ليلي، لكن بعد الإسراء سيجعله الله نهارياً وستشرق الأرض بنور ربها ويوضع الكتاب الحق.

{من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا} الأرض كلها مسجد لله والغاية من وضعها للأنام هو ليقرأ الناس عليها كتاب الله ويعملوا به. إلا أن الله يصطفي بقع لتكون أمثلة لغيرها ويخصصها لعمل ما. فالمسجد الحرام الذي في مكة التي في بلاد العرب موضوع لذلك العمل المقدس، والمسجد الأقصا مثال مبني على الكمال المفترض أن يكون عليه المسجد الحرام حيث يكون لله والدين فيه لله والكلمة العليا لله ظاهرة فيه بسلام، لكن المسجد الحرام في كما حصل في أول الزمان أي زمان محمد رسول الله الذي جاء بهذا القرءآن العربي كانت تحت قهر الجبابرة وسيطرتهم من كفرة العرب فنصر الله رسوله ومن معه فدخلوا المسجد أول مرّة وقطعوا دابر الكافرين الجاهليين، ومن هنا انطلقت في الأرض دعوة النبي والقرءآن وتحركت من قطر إلى قطر إلى أن وصلت إلى الأندلس ومنه إلى أمريكا في النهاية، وبُنيت أمريكا على قاعدة الحرية الكلامية والدينية والاختيار الحر للناس كمثل أعلى يصبون إليه وتدرجوا ولا زالوا يتدرجون في الصعود والاقتراب من هذا المثل الأعلى وتتحسن البلاد على هذا الأساس. إلا أن بلاد العرب والمسجد الحرام وقع مرة أخرى في يد الطغاة من جديد، وتحوّل من أرض لله إلى أرض للطغاة، وصار الناس فيها أذل الناس وأشدهم تعرّض للقهر والاستغلال والكبت بالعنف والعدوان. وكما خرج النبي في أول الزمان من مكة إلى المدينة ثم جاء بالمهاجرين معه والأنصار الذين كانوا في المدينة وفتحوا مكة وقطعوا دابر الطاغين فيها كذلك سيكون الحال في هذا الزمان إن لم يسارع العرب هناك بالتوبة وإلا فويل للعرب من شر قد اقترب، شر لهم وخير للناس. الحاصل أن هذا العبد سيخرج الله به ويسري به من بلاد العرب إلى أمريكا.

{الذي باركنا حوله} بركات الدين والدنيا في أرض المسجد الأقصا أي في أمريكا اليوم. بركات الدين لأن الدين فيها حر يدين كل واحد بما يشاء وليس للدولة دين رسمي تفرضه على الناس بل في دستورهم وأول بند من بنود حقوق الإنسان المعمول بها حقاً والتي يجاهدون ليل نهار لتطبيقها والارتقاء بها هو بند عدم تعرض الدولة لدين الناس وترك الناس يمارسون دينهم بحرية، كما أن البند الثاني عن حرية الكلام لفظاً وكتابة، والبند الثالث-والتقسيم لي بحسب الموضوع الجوهري-عن حق التجمع السلمي وتكوين الجماعات. وبركات الدنيا معروفة فإن أعلى مستوى معيشي وأعلى نظام سياسي في الأرض اليوم هو في أمريكا. البركة خير نامي مستمر، فالبركة حركة، أي الخير في أمريكا ليس ثابتاً فقط لكنه نامي بالتالي ستجد عملية تحسن بحيث يكون الخير قليلاً في فترة ثم يزيد ثم يزيد، وهذا هو الحال حيث كانت مثلاً حرية الكلام فيها قليلة نسبياً ثم زادت على مر العقود وزادت حتى بلغت حداً عالياً جداً اليوم، وقل مثل ذلك في بقية الأمور، فالبركة خير ينمو فمن لوازم البركة وجود فترة ذات خير قليل نسبياً وإلا لم يكن للنمو والزيادة معنى. فالبلاد مباركة لأنها ذات حياة وتغير وسعي للترقي في الكمالات المختلفة وهي منفتحة على من لديه فكر جديد ورسالة جديدة أهدى وأعقل مما هم عليه ويستطيع أن يبلغها هناك بسلام عالي جداً وبأمان عالي جداً بشكل عام وإن وجد استثناء فهو شاذ ونادر مقارنة بالنمط العام والحكم للغالب والشاذ لا حكم له في تقييم الأمور الكلية. والعكس من هذا تماماً حال العرب في أرض المسجد الحرام، حيث لا بركة حقيقية لا دينية ولا دنيوية، أما الدين فمعلوم إذ لا حرية لأحد هناك في دينه ولا كلامه ولا فكره ولا ضميره، وأما الدنيوية فالغالبية من الناس في فقر حقيقي أو قريب منه وتعيش معيشة ضيقة مقترة وقلة فيها هي التي تعيش برفاهية وترف عالي جداً وقلة قليلة ما بين الفقر القبيح والثراء الفاحش، فالحياة في بلاد العرب اليوم هي خسارة للآخرة والدنيا معاً فهي الخسران المبين "خسر الدنيا والآخرة ألا ذلك هو الخسران المبين" لأن حتى أصحاب الثراء الفاحش هم في نهاية المطاف عبيد لآل فرعون تلك البلاد في الحقيقة، والمستعبد مهما كان ثرياً لا يكون إنساناً كريماً وهو يعرف ذلك ويذوق الذل في عمق نفسه يومياً وكلما اقترب من آل فرعون وقرّبوه كلما كان أذل وأخضع وأقبح حالاً في النفس، فالحق أن الكل خاسر بوجه أو بآخر دنيا وآخرة والمعوّل على الآخرة والحال عند الله وهو قبيح جداً بالنسبة لمن يسير مع ذلك المجتمع المظلم ويرضا بحاله ديناً ودنيا. والأمور في بلاد العرب اليوم شر محكم، أي لا يوجد أمل في نفوس الناس عموماً بإمكان تغيره، دع عنك عدم وجود آليات سلمية لتغييره، بل حتى الأمل في النفوس لم يعد موجوداً بالنسبة لعلماء تلك البلاد فضلاً عن عامّتهم، فإن أكثرهم إن لم يكن معظمهم إلا أفراد قلائل يرون أننا في آخر الزمان وزمن الدجال وسيظهر المهدي قريباً وتقوم القيامة...ولو يعلمون معنى هذه الكلمات لكان حالهم أفضل بكثير ! لكنهم يأخذونها بمعنى النهاية الدرامية للأرض ويتخيّلون خيالات عمّا قريب سيعلمون أنها سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً. فالحاصل أن الحال في أمريكة مبارك والحال في الجزيرة ضد المبارك. لذلك أسرى الله بعده من الجزيرة إلى أمريكة.

{لنريه من ءاياتنا} وهذا سبب آخر للإسراء. ففي أرض المسجد الحرام اليوم لم يكن يرى من آيات ربه كما سيراها لو خرج إلى أرض المسجد الأقصا، وإلا لو كان يرى نفس الآيات قبل الإسراء فما الداعي للإسراء وتعليله بـ{لنريه من آياتنا} فتحصيل الحاصل عبث يتنزه عنه الحكيم تعالى. كلا. في الجزيرة اليوم عمى منتشر، وحدود تمنع من ظهور الأسماء القرآنية كما هي، بيان ذلك: في القرءان آيات عن حزب الشيطان والنار وآيات عن حزب الله والجنة. فأمثال فرعون وثمود وقوم لوط ونحو ذلك هي أمثال حزب الشيطان وأمثال الجحيم وجهنم وتبدل الجلود ونحو ذلك هي أمثال النار. وفي المقابل أمثال موسى وصالح والناقة وإبراهيم وجبريل هي أمثال حزب الله وأمثال الأنهار الأربعة والظل الظليل ونحو ذلك هي أمثال الجنة. كلاهما متحقق في كل زمان ومكان بدرجة أو بأخرى، في الآفاق أو في الأنفس أو كلاهما. لكن بالنسبة للإنسان، ما لا يعقله وما لا يقوله فهو في حكم المعدوم بالنسبة له وإن كان متحققاً في الواقع. الآيات موجودة، رأيتها أم لم تراها فهي موجودة. فالكلام ليس عن إيجاد الآيات لكن عن رؤية وجودها، هذا أول مستوى من رؤيتها. والمستوى الثاني فوقه هو مستوى إيجاد الآيات الراجعة إلى عمل الإنسان مثل "أقم الصلاة" فإن الإنسان إذا لم يوجد هذه الصورة بطاعة الأمر الإلهي لم توجد هذه الصلاة. فرؤية آيات الله أوّلاً بتعقل معناها وثانياً برؤية حقيقتها وثالثاً بتسميتها بأسماءها في القرءآن ورابعاً بالعمل بحسب ما تقتضيه الآيات الأمرية. فإذا قمت بهذه الأركان الأربعة للرؤية ستكون ممن رأى آيات الله تماما الرؤية كما قال هنا {لنريه من آياتنا} ولم يقيّد الرؤية بالتالي هي الرؤية المطلقة الشاملة لكل الأبعاد الأربعة. الآن، إذا نظرنا في الجزيرة، سنجد أن القرءآن بالنسبة لعموم الناس عمى في عمى وهو عليهم عمى وهم في حجاب عنه ولا يفقهونه. لماذا؟

تعقّل معنى أمثال القرءآن محارب بالنزعة المادية الظاهرية للوهابية ونحوهم من الجهلة التي علّمت الناس أن الاعتقاد بباطن القرءآن وتأويله هو كفر وزندقة ونحو ذلك. فالناس يقرأون موسى وفرعون ويعتقدون بشخصيات تاريخية وجدت وانتهت وانقضى الأمر والخلاف بينهم إن وجد هو على فرعون هذا هو رمسيس أم أمنحوتب أو لا أدري ماذا. وقس على ذلك. ثم إذا قرأوا الشمس وضحاها ونزول الماء من السماء فيعتقدون بأن الله يتحدّث ويقصد فقط صورة المثل كأن الله يحدّثنا في درس بيئة وجغرافيا ويخبرنا عن ما نشهده كلنا بحواسنا وانتهى الأمر على ذلك، بالتالي يظهر القرءآن لهؤلاء الجهلة ليس فقط على أنه كتاب غير معقول بل على أنه كتاب سطحي وتافه وسخيف في معلوماته عن الطبيعة ويوجد ما هو أحسن منه في كتب علوم الطبيعة الحديثة هذا إن لم يقول بعضهم بأن في القرءان أخطاء من حيث وصفه للطبيعة ثم يضاد هؤلاء فريق يريد أن يثبت أن القرءان كان سبّاقاً في وصف الطبيعة بدقة علمية والفريقين يدورون كالثيران في ساحة اخترعوها من عند أنفسهم الجاهلة بالله والنبوة وينطح بعضهم بعضاً على أمل أن يقضي عليه وكلاهما ميت إن رأوا الحق. إذن، تعقل معاني القرءآن منعدم، والكلام عن المعنى الحقيقي للقرءآن بالتالي سيكون عرضة للتعرض للحرب والعنف من جميع الأطراف تقريباً فيضطر أهل الله للسكوت أو الهجرة وهو ما فعله الله بعده هنا الذي سيبيّن ذلك بإذنه.

رؤية حقيقة أمثال القرءآن ستكون منعدمة لأنك لن ترى ما لم تعقل. وهذا مفهوم. فكيف ترى آل فرعون زمانك إن كنت تظن أن آل فرعون هم الأسرة الرابعة عشرة في القرن العشرين قبل الميلاد أو لا أدري ماذا من هذه التفاصيل الهرائية التي ما أنزل الله بها من سلطان ولا بيان ولا برهان في القرءان. وكيف ستعرف موسى زمانك أو حتى موسى روحك إن كنت تظن أن موسى هو مجرد شخص بشري كالديناصورات وجد وانقرض وقضي الأمر الذي فيه تستفتيان. هذا مفهوم ولسنا بحاجة إلى تكثير أمثلته.

أما تسمية الأمور بأسمائها، فيحتاج إلى حرية الكلام ودين، وكلاهما معدوم في الجزيرة اليوم. بل إن تجرأ أحدهم وسمّى الأشياء بأسمائها فإنه لن يجد في ظاهر الأرض إلا أمثال حزب الشيطان والنار، لذلك تجد الناس يسهل عليهم حتى استعمال أسماء حزب الشيطان فتجدهم يقولون ولو على سبيل الدعابة "هذا شيطان" و "هذا يتفرعن" و "هذا إبليس" و "كلما دخلت أمة لعنت أختها" ونحو ذلك، لكن فقط أمثال الشياطين والنار هي الظاهرة والتي يذكرها الناس، وأما إذا قلت لهم "ها أنتم ذكرتم إبليس، فأين جبريل؟ ها أنتم ذكرتم فرعون فأين موسى؟ ها أنتم ذكرتم كلما دخلت أمة لعنت أختها فأين الملائكة يدخلون عليهم من كل باب؟" فلن تجد جواباً. واسأل نفسك: ما هو المكان الذي لا تجد فيه إلا حزب الشيطان؟ الجواب: جهنم. وهذا حال الجزيرة وبلاد العرب اليوم، هي مثال جهنّم على الأرض، أعلى أمثلة جهنّم وتجلياتها. قارن هذا مثلاً بحال العرب حين ءامنوا بالنبي وكانوا معه في أول الزمان، ستجد أن النبي ومن معه كانوا يرون آيات الله كلها أي يرون حزب الله أحياء وحزب الشيطان أحياء، يرون أمثلة الجنة ويرون أمثلة النار. فتجد النبي يقول لعلي "أنت مني بمنزلة هارون من موسى" و تجد النبي يقول "إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا..حلق الذكر" ويقول "لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة"، وهكذا أيضاً تجد في المقابل قولهم "هذا شيطان" و "هذا فرعون هذه الأمة" و نحو ذلك. فالقرءآن كله مرئي والأسماء موضوعة في محلّها ويُسمّى بها كل شيء. فالقرءآن كتاب حي عند الأحياء الأحرار من ذوي الأنوار. وكتاب ميت عند المستعبدين الكفار والفجّار والأشرار. لكن اليوم لا تجد ذلك بشكل عام. وإن فعله أحدهم على سبيل الإشارة الخفية فإنهم لا يذكرونه على أنه علم حقيقي لكن على سبيل "الإشارة" الصوفية أو نحو ذلك من "اللطائف" و "ملح العلم" وغير ذلك من أساليب الاستهتار والاستهزاء بآيات الله والصد عنها ولو بظاهر من الاعتراف بها، هذا إن وجد فهو قليل جداً ولا يقال على سبيل الجد والقول الفصل.

أما العمل بالقرءآن، وهو الغرض النهائي من تعقله ورؤيته والتسمية به، فإنه الجرم الأكبر في الجزيرة اليوم وفي غيرها من بلاد العرب والمتأسلمين وكثير من بلاد الكافرين المعلنين كفرهم. المكان الوحيد الذي أعرفه في الأرض اليوم بحيث تجد كل عوامل العمل بالقرءآن على حقيقته والدعوة إلى ذلك هو أمريكة. ولا أقصد بالعمل بالقرءآن هذه الأديان الممسوخة التي بيد أكثر الناس ويسمونها الإسلام وهي الطغيان والجهل بعينه. لكن أقصد القرءآن على تأويله الصحيح الذي يؤتيه الله عبده وعباده الأحياء الأحرار. ولو تُركوا أحراراً للبيان لبيّنوا حجّتهم وظهر برهانهم

وأن ما عندهم هو القرءآن الحق وأحسن تفاسيره التي آتاهم الله إياها، لذلك هم أحوج الناس إلى حرية الكلام والدين بغير قيد أو شرط على جوهر الكلام والتدين وهذا في أمريكة، وهم بحاجة إلى الفردية وثقافة قائمة على الفردية وهذه في أمريكة وأبرز تجلياتها وأرسخ جبالها في أمريكة اليوم. وبالضد من ذلك الحال في الجزيرة ثم الأشبه فالأشبه.

على ذلك نفهم {لنريه من آياتنا} لأنه قد يعقل آيات الله النازلة في القرءآن كلها لكنه لا يرى إلا بعضها لوجود استضعاف حزب الله وأصحاب الجنّة في المكان الذي يعيش فيه، ولا يستطيع أن يسمّي الواقع والأشخاص فيه بأسمائهم بحسب القرءآن لأنه غير حر في كلامه، ولا يستطيع أن يعمل بكل أمر الله في القرءآن لعدم توفّر شروط الحرية والنصرة والعزة اللازمة لذلك. فحصل الإسراء لتكميل الرؤية، لذلك انتهت المهمة حين "رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا" لاحظ " رأيت" وذلك ضد حاله في أول الأمر حيث لا الدين ولا الناس المتدينيين ظاهرين مرئيين.

{إنه هو السميع البصير} الله هو السميع البصير، وعبده سميع بصير. فالله سميع سمع دعاء واستغاثة عبده من ظلمات القهر التي هو فيه وهو يبصر حاله فرحمه وأجاب دعائه ونصره وأخرجه من بلاد الظلم إلى بلاد النصرة والحرية. وعبده سميع سمع آيات الله وأبصرها في واقعه ويريد المزيد من قوة السمع وقوة البصر ويريد المزيد من مواضيع السمع ومواضيع البصر ومن أجل كل ذلك أسرى به إلى المسجد الأقصا.

عبده لم يكن ظاهراً باسم حين كان في بلد الظلم، ذلك هو {عبده} فقط وهو الاسم الجوهري له لأنه كان مغموراً وباطناً ومقهوراً في ذلك البلد. فلما أسرى به نال اسماً وتلبّس به. وحين كان مغموراً خائفاً مستضعفاً لم يكن إماماً ظاهراً للناس ليهتدوا به، وكذلك تغيّر هذا بعد الإسراء، ولبيان أول تحوّل حصل بعد الإسراء قال...

٢-{وءاتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا}

موسى هو أول اسم سيكتسبه هذا العبد. لأن المطلب الأقصى له هو كلام الله، يريد أن يحيا بكلام الله ويسمع كلام الله الحي ويبلغ كلام الله الحي. لكن لأنه يعيش في بلد كحال العرب اليوم ممن يعتقد بأن الله سكت ولم يعد يتكلم أو لا يستطيع أن يتكلم أو يرفض أن يتكلم أو لا يوجد من يستطيع أن يسمع كلامه أو غير ذلك من وسائل الكفر بكلام الله الحي وأنوا ع الكفر بكلامه تعالى، لم يظهر عبده باسم موسى علناً وحقاً. لكن بعد الإسراء سيعلن موسويته وسيظهر بها ويتسمّى بها صراحةً.

سيؤتيه الكتب. كتب كثيرة ستتزل على موسى الزمان وسينشرها في الأرض. لذلك إظهار الكتب ونشرها هو الغرض الأكبر للإسراء، من هنا نعرف أن المكان الذي سيهاجر إليه سيكون ذا حرية

لنشر الكتب بوجه أو بآخر من أوجه حرية نشر الكتب، وهذا المعنى متحقق اليوم في أمريكة كما هو معلوم وغير متحقق مطلقاً في بلاد العرب والمتأسلمين وكثير من بلاد غيرهم ولا يوجد حرية نشر كتب مثل التي توجد في أمريكة فهي الأقصا في هذا الباب لذلك هي منزل إسراء موسى الزمان.

{وجعلناه هدى لبني إسرائيل} موسى هادي والكتاب هدى لبني إسرائيل. فموسى اليوم عربي سينشر الكتب بالعربية وستكون هذه الكتب هدى لبني إسرائيل الذين هم عرب والمسلمين المستعبدين في العالَم تحت قهر مختلف الحكومات الظالمة والمتفرعنة والمجتمعات الطاغية والقاهرة للمتفردين والمختلفين والرافضين لما هي عليه والساعين لتغيير الأحوال فيها. فالحكومات والمجتمعات ضد الأفراد والأحرار، فإذا كانوا أفراداً وأحرار وزادوا على ذلك بالإيمان بدين حي من الله الحي ورسول وولي حي فهي الطامة الكبرى عندهم والكفر الأكبر والجريمة الأعرابية إلى الأرض المقدسة الأمريكية.

{ألا تتخذوا من دوني وكيلا} الرسول وكيل الله على عباده المؤمنين، وليس على عبيده الكافرين والظالمين. كل الآيات التي ينفي فيها كون الرسول وكيلا وحفيظاً هي آيات واردة في غير المؤمنين. فالرسول وكيل على المؤمنين وحفيظ عليهم "حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم". لذلك قال {ألا تتخذوا من دوني وكيلا} لكن "من لدني" اتخذوا وكيلا وهو الرسول الذي هو الولي والمولى "إنما وليكم الله ورسوله والذين ءآمنوا". فالرسول من لدن الله وليس من دون الله. "اجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا". فموسى من لدن الله، لذلك أمر بني إسرائيل باتباعه. وكتب موسى هي كتاب الله، فهي من لدن الله وليست من دونه. فالتأويل اليوم هكذا: العرب اليوم اتخذوا وكلاء على دينهم ودنياهم من دون الله لذلك وقعوا في الاستعباد والقهر وفيهم من وقع في الكفر الصريح والإلحاد والضلال الناتج عن الجهل بكتاب الله وسوء تأويله. وموسى الزمان سينهاهم عن اتخاذ وكيل من دون الله، هذه رسالته لهم، فرفض الوكلاء الدينيين الذين لا حجّة لهم ولا إذن حي من الله الحي ورسوله لهم ولا برهان لهم من كتاب الله، ورفض الوكلاء الدنيويين الذين تسلطوا عليهم بالجبرية والقهر والعنف وبمساعدة كفرة الوهابية وملاحدتهم وغيرهم من شيوخ النفاق برروا للناس هذه الدول الجبرية على أنها دول ربانية وسنية نبوية وإمامة كتابية، رفض هذين الأمرين هو أهمّ وأبرز ما سيعلّمه كليم الله الحي للناس اليوم. ففي الآية ذكر لموسى وذكر للكتاب، أما موسى فلا يجبر نفسه على أحد بل يختارونه طوعاً للدين والدنيا، وأما الكتاب فعقل وعلم وبرهان في الدين وفي الدنيا. بالتالي الوكالة هنا مبنية على العقل والاختيار، تعقل حر من القهر الخارجي واختيار حر من الجبر الخارجي، فهي وكالة مبنية على الحرية لا الجبرية. خلافاً لحال بني إسرائيل اليوم، أي العرب والمسلمين، الذين يرزحون تحت وكالة جبرية في الدين والدنيا. لذلك يكلّم الله العرب اليوم ويقول لهم {ألا تتخذوا من دوني وكيلا}. اكفروا بكل هؤلاء الوكلاء الدينيين والدنيويين الذين استعبدوكم وقهروكم، ارفضوهم والعنوهم، اتركوهم وتعالوا إلى

الله ورسله وحملة كتبه الأحياء في زمانكم، واعقلوا كتابه فهو بين أيديكم وتعلّموه على الله تعالى فإنه معكم وتعلّموه من أولياء الله فهم أحياء في عصركم.

{ألا تتخذوا من دوني وكيلا} الوكيل هو الرب الذي تكل إليه كل أمورك ولا تنظر فيها بعد ذلك توكلاً عليه واعتماداً عليه. هذا لا يكون إلا لله. لذلك حتى الرسول طاعته مقيدة بالمعروف "ولا يعصينك في معروف". بالتالي الرقابة واجبة على كل من تستعمله من الناس في شيء، فليس وكيل إلا الله، أما من دونه من الخلق فلابد من تقييده حتى إن وكلته في أمر فهي وكالة مقيدة، أما وكالة الله فمطلقة وهي من خواص الربوبية. بالتالي، في أمر الدين لا توكّلوا أحداً وكالة مطلقة وهي ما يعرف بالتقليد والسلطة الدينية أي أن يكل العامّة أمر دينهم إلى بعض الناس ويقلّدونهم إياه ولا يسألونهم حجّة ولا يحتجّون عليهم بشيء بل يكونوا بين أيديهم كالعبد بين يدي ربّه في الانقياد والخضوع والقبول بل حتى هذا ليس مثلاً صحيحاً لأن ربنا الله والله بيّن لنا بالحجج والبينات والبراهين أمره. وكذلك في أمر الدنيا لا نوكل أحداً أمر دنيانا ومعاشنا ونفوض إليه سلطتنا على نفوسنا وأموالنا لا طوعاً ولا كرهاً، فلا نتخذه وكيلاً من دون الله فيها، فمن جهة نقاوم ونقاتل حتى لا يتسلّط علينا بالقهر والجبرية أحد فيأخذ وكالتنا بغير إذننا ورضا نفس منا، ومن جهة نختار ونراقب من نستعمله في أمورنا العامّة فلا نتخذه وكيلاً من دون الله نكل إليه هذا الأمر بل نحن نختاره ونحن نراقبه والأمر شورى بيننا. والذي أفسد حال بني إسرائيل هو التوكيل في أمر الدين والدنيا واتخاذ وكلاء من دون الله فيهما فنشأ فيهم الفراعنة وأحبار ورهبان السوء. رفض كل ذلك واستعادة الوعي بالسلطة الذاتية للفرد في أمر الدين وأمر الدنيا وسحب هذه التوكيلات الباطلة والكافرة والآثمة من صلب تعليم موسى كل زمان لبني إسرائيل كل زمان.

فإذا استجاب من استجاب من بني إسرائيل الذين يعيشون في بلاد الظلم اليوم سيطلبون الخروج من هذه البلاد إلى بلاد الحرية، أي يريدون الانتقال من بلاد الجبرية إلى بلاد الحرية، ولذلك قال بعدها...

٣-{ذرية من حملنا مع نوح، إنه كان عبداً شكورا}

وهو الاسم الثاني للوارث المحمدي في هذا الزمان. اسم نوح. فهنا سيظهر باسم نوح الذي سيركب معه في سفينة طاعته من سيركب ليخرج وينزل منزلاً مباركاً. فهو ذريته لأنهم تعلّموا منه وخرجت عقولهم من قذف كلماته في أرحام قلوبهم. فهذا العبد الشكور شكر الله سعيه فجعل مثله كمثل نوح فنجّاه ونجّى به وحمل معه طلاب علمه وأتباع كلمته وأخرجهم من المنزل المشؤوم المنحوس إلى المنزل المبارك كما قال نوح "رب أنزلني منزلا مباركاً وأنت خير المنزلين" فقال الله " اهبط بسلام منا" فهو منزل مبارك وفيه سلام، وهذا سيكون حال المؤمنين في أمريكة الذين سيخرجون لهذا القصد.

حصل هذا كله من العبدية إلى الموسوية إلى النوحية في الزمان الأول، حيث انتقل النبي من مكة إلى المدينة ثم فتح مكة وعاد إلى المدينة وجاوره بها أتباعه المؤمنين حتى انقضى الأمر وتوفاه الله. وسيحصل في هذا الزمان مثله. فذكر الله ما حصل في الزمان الأول وما سيحصل في الزمان الآخر في المقطع التالي...

٤-{وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب، لتُفسدن في الأرض مرّتين ولتعلنّ علواً كبيراً. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً. ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا. إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسألتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسئوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا. عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا.}

العرب أفسدوا في الأرض مرّتين. المرة الأولى في الجاهلية الأولى حيث أفسدوا وعلوا على محمد وأصحابه علواً كبيراً. فبعث الله عليهم عباده الأنصار من المدينة وظهر المؤمنين عليهم. ثم ردّ الله الكرّة فظهرت الدول الأموية والعباسية وغيرها من فروعها وثمار شجرتها الملعونة عبر القرون فظهر الطغاة على المؤمنين وقهروا العلماء والأولياء بدرجة أو بأخرى عبر القرون وكانوا أكثر أهل الأرض نفيراً وجنداً وقوة وعتاداً وغلبوا على الأرض وقهروها. إلا أن الله قضى بزوال هذا العلو وأخرج أنصاراً جدداً من الغرب تعلّموا من المؤمنين وأخذوا الروح منهم، ومع غروب شمس حرية الكلام والدين في بلاد العرب بدأت تظهر في الغرب الأقصا أي أمريكة، وهذا وعد الآخرة إذ من أمريكة سيخرج أنصار لله ورسله وسيدخلوا الجزيرة ويدخوا المسجد الحرام ويحرروه من الظالمين الطاغين وسيدمروا كل ما أنشأه الطغاة فيها ويحرروا الأرض من جديد كما كانت حرة في الزمان الأول حيث حررها النبي وأنصاره. {عسى ربكم أن يرحمكم} حين يحصل الفتح الجديد لمكة وأرض الجزيرة كلها التابعة لها إذ هي أم القرى الأولى كما أن أمريكة هي أم القرى الأخرى. {وإن عدتم عدنا} فهي سنّت الله فإن عدتم للطغيان ومحاربة حرية الأديان والبيان فسيعود الله ويرسل عليكم أنصاره ولو بعد حين، فهي سنّت الله ولن ينتهي العالم كما يتخيّل الجهلة بل هو نهاية عالم وبداية عالم وهكذا إلى ما شاء الله ف{إن عدتم عدنا} مما يدل على استمرارية إمكان العودة إلى الإفساد في الأرض والعلو الكبير فيها من بني إسرائيل حتى بعد الدخول المسجد للمرة الثانية، فالأمر مستمر إلى ما شاء الله في الدنيا. {وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً} ففي الدنيا سيجعل الكافرين وهم هنا رؤوس الطغاة وجنودهم على الحصير في جهنم والمعنى في السجون، كما أنه في نفوسهم سيكونون في جهنّم وسيسميهم الناس بأسمائهم الجهنمية اللائقة بهم ويعاملونهم على هذا الأساس كما سيعاملون كل طاغية وداعية له، وكذلك في الآخرة الكبرى

سيكون مصيرهم جهنّم لأنهم الذين جعلوا الدنيا جهنّماً للناس بطغيانهم في الدين والتبيين وبناء أمر الناس على الحرب والغلبة بدلاً من السلم والشورى.

جاء وقت الإسراء فتوقّف الكتاب عند هذا الحد والله يُكمل ما يشاء ويُمدّ.

....انتهى والحمد لله رب العالمين.